

الأحكام الشرعية من سنة نبي البشرية



دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

*

darjundi46@gmail.com

الأحكام الشرعية من سنة نبي البشرية

د. زكريا إسماعيل أبوالضبعات

*

الطبعة الأولى (2023).

*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

الأحكام الشرعية من سنة نبي البشرية

الدكتور زكريا إسماعيل أبوالضبعات

الطبعة الأولى

2023 م

اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله لي حجة يا رب العالمين. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر. اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه. اللهم إني أسألك عيشة هنية وميتة سوية، ومرداً غير مخز ولا فاضح اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح وخير العلم وخير العمل وخير الثواب وخير الممات، وثبتي وثقل موازيني وحقق إيماني وأرفع درجاتي، وتقبل صلاتي واغفر خطيئاتي، وأسألك العلا من الجنة اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك والسلامة من كل أثم، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا وتعفيننا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين. ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلي وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار، وسلم تسليماً كثيراً.

المقدمة

بعث الله تعالى النبي الأمي الأمين محمدا هاديا ومبشرا ونذيرا ورحمة للأمة وللعالمين لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ 107 قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَبَلَّغْ أَتَيْتُم مِّنْكُمْ 108﴾ الأنبياء 108

الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لم يترك شكاً في قلوب الذين آمنوا وغيرهم من الذين لم يؤمنوا بأن هذا النبي أرسل للناس كافة، وهذا القرآن الذي يتنزل عليه هداية وبشرى للعالمين، أي لكل ما خلق الله تعالى وبالتالي فإن النبي المرسل والمصطفى من الله دون خلقه، إنما هو لكل الناس على شتى طبقاتهم وأصولهم وفصولهم وألوانهم، لا بل إن رسول الله إلى كل هؤلاء إلى أن يرث الله الأرض ومن وما عليها. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ 38

ويقول جل من قائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف 158

والقرآن الكريم، هو الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، وهو الحجة والدليل القاطع على وحدانية الله تعالى أنزل للعالمين جميعاً لقوله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان 1

إضافة إلى أن القرآن الكريم هدى للناس، فانه هدية من الله إلى عباده كي يؤمنوا به ويؤمنوا على حياتهم وبعد مماتهم، فالله سبحانه وتعالى غني عن العالمين، لا يريد من عباده أجراً على ما هداهم، يقول رب العزة والجلال:

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا يَذْكُرُ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام 90

القرآن الكريم نزل على النبي الأمي الأمين بواسطة جبريل عليه السلام، أدهش قريشا ورجالها واعيانها وعلماءها، حتى أنهم لم يستطيعوا الرد على آية من آياته، فخرست ألسنتهم لأنهم رأوا فيه البلاغة والطلاوة والحلاوة التي لم يتذوقوها يوماً، فكان بالنسبة لهم لا هو شعراً ولا نثراً، وقد وصفه أحد الدارسين بأنه:

إن أوجز كان كـافياً	وإن أثار كان وافياً
وإن بين كان شافياً	وإن حكم كان عادلاً
وإن أكثر كان مذكراً	وإن وعظ كان مؤثراً
لا يمله قارئه إذا استرسل	ولا يمله سامعه إذا تأمل
فهو حلو إذا تذوقته العقول	بحر العلوم وديوان الحكم
وجوهر الكلم ونزهة المتوسمين	وروح قلوب المؤمنين
نزل به الروح الأمين	على محمد سيد الخلق أجمعين

والقرآن الكريم منزل من الله تعالى على عبده، كما أنزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام. من الناس من يجادل: هل هو من عند الله؟ وما الدليل على ذلك؟ نقول ان القرآن الكريم من عند رب العالمين ولو كان من عند غيره.

1- لوجد الكافرون في القرآن اختلافاً وتناقضاً كبيرين، لا بل نقصاً وأخطاء لغوية وعلمية كثيرة لقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء 82
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت 42

2- لم يسبقه كتاب اخر في بلاغته ولغته، اذ أنه تنزل على مدار ثلاثة وعشرين عاما، وطيلة هذه المدة حافظ القرآن على اتساقه اللغوي وملامحه البلاغية وأسلوبه الشيق، فلم تجد به عوجاً ولا أخطاء. فاذا كان من عند غير الله لغير فيه العلماء كل حسب تخصصه كي يساير التقدم العلمي، ويساير أهواءهم، ولكنه سبق الزمن بآلاف السنين ليقدم العلوم والمعارف الأزلية التي لا تلغى ولا تتبدل، وما لنا الا أن نقول سبحانه الله وبحمده ما أعظمه، وما أعظم ما أنزله على عبده الأمي الأمين.

3- كتاب موجه من متكلم وهو الله تعالى الى عبده، أي الى المخاطب محمد صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين. فنقرأ فعل الأمر قل هو الله أحد، اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم طلب، فلنقصن عليهم فعل مضارع فاعله رب الجلاله، وهكذا نجد أسلوب القرآن الكريم لا يدل على أن كاتبه محمد صلوات الله وسلامه عليه كما يدعون، ولغة القرآن الكريم لا تعبر عن لغة كاتب بشري، وخصوصاً أن القرآن الكريم تنزل في سنين عدة مقدارها ثلاثة وعشرون عاما لم تتغير لغته ولا انسياب الفاظه ومعانيها ودقتها، لا بل ان بلاغة القرآن الكريم بالرغم من هذه المدة لم تتغير.

فيلاحظ القارئ الكريم أن أولى الايات التي تنزلت مثل وسطها مثا أواخرها، حتى أن ترتيبها لم يأخذ في الاعتبار تاريخ نزولها لتحمل معنى واحدا وهدفاً واحداً، لا تفرق بين الذي تنزل في بداية البعثة وعن الذي تنزل في وسطها ولا في نهايتها على اعتبار تكامل القرآن الكريم وتناغمه في الالسلوب والألفاظ والمعاني والقصص والعبادات والعقائد وكأنه (ليس للتشبيه) عقد فريد لا يمكن حذف كلمة أو فقرة منه، وهذا سر اعجازه، وبما أن اللغات العالمية متطورة ومتجددة، فان لغة القرآن الكريم هي لغة الله بلسان عربي لا تتجدد ولا تتطور، بل تبقى ثابتة أبد الدهر، وهذا اعجاز اخر من معجزات القرآن الكريم ودليل على أنه منزل من رب العالمين.

4- يتضمن القرآن الكريم ايات كثيرة فيها عتاب للنبي تمثل احراجا له، كما تتضمن ارشادات أو تحليلاً لأمر أو تحريماً لآخر، فهذه الأمور لا يمكن لانسان عادي أن يؤلفها وأن يفرضها على الناس، كما أن ايات العتاب كثيرة يمكن للنبي الكريم أن يخفيها وعدم اظهارها، وخصوصاً أمام رجال قريش الذين يقفون له بالمرصاد، ويريدون اية واحدة يعاتب بها رب العالمين النبي الكريم لبدء الهجوم عليه، وبالرغم من ذلك استمر النبي الكريم بتبليغ أمته بكل ما ينزل عليه لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة 67
وفي قوله تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يونس 109
5- يتضمن القرآن الكريم معجزات كونية وقضايا علمية (ذكرناها في كتابنا الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية) تتطلب من كاتبها أو مؤلفها أن يكون عالماً شاملاً في عديد من العلوم الطبية والبيولوجية والجيولوجية والرياضية والفلكية وعلوم البحار، والانفجار العظيم والأشعة فوق البنفسجية، وقانون الجاذبية والقوانين بأنواعها المدني والأسري والعسكري، وقانون الضرائب والعقارات، كما يجب أن يكون ملماً بالأحكام الشرعية اليهودية والنصرانية كي يضيف عليها وينقحها ... وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم، والسؤال الذي يتبادر الى الأذهان من يستطيع الامام بهذه العلوم حتى في عصرنا الحالي؟ وأين تعلم النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه هذه الأمور كلها؟ وهذا لا يتوافر في انسان عادي الا أن يكون رسولا أميناً على الرسالة الموكلة بها أن توصل الى الناس كافة لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ 28

6- القرآن الكريم تحدى الأنس والجن بأن يأتوا بمثله فعجز الذي كفر، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فبهت الذي كفر، ويحاول بعض الكفار بالله وبالقران في عصرنا الحالي تحريف القران وتأليف فرقان جديد ولكنه اصطدموا بالحائط لأنهم أعجز من يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لقوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)﴾ هود 14

وقال تعالى في ذلك أيضا:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة 23

فالسورة تبدأ باسمها وما تدل عليه، ثم تتسلسل أحداثها تسلسلا بديعا بلغة سليمة وبيان وبلاغة نادرتين وهذا أسلوب القران الكريم من بدايته حتى نهايته، ولتأكيد رب العالمين على أنهم لن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، تحداهم اذا لم يقوموا بذلك فلهم منه العذاب الذي يستحقونه لذلك أعد لهم العذاب الأليم بقوله:

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة 24

وبالفعل، حاول بعض الموثورين في أمريكا وضع مؤلف أطلقوا عليه اسم الفرقان، فباءت محاولتهم بالفشل الذريع، بالرغم من دعم الغرب لهذه الفئة الضالة بالمال والاعلام مصداقاً لقول رب العالمين **وَلَنْ تَفْعَلُوا**، اذن كلام الله حق، فالقران الكريم عمره الان أكثر من ألف وأربعمئة وثلاثة وأربعين عاما، ولم يتغير فيه حرف ولا كلمة باذن الله، كما لم يستطع الكافرون تأليف سورة واحدة شبيهة بالقران الكريم، وما زلنا ننتظر منهم ما يدعون، بالرغم من أنهم مدعومون من قوى متنفذة سياسياً ومادياً، الا أن أمر الله تعالى نافذ فيهم.

7- قال الكافرون ان شيطان محمد يملي عليه!!! والسؤال: أي شيطان يدعو الى الخير والصلاح؟ وأي شيطان يدعو الى الصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله؟ وأي شيطان يدعو الى تمجيد الأنبياء؟ فالشيطان لا يدعو الا الى الشر المستطير لقوله تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 267

والشيطان لا يسيطر على المؤمنين وليس له عليهم سبيلا، بل يسيطر على ذوي النفوس الضعيفة لقوله تعالى:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100)﴾ النحل 100

8- الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ كتابه على مر الدهور والعصور، فمهما حاول المتربصون بالاسلام والمسلمين شرا أن يغيروا ويبدلوا في كتاب الله فلم يستطيعوا، فتكشفت حيلهم وتكشف مكرهم فخذلهم الله في قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر 9

فالقران الكريم محفوظ في الصدور قبل السطور، فلن يمحي من صدور حافظيه في الدنيا أبداً، وكانت فئات من المشركين تطلب من النبي الكريم أن يبدل فيه كما يؤيدون، أو يأتي بقران جديد غير الذي يسمعون ظنا منهم أن النبي الكريم يستطيع تأليف كتاب على نوقه أولا ثم على نوقهم الذي يستسيغونه غير هذا الذي أنزل عليه، فجاء الرد صاعقا لهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَلَّيْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ، مِنْ تَلَقَّايْ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يونس 15

وهذا أكبر دليل على أن القران الكريم من الله تعالى، ولا يستطيع النبي التصرف بحرف من حروفه وكلماته وآياته البينات دون أمر من الله تعالى لقوله جل من قائل:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ الأعلى 7

9- قال الظالمون والمغرضون ان محمدا يتلقى وحيه من ورقة بن نوفل، وبينا سابقا أن ورقة مات بعد البعثة ببضع سنين، فكيف استمر الوحي بالنزول بعد ذلك؟ فرد القران الكريم على هذه الترهات. يقول رب العزة والجلال:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الفرقان 6

10- اشتمل القران الكريم على كثير من التشريعات والأحكام والعقائد والقوانين ما يعجز الانسان عن وضعها وتفصيلها بدقائقتها بجمال وعبارات بسيطة سهله كأحكام الميراث والعقود والزواج وغير ذلك

11- اشتمل القران الكريم على كثير من أخبار الأمم الغابرة التي لم تكن معروفة قبل نزول

القران، وتتبأ بأمور كانت مجهولة وفي علم الغيب وتحققت كقوله تعالى:

﴿الم (1) غَلَبَتِ الرُّومُ 2 فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَبْعُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ ۖ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بَنَصْرِ اللَّهِ ۖ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الروم 5

كان المشركون وكفار قريش يريدون غلبة فارس على الرومان لأنهم أي الفرس عبدة الأوثان والنار، ولكن المسلمين كانوا يريدون غلبة الروم لأنهم أهل كتاب، فتتبأ القران الكريم وهو من عند الله بلا أدنى شك بانتصار الروم فيما بعد، وبالفعل هزم الفرس في بضع سنين والبضع أكثر من ثلاثة وأقل من تسعة، وبالفعل تغلب الروم على الفرس، وفي نبوءة أخرى والنبوءات كثيرة، تتبأ القران الكريم بجمع شتات اليهود من كل بقاع الدنيا في فلسطين، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنَّ أَحْسَنَئُمْ لَأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا ۖ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

الاسراء 8

علا اليهود مرتين وفسدوا مرتين، وفي كلتا الحاتين كانت النتيجة تشتتهم في أصقاع الأرض، لا هوية لهم ولا جامع بينهم الا التوراة عند بعضهم، ولكن أغلبهم لا انتماء لهم لأي دولة أو بقعة من الأرض، الى أن سخر الله تعالى وبحكمة من عنده الظروف كي تتحقق سنة الله على الأرض التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا، ولتتفيذ ما وعدهم به بقوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104) وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الاسراء 105

هذا ما تتبأ به القران الكريم قبل أكثر من الف واربعمئة عام يتحقق في عام 1948 حيث تهيأت الظروف السياسية والاقتصادية ومراكز القوة بعد الحرب العالمية الثانية، والتي استغلها اليهود للاستيلاء على فلسطين فجمعهم الله فيها لأمر يريده هو وما النصر عليهم الا من عند الله تعالى متى أراد

12- اشتمل القران الكريم على كثير من القضايا العلمية التي ما زالت لم تكتشف حقائقها الى اليوم، وبعضها تم اكتشافه حديثا كأطوار خلق الانسان، وحركة الأرض والشمس والقمر

والكواكب والنجم الثاقب والخنس والجوار الكنس والبحار والأمواج التي تموج فوق البحار والمحيطات وتحتها وكانت غير معروفة الخ هذه القضايا التي تناولها العلماء كل حسب تخصصه (اقرأ معجزات القرآن الكريم).

13- النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يكن هو الأمي الوحيد في جزيرة العرب، بل كان اغلب سكان الجزيرة العربية اميين، ولم يكن هناك كتاب يؤلفون الكتب، اذ لم تعرف المكتبات ولم يعرف المؤلفون في الجزيرة العربية، فكيف للنبي محمد أن يؤلف كتابا هو الأول من نوعه؟ ومن أين جاء بهذه الفكرة وهو أمي؟ يقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة 2

14- السؤال الذي يتبادر الى الأذهان ضمن الأسئلة الكثيرة: اذا كان القرآن الكريم من عند غير الله، أو ألفه النبي الكريم، لماذا يكلف نفسه طيلة ثلاثة وعشرين عاما في الدعوة الى الله؟ لماذا لم يدع لنفسه ويستفيد من هذه الدعوة المال والجاه والسلطان كما وعده كبار قريش؟ اليس من الأجدى أن يذكر نفسه وأسرته؟ ويذكر الناس بنفسه ويعرفهم أنه عالم عصره، وأنه الحكيم الوحيد بينهم، كي يحصل على مزايا لم يكن يحلم بها في الأحوال العادية؟ ولكنه لم يفعل ذلك، ولم يذكر اسمه في القرآن الا أربع مرات ومرة واحدة باسم أحمد، أما السيد المسيح فقد ذكر خمس وثلاثون مرة، وأمه مريم ذكرت اربع وثلاثون مرة، وهذا يدل على أن هذا القرآن من الله تعالى أريد في جزء منه أن ينكر على النصراني عبادتهم لغير الله، كما أراد لهم نبذ الشرك بالله والعودة الى عبادته وحده لا شريك له. فالنبي الكريم لم يرد لنفسه الشهرة ولا العظمة، وما ذكر في القرآن الكريم من تعظيم للأنبياء واستمرار التذكير بهم لأكبر دليل على أن القرآن من الله تعالى والنبي رسول أريد منه توصيل الرسالة، وبما أن الرسالة فيها الخير والنجاة للبشرية، فان النبي بالفعل هو هدية قيمة للبشرية قال النبي الكريم في ذلك:

يا أيها الناس انما أنا رحمة مهداة. رواه الحاكم

والرحمة جاءت بداية من الوحي الذي أرسل الى نبي العالمين من الله تعالى أي من أعالي السماوات الى الأرض المتواضعة والى سكانها الذين هم خلق الله، كما خلق كل شيء قي الوجود، وهم شيء في الوجود لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

الكهف 54

القران الكريم هو المرجع الأول للأحكام الشرعية لما فيه من توجيهات ودروس وعبر وعظات، ولما فيه من خير للناس ممثلة بالأوامر التي يجب أن نتبعها والنواهي التي يجب أن نبتعد عنها وننبذها، والسنة النبوية المطهرة (نقول مطهرة وشريفة لأنها خالية من الرجس ومن عمل الشيطان، وكل ما ينقل عن النبي الكريم من قول أو فعل أو تقرير أو رواية يخالف القران الكريم أو يخالف أخلاق النبي أو فيه تناقض واضح لا يعتبر من السنة بل هو مدسوس عليها) أقول ان السنة هي المرجع الثاني للأحكام الشرعية. فهي مجموعة أوامر ونواهي أمرنا باتباع الأولى واجتناب الثانية، لذلك فهي ليست خيارا للمسلم أن يتبعها أو يبتعد عنها، بل هي أوامر وواجبة لقوله تعالى:

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَتَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر 7

هذا أمر موجه من رب العالمين للعالمين بأن يأخذوا من نبيهم ما يأمرهم به ويجتنبوا ما ينهاهم عنه، لأنه مرسل من ربه ورب العباد لهذه الغاية وهي تبليغ الرسالة الموكلة بها، بناء عليه فان السنة النبوية هي ثاني المراجع بعد القران الكريم التي يستنبط منها التشريع الاسلامي بأمر من الله تعالى في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء

59

نلاحظ اذا تمعنا في الأحكام الشرعية المستنبطة من السنة النبوية، أن أصحاب النبي الكريم كانوا يسألونه حول دقائق الأمور، وكان يستمع الى أحكامهم، فيوافقهم حيناً ويعارضهم أحياناً وكان يدلهم الى طريق الرشاد في أغلب الأحيان، اما عن طريق الوحي واما عن طريق الوحي الالهامي لقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ النجم 3

فكان يجد الحلول لكل معضلة، وكان يفتي حول القضايا الملحة في الحال بعد نزول الوحي، واذا تأخر الوحي أمسك عن الفتوى، وهذا دليل على أن القران الكريم وحي من الله تعالى، وما كان من الصحابة رضوان الله عليهم الا السمع والطاعة، وأحياناً يسألون النبي عما يقصده من كذا وكذا، فكان صلوات الله وسلامه عليه لا يتبرم ولا يتأفف، بل كان يجيب على كل سؤال بصدر رحب وبكل أريحية، فكان مثالا للمعلم المثالي اذا جاز لنا التشبيه هنا، كذلك فان النبي الكريم كان

لا يحكم الا بما أمره الله تعالى أن يحكم به، وينزله في كتابه المبين، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ النساء 105

فنشر الرسالة بهذا الثقل العظيم يحتاج الى مجهود كبير لا يقوم به انسان عادي، بل انسان مصطفي لهذه الغاية، ومختار من رب العالمين لأن هذا المجهود يتطلب: تبليغ الرسالة للناس أولاً بأول، شرح وتفسير ما يغمض على الناس، ثم ممارسة ما يؤمر به ويؤمر به الناس بطريقة عملية، فالتوضيحات العملية هي الطريق الوحيد لتحقيق الأهداف وهي بالتالي تفتح الطريق لمن يريد الهداية ولمن يريد التنوير والتعلم، لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

بِالنَّبِيِّاتِ وَالرُّبِّ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل 44

نفهم من هذه الآية الكريمة أن ما ينزل على النبي من آيات بينات انما هي للناس هداية ونبراسا مضيئاً بضياء الطريق لكل من يريد الهداية، بعد حياة الظلمة والضياغ التي كان يعيش فيها الناس قبل نزول الوحي، اذ كانوا في الجاهلية لا يقرأون ولا يكتبون وان كان فيهم الشعراء والادباء والنقاد، وكانت اسواق عكاظ وذو المجنة وذو المجاز يتداولون فيها الشعر والادب الى جانب التجارة والصناعة وغيرها، الا أنهم كانوا لا يؤمنون بالله حق الايمان وكانوا يمارسون الموبقات والفواحش ما طهر منها وما بطن، لذلك سمي هذا العصر بالجاهلي لقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ الجمعة 2

مما سبق يتضح لنا أن كلا من آيات الله البينات وما فيها من نور وهداية للناس، وسنة النبي الكريم من أقوال وأفعال وتقارير أي موافقات على سلوك أو أقول وأفعال قام بها أصحابه أو أحد العامة من المسلمين يكمل بعضها بعضا، ولا يمكن الاستغناء عن أحدها، والقران الكريم يفسر بعضه بعضا تكمله السنة النبوية لذلك لم يكن النبي الكريم يفسر المفسر من القران، بل كان يترك ذلك لأصحابه ومريديه ومن تظهر عليهم بشارات النبوغ، كعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود وابن عباس الذي قال فيه النبي الكريم ألهم فقهه في الدين وعلمه التأويل أي تفسير القران الكريم. السنة النبوية المطهرة عالجت كثيراً من الجوانب التي عالجها القران الكريم، لا بل ان كثيراً من الأمور الدنيوية تطرق اليها نبي الأمة والعالمين أيضاً، حتى تلك التي تتعلق بالأمور القضائية والسياسية والحربية والأمور الشخصية اذا ما لجأ أحدهم أو لجأت احداهن اليه لابداء الرأي لقوله تعالى:

﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾

النحل 43

وقال جل جلاله:

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾

النحل 64

رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي لا يخطئ في النبوة، وهو انسان في الوقت نفسه يعيش بين الناس ويختلط بهم ويتزوج النساء (لأن العرب في عصره وعلى الأخص الرجال منهم كانوا يتباهون بعدد النساء وعدد الجواري والخدم، هكذا كانت التركيبة الاجتماعية عندهم، واستمر الحال على ما هو حتى نزلت اية تحديد عدد النساء، وحتى بعد التحديد أمر الله تعالى بالزواج من واحدة فقط اذا انتفى العدل بينهما) وهذا رد على الذين يقولون على النبي بأنه تزوج عديد من النساء، وكلن نبي الله يتعامل بالبيع والشراء يصيب في أحكامه، وقلما كان أصحابه ينبهونه عن بعض الأمور لأنه انسان في العمل اليومي والحياة اليومية، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

انما أنا بشر وأنكم تختصمون الي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار. متفق عليه.

النبي يوضح هنا أنه انسان قد يحكم لبعض الناس بما لا يستحق لأنه أقوى حجة من خصمه، ولكنه (أي الخصم الذي حكم له) يعلم أنه ليس على حق وهو يقبل بالحكم ولكنه لن يفلح، اذ أن ما حكم له سيكون قطعة من النار يوم القيامة، هذا لا يعني أن النبي ليس معصوما، بل هو معصوم عن كل ما يحرف الدين عن مساره والقران الكريم عن آياته لقوله تعالى:

﴿سَنَقْرُبُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾

الأعلى 7

وفي قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

الحجر 9

فالله سبحانه وتعالى عصم نبيه الكريم عن كل ما لا يحفظ كتاب الله، وعن كل ما يؤدي الى عدم اكتمال دينه وكمالته وتمامه، فالنبي محمد صلوات الله وسلامه عليه أدى الأمانة على أحسن وجه وبلغ الرسالة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى ينس الكافرون من دين الله وأصروا على غيهم وضلالهم وبالرغم من ذلك، وصل النبي بالدين الى منتهاه وبلغ الدين مبلغه، يقول تعالى:

﴿يَسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿ المائدة 3

الاسلام بجناحيه كتاب الله تعالى وسنة نبيه الأمين وعمادهما التوحيد وتقوى الله والعمل بأوامره والبعد عن نواهيه هو النبراس ونور الهداية الذي اهتدي ويهتدى به، وكما في القرآن الكريم من أحكام وشرائع فلسنة النبوية أحكام وشرائع مكمله للقران الكريم، ولكن أحكام القرآن الكريم هي أحكام الهية لا يضعها النبي للناس كأحكام الارث والميراث وأحكام الزكاة والزواج والطلاق واللائحة تطول، ولكن للنبي أن يحكم بين الناس بما أنزل الله، وله أن يحرم شيئاً مستتباً من القرآن أو اشتد الناس في طلبه أو عمله، كتحريم الخمر نهائياً بحيث لا يكون فيه لبس ولا غموض، وفي السنة النبوية حث على تقوى الله ومحبتة، كما حثنا النبي الكريم على اداء العبادات التي أمرنا الله تعالى بها، وأكد على كل ما جاء به القرآن الكريم من آيات بينات فأخذت سنته النبوية مكانها اللائق في الأحكام الاسلامية والتشريعات لأنها أولاً مشتقة من كتاب الله تعالى، وثانياً لأنها تسابير الطباع البشرية المجبولة على الخير اساساً، حيث لم تترك خلفها ثغرة يلج من خلالها أعداء الدين للنيل منه ومن نبيه لقوله تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 151

في هذا البحث المتواضع رصد الباحث ما تيسر من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، أو أفعال مارسها أو تقارير أكد عليها وأقرها ووضعها تحت عناوين تهم المسلم في حياته اليومية، ولا أدعي انني ألممت بكل جوانب السنة النبوية الثلاث من أقوال وأعمال وتقارير، بل ان ما هو بين دفتي الكتاب غيض من فيض ارث نبي الأمة والعالمين والله المعين.

الفصل الأول

التوحيد والإيمان بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً

في السنة النبوية

التوحيد غاية الايمان، والايمان بالله رباً وبمحمد نبياً والايمان بالملائكة والنبیین والرسول هدف نبيل، دعى اليه وسعى الى تحقيقه كل انبياء الله ورسله، ابتداء بأدم عليه السلام وانتهاء بمحمد خاتم النبیین والرسول ولكن هذه الرسالة وبعد انقطاع الوحي الأمين لم تعد مقتصرة على هؤلاء العظام، بل ان الله تعالى أمرنا وكلفنا بأن نكون نحن المسلمين أفراداً وجماعات خلفاء له في الأرض، نبلي رسالة الاسلام رسالة التوحيد ونحكم بالعدل والقسطاس وبما أمرنا به.

هذه الرسالة العظيمة التي نتشرف بها وبالدعوة اليها، لم تكن وليدة الساعة، والايمان بالله الواحد لم يكن دعوة مخصصة لنبي أو رسول بعينه، حيث بدأ الايمان به تعالى منذ بدء الخليقة، فتعبده الملائكة وتسبح بحمده ليل نهار، ثم بعد نزول ادم عليه السلام بصحبة زوجته حواء الى الأرض عبداً لله تعالى، وكانا يعلمان أبناءهما وأحفادهما عبادة الله الواحد الأحد، حتى أن ابنهما الثالث شيت وفق بعض الروايات هو نبي الله الأول بعد ادم، نزلت عليه مجموعة صحائف بلغت الخمسين صحيفة، هذا عدا ما أعطاه أبوه له من رسائل طلب منه الاحتفاظ بها وحفظها بعيداً عن أخيه قابيل لأنه قتل أخاه هابيل ولأن قابيل وقومه توجهوا الى السهول وغرقوا في الملذات التي لا ترضي الله تعالى، أما شيت فقد سكن الجبل وطلب من قومه أن لا يختلطوا مع قوم أخيه قابيل الذي طغاه وأغواه وقومه الشيطان، ومنذ ذلك التاريخ البشري والصراع بين الخير والشر محتدماً، والأنبياء ورسول الله تعالى يوجهون بني ادم الى طريق عبادة الله وحده لا شريك له ويدعونهم الى طريق الخير ونبذ الشر ونبذ طريق الشيطان المريد الذي لا يريد لهم الخير أبداً. وبقي شيت يسمى (هبة الله) يدعو قومه الى عبادة الله بعد موت ادم عليه السلام، ثم تلقف الدعوة بعده ادريس ونوح عليهما السلام فدعيا قوماهما الى الايمان فامن قليل منهم، وبين كل نبي ورسول كان الناس يؤمنوا ثم يرتدوا عن الايمان، أو كان يؤمن نفر منهم ويكفر نفر، حيث يختلط على هؤلاء الأمر فيلجأون الى عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، وكنت أتساءل كغيري من المتسائلين، ما الذي يدفع هؤلاء الناس الى عبادة الأوثان التي يصنعونها بأنفسهم من الحجارة والأخشاب وغيرها؟ وكيف يعبدون غير الله تعالى كعبادة البقر والفران والحيوانات الأخرى والأشجار وغيرها؟ وجدت أن قبائل افريقية وهندية

وفي الأدغال ما زالوا حتى عصرنا هذا يمارسون هذه الطقوس الضالة، ففي برامج متلفزة شاهدت قبائل بأعداد كبيرة تأتي الى المساجد في احدى الدول الافريقية وقد حطمت الأصنام والأوثان التي كانت تعبدونها وتتقرب اليها بعد اقناع هؤلاء الناس بأن هذه الحجارة والأخشاب لا تضر ولا تنفع، ولا مناص من التوجه الى الله تعالى لعبادته. وبعد سؤال هؤلاء الناس البسطاء عن سبب توجههم الى هذه الأصنام والحيوانات لعبادتها كانت اجاباتهم متباينة، فمنهم من قال: انهم ورثوها عن ابائهم، ومنهم من قال: اننا كنا نعتقد بأن هذه الحجارة هي التي خلقتنا وهي التي تحافظ على حياتنا وسعادتنا وصحة وسعادة أبنائنا، أما القسم الثالث فقال: اننا نلجأ الى هذه الوسائط المادية لتخليصنا من مشاكلنا وهمومنا وعلاج أمراضنا وقت الحاجة اليها، فاذا ما انقضى الأمر فاننا نهملها ولا نغيرها اهتماماً، لذلك فاننا نؤمن أن المعبود يجب أن يكون مادة ملموسة كي نؤمن بها، وأظن أن النصارى أخذوا هذه الفلسفة وتبنوها حينما اعتقدوا باطلا أن السيد المسيح بن مريم هو الله لأنه مادة وبشر مثلنا، وبعد نقاش علمي وديني مع هؤلاء اقتنعوا بأنه لا يوجد الا الله الذي يستحق العبادة، واللجوء اليه وقت الرخاء والشدة، فأعلنوا اسلامهم بطريقة جماعية والله يوفق القائمين على هذه المهمة الشاقة.

الله تعالى خالق السماوات والأرض وما بينهما لا يتشبه بالمادة، ولا يتجسد بأي شكل من الأشكال لقوله:

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۚ يَذُرُّكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى 11

فالله سبحانه جل شأنه نور ليس كمثل نور واصفا نفسه في قوله:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلَاكِ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۚ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور 35

لذلك فالله تعالى لا يمكن تصويره ولا تصويره بأي من الكائنات التي خلقها، فهو الخالق المصور له الأسماء الحسنى وهو المعبود وحده، لذلك كل من يلجأ لعبادة غيره فهو باطل، وفي القرآن الكريم عشرات الايات التي تمجد الله تعالى، وتدعو الى عبادته وحده لا شريك له في قوله تعالى:

﴿ وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة 163

وفي قوله جل من قائل:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعِزُّوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ال عمران 51
وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
آل عمران 64

ولكي يثير الانتباه حول هذه الحقيقة الراسخة يدعون رب العزة والجلال للتفكير قليلا في خلقه
كي ندرك عظمتة وقدرته سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة 164

ومن هذا المنطلق جاءت رسالة الاسلام كي تعيد الأمور الى نصابها والمياه الى مجاريها،
وتصحح ما علق في أذهان الناس من خرافات وأباطيل، كما جاء السيد المسيح عليه السلام الى
خراف بني اسرائيل الضالة كي يعيدها الى الصواب والى الحكمة المتمثلة بعبادة الله وحده، وبعد
رفعه الى السماء حفاظا عليه من بطش ييلاطوس البنطي، فاذا بأتباعه يقعون في أكبر من الخطأ
الذي ارتكبه بنو اسرائيل فعبدوا السيد المسيح الانسان والرجل الذي ولد من امرأة بمعجزة من الله
تعالى كخلق ادم عليه السلام، عبده لأنه مادة ماثلة للأعين تماما كالجاهلية التي كانت تعبد
الأصنام الماثلة للعيان، وادعوا أنه الله القدير على كل شيء وهو في الوقت نفسه ابن الله كذلك هو
روح القدس، وسمي هذا المعتقد بالثالوث أو التثليث، لا بل انهم ادعوا أن اللع تعالى خلقنا على
هيئته، أي هو على هيئة انسان، بمعنى اخر هم جسدوا الخالق تعالى في سقطة لا تغتفر، لأن الله
تعالى وصف نفسه بالنور، وأنه ليس كمثله شيء، ولكن الاسلام العظيم جاء بالحقيقة والحقائق
الساطعة التي تبين وتوضح للناس كافة حقيقة رب الكون، وجاء بنوره لكل البشرية هدى ورحمة لها
ولكي يخرجها من ظلام الجهل بحقيقة الله وحقيقة الكون الى نور الحقيقة الساطعة التي جاء بها كل
النبیین والرسل من قبل، لقوله تعالى:

﴿أَمَنْ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة 285

من هنا نرى أهمية بزوغ الاسلام في جزيرة العرب، وأهمية تنزيل الوحي على رسول البشرية
بآيات بينات تصحح هذه المفاهيم التي كانت سائدة ما قبل النبوة والتي كانت لا تخلو من الشرك

بالله تعالى، لا بل والكفر به، لأن عبادة غيره من البشر أو الحجر أو الشجر يعتبر كفراً، وفي آياته تعالى في كتابه الكريم أكد على أنه يرسل أنبياءه ورسله للتذكير بعبادته وحده لا شريك له لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء

25

وفي قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ النحل 36

وبما أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوب في اللوح المحفوظ أنه خاتم النبيين، فالرسالة التي بعث بها ومن أجلها لخصت كل ما جاء به من قبله، وجاءت من أجل تأكيد حقيقة كونية أزلية وهي التوحيد، أو الايمان بوحداية الله العلي القدير الذي لا شريك له في الملك وفي الحكم، وهو الخالق المهيمن بأسمائه الحسنی وصفاته التي لا تتغير ولا تتبدل، لذلك أكد النبي الكريم على أن الايمان بالله الواحد الأحد هو غاية الغايات وبداية الكلمات ونهاية الأهداف التي يسعى لتحقيقها بين بني قومه أولا، ثم نشرها عبر الافاق على مر السنين والدهور والعصور لديمومتها ولأزليتها. من هنا نرى أن من أولوية أولويات النبي الكريم الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه طبيعة الله تعالى التي أكد عليه الاسلام العظيم، قال ارنولد توينبي في كتابه مختصر دراسة التاريخ الجزء الثالث ص164 (ان الاسلام يعكس نظرة عميقة لطبيعة الاله، حين جعل هذا الأمر رسالة مميزة وبات(التوحيد) علما على الاسلام، ان الاسلام أعاد تأكيد وحدانية الله في مقابل الضعف البادي في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية) انتهى الاقتباس. هذه حقيقة لا ينكرها الا جاحد وهي أن رسالة الاسلام هو التوحيد، والتوحيد كما أكد على ذلك توينبي حقيقة جوهرية، اذ أن التثليث في العقيدة المسيحية ليس حقيقة جوهرية، بل هو تخمينات غير دقيقة البتة، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن:

ادعهم الى أن يوحدوا الله. وفي رواية مسلم: فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز

وجل. وعن طارق بن أشيم الأشجعي، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله. صحيح مسلم

الايمان بالله تعالى مقرون بالايمان بملائكته وكتبه ورسله، وكما قلنا: فان رسالة الاسلام

لخصت كل ما جاء به الأنبياء والرسل، لأن الانسان لم يثبت على ايمانه عبر العصور والدهور، فبعد موت نبي يرتد أتباعه والمؤمنون برسالاته فيأتي نبي آخر وهكذا، فالناس منذ الخليقة كانوا أمة واحدة ففرقت بهم السبل نتيجة عوامل مختلفة من أهمها البغي بين هؤلاء، يعني الحقد البشري على

أصحاب الرسالة والحسد والشحناء والبغضاء وسوء خلق وادعاءات باطلة، وليس نتيجة عدم فهم الرسالة رسالة التوحيد كما يعتقد بعض المفكرين، فأصبح منهم المؤمن ومنهم غير المؤمن، فيتواتر الأنبياء والرسول كي يجددوا ويعيدوا الأمور الى نصابها حتى مجئ محمد صلوات الله وسلامه عليه، يقول تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة 213

الاسلام نهاية الرسالات السماوية كما كان بدايتها، البداية هي الاسلام كعقيدة أزلية وليست وليدة الرسالة المحمدية، اذ أن الاسلام هو الخضوع لله تعالى بما شرعه من العبادات التي جاءت بها رسله جل وعلى منذ أن خلق الله الخلق الى أن تقوم الساعة، فهو يشتمل على ما جاء به الأنبياء والرسول من نوح عليه السلام الى محمد صلوات الله وسلامه عليه لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آل عمران 19

وللتأكيد على أن الدين عند الله الاسلام، وأن النبيين والرسول أتوا برسالة الاسلام وهم لله مسلمون قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران 67

رسالة الاسلام التي كلف نبي البشرية بنشرها والدعوة إليها، إنما هي رسالة أزلية يراد من النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه تجديدها وذلك في قوله:

انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. حديث صحيح باتفاق الأئمة
تماماً كما قال السيد المسيح: جئت لأكمل لا لأهدم.

وهذا يثبت أن الرسالات السماوية من منبع واحد وهو الله تعالى جلت قدرته، عمادها الايمان به وبوحدانيته وعبادته، بناء عليه فان رسالة الاسلام متممة لما قبلها من الرسالات، ومكملة لما قبلها من التشريعات والنظم، وهو صلوات الله وسلامه عليه وضع اللبنة الأخيرة في بناء القصر الوارف الذي سبقه في بنائه الأنبياء من قبله ويتضح ذلك في قوله:

ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجملته، الا موضع لبنة من

زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين رواه الشيخان واللفظ للبخاري

لذلك كان لزاما على المؤمنين برسالة الاسلام أن يؤمنوا بأن محمدا رسول الله ونبيه، لأنه هو الذي حمل على عاتقه رسالة الاسلام، ولأنه المصطفى من رب العالمين دون غيره، وهو المؤهل دونهم لهذه الغاية، لذلك كانت اللبنة الأولى لهذه الرسالة العظيمة لا اله الا الله رسول الله محمد، فالإيمان بالله يلزمه الإيمان بأن محمدا رسول الله، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بني الاسلام على خمس، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج. رواه البخاري ومسلم

وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا. رواه مسلم والبخاري

وهناك روايات كثيرة تناولت المعنى نفسه قالها نبي البشرية جمعا في مناسبات عدة، ولعل أشهرها ما قاله لبيني عبد القيس حينما أتوه طالبين النصيح بأمر فضل يخبرون به قومهم بعد عودتهم الى ديارهم ويدعون اليه ويقصدون القبائل التي ما زالت على الكفر أنذاك ممثلة بتميم ومضر وغطفان وأسد وغيرهم، فأمرهم النبي بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده فقال:

أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة ان لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن أربع ما انتبذ في الدباء والنكير والحتم والمزفت. رواه البخاري

وهذه الأربع هي أوان كانوا يشربون منها النبيذ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

أفضل الذكر لا اله الا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله. رواه الترمذي

ذكر الله تعالى في كل مناسبة من أفضل الأذكار، لا بل أن الشهادة بأنه لا اله الا هو الواحد الأحد تكمل الذكر وتعطره، كما تدل على الإيمان العميق بوحداية الله، فهناك من الأحاديث النبوية المطهرة التي تشير الى ذكر الله تعالى والشهادة بوحدايته بعد كل عبادة وبعد كل شعور إنساني بعظمة الخالق والاحساس بمنه علينا بالحياة، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. رواه مسلم

وبعد الانتهاء من الصلاة والخروج منها بالسلام، جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا مانع لما أعطيتنا ولا معطي لمن منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

أي لا ينفع ذا السلطان عظمته وسلطانه إلا عمله الصالح وعفوك وغفرانك له، والا لا تتفعه الدنيا ولو كان هناك المال والولد والجاه.

وفي بداية النهار روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة حتى يمسي، وكانت له جزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده مئة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وعند ما يأوى المسلم الى فراشه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من قال حين يأوى الى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

وفي الاستيقاظ من النوم ليلاً، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

ما من عبد يتعار من الليل (يستيقظ من النوم على ذكر وتسبيح) فيقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقول اللهم اغفر لي أو يدعو فيستجاب له، فإن قام وصلى قبلت صلاته. صحيح مسلم وصحيح البخاري.

وعند الكرب، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

لا اله الا الله العظيم الحليم، لا اله الا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم. رواه

ابن عباس

وفي هذا المقام العظيم وهو ذكر الله تعالى قال نبي الأمة والناس أجمعين:

أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي عشية عرفة: لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتدرج مع المؤمنين في الطلب منهم شيئا طيبا صالحا يقومون به بعد التشهد فذكر أركان الاسلام بعد الشهادتين من بعض الناس، وطلب دفع خمس الغنائم من بني القيس، وما هو يطلب شيئا اخر من أعرابي نقرأه في رواية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن أعرابيا عرض لرسول الله وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، ثم قال: يا رسول الله، أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يبعدني عن النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة وتصل الرحم. متفق عليه

نلاحظ هنا أن النبي الكريم أضاف صلة الرحم بعد أداء الزكاة، وذلك لأهميتها البالغة في الاسلام وبين الناس من ترابط وتراحم وتواصل بين الأقارب رجالا ونساء، كما لأهميتها في جلب الرزق والبركة لكل من يصل رحمه، لقوله صلى الله عليه وسلم:

من أراد أن ينسأ له في أجله (يطيل عمره) ويبارك له في رزقه فليصل رحمه. متفق عليه

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه. رواه البخاري ومسلم

صلة الرحم يجب أن تكون على مدار العام وليس بالمناسبات كمناسبة شهر رمضان المبارك والأعياد فقط وذلك كي تتعمق الروابط الأخوية والأسرية ففي قوتها قوة للمجتمع المسلم. إضافة صلة الرحم الى الفضائل التي يتحدث بها النبي دائما تجعل الناس المؤمنين بالرسالة النبوية يتداولونها فيما بينهم ويعملون بها، لأنها من وصايا الرسول الكريم الذي يؤكد على ما جاء به القرآن الكريم في آيات كثيرة حول صلة الرحم، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ﴾ النساء 1

ويقول أيضا:

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾

الرعد 21

استخدم رسولنا الكريم اسلوب التدرج في الأحكام والاقناع، كي يتشرب المؤمنون الأيمان والدين بأحكامه وشرائعه والعمل بما سمعوه وخبروه في القرآن والسنة النبوية لا السماع فقط، لأن السماع والاستماع للأمر شيء، والعمل به شيء آخر **وانما العلم بالعمل**. والحكمة في التدرج والترشيح مع القوم انما يراد بهما تقبل الدين الجديد بأحكامه وشرائعه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فظا في تبليغ الرسالة التي كلف بتبليغها بل كان لنا رقيق القلب مع أصحابه وأهله حتى مع الذين كانوا يناكفونه ويحاربون دعوته، وقد مدحه الله تعالى بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ال عمران 159

هذه شهادة من الله تعالى على أن النبي كان رقيق القلب، وكانت مبادرته في نشر الدعوة باللين، ولو ام يكن كذلك لما امن به وبرسالته أحد، لا بل ان الله تعالى أمره بأن يعفو عن المسيئين له ولا يبادل الاساء بالاساءة بل بالحسنة، كذلك طلب منه أن يستغفر لقومه عسى أن يهديهم الى الصراط المستقيم ويعفو عنهم ربهم، ولكن بالرغم من ذلك هناك رسالة يجب أن تصل الى المرسله لهم وهم عموم الناس في مكة ثم المدينة ثم الى انحاء جزيرة العرب ثم الى العالم أجمع، لأنها رسالة من رب العالمين الى العالمين لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة 67

نستشف من هذه الآية الكريمة أن الرسالة اما فيها من التبشير والندير ومن التسهيل والتيسير، وم علم العقائد ودرء المفاسد، ومن حسن الأقوال والأعمال والأحكام والشرائع والعبادات، فهي أي الرسالة عظيمة وحملها ثقيل لا يحملها الا من كان أهلا لها، ونبي الأمة هو كذلك والا لما اختاره الله تعالى من بين الأمم والشعوب والقبائل كي يقوم بهذه المهمة، لذلك لا عجب أن نسمع منه أحيانا تهديداً للمناكفين والمنافقين والكافرين ممزوجاً بلين العريكة وحُسن الخلق واتواضع الجسم، فالتشدد الذي يبدر من النبي اتجاه هؤلاء سببه المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه، فلا مناص من أن يحملها ويعمل من أجلها، والا فما بلغ الرسالة المنوط بها، لذلك يقول:

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله، فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه، وحسابه على الله. رواه البخاري ومسلم

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به. رواه

البخاري

النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه لم يكن أول نبي يؤمر بقتال الكفار والمشركين، بل ان قتالهم جاء في التوراة في أكثر من موضع.

نقرأ في سفر التثنية عدد 13 6-10 آيات تحت على قتل الكافر الذي لا يعبد الله (اله موسى)، وفي السفر نفسه عدد 15 آية 32-36 تحت الآيات على رجم الحطاب الذي يحتطب يوم السبت، وهناك العشرات من الايات التي تدعو الى القتل في أمور لا تستدعي ذلك، كيب الأبوين مثلاً جريمته القتل حتى الموت، والقاتل اذا لقيه أهل القتل يقتل وهكذا، يهوه وشعبه قتلوا الآلاف من سكان فلسطين لما دخلوها من الفرزيين والكنعانيين والحثيين واليبوسيين وغيرهم.. قتلوا الذكور والنساء والأطفال، وحرقوا المدن وهدموا الأسوار ونهبوا الممتلكات، ومارسوا كل الموبقات التي نهى عنها الاسلام العظيم في آيات من القرآن الكريم وقي سنة نبي الله محمد صلوات الله وسلامه عليه ممثلاً بالرسائل التي وجهها لقادته قبل ذهابهم لقتال الأعداء، ونفذ الأوامر نفسها أصحابه من بعده، فكانت عهداً لا تنتقض ولا تنتبذ على مر الأيام والدهور والعصور، وبمقارنة بسيطة نجد حد القتل والرجم في الاسلام بسيط جداً، ولكن قتال الكافرين والمشركين هو الذي أمر الله به النبي الكريم كي لا تكون فتنة في المجتمع، وصادم مستمر بين الكفار والمؤمنين وكي يؤمن الناس جميعاً بوحداية الله لأنها عصب الدين وعموده، وبدون مقاتله هؤلاء لن يستقيم الأمر لدين الله، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

البقرة 193

فالقatal هنا ليس من أجل القتال كما يعتقد بعض الناس، بل من أجل اتباع الحق من عند الله وازهاق الباطل ان الاطل كان زهوقاً، فان فاء الكافرون والمشركون وغيرهم ممن لا يتبعون دين الله الى رشدهم وابتعدوا عن غيهم وضلالهم فانهم يعصمون دماءهم وأموالهم وأنفسهم وأهليهم، وان لم يتوبوا بسبب كفرهم وعنادهم فوجب قتالهم لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ (1) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾

محمد 3

استخدام القوة ليس القاعدة في الدعوة الى الله، بل هو استثناء في ظروف معينة يقتضيها

واقع الحال منذ بدء الخليقة، أي ليس وليد اللحظة أو وليد الاسلام وبزوغه على أرض الجزيرة العربية، ادم وحواء أنزلهما الله تعالى الى الأرض لا من أجل الحياة عليها رغد العيش، أي لم يخلقهما الله تعالى منذ البدء كي يعيشا على الأرض، بل كي يعيشا في الجنة لقوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة 35

ولكن الشيطان أغواهما فأكلا من الشجرة المحرمة ما أدى الى غضب الله تعالى، فكان جزاؤهما أن أمرهما ربنا للنزول والعيش على الأرض وجها لوجه مع الشيطان الذي هو عدو ادم وحواء بداية، ثم عدو الانسان ككل فيما بعد، وتدرجت آيات الله في توضيح الصورة في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة

34

فبعد أن أغواهما الشيطان أمرهما الله تعالى بالنزول الى الأرض بقوله:

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ البقرة 36

فكان هذا الأمر عقابا من الله تعالى لهما لأنهما عصيا أمره، وذلك بأن يكون ادم وذريته في حال عدااء مستمر مع ابليس وهو الشيطان وذريته، بالرغم من أن الله تعالى تاب على ادم لفعلته بعدما تلقى منه كلمات التوبة والاعتذار، الا أن العدااء سيستمر بين الطرفين - الشيطان وبني ادم - لأنه أمر من الله وسنة من سننه التي لا تتبدل ولا تتغير، والدليل على ذلك، أن جبريل عليه السلام تنزل على انبياء الله ورسله بالبينات والايات المحكمات، بدءا من ادريس عليه السلام مروراً بنوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل ويونس وموسى وهارون ويوشع وبن نون والياس واليسع وداوود وسليمان وزكريا وعيسى وانتهاءً بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعا، هؤلاء الأنبياء والرسل جاءوا برسالة الاسلام التي تدعو الى التوحيد، ولكن الشيطان كان يقف أمام المؤمنين عائقا فتنجح حيله ومكائده مع بعضهم أحيانا، فيرتدوا عن ايمانهم الى الكفر والشرك والالحاد، فيعودوا الى ما كانوا عليه من ضلال واثم كبيرين فهذا الشيطان الذي ينزغ من المؤمنين ايمانهم لبالمرصاد للناس كي يغويهم ويضلهم عن سواء السبيل ويسعى بينهم بالوقيعه والفساد والافساد.

انبياء الله دعوا الى توحيده وعبادته باللين والإحسان، ولكن ملوك بني اسرائيل استعملوا القوة والعنف والقتل لكل من اعترض طريقهم في الدعوة الى الله حيناً والتوسع والغزو أحيانا أخرى وهذ ما

ورد في التوراة حسب زعمهم، ولكن النبي الكريم جاء رحمة للعالمين أرسله الله تعالى الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيراً، طلب الله تعالى منه الفرق بالناس وهكذا كان مهمما حاول المضللون تشويه الحقيقة النبوية، اضافة الى الايات البينات السابقة التي تدعو الى اللين واللفظ أثناء الدعوة، ومدح النبي الكريم بأنه على خلق عظيم أمره الله تعالى بأن يكون كذلك في قوله جل من قائل:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل 125

ويقول رب العزة والجلال: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت 34

وبالفعل، وهذه هي الحقيقة التي لا ينكرها أحد، استخدم النبي الكريم اسلوب الهدوء في الدعوة، وكانت سرية للغاية، اذ ركز على المقربين منه، ثم توسعت الدائرة الى أن أمره الله تعالى بأن يصدع بدعوته ويعرض عن المشركين لقوله تعالى:

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر 24

حتى أن رب العالمين خاطب نبيه بصورة تحذير من محاولة الوقوع في خطأ الشرك قبل أن يأمره بالبداية بدعوة الأقرباء الى الاسلام والايمان، صحيح أن النبي لا يمكن له أن يشرك بالله تعالى لأنه لم يفعل ذلك قبل البعثة فما بالك بعدها، الا أن هذا التحذير يخاطب به النبي ولكن المقصود هم المؤمنين بعد ايمانهم بل وللمشركين كي يكفوا عن شركهم وضلالهم، وماذا بعد الانذار والتبليغ؟ اللين والمعاملة الحسنة لمن يتبع طريق الحق طريق الايمان بالله قال تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء 215

وبالرغم من اللين والتساهل مع الكافرين والمشركين الا أنهم أمعنوا في ايداء النبي وأصحابه وسخروا منه، وأرادوا قتله فجاه الله من بين أيديهم عدة مرات، ولكنهم استمروا في ايداء الصحابة والقرباة، وضربوهم وعذبوهم وقتلوا منهم أعدادا كثيرة، كذلك نقضوا العهود والمواثيق معه صلى الله عليه وسلم، وكانت الايات البينات تنزل على النبي الكريم، تحث على الايمان بالله وتحذر الكافرين وتطمئن المؤمنين، ولم تدع الى العنف أو القتل بالرغم مما تعرض له النبي وأصحابه من أصناف العذاب، ففي هذا المقام يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ

مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

136

وقال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ محمد 2

وقال الله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ المائدة 10

اشتد الأمر بين الرسول وأعداء الدين، فطلب منه الله تعالى أن يقاتل المشركين والكفار ولأنك الذين يقاتلونهم ويضايقونه في نشر الدعوة، حتى في هذه الحالة لم يطلب الله من نبيه أن يثخن في قتلهم كما يدعي أعداء الاسلام والمسلمين، بل طلب منه الدفاع عن النفس فقط، وهذا ما تبينه الآية الكريمة:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة 190

لو عقدنا وجه مقارنة ما دعت اليه التوراة حسب زعم اليهود من قتل للأطفال والنساء والشيوخ وحرق للمدن والقرى.... الخ وبين ما دعى اليه القرآن الكريم لوجدنا الفرق الشاسع والبون الواسع، اذ نهى الله تعالى نهيا قاطعا في هذه الآية الكريمة عن قتل الذي حرم الله تعالى قتلهم وهم: النساء والأطفال والشيوخ والرهبان في الصوامع وغير الصوامع وكل ما حرم الله قتله لأنه لا يحب المعتدين، وكيف يراد لمحمد وأصحابه أن يمارسون ما حرم الله كي لا يحبهم الله وهو الذي اصطفاه واختاره من دون العالمين ليكون نبيا ورسولا؟ ان أمر النبوة لا يستقيم مع القتل واغضاب الله تعالى.

ولكن بعدما هاجر النبي الى المدينة اشتدت عليه المؤامرات والدسائس، واستعدت بعض القبائل لمواجهة النبي وأصحابه، فكانت المواقع والغزوات التي اضطر النبي لخوضها من أجل الحفاظ على الدعوة والأمانة التي أوتمن بها، وقد أمره الله تعالى بقتال أعدائه وعدم التسامح معهم. اتخذ أعداء الاسلام والملحدون وغيرهم من أعداء الاسلام من الآيات التي تحت النبي على قتال الكفار حجة على قساوة الاسلام، وأنه انتشر بالسيف لا غير، وأنه أباح السبي وفرض الجزية على الكفار عن يد وهم صاغرون ... الخ هذه الاتهامات الباطلة، ونود أن نقول في هذا الشأن ما يلي:

أولاً- لم يتجه النبي الا بأوامر من ربه لقتال أعداء الدين، وذلك بعد اللين والتساهل الذي

تطرقنا اليهما

ثانياً- لو قارنا بين مافعله النبي بأعدائه نجد أنه لا يوازي شيئاً بما فعله أنبياء بني اسرائيل بعدما دخلوا الأرض المقدسة وهذا مثبت في العهد القديم

ثالثاً - الغزو له بروتوكولاته أي قواعده الأساسية (قواعد الاشتباك في المفهوم العسكري الحديث) في تلك الفترة من قتل للأعداء وسبي للنساء وبيع للعبيد ... الخ، نحن لا نبرر هذه الأعمال ولا تنطبق على عصرنا الحالي، ولكنها كانت كذلك في ذلك في العصور الغابرة، وكان ذلك قبل الاسلام، ولكن الاسلام حرم كل الأعمال التي تتنافى وأخلاق القتال والفروسية ليس بالتدريج هذه المرة بل مرة واحدة، وظهر ذلك جلياً في رسائل النبي الى قادته العسكريين ورسائل أصحابه أيضاً كما ذكرنا سابقاً.

رابعاً - هذا يدفعنا للحديث عن الحروب والمعارك ابتداء من الحروب الصليبية حتى القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين وهما القرنان اللذان عشنا فيهما، التاريخ سجل على الصليبيين قتلهم الوحش للمدنيين في القدس وكل فلسطين وبلاد الشام، وفي العصر الحديث نتساءل ماذا يفعل الأمريكان والروس والأوروبيون بعدما استولوا على البلاد وأغلبها بلاد عربية وإسلامية؟ هل يوزعون الحلوى على أطفال المسلمين ونسائهم؟ أم يبنون بيوتاً للفقراء والمعوزين؟ انهم دمروا الأخضر واليابس وقتلوا الطفل قبل المرأة، وحرقوا الشجر حتى الحجر لم يوفروا، لا بل انهم استخدموا ما يسمونه الأرض المحروقة والتباهي بأنهم جربوا أعتى أنواع الأسلحة ضد الأبرياء، وتدمير المباني والمستشفيات والملاجئ والمدارس والقائمة تطول وذلك لتحقيق أهدافهم، وبذلك قتلوا الملايين من المدنيين الذين لا ناقة لهم في الحرب ولا جمل كذلك إسرائيل، ماذا فعلت بفلسطين وأهلها؟ حتى النساء الحوامل بقروا بطونهن!!! وماذا عن مذابح البوسنة والهرسك ومذابح الشيشان وأفغانستان التي اجر بها كل الغرب المتحضر، وماذا عن مذابح الفرنسيين في الجزائر ومالي وغيرها من الأقطار الافريقية؟ وماذا عن هيروشيما وناجازاكي التي احرقهما الأمريكان بالقنابل النووية؟ وماذا عن الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين أهلكتا الزرع والضرع والقائمة تطول، فهل من متهم للاسلام والمسلمين بالقتل والارهاب بعد ذلك؟ ولا نود الخوض في الحروب الصليبية الاجرامية في بلادنا وفي مدينة السلام القدس الشريف، لأنها روايات لا تشرف الغرب الاستعماري.

خامساً - المغرضون أعداء الاسلام يستحضرون كل الايات من كل القران الكريم التي تحت على القتال في سبيل الدعوة الى الله بهدف تصوير القران كداعية للقتل، وكساحة معارك المعركة تلو الأخرى، متناسين مناسبات الدعوة الى استخدام العنف مع أعداء الدين وأعداء الاسلام وأعداء النبي الكريم كما أنهم يتناسون أسلوب اللين والاخلاق الكريمة التي تحلى بهما نبي الانسانية ومنتاسين

التسامح الذي أبداه مع أعدائه وهي السمات التي تميز نبي الاسلام وهو بلا شك نبي العالمين.
سادساً - يتجاهل هؤلاء أسباب نزول ومناسبة نزول كل آية من آيات الله تعالى ولم يفهم
نزلت، كل آيات القتال نزلت لعقاب المشركين والكافرين والمتأمرين على الدين أولاً، ثم على النبي
وأصحابه وأتباعه، ألم نفسر قبل ذلك لم أنزل الله تعالى ادم وحواء الى الأرض؟ ألم نقل ان هذا
عقاب لين لهما وشديد في الوقت نفسه لأنه حرهما من نعيم الجنة؟ ان لكل ذنب عقابه والجزاء من
نفس العمل، فمحاربة النبي ودينه علاجه القتال حتى يرتدع هؤلاء ويفيؤوا الى أمر الله تعالى، فاذا تم
ذلك وتابوا ونطقوا بالشهادتين وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وعملوا ما يرضي الله ورسوله يكونوا بذلك
مؤمنين وهم أخوة في الايمان لقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ التوبة 11

من أشهر الروايات الاسلامية في الدعوة الى التوحيد، توجه النبي صلى الله عليه وسلم الى
عمه أبي طالب وهو في نزعه الأخير، فطلب منه النطق بالشهادتين، ولكنه رفض بتأليب من ابى
جهل وعبد الله بن ابي أمية، عن سعد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت ابا طالب الوفاة، جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن المغيرة، فقال رسول الله: يا عم قل
لا اله الا الله، كلمة أشهد لها بها عند الله، فقال ابو جهل وعبد الله بن أبي أمية، يا أبا طالب
أترغب عن ملة عبد المطلب؟

من هنا أجمع علماء أهل السنة على أن ابا طالب لم يسلم، ولكن الجعفرية الاثني عشرية
والشيعة عموماً يؤكدون على اسلام ابي طالب بالنصرة، أي نصرته لابن أخيه محمد في كثير من
المواقف، أولاها طلب من علي كرم الله وجهه أن ينصر ابن عمه بعدما اكتشف أمرهما وهما
يصليان خارج مكة معاً، أما النصره الثانية فجاءت بعدما أمر الله نبيه الكريم بنشر الدعوة جهراً أمام
قومه بقوله:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216)
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ (219) إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الشعراء 220.

فدعا النبي الكريم بني هاشم فحضرُوا ومعههم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا
خمساً وعشرين رجلاً، ولكن ابا لهب أفسد الدعوة باتهام النبي بأنه جاء بشر الى قوم، ولكن النبي
صلى الله عليه وسلم دعاهم مرة ثانية، وبأدبرهم بخطبته الشهيرة التي دعا فيها الى عبادة الله وحده لا

شريك له وقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وانها الجنة أبدا أو النار أبدا.

فقال أبو طالب: ما أحب الينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، انما أنا أحدهم غير أني أسرعهم الى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله ما أزال أخطئك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. فقال أبو لهب: هذه والله السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

ولما عزم النبي على تبليغ الرسالة، كانت سيرته تحضر في كل مجلس ومقام، فجاء الرهط الى أبي طالب ثلاث مرات يطلبون منه كف ابن أخيه عن الدعوة لعبادة الله، ولكنه كان يجيبهم بحماية ابن أخيه مهما غلا الثمن، الى أن هاجر أصحاب رسول الله الى الحبشة من كثرة ما حنثت قريش عليهم، فخاطب أبو طالب النجاشي بكلام حسن عن النبي ورسالته وأصحابه. من السجال الذي كان يدور بين أبي طالب وقادة قريش يتضح لنا أن أبا طالب لم يعلن اسلامه كبقية زعامات العرب آنذاك، عمر بن الخطاب، حمزة بن عبد المطلب وغيرهم كثيرون، ولكنه كان شديد الدفاع عن النبي وأصحابه ويبقى أمره الى الله تعالى.

من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحت على التوحيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الايمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا اله الا الله، وأدناها امانة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان.

وفي الصحيحين نقراً قوله صلى الله عليه وسلم:

ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على

النار.

لا اله الا الله تعدل كل الخطايا والاثام ولو كانت ملئ الأرض، لأن الله تعالى يغفر الذنوب لمن يشاء الا أن يشرك به، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا وكل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أينكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟

فيقول: لا يا رب فيقول: ألك عذر؟ فيقول لا يا رب، فيقول: بلى ان لك عندنا حسنة، فانه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقات مع هذه السجلات؟ فقال: فانك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء رواه أحمد والترمذي والالباني

يبين هذا الحديث النبوي الشريف أمورا منها، أن جملة لا اله الا الله لا يثقل معها شيء قي الميزان، ومن قالها في دنياه ستكون له وجاء من النار، والشيء الاخر أن الله تعالى يغفر الذنوب لمن تاب عنها مهما بلغت مقرونة بالايان بالله تعالى ووحانيته، وثالث هذه الأمور وهي الأهم، أن الله تعالى يخاطب المؤمنين الذين شهدوا في دنياهم بوحانيته يوم القيامة ويكلمهم، وهذا ليس بالأمر السهل ان يكلم الخالق مخلوقه لأن هناك من الناس لا يكلمهم ربهم أبدا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك كذاب وعائل مستكبر رواه مسلم

هذه الخصال الدنيئة وهي الزنا والكذب والتكبر لهي من اشنع الأعمال ولا تؤدي بصاحبها الا الى النار ومن كانت النار مثواه فلا يكلمه الله أبدا، ولا ينظر اليه نظرة رضى، ولكن المؤمن بالله تعالى لا يمكن له أن يمارس هذه الرذائل، لأن الزاني لا يزنى وهو مؤمن، كذلك الذي يمارس الكذب والتكبر على الناس وبقية الموبقات المهلكات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم:

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن.

ونختم حديثنا عن الايمان بالله وملائكته ورسله والنطق بالشهادتين بجزء من خطبة الوداع ضمنها نبي الأمة والعالمين قوله:

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم يا عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الأول

1. التوحيد هو الايمان بوحانية الله تعالى لا شريك له في الحكم ولا في الملك

2. التوحيد هو شهادة أن لا اله الا الله محمد رسول الله، فالشهادتان هما الركن الأول من أركان الاسلام على المسلم أن ينطق بهما في كل مناسبة، أكانت عبادة أثناء الصلوات وأثناء الصيام وأثناء كل عبادة يقوم بها المسلم، أم غير عباده أي يذكرهما المسلم أثناء الترحال والسفر أو أثناء العمل.. الخ، اذ أن نطقهما عبادة في حد ذاته، وهما نبراس المسلم للهداية والايمان ولفعل الخير ونبذ الشر
3. من لم يؤمن بوحداية الله اما أن يكون كافرا أو مشركا وكلاهما خارج عن رحمة الله تعالى
4. ذكر لا اله الا الله لا يعدلها شيء في ميزان الله تعالى، فهي تنقل على كل الأعمال الدنيوية، ومن يقولها ايمانا واحتسابا لله تعالى من قلبه يدخل الجنة بأمر الله
5. الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل
6. الايمان بالله وبملائكته ورسله شجرة أصلها اليقين وفرعها التقى ونورها الحياء وثمرها السخاء
7. الايمان بالله يبعد المسلم عن المعاصي والمنكرات ويتذكر دائما قول النبي الكريم:
الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك
8. الايمان بالله وبملائكته وكتبه ورسوله، والايمان بأن محمدا رسول الله فرض على كل الناس مهما كانت أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، حتى يكون الاسلام ظاهرا عاليا على سائر الأديان والملل، فالعقيدة يجب أن تكون الاسلام والدين يجب أن يكون الاسلام بأركانه وأولها الشهادتان، لقوله صلى الله عليه وسلم: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى.** رواه مسلم والبخاري.
9. الايمان بالله يلزمه الايمان باليوم الآخر، لأن الله تعالى قرن الايتين في آيات بينات، فلا يجوز القول مثلا أنا مؤمن بالله ولكن لا حياة بعد الموت، فالمسلم الحق هو الذي يؤمن بالغيب أيضا، لأن اليوم الآخر من أمور الغيب كالجنة والنار والملائكة والحساب وغير ذلك من أمور الغيب
10. القتال من أجل الايمان بالله واتباع الاسلام كما جاء في الحديث النبوي الشريف، كان في زمن الكفر والشرك بالله، وكان ذلك (القتال في سبيل الله) في وقت لم يكن الاسلام معروفا للناس، فكانت الدعوة اليه باللين والحسنى، الا بعد أن تمادى كفار قريش وغيرهم من المشركون في التعامل مع النبي وأصحابه ودعوته، ففرض عليه الجهاد، أما في عصرنا

الحالي فقد عرف الاسلام في كل أرجاء المعمورة تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم:
يبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين
بعر عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر. عن الصحابي الجليل تميم
الداري رواه أحمد

أما وقد وصلت الدعوة الافاق وكل البلاد والقارات، فأصبح الأمر متروكا لمن وصله
الاسلام، فاما أن يتبع الحق، واما أن يستمر في غيه وضلاله لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ
تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ
لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿256﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

البقرة 257

أما من لم تصلهم دعوة الاسلام فواجب المسلمين التوجه اليهم وتعريفهم به، لأن كل من
تعرف عن الاسلام عن قرب من غير المسلمين يعلن اسلامه على الفور لانه دين الفطرة ودين
الحق. شاهدت فيديو قصير لامرأة أمريكية أعلنت اسلامها ولبست الحجاب وغابت عن أمها بضعة
شهور خوفا من اعتراض الأم التي هي في الثمانين من عمرها، ولما قابلتها بعد غياب سألتها لماذا
تلبس الحجاب؟ (غطاء الرأس) فقالت لها لقد أعلنت اسلامي، دهشت الأم فقالت: ماذا تقصدين؟
فشرحت لها ابتنتها ما هو الاسلام، فبكت الأم الثمانية وقالت: لماذا لم يخبرنا أحد بذلك من قبل،
فأعلنت اسلامها وبدأت في قراءة القرآن. وهناك قصص لا تحصى عن الذين أعلنوا اسلامهم بعد
التعرف عليه من غير المسلمين، والحالة هذه يجب على كل مسلم ومسلمة التبليغ عن الاسلام ولو
بأية كما قال نبينا الكريم. ولكن تبقى قضية مهمة وسؤال ملح: هل انتهى عهد الجهاد في سبيل الله،
وأصبح أمرا من الماضي؟ نقول ان الجهاد في سبيل الله يبقى الى يوم الدين، فالجهاد بالمال لنصرة
الدين ة المسلمين في كل مكان، والجهاد بالعلم، والجهاد بالعمل الصالح والدعوة الى الله، والجهاد في
العبادات، والجهاد بالنفس اذا ما اعتدي على المسلمين وعلى أرضهم وطردوا من ديارهم، هنا نقول
ان هذا النوع من الجهاد هو أقدس أنواع الجهاد لأنه دفاع عن النفس وعن العرض والأرض، وهنا
أيضا على المسلمين أن لا يهتموا كثيرا بدعاوى الغرب، بأن هذا الجهاد ارباب! بل هو قمة الجهاد،
هم يبيحون لكل شعوب الأرض بأن يدافعوا عن أنفسهم، وإذا كان الأمر يهم المسلمين أصبح اربابا،
كجهاد شعب فلسطين وجهاد شعب كشمير وغيرهما من الشعوب الاسلامية، فانه وفق الشرائع
السماوية والأرضية الوضعية عمل مشروع لا لبس في ذلك ولا غموض.

الفصل الثاني

اقام الصلاة في السنة النبوية

الصلاة هي ركن أساسي من أركان الاسلام ،ومعناها العبادة والتعبد، والدعوة الى الله بما يطلب المرء ويريد من بركة وتزكية ومغفرة.. الخ، الصلاة في حد ذاتها عمل يومي هي السكينة والطمأنينة للمسلم المصلي قال صلى الله عليه وسلم:

إذا دعى أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم. رواه مسلم

والصلاة على النبي هي الدعاء له بالخير والبركة والغفران، وصلاة الله عليه تعني احاطته بالرعاية والبركة والمغفرة الدائمة له وحفظه من كل سوء، ولا تعني أبداً أن الله يقيم صلاة خاصة له سبحانه عما يشركون فالله سبحانه يصلي له ولا يصلي لأحد، فالصلاة المفروضة يقصد بها التقرب الى الله تعالى عن طريق أقوال وأفعال محددة في كل وقت من أوقاتها تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم.

من الأحاديث النبوية التي ذكرناها في الفصل الأول، يتضح لنا أنها تتعلق بضرورة الايمان بالله تعالى الواحد الأحد لا شريك له، أما المرحلة الثانية التي كان الرسول الكريم يدعو لها هي التقرب الى الله، وكان دائماً ما يركز على أمرين اثنين اقام الصلاة وايتاء الزكاة، فالصلاة هي عماد الايمان والاسلام، فمن لا صلاة له لا ايمان له، قال النبي الكريم:

رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله. أخرجه ابن

ماجة

الصلاة هي أول ما أوجبه الله على عباده، لأنها التعبير الحقيقي وليس الوحيد عن الايمان، حيث خاطب الله تعالى نبيه الكريم ليلة المعراج بوجوبها، على أن يؤديها المسلم دون وساطة بينه وبين ربه، وكانت قد فرضت خمسين صلاة، ولكن الله تعالى بلطفه ومعرفته بعباده ورجاء نبيه محمد لتخفيف عددها جعلها خمس صلوات في اليوم والليلة. عن أنس بن مالك قال: فرضت الصلاة على النبي ليلة أسري به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمساً، ثم نودي يا محمد، انه لا يتبدل القول لدي، وان لك بهذه الخمس خمسين أي من يصلي خمس صلوات تحسب له خمسين صلاة، لأن قول الله لا يتبدل ولا يتغير، وقد يقول قائل: لماذا تنسخ الآيات؟ يقول الله تعالى في الرد على ذلك:

﴿مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ البقرة 106

فالنسخ يأتي للأحكام التي تشتمل على التحليل والتحريم، أي أن الله تعالى يحكم بشيء

كاجتتاب شرب الخمر قبل الصلاة تخفيفا على من اعتاد عليه الشارب، ومن الصعب الاقلاع عنه فجأة، ولكن الآية نسخت بالاجتتاب ثم حرمة النبي تحريما قطعيا تفسيرا لاية الاجتتاب، فالله سبحانه لا يغير كلامه بل يأتي بأحكام أفضل للناس وأيسر عليهم. الصلاة في الاسلام هي عمود الدين لقوله صلى الله عليه وسلم:

رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله. أخرجه الامام أحمد والترمذي

وبما أن الصلاة أول ما فرض على المسلم، فهي أول ما يسأل عنه يوم القيامة، ويسأل: هل أداها على أحسن حال وأكمل وجه؟ أم كانت صلاته لراء الناس والمباهاة؟ أم كانت صلاة متسرعة لا خشوع فيها ولا تضرع وتذلل لله؟ وغير ذلك من أنواع الحساب. فأني عذر يقبل لتارك الصلاة في الدنيا؟ لا عذر لتارك الصلاة، عن عبد الله بن قرط قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله رواه الطبراني

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر. رواه الألباني في الجامع

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة، وآخر ما يتبقى الصلاة، وأول ما يحاسب به الصلاة، يقول الله: أنظروا في صلاة عبدي، فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة يقول: أنظروا هل لعبدي تطوع؟ فإن وجد تطوع تمت الفريضة من التطوع، ثم قال: انظروا هل زكاته تامة. فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة قال: انظروا هل له صدقة؟ فإن كانت له صدقة تمت له زكاته. رواه الترمذي في الترغيب والترهيب.

الحفاظ على الصلاة في مواعيدها وأوقاتها واجب على المسلم، وذلك للحفاظ على حسناته ولكي تكون نورا وهاديا له تعصمه عن الخطايا طيلة يومه، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى على الناس لقوله تعالى:

﴿ اِنَّ مَا اَوْحِيَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَاَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ اِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرِ اللّٰهِ اَكْبَرُ ۚ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُوْنَ ۝۴۵﴾ العنكبوت 45

ولقوله صلى الله عليه وسلم: من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة. رواه

أحمد في المسند.

الرسول الكريم كان دائم الحرص على الصلاة في أوقاتها، وأدائها بخشوع وتضرع الى الله تعالى، لا يلهيه شئ عن ذكر الله في صلاته، كما كان دائم التذكير بها وبأفضالها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا. رواه مسلم والبخاري

الاسلام كله خير للمسلم، وكل ركن من أركانه له ميزاته وأثره على حياته، كما أن لكل منها أهميته الخاصة فللصوم أهمية وللزكاة أهمية وللحج كذلك، وللصلاة كأولى الفروض أهميتها، وهي من أحب الأعمال الى الله تعالى، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب الى الله؟ قال: الصلاة في وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني. رواه مسلم

ولأهمية الصلاة البالغة في حياة المسلم، ما فتى النبي الكريم يوصي بها المسلمين حتى وفاته صلى الله عليه وسلم، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم. مسند أحمد الصلاة بابها يشتمل على عناصر كثيرة، الاذان، الاقامة، دخول المسجد، شروط الصلاة، فرائضها وكيفيةها وسننها.. الخ، ولكن دراستنا تقتصر على عموم الصلاة في السنة النبوية وأهميتها وأحكامها بشكل عام. أهمية الوضوء قبل الصلاة عبر عنها نبي الأمة والعالمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه:

من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم مشى الى الصلاة المكتوبة فصلها مع الناس أو مع الجماعة أو في المسجد غفر الله له ذنوبه. رواه مسلم

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من امرء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله. رواه مسلم

الوضوء فيه مرضاة لله تعالى ومغفرة منه، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة الا غفر الله له

ما بينه وبين الصلاة التي تليها . رواه مسلم

صلاة الجماعة أفضل عند الله من صلاة الفرد داخل المسجد أو خارجه، وفي صلاة الجماعة زيادة في الأجر يصل الى سبع وعشرين أجرا عن صلاة الفرد، وبصلاة الجماعة يستمر تكاتف المسلمين وتعاضدهم بحيث يتذكر المسلم أخاه المسلم ويتقده اذا غاب عن الجماعة فيزوره اذا مرض، ويساعده اذا عجز عن القيام بعمله أو كان محتاجا.. الخ، ولقد نبهنا النبي الكريم الى أهمية صلاة الجماعة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

صلاة الجماعة خير من صلاة الفرد (المفرد) بسبع وعشرين درجة. متفق عليه

وقوله صلى الله عليه وسلم:

ان صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما هو أكثر فهو أحب الى الله عز وجل. صحيح البخاري
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الوضوء وصلاة الجماعة في حديث جامع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

صلاة الرجل في الجماعة تضعف عن صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفاً، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد، لا يخرجها الا لصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صل عليه اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة. أخرجه البخاري

وفي أهمية الصلاة التي يسبقها وضوء وطهارة ولو كان يشق على المسلم من شدة البرد أو حرارة الجو وفي دعاء الملائكة لمن يقوم بذلك (الوضوء والطهارة) عن رضى وقبول، ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد من الحسنات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: اسباغ الوضوء (أي تمامه وكماله) على المكاره (المقصود البرد الشديد أو الحر الشديد) وكثرة الخطى الى هذه المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ما منكم من رجل يخرج من بيته متطهراً فيصلّي مع المسلمين الصلاة ثم يجلس في المجلس ينتظر الصلاة الأخرى ان الملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، فاذا قمت الى الصلاة فاعدلوا صفوفكم، وأقيموها وسدوا الفرج فاني أراكم من وراء ظهري، فاذا قال امامكم: الله أكبر فقولوا: الله أكبر، واذا ركع فاركعوا، واذا قال سمع

الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد. رواه شعيب الأرنؤوط

وفي الطهارة، طهارة الثوب والجسد والمكان، يشترط أن يكون المصلي طاهر الثوب. عن جابر بن سمرة قال: سمعت رجلاً يسأل النبي صلى الله عليه وسلم، أصلي في الثوب الذي أتى به أهلي؟ قال: نعم إلا أن ترى فيه شيئاً فتغسله. رواه أحمد وابن ماجه

وفي الطهارة وفضلها، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي الكريم: ما من مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب الله عليه فيصلي الصلوات الخمس إلا كانت كفارة لما قبله. رواه مسلم

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتان أحدهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة. رواه مسلم

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقات برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك وعليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها. رواه أحمد بن حنبل في المسند

فالطهارة كما قلنا تشمل طهارة الثوب والبدن والمكان أي مكان السجود للصلاة، فلا تصح الصلاة للحائض والنفساء، ولا للجنب من الرجال والنساء، كما لا تصح الصلاة بثوب نجس أو متسخ لأنه غير مضمون الطهارة، ولا تجوز الصلاة في أماكن غير طاهرة، بل في كل هذه الحالات يجب التطهر والتطهير، وأغلب الأحوال بالماء الطاهر، ودليل ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه النبي فقال:

لقد تحجرت واسعا، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه لتأنيبه، فقال رسول

الله:

انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلو من ماء أو سجلا من ماء، ثم دعا الأعرابي فقال له: ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، انما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن.

انظروا واستوعبوا رد فعل النبي الكريم على هذا الفعل المنكر! لم يغضب على الأعرابي ولم يدع الناس يوجهون له العبارات القاسية التي تتناسب مع الحدث، انما علمه درسا بليغا في قدسية المسجد ومكانته وأسباب بنائه، انه للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى. كما أن التطهر من الطهارة،

ويقصد بها طهارة النفس والعفة وصفاء السريرة والأخلاق العالية، وهذا ما كان يتمتع به النبي لوط عليه السلام وأهله ما عدا زوجته لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الأعراف 83

فالتطهر أي طهارة النفس والعفة يجب أن تتوافر في المسلم الذي يمارس عباداته وأهمها الصلاة، إذ لا يصح للمسلم أن يكون فاسقا أو زانيا أو لصا أو يرتكب الموبقات المهلكات ثم يذهب للصلاة ويقول: هذا شيء وذاك شيء آخر، كما نسمع من بعض الناس الجلّة في الدين، فالتطهر من الذنوب والمعاصي من أهم الأمور التي يتميز بها المسلم عن غيره، وبهذه الأخلاق يكون قدوة لغيره وخصوصا لغير المسلم، والمسلم القدوة هو المسلم الذي شرح الله صدره للإسلام ويتميز بحسن الخلق والصدق والوفاء والاخلاص وكل الصفات الحميدة في المسلم.

الحفاظ على الصلوات الخمس من علامات الايمان، والاتقان والالتزام بالدين وأحكامه وشرائعه، كما الحفاظ على ركن من أركانه المهمة، والأحاديث النبوية كثيرة حول أهمية الالتزام بالصلوات الخمس نذكر منها عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة. رواه الألباني في صحيح الجامع

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها** رواه مسلم
وفي أهمية صلاة العشاء قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صلى العشاء في جماعة، كان كقيام نصف الليل، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة. رواه الألباني

وفي فضل صلاة العصر، نقل عن عمارة بن ربيعة عن أمية قال: سمعت رسول الله يقول: **لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني الفجر والعصر** رواه مسلم
وقوله صلى الله عليه وسلم:

من صلى البردين (الصبح والعصر) دخل الجنة.
نصح النبي الكريم أمته بصلاة العصر التي تحضرها الملائكة، بقوله:
الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة

العصر، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم يصلون وإتيانهم يصلون. رواه مسلم

الصلوات الخمس كلها مهمة، يجب على المسلم أن يؤديها في أوقاتها، وإذا كانت جماعة أفضل، والصلاة لها فرائض يجب مراعاتها وهي: النية، تكبيرة الاحرام وهي الدخول في الصلاة، القيام في الصلاة إذا كان المصلي مقتدراً، قراءة الفاتحة في كل ركعة إلا إذا لم يفسح الامام للمصلين وقتاً لقراءتها فعلى المصلي أن يلتزم باتباع الامام، الركوع، الاعتدال، السجود القعود الأخير وقراءة التشهد والصلاة الابراهيمية، ثم التسليم والخروج من الصلاة.

هذه الفروض الواجبة تحدث عنها النبي الكريم وأثنى على من يقوم بها لكمال الصلاة. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم ركز في أحاديث كثيرة على الدعاء قبل الصلاة وقبل السلام الأخير وبعده، بل والصلاة على النبي قبل التشهد الأخير. ومن أفضل الدعاء الذي دعاه النبي الكريم ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع يقول: اللهم اني أعوذ بك من نار جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال. رواه مسلم
وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة يكون اخر ما يقول بين التشهد والتسليم:

اللهم اغفر ما قدمت وما أخرت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا اله الا أنت. رواه مسلم
وعن شداد بن أوس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم. رواه النسائي
وهناك أحاديث كثيرة تشير الى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قبل السلام وبعده وأثناء الصلاة، ومن هذه الأدعية ما ذكره عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: كان الرسول الكريم يدعو ويقول: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر الى وجهك، والشوق الى لقاءك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين. رواه أحمد والنسائي

ومن الضروري أن نذكر مبطلات الصلاة، حتى يتأكد المسلم أن صلاته صحيحة ويثاب عليها، والمبطلات هي: الكلام أثناء الصلاة غير التسبيح وقراءة القرآن، الضحك والقهقهة بصوت عال، الحركة الكثيرة المفرطة، ترك ركن من أركان الصلاة، تغيير اتجاه القبلة عمداً، كشف العورة، الأكل والشرب أثناء الصلاة، وقوع النجاسة في الثوب أو البدن أو المكان، نقض الوضوء أثناء الصلاة، التسليم عمداً قبل انتهاء الصلاة، إذا حدث شيء من هذا فالصلاة باطلة لا تصح. اللهم تقبل منا صلاتنا وصيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا وتلاوتنا للقرآن، اللهم حرم على النار أجسادنا يا رب العالمين.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثاني

- 1- الصلاة ركن أساسي ومهم جداً من أركان الإسلام.
- 2 - الصلاة عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن تركها هدم الدين.
- 3- ترك الصلاة جحوداً بها وانكاراً لها كفر وخروج عن ملة الاسلام، وبعض الفقهاء أفتى باباحة دم تارك الصلاة عمداً.
- 4- يجب اداء الصلاة في أوقاتها المعلومة، ومن فاتته فرض منها يجب عليه القضاء حال تذكره، والقضاء قبل الفريضة.
- 5- هناك أوقات يكره فيها الصلاة، كصلاة العصر أثناء غروب الشمس والصلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وعند طلوعها حتى ترتفع قدر رمح، وعند استوائها حتى تميل الى الغروب.
- 6- الطهارة شرط من شروط الصلاة، طهارة الثوب والبدن والمكان.
- 7- يجب الفصل بين الاذان واقام الصلاة للتأهب لها وحضورها.
- 8- نهى النبي الكريم عن الخروج من المسجد بعد الاذان الا بعد الصلاة أو بعذر قاهر.
- 9- ليس على النساء اذان أو اقامة للصلاة، ولكن اذا فعلت احداهن وأمت المسلمات فلا بأس في ذلك.
- 10- يجب ستر العورة اثناء الصلاة، فعورة المرأة من رأسها حتى أخمص قدميها ما عدا الوجه والكفين وعورة الرجل من الركبة الى السرة واختلف العلماء في ذلك.
- 11- لا صلاة بدون وضوء، لذلك يجب اسباغ الوضوء قبل الصلاة.
- 12- فروض الوضوء غسل الوجه على تمامه، ثم اليدين الى المرفقين، ومسح الرأس وغسل الأرجل الى الكعبين، وبقية الغسل من السنة المستحبة.

- 13- التيمم ان لم يجد المسلم الماء الطاهر، والمسح على الجبيرة أو الشراب اذا كان هناك عذر شرعي.
- 14- الصلاة صحيحة اذا لم ينقضها ناقض وتتبع المصلي كيفيتها.
- 15- يجوز كشف الرأس في الصلاة للرجل.
- 16- يجب الترتيب في الصلاة كما صلاها النبي الكريم ونقلها عنه صحابته الكرام والتابعون من بعدهم الى أن وصلتنا كما هي.
- 17- يستحب اتباع سنن الصلاة كرفع اليدين عند الركوع ومنه، ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة والدعاء قبل بدء الصلاة والاستفتاح بها، والجهر والسر في الصلاة حسب ما ورد في السنة المطهرة.
- 18- لا تصح الصلاة الا بقراءة الفاتحة في الفرائض والنوافل، والسكوت اذا بدأ الامام في القراءة، لأن قراءته هي قراءة المصلي.
- 19- يفضل طول القيام على كثرة السجود في التطوع، كما يصح الصلاة أثناء الجلوس اذا كان هناك عذر.
- 20- تستحب صلاة السنن عند كل صلاة، وصلاة الوتر لختم الصلاة المكتوبة.
- 21- هناك صلوات مستحبة كصلاة التسبيح، وصلاة الاستسقاء، وصلاة طلب الحاجة، وصلاة التوبة وصلاة الكسوف والاستخارة.
- 22- جواز سجود التلاوة، ولكنها ليست فرضاً ولكنها مستحبة كسجود الشكر.
- 23- سجدة السهو سجدتان قبل التسليم أو بعده.
- 24- صلاة الجماعة سنة مؤكدة، ويجوز للمرأة الخروج للصلاة في جماعة بشرط السترة وعدم التطيب.
- 25- لا يجوز الصلاة في المقابر ولا في الأماكن المكروهة.
- 26- هناك صلاة الجمعة وهي فرض على كل مسلم وصلاة العيدين وهي سنة مؤكدة.

الفصل الثالث

الزكاة في السنة النبوية

الزكاة ركن مهم من أركان الاسلام، ولم تذكر الصلاة في آيات الله البينات الا وذكرت الزكاة بعدها، وذلك لأهميتها ومنزلتها العظيمة في الاسلام، ولم تبدأ الحرب بين المسلمين والمرتدين بعد وفاة النبي الكريم الا بسبب رفضهم دفع الزكاة، وقد دافع الخليفة الأول للمسلمين أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن حربه لهم بقوله: والله لو منعوني عقالا أو (عناقا) كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فما هو الا أن رأيت، ان الله شرح صدر أبي بكر رضي الله عنه بالقتال فعرفت أنه الحق.

الزكاة حق لمن ذكرهم رب العالمين، وهي ما يخرجها صاحب المال أو الرعي أو الأرض أو الشركات أو الأسهم بنسبة معينة لكل ما ذكر. والزكاة بمفهومها اللغوي تركي النفس وترك المال وتنميته، وتجمع بين النماء والطهارة والبركة، لقوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتُوبُ إِلَيْهِ ﴾ التوبة 104

أي تطهرهم من الدنس والطمع والبخل والقسوة على الفقراء والمساكين، وكي لا تتكدس الثروة بأيدي الأغنياء دون الفقراء، صحيح أن الاسلام لم يحدد ثروة المسلم ما دامت جمعت بالحق وبالمجهود والتعب، ولكنه أيضا فرض جزءا منها لمن حددهم الله رب العالمين أو المستحقين كي لا تكون للأغنياء دولة أي سطوة وسلطة على كل أمور الحياة لقوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر 7

صحيح هذه الآية الكريمة لا تتحدث عن الزكاة بل عن الفيء أي الغنائم التي يغنمها المسلمون من أعدائهم قلله وللرسول الخمس، وتوزع بقيتها على من ذكرهم رب العالمين، حتى الخمس لله وللرسول يقسم الى خمسة أجزاء لا ينال النبي منها الا ما يحتاجه وعائلته من مؤونة لسنته. يقول نبينا في ذلك:

ما لي مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في محاورته مع العباس وعلي كرم الله وجهه حين

تحاكما اليه قال عمر: ان الله كان قد خص رسوله في هذا الفيء بشئ لم يعطه غيره، قال: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ الحشر 7 واستطرد عمر في قوله: فكانت هذه خالصة لرسول الله، ولله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله. انتهى حديث عمر

فالنبي الكريم لم يستأثر بما منحه الله له، فكان العرب قبل الاسلام يقسمون الغنائم على أنفسهم فيكون نصيب قائد الجيش ربع الغنائم خالصة له تسمى المربع، ولكن النبي الكريم لم يكن يفعل ذلك. والحكمة من توزيع الزكاة كالحكمة من توزيع الغنائم، أي أخذ جزء محدد من أموال الأغنياء واعطائها للفقراء والمستحقين الذين ذكرهم رب العزة والجلال في كتابه العزيز في قوله:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَفَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة 60

فالزكاة فريضة من الله تعالى أي لا يجوز النقاش والحوار والمجادلة حولها، وذكرت في سنة النبي الكريم دائما مقرونة بالصلاة، وأجمعت على وجوبها الأمة بعلمائها ومفكرها وقادتها منذ أن فرضت على القادرين عليها من المسلمين الى يومنا هذا. عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولم يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصنع أغنيائهم، الا أن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما. رواه الطبراني في الأوسط والصغير

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال:

انك تأتي قوما أهل كتاب، فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله وأني رسول الله فان أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فان هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد الى فقرائهم، فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فانه ليس بينها وبين الله حجاب. رواه البخاري ومسلم

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى رجل من تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، اني ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة، فأخبرني كيف اصنع وكيف أنفق؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك، وتصل أقباءك وتعرف حق المسكين والسائل

والجار. رواه أحمد بسند صحيح

الزكاة ركن أساسي من أركان الاسلام الخمس، لذلك لم يفرط النبي الكريم في أي ركن من هذه الأركان، ولا أصحابه من بعده، ولا الخلفاء المسلمون في زمن الدولة الاسلامية في طولها وعرضها، النبي الكريم كان مستعدا لمحاربة كل من ينكر الصلاة والزكاة وكل من يحاول التعريض بادائها ودفعها، لأن في التهاون بأساس واحد معناه سهولة هدم البناء المتمثل بالصرح الشامخ ألا وهو الاسلام العظيم، يقول النبي في ذلك:

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، الا بحق الاسلام وحسابهم على الله.
رواه مسلم والبخاري

فلا غرو ان أن يحارب ابو بكر الصديق المرتدين ومانعي الزكاة عن بيت مال المسلمين، ولو تمعنا قليلا في الأمر لوجدناه قمة العدل، فالله تعالى طلب من نبيه أن يأخذ جزءا من أموال الأغنياء وتوزع على الفقراء منهم، أي المال الزائد يذهب الى المحتاجين، وكما قال النبي الكريم لمعاذ بن جبل: أخبرهم بأن أموالهم لن تذهب الى جيوبنا (كما يفعل بعض ضعاف النفوس في عصرنا الحالي) بل تذهب الى أفراد مجتمعكم من الفقراء والمساكين والذين حددهم الله تعالى في كتابه المجيد، هذا قمة العدل والانصاف، وهناك دول كثيرة منها غير مسلمة تطبق ما أمر به الله تعالى، وأطلقوا على سياستهم الاشتراكية حيناً والشيوعية حيناً والرأسمالية الوطنية أحيانا وهكذا، وكلها موجودة في دستورنا المحمي والمحفوظ من واضعه رب العالمين.

(لا يعني هذا أن الدول الغربية والشيوعية مسلمون وتطبق شرع الله، ولكن كلا من هذه الأنظمة يحاول أن يطبق العدالة من وجهة نظره، وكل نظام من هذه الأنظمة من وجهة نظري انما هو في المحصلة جزء من شريعة الاسلام الكاملة المتكاملة).

اداء الزكاة في أوقاتها مدعاة للجنة، وناكرها ينكر أمرا من أوامر الله ويؤدي منعها به الى النار، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **خمس من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن، وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصيام رمضان، وحج البيت ان استطاع اليه سبيلا، وأعطى الزكاة طيبة فيها نفسه.**
سنن أبي داود

أما مانعها فمصييره النار، وذلك لما ورد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مانع الزكاة يوم القيامة في النار. رواه الطبراني في الصغير

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه (شذقيه) ثم يقول أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَلِلَّهِ مِزَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ آل عمران 180 رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه

ولقد ذكرنا النبي صلى الله عليه وسلم بهول ما سيلاقيه المسلم الذي يكنز الذهب والفضة والمال ولا يؤدي حق الله منه بقوله:

ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته الا أحمي عليه فيجعل في صفائح فيكوى نار جهنم بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار.. الخ الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وردت الزكاة في القرآن الكريم بمعنى الصدقة، كما ورد لفظ الزكاة صراحة، ولكن العلماء فرقوا بين الصدقة والزكاة، اذ أن الأولى مستحبة والثانية واجبة، الصدقة لا يشترط فيها مبلغ أو عينة أو مادة معينة، فهي مطلقة لا حدود لها، تخرج من نفس المتصدق من مال أو عين، تأخذ أشكالاً متنوعة وليس لها وقت معين لصرفها، أما الزكاة فهي محددة وتعطى من عين المتصدق به أن كان مالا أو حلالا أو زرعاً... الخ، من هنا ومن هذا المفهوم نستطيع القول ان الزكاة هي صدقة، أما الصدقة فهي ليست الزكاة، لذلك نجد في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ التوبة 103

ولقد عرف بعض العلماء الزكاة بأنها: التعبد لله عز وجل باعطاء ما أوجبه من أنواع الزكافات (الثروات) الى مستحقيها حسب ما بينه الشرع الحنيف، وتتفق على من حددهم الله تعالى في آيات بينات في سورة التوبة 60، وغيرها من الايات (أنظر كتابنا الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية).

أما الصدقة فهي: التعبد لله بالانفاق من المال من غير وجوب في الشرع، وتكون على هيئات متنوعة حتى الماء يمكن التصديق به، فاذا كانت الزكاة مفروضة ولها حسناتها عند الله

تعالى، قللصدقات حسناتها التي لا تخطر على بال المتصدق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله عز وجل يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربها لأحدكم كما يربى لأحدكم مهرة، حتى أن اللقمة لتصير مثل جبل أحد، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات التوبة 104 المتحدث الترمذي

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع. ضعفه الألباني

الزكاة والصدقات لا تحل للكافر والملحد، ولا تحل على بني هاشم وبني المطلب ال محمد صلى الله عليه وسلم، روى ابن قدامة وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ان الصدقة لا تنبغي لال محمد، انما هي أوساخ الناس. رواه مسلم
وهنا يجب أن نتوقف قليلا أمام قوله صلى الله عليه وسلم أوساخ الناس! ما المقصود بذلك؟ يقول المفسرون ان المقصود أن المال أو الشيء المتصدق به انما هو لتطهيره يعطى من الأغنياء الى الفقراء فالشيء المتصدق به هو فائض عن الحاجة أو مفروض من الله تعالى، فالمطهر به لا يكون الا طيبا حلالا لمن يقدم له، ولكنه في الوقت نفسه تطهير لما قد يشوب صاحب المال أو حتى عمله أو ماله من سوء، وأنا أرى أن هذا الحديث لا يقصد به الا الخير لصاحب المال المزكي والمتصدق والخير للمتصدق عليه لقوله تعالى:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۖ﴾ ال عمران 92

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۚ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۖ﴾ البقرة 267
لذلك فإن الصدقة لا تكون الا من الطيب من المال أو الطعام أو الكساء أو ما تنتجه الأرض كما قال رب العالمين، ولن تكون من دون ذلك، وكان النبي الكريم يقصد أن الصدقة تطهر المال والمتصدق به من الأوساخ وما علق بها من حرام اذا وجد، ولا يدري به صاحب المال أو

الزراع أو الملبس أو المأكل أو ما يتصدق به.

الزكاة لا تجوز لغير ما حددهم الله تعالى. لذلك لا تجوز للوالدين ولو علا ولا للأولاد ولو نزلوا لأنهم من مسؤولية الابن أو الأب إذا كان موسرا، ولا لبناء مسجد أو مدرسة أو اصلاح طريق أو بناء ساقية ونحو ذلك، ولكن الصدقة الجارية تصح لبناء المسجد أو المدرسة أو أي شيء ينتفع به المسلمون. زكاة الفطر فرضها نبي الله في السنة الثانية للهجرة، ويرى بعض العلماء أنها صدقة واجبة في ختام شهر رمضان وقدرها قيمة صاع من قمح أو طحين أو زبيب، وبعضهم من أجاز قيمتها مالا وبعضهم لم يجز الا الطعام لقوله صلى الله عليه وسلم:

زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر

والأنثى والصغير والكبير من المسلمين رواه الجماعة

هذا وقد وصف النبي الكريم زكاة الفطر بأنها طهر للصائم من اللغو والرفث وهي طعمة للمساكين، لذلك درج أصحابه على اخراج زكاة الفطر طعاما للمحتاجين قبل خروج الناس لصلاة العيد أو قبلها بيوم أو يومين وإذا أعطيت بعد الصلاة اعتبرت صدقة عادية، وأما الزكاة فقد فرضها الله تعالى في آيات بينات نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة وذلك في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لقمان 5

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ النمل 4

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۚ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام 141

في مكة المكرمة نزلت آيات الزكاة دون تحديد الأنصبة والمقادير والمعايير، ولكن الزكاة التي فرضت في المدينة هي التي تحددت فيها المقادير والأنصبة الخاصة لكل ما تؤخذ منه الزكاة، ولقد فصلنا ذلك في كتابنا (الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية) والله المعين.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثالث

1- الزكاة فرض من الفروض وهي الفرض الثالث من فروض الاسلام، ولم تذكر اية تحت على الصلاة الا وكان بعدها الحث على أداء الزكاة.

- 2- الزكاة تطهر النفس والمال وكل ما يزكى منه وتتميه في الدنيا والاخرة.
- 3- عذاب الله شديد لمن يمنع الزكاة أو ينكرها لأنه منع أمراً من أوامر الله عز وجل وأنكره، ولقد ذكر ذلك في كثير من الايات البيّنات، حيث وصف الله تعالى هؤلاء بالبخل (ال عمران 189)، كم وصفهم بأنهم الذين يكنزون الذهب والفضة (التوبة 34 -35) كذلك وصفهم النبي الكريم بالعصاة.
- 4- الممتنعون عن دفع الزكاة لا يخرجون عن الملة باجماع العلماء ولكن تؤخذ منهم عنة.
- 5- تجب الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أي نوع من أنواع المال والحيوات والنبات والأسهم وغير ذلك من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة.
- 6- يشترط في النصاب أن يكون فاضلاً عن الحاجات الضرورية التي لا غنى عنها وأن يحول عليه الحول الهجري.
- 7- لكل نوع من المال أو الثروة نصاب، اذا بلغ الحول وجبت فيه الزكاة، وهي النقود عروض التجارة الذهب الفضة، الابل ثمار المزروعات الأسهم...الخ.
- 8- أموال الزكاة نوعان: الأول ما هو نماء في نفسه كالثمار والحبوب وهذه تجب الزكاة في حينه أي بعد القطاف أو الحصاد، والثاني ما يرصد للنماء كالدراهم والدنانير وعروض التجارة والماشية فلا زكاة في نصابه حتى يحول الحول.
- 9- تحسب أموال الزكاة ان لم يسدها المسلم قبل وفاته من الدين، ولا تقسم على الورثة الا بعد سدادها لأنها دين قائم لله تعالى.
- 10- يجب اخراج زكاة الأيتام والمعاقين والمرضى بالجنون، اذا كان لديهم مال فيجب على وليهم اخراج زكاة أموالهم بعد مرور حول قمري كامل، ونصح النبي صلى الله عليه وسلم بتشغيل هذه الأموال.
- 11- يجوز تعجيل الزكاة عاماً أو عامين، كأن تدفع شهرياً أو بالمناسبات مقدماً.
- 12- يرى بعض العلماء أن حلي الزينة لا زكاة فيها بالغاً ما بلغ، بينما يرى آخرون أن الزكاة واجبة بعد بلوغ الحول اذا كان يمتلك النصاب، كذلك مهر المرأة أوالصادق اذا قبض ومرت عليه الحول فتجب فيه الزكاة.
- 13- على مؤجر العقار دفع زكاة مال التأجير اذا مرت عليه حول كامل وبلغ النصاب، كذلك في عروض التجارة تقيم البضاعة كل عام فاذا مرت عليها الحول وبلغت النصاب فتجب عليها الزكاة.

- 14- زكاة الزروع حسب الصنف، ولقد اختلف العلماء في زكاة الحبوب والفواكه الطازجة والمجففة (العودة الى كتب التخصص).
- 15- زكاة الابل والغنم والبقر لها مقاديرها في الشرع الاسلامي، وشروط زكاتها أن تبلغ النصاب المحدد، وأن يحول عليها الحول وأن تكون سائمة أي أن تكون راعية من الكلاً المباح طيلة العام، ولكن الامام مالك رأى فيها الزكاة ان كانت سائبة أم معلوفة.
- 16- تجوز الزكاة على واحد من الثمانية الذين حددهم القرآن الكريم، كما يجوز توزيعها على أكثر من جانب ولا سيما الصالحين منهم أو عليهم جميعا.
- 17- لا تصح الزكاة على غير الثمانية الذين ذكرهم رب العباد، فلا تجوز لبناء مدرسة أو مستشفى أو تعبيد طريق... الخ.
- 18- تجوز الزكاة على الأخ والأخت والعمة والخالة ونحو ذلك ممن ليسوا ملزومين بالمزكي مثل الأب والأم والجد والجدة والابن والابنة وأبنائهم.
- 19- تدفع الزكاة الى ولي الأمر من المسلمين شريطة أن يكون مستقيما عادلا تقيا يضع مخافة الله بين عينيه، ويوزع الزكاة لمستحقيها، أما اذا كان غير ذلك فللمزكي أن يوزع زكاته بنفسه لمستحقيها.
- 20- زكاة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة صغيرا كان أم كبيرا ذكررا كان أم أنثى الا الفقير الذي تجوز عليه الصدقة.
- 21- يفضل في اداء زكاة الفطر الطعام المقدر بصاع من طحين أو زبيب أو نحو ذلك، أو ما يقدره الحاكم أو الفقيه مالا، ويمكن في عصرنا الحالي تحويل مال الزكاة الى بلاد المسلمين أو بلاد المزكي لتوزيعها على مستحقيها.
- 22- في باب الصدقات كل فعل خير أو بر للوالدين أو الجار حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة.
- 23- لا يجوز المن والأذى في الصدقات، فاذا أراد المتصدق أن يمن على المتصدق له فلا تحسب له صدقة بل قد يحاسب على فعلته يوم القيامة ويبطلها.
- 24- الصدقة الجارية هي كل عما ينتفع به الناس بعد وفاة المتصدق ان كان عقارا أم مالا أم مشروعا خيرا أم علما ينتفع به... الخ.

الفصل الرابع

الصيام في السنة النبوية

الصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب وعن كل ما يدخل جوف الصائم من مفطرات وذلك منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الأسود من الفجر حتى مغيب الشمس، وبعض المذاهب بقول: حتى مغيب الشفق الأحمر. أما الصوم فانه الامتناع عن الكلام أو ما يؤمر به المرء من عدم القيام بعمل ما حتى وقت معلوم لقوله تعالى مخاطبا السيدة مريم عليها السلام:

﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَشِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ النَّيُّومَ إِنْسِيًّا﴾ مريم 26

ولكن بعض العلماء يرى أن الصيام والصوم شئ واحد، وهما مصدرا للفعل صام يصوم صوما أو صياماً وهو الامساك عن شئ معلوم، وجاء فرض الصيام من الله تعالى في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

البقرة 183

وهناك آيات بينات كثيرة تحت المسلمين على صيام شهر رمضان المبارك، فالصيام فرض من فروض الله على عباده منذ أتباع ادم عليه السلام الى أتباع خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه، فالصيام هو الفريضة الرابعة والركن الرابع من أركان الاسلام، وحث النبي الكريم على صيام شهر رمضان، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد جاءكم شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم. رواه أحمد والنسائي والبيهقي

الصيام فرض من أنكره يعتبر كافرا، لأن فروض الله تعالى واجبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عُرِيَ الْإِسْلَامُ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةً عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ: شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ. رواه الديلمي وأبو يعلى

واسس الاسلام كما ذكرها النبي الكريم غير أركانه الخمس، إذ أن الاركان كلها مهمة الا أن الشهادتين والصلاة والصيام على رأسها لقوله صلى الله عليه وسلم:

بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله ومحمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء

الزكاة وصيام رمضان وحج البيت. صححه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
وفي حديث طلحة بن عبيد الله أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله
أخبرني عما فرض الله علي من الصيام، قال: شهر رمضان، قال: هل علي غيره؟ قال: لا والا أن
تطوع.

وفي فضل الصيام عن حذيفة بن اليمان قال النبي صلى الله عليه وسلم:
فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. رواه البخاري في
الصحيح

ومن فضائل الصيام أيضا، استجابة دعوة الداعي أثناء صيامه، عن أنس بن مالك أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال:

ثلاث دعوات لا ترد، دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر. رواه البيهقي والضياء
الصيام والامتناع عن الطعام والشراب والشهوات أمور لا يعلمها الا الله تعالى، إذ أن
الشهادتين ينطقهما المسلم في كل صلاة والصلاة علنية وخصوصا مع الجماعة، والزكاة ملاحظة إذ
يؤديها المسلم الى الناس أو عن طريق ادارة المسجد أم الدولة اذا كانت تشرف على جمعها أو الى
مؤسسة أو جمعية معروفة، والحج علني مشاهد للناس ويشهدون عليه، أما الصيام فهو سري لا
يعلمه الا الله والصائم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
قال الله: كل عمل ابن ادم له، الحسنة بعشر أمثالها، الا الصيام فهو لي وأنا أجزي به،
ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه.
أخرجه الامام مسلم

من هذا الحديث الشريف يتبين لنا أن جزاء الصيام لا يقدره الا الله تعالى، فقد يضاعفه
للصائم أضعافا مضاعفة وبلا عدد أو حساب، وذلك لمنزلة الصائم العظيمة عند الله ومحبة له، لما
أظهره من الاخلاص لله تعالى، فهو أي المسلم، يدع طعامه وشرابه وشهواته كلها جانبا حتى وقتها
ارضاء لله تعالى، لا يراه أحد ولا يحس به أحد الا رب العالمين الذي يطلع على الأفتدة ويعلم السر
وما أخفي، هذا الشق من حديث النبي هو حديث قدسي شريف، وقد أكمل نبينا وحبينا المصطفى
صلوات الله وسلامه عليه الحديث بقوله:

الصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل، فان شاتمته أحد أو
قاتله فليقل: اني صائم مرتين، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم
القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما، اذا أفطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه.

رواه أحمد ومسلم والنسائي

الحديث الأول عن الله سبحانه وتعالى الذي يجزي كل صائم حسب صيامه وتقبله له، وجزاؤه عند ربه عظيم قد يتجاوز الصدقة التي هي بعشرة أمثالها الى أضعاف مضاعفة، لأن الله تعالى اختص الصائم وصيامه لنفسه، أما في الحديث الثاني، فقد نصح النبي الكريم المسلم والصائم على وجه الخصوص بأن لا يفحش في القول ولا يرفع صوته في الحديث، ولا يجهل ما هو معلوم ويدعي الجهل بأمور مهمة، كي لا يتحمل المسؤولية، كما لا يدعي السفه ويسفه غيره أيضا، ودعا النبي الكريم الصائم الى التخلص بخلق حسن والتسامح والمسامحة مع الغير .

انه درس بليغ في الأخلاق وغرس القيم النبيلة في قلوب وعقول المؤمنين في كل مناسبة وموقف، معبرا بذلك عن كنهه ونبل وأخلاق الاسلام. في الحديث النبوي وصف نبينا صلى الله عليه وسلم الصيام بأنه جنة أي مانع للمعاصي والمنكرات، وهو حاجز بين الصائم وهذه الأمور (المعاصي) التي لا يجرؤ على ممارستها ما دام صائما ملتزما بأخلاق الصيام (ليس الأمر مقتصرًا على الصيام بل الأخلاق النبيلة يجب أن يتصف بها المسلم على طول الدوام وفي كل الأيام) الصيام جنة في الدنيا وهي مانع يصد المسلم عن الأعمال القبيحة، أما في الآخرة فهو جنة أي يقف حائلا بين الصائم والنار، وهو يعصمه عنها ويحول بينه وبينها، وعاقبته اذا أخلص في صيامه الجنة باذن ربه، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من ختم له بصيام يومه دخل الجنة. رواه الألباني في صحيح الجامع

أما أن يكون الصيام وجاء من النار، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الصيام جنة وحصن حصين من النار. رواه السيوطي في الجامع الصغير

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال. رواه الألباني في صحيح ابن ماجه

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا. متفق عليه

كما أن الصيام يعصم الصائم المخلص في صيامه من النار، فانه يكون مدعاة لدخوله

الجنة باذن الله تعالى، روى أبو هريرة عن النبي الكريم قوله:

من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر ما تقدم من ذنبه. رواه البخاري في الصحيح

وعن أبي أمامة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: مرني بعمل يدخلني الجنة،

قال:

عليك بالصوم فانه لا عدل له، ثم أتيتيه ثانية، فقال: عليك بالصيام. رواه أحمد

والنسائي

والصيام يشفع للصائم يوم القيامة، مثل القرآن الكريم الذي يشفع لقارئه، ولا يشفع أحد لأحد أو شيء لأحد الا بأمر الله تعالى، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتك الطعام والشهوات

بالنهار فشفعني به، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان. رواه أحمد

شفاعة الصيام هنا تعني: اتقان الصيام والعمل بما أمر الله والابتعاد عن نواهيه أي هذه الأعمال هي التي تشفع للصائم، وشفاعة القرآن أي تلاوته والعمل بآياته يشفعان لقارئه، أي أن الله تعالى يغفر لمن صام إيماناً واحتساباً له وعمل صالحاً، كما يغفر لمن قرأ القرآن وعمل به.

وعن سهيل بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ان للجنة بابا يقال له الريان، يقال يوم القيامة: أين الصائمون؟ فاذا دخل أخرهم أغلق

ذلك الباب. رواه البخاري ومسلم

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن

هي يا رسول الله؟ فقال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس

نيام. رواه الألباني في صحيح الترمذي

صيام شهر رمضان واجب على كل مسلم ومسلمة بالغ - بالغة، عاقل - عاقلة، راشد -

راشدة، لا يعفى منه الا المريض مرضاً لا يرجى شفاؤه، والحائض والنفساء والحامل والمرضع كل

حالة تدرس على حدة فالمرضع خوفاً على حياتها وحياة الطفل فعليها الفدية والقضاء كذلك الحامل

إذا أفطرت، وبعض العلماء كابن عمر وابن عباس قالوا بالفدية فقط، والحائض والنفساء عليهن

القضاء، والشيخ الكبير والمرأة العجوز وأصحاب الأعمال الشاقة فعلى هؤلاء الفداء باطعام مسكين

كل يوم، أما المسافر والمريض الذي يرجى شفاؤه فعليهما القضاء.

إذا كان صيام شهر رمضان فريضة من الله تعالى، فصيام الدهر كله غير مستحب، بل هو

نوع من أنواع إيذاء النفس والبدن، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يصوم كل يوم، فسأله النبي

الكريم، انك لتصوم الدهر وتقيم الليل؟ فقال نعم، قال: انك اذا فعلت هجمت العين، وتفهمت النفس،

لا صيام من صام الدهر صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله، قال: فاني أطيق أكثر، قال: فصم صوم

داوود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى. رواه البخاري في الصحيح
وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
**من صام ثلاثة أيام في الشهر فقد صام الدهر كله، ثم قال: صدق الله في كتابه، من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها رواه الألباني في صحيح النسائي**
في صيام الدهر أيضاً، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر. رواه مسلم في الصحيح
الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة، يغفر لمن يشاء الا أن يشرك به، وفي رمضان يتجلى الله
تعالى فيه على عباده بمغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم، ويغفر الذنوب لمن صام ايماناً
واحتراباً له تعالى رمضان يرمض الذنوب، أي يحرقها بالأعمال الصالحة، وكلما تقرب العبد الى
ربه كلما اقترب الله منه وكفر عنه سيئاته وخصوصاً في الصلاة والصوم، عن أبي هريرة قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان، مكفرات ما بينهما اذا اجتنبت
الكبائر.** رواه مسلم

الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب في كل ليلة من رمضان، الا أن تكون من الكبائر كما في
الحديث السابق وفي رواية أخرى اذا لم يغش الكبائر، اذ لا يعقل أن يصوم المسلم ويصلي ويرتكب
الموبقات في الوقت نفسه، في هذه الحالة لا ينظر الله اليه، ولا يغفر له لأنه تهاوى في احتقار
العبادة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
**اذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين، ومردت الجن، وغلقت أبواب النار
فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة، يا باغي
الخير أقبل، يا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة.** صحيح الجامع

غفران الذنوب لا بد له من مقدمات يقبل عليها الصائم، فالصوم عن الجوارح السلبية
كاستعمال اللسان والاذن والعين في أعمال المنكر، كذلك اليدين والرجلين هما من الجوارح، لأن
المرء يكتسب عن طريقهما الخير والشر، وكل عضو يمكن أن يوظفه المرء في الخير وفي الشر،
لذلك يجب استخدامها (الجوارح) من أجل الخير دائماً وخصوصاً في رمضان المبارك، الى جانب
الامتناع عن الطعام والشراب، كذلك قيام الليل بالدعاء والاستغفار، لقوله صلى الله عليه وسلم:

اني لأستغفر الله وأتوب اليه كل يوم سبعين مرة. أخرجه النسائي

رمضان الكريم يحتاج منا الى رفع قيمته ومنزلته لدينا، وذلك بعمل الخير وقراءة القرآن واقامة

الليل في التهجد والعبادة والاستغفار، شهر رمضان ليس للهو ومشاهدة المسلسلات على أنواعها، إذ أن أجهزة اعلامنا تستغل الشهر الفضيل للدعاية للمسلسلات المقبلة في رمضان، كذلك اقامة الحفلات وأماكن اللهو الليلي في رمضان، كل هذه الأمور يجب منعها وعدم الموافقة عليها، لأنها تفرغ الشهر الفضيل من مضمونه وفضائله، علاوة على أن كل هذه الأمور محرمة في الاسلام. وأنا أعتبر ذلك تامرا على دين الاسلام يشترك فيه كل من يوافق على اللهو والتسلية والمبالغة في الطعام والشراب في الشهر الفضيل.

تبين لنا أن الله تعالى يغفر لعباده الصالحين طيلة الشهر الكريم، أما الحديث القائل أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فقد ضعفه العلماء، لما رأوا فيه من تناقض مع الحديث السابق الذي يشير الى أن الله تعالى يغفر للصائمين كل يوم ويعتق من النار كل يوم من يشاء، لذلك يجب على المسلم التنبيه وتنبية الآخرين حول الأحاديث والروايات الضعيفة التي يقال باسم النبي الكريم، أو باسم زوجاته وأصحابه وخصوصا على لسان السيدة عائشة رضي الله عنها، لأن أعداء الاسلام طالما يستغلون ثغرة في التاريخ الاسلامي أو الأحداث في صدر الاسلام، ليبثوا من خلالها سمومهم التي يهدفون منها الاساءة لهذا الدين العظيم واختلاق الأكاذيب كي يزعموا ايمان المسلم، ولكن المسلم الحصيف الذكي المتمكن من دينه لا تزعمه هذه الترهات التي تلصق بنبي الأمة والبشرية وبزوجاته وأصحابه رضوان الله عليهم جميعا فالأحاديث والروايات الموضوعة لها سمات واضحة بارزة.

1- أنها متناقضة في المعنى والمبنى، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يتناقض مع نفسه لأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى، بل ان النبي الكريم يضيف على ما ذكره سابقا أمرا جديدا يريد التنبيه اليه، ولكنه لا يتناقض مع سابقه من الحديث.

2- أي حديث أو روايه ممن سبق أن ذكرتهم يتناقض أو تتناقض مع أخلاق النبي الكريم لا يؤخذ به ان كان حديثا مزعوما، ولا يؤخذ بها ان كانت رواية مزعومة وما أكثرها، إذ أن الخبثاء استغلوا انتشار الطباعة وفي كل البلدان في العالم كي يؤلفوا عن النبي وأصحابه وزوجاته ويثبتون ما يؤلفونه في كتب الحديث والسيرة النبوية العطرة، لذا يجب على الأزهر والمؤسسات الاسلامية في طول البلاد الاسلامية وعرضها ان تراجع هذه الأعمال والمطبوعات بشكل دوري.

3- كل حديث أو رواية تتعارض مع آيات القرآن الكريم لا يؤخذ به ولا يؤخذ بها، لأن القرآن الكريم هو أول مرجع للتشريع الاسلامي وحديث النبي الكريم لمعاذ بن جبل لما أرسله

الى اليمن خير دليل على ما ذهبنا اليه، اذ لا مكان لمقولة الحديث ينسخ الآية.

4- أي حديث مزعوم أو رواية مزعومة تتناول قصصا لا تصدق عن النبي وأهل بيته لا يؤخذ بها، كرواية محاولة النبي الانتحار من على أسنة الجبال لما انقطع عنه الوحي. وغير ذلك من الترهات التي لا تدخل عقل جاهل ناهيك عن عقل العالم ناهيك عن أن النبي لا يمكن له أن ينهى عن شيء ويفعل مثله أو يقوم به

5- أية رواية تنال من السيدة عائشة أو إحدى زوجات النبي رضوان الله تعالى عنهن جميعا لا يؤخذ بها ولا أية رواية تدل على تطاول احداهن على النبي بأي صفة من الصفات لأنهن أمهات المؤمنين بأمر من الله تعالى، اذ لا يعقل أن تكون أم المؤمنين سليطة اللسان مثلا أو عديمة الاحترام للنبي الكريم لا سمح الله ولا سيما أن النبي الكريم كان يحب زوجاته وهن كذلك.

6- أي حديث مزعوم أو رواية مزعومة تنال من أصحاب النبي الكريم لا يؤخذ بها، عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه. رواه أحمد بن حنبل في المسند والترمذي في السنن

أننا نقرأ كثيرا من الأحاديث الموضوعة المنسوبة الى النبي الكريم، وكثيرا من الروايات المنسوبة الى زوجاته وأصحابه لا تتماشى مع ما ذكرنا، ولا يقبلها المسلم ولا الفطرة السليمة التي فطر عليها ولا الذوق الرفيع الذي يميز المسلم عن غيره.

الصيام يسبقه السحور وتلحقه صلاة التراويح، السحور هو غداء يتناوله المسلم حتى يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وفي بعض البلاد يظهر الخيط بعد اذان الفجر، فيحتار الناس، هل يتبعون الاذان أم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر؟ هل يستمرون في السحور أم يمسون عنه؟ أقر النبي بأن يستمر المسلم في تناول السحور الى التأكد من ظهور الخيط الرفيع عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا اذان ابن أم مكتوم، ثم قال: وكان رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت. متفق عليه

بمعنى أن الاذان المتقدم عن ظهور خيط الفجر لا يؤخذ به، وابن أم مكتوم هو عبد الله بن أم مكتوم الأعمى الذي نزلت فيه سورة عبس، وهو من أصحاب رسول الله، استخلفه على المدينة

ليوم الناس أثناء الغزوات وخصوصا غزوة بدر وتبوك، كذلك عمل الصحابة رضوان الله عليهم بأن أفتوا للمسلمين الاستمرار في تناول السحور حتى مطلع الفجر حيث اليقين الذي يقطع الشك، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي الكريم قال:

لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور. رواه البخاري

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه، لا يزال الدين ظاهرا

وعن أبي الدرداء قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

ثلاث من أخلاق النبوة، تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في

الصلاة. رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع

السحور ليس فرضا بل انه مستحب وفيه البركة كما أكد على ذلك نبينا الكريم، عن أنس بن

مالك رضي الله عنه أن النبي قال:

تسحروا فان في السحور بركة. رواه البخاري ومسلم

وعن سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

السحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله عز وجل

وملائكته يصلون على المتسحرين. رواه أحمد وابن حبان

الصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب والشهوات وكف الجوارح وكبحها طيلة اليوم، لا

يعني ذلك اطلاقها على عناتها بعد الإفطار أو في الأيام غير رمضان، بل على المسلم الحق

الالتزام بالأخلاق الحميدة طيلة الوقت، ولكن المقصود كبحها في رمضان للتأكيد على ضرورة

الاستمرار بالتخلق بالخلق الحسن في كل وقت وحين، لقوله صلى الله عليه وسلم:

ليس الصيام من الأكل والشرب، انما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك احد أو جهل

عليك فقل: اني صائم اني صائم. رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.

رواه البخاري

وعن النبي الكريم قال:

رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر. رواه

النسائي

وهناك من الأشياء التي لا تفطر وهي مباحة، كالاستحمام والقبلة والحقنة والحجامة

والاكتحال والمضمضة ولو نزل الماء الى الجوف دون قصد أو عمد، والبخور وغير ذلك مما لا يدخل الى الجوف، أما غيرالمباح فهو الأكل والشرب عمدا وشرب السجائر وغيرها، والقيء عمدا والاسماء والجماع حتى لو لم ينزل المنى الأول يتطلب القضاء والثاني يتطلب القضاء والكفارة على الزوج والزوجة، ولكن لا كفارة على الزوجة المكروهة، والكفارة هي: عتق رقبة، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا.

شهر رمضان شهر العبادة والتقوى وذكر الله في كل حين، والاستغفار الدائم حتى يغفر الله لعبده، والدعاء الى الله تعالى بما يتمنى المرء لنفسه ولعائلته وللمن يحب ولقومه ولأمته، وقبل الافطار كان النبي الكريم دائم الدعاء ويقول: **اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت.** رواه أبو داود وكان النبي يستغفر الله ويقول:

اللهم اني أسألك برحمتك التي وسعت كل شئ أن تغفر لي. رواه ابن ماجه
عن أنس بن مالك كان النبي اذا أفطر عند أهل بيت دعا لهم قبل الافطار قائلا:
أفطر عندكم الصائمون وتنزلت عليكم الملائكة وأكل طعامكم الأبرار وغشيتكم الرحمة.
رواه أحمد

وهناك أدعية كثيرة يختارها الصائم لدعائه أو يختار بعضها، والله تعالى يغفر لعباده الصائمين بنية حسنة لقوله صلى الله عليه وسلم: **ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والامام العادل والمظلوم.** رواه الترمذي

وبعد ذلك يأتي وقت الافطار حيث يفرح الصائم بافطاره، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **للصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه.** أخرجه الامام مسلم

من أركان شهر الصوم الأساسية ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، حيث تنزل الملائكة والروح فيها رحمة للناس، وكان النبي الكريم يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول:

تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان. عن عائشة رضي الله عنها
أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أن ليلة القدر في الشهر الفضيل بقوله:
ان هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها الا محروم. عن أنس بن مالك رضي الله عنه

وكغيرها من الليالي المباركة التي يقوم فيها المسلم ايمانا واحتسابا لله تعالى يتعبد ويصلي اناء الليل وأطراف النهار، فيغفر الله تعالى ذنوبه، ولكن الليلة المباركة ثوابها أكبر وأعظم، لقوله

صلى الله عليه وسلم:

من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. عن أبي هريرة رضي الله عنه
هذا وقد أنبأنا نبي البشرية جمعاء بعلامات ليلة القدر فقال:
إن إمامة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ضاحية لا برد فيها ولا
حر، ولا يحل لكوكب أن يرمي به فيها حتى يصبح، وأن إمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج
مستوية ليس لها شعاع مثل القمر البدر، لا يحل للشيطان أن يخرج منها يومئذ. ذكره كل
من الألباني والهيثمي والسيوطي

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من أصحاب النبي الكريم رأوا ليلة القدر
في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر.
يتضح لنا من الأحاديث النبوية الشريفة أن ليلة القدر في العشر الأواخر من الشهر الكريم،
وعلى المسلم أن يتحراها بدقة في الأيام السبع الأواخر، لقوله صلى الله عليه وسلم:
هي في العشر في سبع يمضين أو سبع يبقين. عن ابن عباس رضي الله عنه

وخير الدعاء في ليلة القدر إذا راها المسلم أن يقول كما قال النبي الكريم للسيدة عائشة
رضي الله عنها بعدما سألته أن علمت أي ليلة ليلة القدر ماذا تقول؟ فقال لها:

قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
اللهم يا صاحب المغفرة اغفر لي ولوالدي ولزوجتي وأبنائي وبناتي ولأخوتي ولأخواتي ولكل
ما يمت لهم بصلة يا أرحم الراحمين.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الرابع

1- صوم رمضان المبارك فريضة من الله تعالى في القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة على
كل مسلم ومسلمة بالغ -بالغة -عاقل -عاقلة - إلا إذا هناك عذر من الأعذار التي ذكرناها
في البحث.

2- الصيام ثلاثة أقسام: صوم رمضان، صوم الكفارات، وصوم النذر.

3- من أفطر رمضان عامدا متعمدا وهو مكلف بصيامه لم يقض عنه صيام الدهر كله ولو
صامه.

4- يثبت شهر رمضان برؤية الهلال، ولو شهد واحد من المسلمين ذو عدل أو اكمل شهر

شعبان ثلاثين يوما.

5- اركان الصيام الامساك عن المفطرات التي ذكرناه في البحث النية قبل الفجر من كل ليلة من ليالي رمضان، وينصح النية في السحور وليس شرطا التلفظ بها، لأن النية تكون منذ اثبات قدوم الشهر الفضيل فالنية في القلب كما يرى عديد من العلماء.

6- نهى النبي الكريم عن الصيام يومي العيد الفطر والأضحى، وأيام التشريق في الحج، ولكن يصح صيام يوم قبلها ويوم بعدها حتى لو كانا يوم جمعة وسبت، كما نهى النبي الكريم عن صيام يوم الشك، أي أن تشك أنه يوم رمضان أم لا، بل يجب التأكد من دخول الشهر الفضيل، ونهى نبينا الأكرم عن صيام مدى الدهر بل يوما بعد يوم مقبول، كما نهى عن صيام المرأة تطوعا دون اذن زوجها، ونهى عن ايصال الليل بالنهار دون افطار أو سحور، لأن بعض المسلمين في بداية الاسلام كانوا ينامون من التعب فلا يفطرون ولا يتسحرون حتى اليوم الثاني وهذا مضر بالصحة، وكان بعضهم يعتقد أنه اذا أفطر قبل العشاء يحق له الجماع، أما اذا نام بعد العشاء فكان يحرم على نفسه الجماع والطعام حتى اليوم الثاني من الافطار وكان الله تعالى قد نهى عن فعل ذلك، وأطلق على من كان يفعل ذلك بالخوانين الذين يختانون أنفسهم فأنزل الله تعالى الآية الكريمة ليوضح لهم أمور دينهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم في قوله:

﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَهُمْ أَنْفُسَكُمْ فَجَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقًا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْنِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ ١٨٧ البقرة

7- صيام التطوع ستة أيام من شوال، العاشر من ذي الحجة، عاشوراء ويوما قبلها ويوما بعدها، صيام في شهر شعبان، والأشهر الحرم، صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، صيام ثلاثة أيام كل شهر كصيام الدهر كله، وصيم يوم وفطر يوم جائز، كمل يجوز للمتطوع أن يفطر اذا أراد وينتهي صيامه متى شاء، لقول النبي الكريم لأم هانئ رضي الله عنها: ان المتطوع أمير نفسه.

8- تعجيل الافطار وتأجيل السحور من السنة النبوية المطهرة، والسحور مستحب ولا اثم على من يتركه ولا يتسحر.

- 9- يستحب استخدام السواك اثناء الصيام، كذلك الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان لتحري ليلة القدر.
- 10- هناك أشياء مباحة وهناك أشياء غير مباحة في رمضان، يجب على المسلم معرفتها والعمل بها.
- 11- قضاء رمضان في أي وقت من العام شريطة أن يكون قبل قدوم رمضان اخر، ولا يلزم التتابع في القضاء والكفارة كذلك.

الفصل الخامس

حج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا

في السنة النبوية

الحج ركن أساسي من أركان الاسلام الخمس، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بني الاسلام على خمس، شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان. رواه البخاري ومسلم والحج هو قصد بيت الله الحرام وعرفة وما بينهما من أداء المناسك من أجل غرض الحج المفروض على المسلم والمسلمة اذا استطاع الى ذلك سبيلا. والحج فرض على البالغ العاقل الحر الذكر والأنثى والقادر - القادرة ماليا وجسميا ونفسيا ولو مرة في العمر، وللحج فضائل في الاسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل النبي الكريم: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال جهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور. رواه البخاري

الحج ليس مفروضا كل عام، لأن الله تعالى حدده بمن استطاع الى ذلك سبيلا، بمعنى أن المسلم لو حج مرة واحدة في عمره كان ذلك كافيا، وإذا أراد الحج كل عام فلا مانع يمنعه من ذلك، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. رواه مسلم ومن آداب الحج عدم الرفث والفسوق والجدال كما أمر الله تعالى، وثنى النبي الأمة على ذلك بقوله:

من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. متفق عليه

الحج بمثابة الجهاد في سبيل الله بالنسبة للكبير والصغير والرجل والمرأة والضعيف والقوي كلهم أمام الله سواء كما أكد على ذلك النبي الكريم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال:

لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور. رواه مسلم والبخاري والدرر السنية

ومن أفضال الحج أنه يهدم ما قبله من المعاصي ويمحو السيئات والذنوب، عن عمرو بن

العاص رضي الله عنه قال: لما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ابسط يمينك فلأباعدك فبسط يمينه فقبضت يدي فقال: ما لك يا عمرو؟ قلت: أردت أن أشتري، قال: تشتري بماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال:

أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما قبلها؟ وأن الحج يهدم ما قبله؟ رواه مسلم في الصحيح

كما في اركان الاسلام الأخرى، فان ثواب الحاج هو الجنة باذن الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة. رواه مسلم

والبخاري

والحج فيه عتق من النار، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال نبينا الكريم: ما من يوم يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وانه ليغفو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ اشهدوا ملائكتي أنني قد غفرت لهم. أخرجه مسلم

وروي عن جريج عن جابر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذا البيت دعامة الاسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه ان يدخل الجنة وان رده بأجر وغنيمة. رواه الطبراني

وفي هذا المقام وهو الجنة للحاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة الا الجنة، وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه. رواه الترمذي في الترهيب والترغيب

وعن مغفرة الله تعالى لحجيج بيته العامر، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب فقال: يا بلال أنصت لي الناس، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصت الناس، فقال:

معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام انفا فأقرأني من ربي السلام، وقال: ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة، فقال عمر: كثر خير الله وطاب. حديث صحيح

نصح النبي الكريم أمته رجالا ونساء بالاسراع بالحج والتعجل به، وليس المقصود الاسراع في

اداء المناسك بل الاسراع في الاقدام على الحج، وأن يحج المسلم - المسلمة، القادر - القادرة في شبابه - شبابها قبل كبره - كبرها والعجز الجسمي والمالي وغير ذلك، لأن المرء لا يدري ما الذي سيحصل له غدا، أو بعد لحظة، فقد يمرض وقد يصيبه العجز وفقدان المال، فلا يستطيع اداء الفريضة بعد أن كان قويا وذا مال وجاه، أو قد يقضي نحبه قبل أن يؤدي مناسك العمرة، في حين كان قادرا على ادائها قبل وفاته. روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة. رواه أحمد والبيهقي

الحج أشهر معلومات وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة أو عشر منه وفق بعض الروايات، ولكن الحج الأكبر في العشر الأوائل من ذي الحجة، إذ أن الوقوف بعرفة يوم التاسع منه والنحر في العاشر منه، ثم السعي والطواف ورمي الجمرات كلها من مناسك الحج، أما الأشهر المعلومات في القرآن الكريم فيصح فيها الاحرام والطواف لأداء العمرة لأنها من أعمال الحج، والحج أيام معلومات مثل رمضان الذي أحصر في الشهر الفضيل، فإن الحج أيام حددها رب العالمين في ذي الحجة وإن لم يذكر الشهر، قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

الحج 29

وأركان الحج هي الأحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الافاضة، والسعي بين الصفا والمروة، وترتيب هذه الأركان لا بد منها كي يكون الحج صحيحاً، وعلى رأس هذه الأركان الاحرام من مكان القدوم الى مكة المكرمة، أو من مكة نفسها، والاحرام هو نية الدخول في نسك الحج أو العمرة أو كليهما معاً، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال نبينا الكريم:

انما الأعمال بالنيات، وانما لكل امرء ما نوى. رواه البخاري في صحيح البخاري

وينوي الحاج نيته اما بالحج أو بالعمرة والحج اما افرادا أو تمتعا أوقرانا، ثم يلبي بقوله: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. اليوم الثامن من الشهر يسمى يوم التروية، وهو يوم الراحة في منى حيث يصلي الحجاج كل الصلوات بمنى، ويستعدون للصعود الى صعيد عرفة في اليوم التاسع، ومن فاته الوقوف بعرفة فانه فاته الحج بعد

ذلك يصلي الحجيج الظهر والعصر جمعا في عرفة، وبعد قرب زوال الشمس يتوجه الحجيج الى مزدلفة حيث يصلون صلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا، يبيتون في مزدلفة ويجمعون الحصوات من مزدلفة، وبعد صلاة الصبح يتوجهون الى المشعر الحرام وهو اليوم العاشر من ذي الحجة يوم العيد الكبير، ملبين مكبرين مهللين لرمي جمرات العقبة الكبرى في منى، وفي هذا اليوم ينحر الهدي ويقص أو يحلق الشعر، وبعد ذلك يذهب الحجيج الى الكعبة لطواف الافاضة ثم التحلل من الاحرام والتحلل من كل شيء الا معاشره النساء، فهو غير مسموح حتى اكتمال المشاعر، أما الذي طاف وسعى قبل المبيت في منى فلا يجب عليه طواف الافاضة بل يتحلل ويقصر الشعر أو يحلقه في منى.

في أيام التشريق بعد يوم النحر وهي أيام الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، في اليومين الأولين يرمي الحاج الجمرات الصغرى والوسطى والكبرى بعد الزوال، وهذا الرمي يعتبر من واجبات الحج، وبذلك يكون قد رمى تسعا وأربعين حصوة لا صغيرة ولا كبيرة (بحجم حبة الحمص) على ابليس اللعين، بعد ذلك يغادر الحاج قبل مغيب الشمس الى طواف الوداع لمن هو مسافر الى خارج مكة.

هذه مناسك الحج الأساسية والمفروضة، من فاته واحدة منها بعد يوم التاسع من ذي الحجة بطلت حجته على رأي بعض العلماء، وهناك من المبطلات الأخرى وهي: الجماع أثناء الاحرام قبل التحلل الأول والتطيب ولبس مخيط، وكفارة الجماع قبل التحلل الأول تكون بقضاء الحج في العام المقبل وبالهدي بدنة أي ناقة أو بقرة أو بعير ذكر، وإن لم يستطع فذبح سبعة خراف ويوزع لحمها على مساكين وفقراء مكة، وفي الجماع بعد التحلل الأول أراء مشابهة. فيذبح كلاهما يشاة ويتحلا من الاحرام باحرام جديد من التعيم ثم الطواف مجددا، ولكن بعض العلماء ذكر بأن الحج لم يفسد ولا ضرورة للذبح والاحرام، وما يفسد الحج أيضا كذلك الفسق والفجور والجدال.

العمرة هي زيارة بيت الله الحرام للتعبد بعد الاحرام لنية العمرة ثم الطواف بالبيت سبعة أشواط تبدأ من الحجر الأسود وتنتهي به، ثم السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتنتهي بها، ثم حلق الشعر أو تقصيره، وفي العمرة رأيان، الأول واجبة لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

والرأي الآخر يرى أنها سنة مؤكدة يؤديها المسلم القادر مرة في العمر أو أكثر حسب استطاعته وفي أي وقت من أوقات السنة ما عدا أيام الحج إلا إذا أداها قبل الحج للتمتع. ويستدل أصحاب الرأي بأنها سنة مؤكدة برواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قوله: جاء أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العمرة أواجبة هي؟ قال: لا وإن تعمر خير لك. رواه الترمذي وأحمد

أما شروط أداء العمرة فهي كشروط الحج، ولكن في العمرة يصح التطيب وتقليم الأظافر، وللعمرة أفضال كثيرة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. رواه الطبراني وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى النساء جهاداً قال:

نعم عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة. رواه أحمد وابن ماجه

اللهم اعصمني بدينك وطواعيتك وطواعية نبيك، اللهم جنبني حدودك، اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين، اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة واجعلني من أئمة المتقين، اللهم انك قلت: ادعوني استجب لكم، وإنك لا تخلف الميعاد، اللهم انك هديتني للإسلام فلا تنزعني منه ولا تنزعني منه حتى تقبضني عليه. آمين يا رب العالمين

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الخامس

- 1- الحج هو قصد مكة المكرمة لممارسة طقوس العبادة المفروضة من رب العالمين على المسلمين من طواف وسعي ووقوف بعرفة وسائر مناسك الحج المعروفة، وذلك إرضاء لله تعالى واستجابة لندائه.
- 2- الحج ركن من أركان الإسلام الأساسية وفرض من فروضه التي علمت من الدين بالضرورة.
- 3- انكار فرض من فروض الله ومنها الحج ارتداد عن دين الله، ويعامل المرتد معاملة الكافر إلى أن يتوب توبة صادقة.
- 4- الحج من أفضل الأعمال عند الله تعالى، وهو نوع من أنواع الجهاد، وخصوصاً بالنسبة

للكبير والضعيف والمرأة.

5- الحج يجب ما قبله من سيئات وذنوب، ومن يحج لوجه الله ومن أجل مرضاته يكون حجه مبروراً لا يكون جزاؤه الا الجنة، وإذا عاد الى أهله يعد مغفوراً له سيئاته كمن ولدته أمه، أي خالي من الذنوب والسيئات وما بين الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب أيضاً.

5- الحج مرة واحدة في العمر تكفي المسلم، وما زاد يعتبر تطوعاً يثاب عليه.

7- يفضل الاسراع في الحج اذا كان المسلم ميسوراً وقادراً قدرة جسمية ونفسية ومالية، وعدم التراخي في ادائه اذا توافرت الشروط وهي البلوغ الاسلام العقل الحرية والاستطاعة.

8- يجوز حج الصبي والعبد، ولكن على الأول الحج مرة أخرى حج الاسلام، والثاني يحج بعد العتق حج الاسلام المفروض (لا يوجد عبيد هذه الأيام) لأن الاسلام حث على عتق العبيد، وعدم استعباد الناس لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

9- المرأة تحج كالرجل مع المحرم، حتى لو لم يأذن لها زوجها، فهذه فريضة من الله تعالى، اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

10- يصح الحج عن الغير، اذا كان الغير (أب أم أخ وأخت...الخ) عاجزاً أو كبيراً لا يستطيع الحركة أو مات قبل أن يحج، فالحج دين على المسلم القادر كالزكاة يجب سداؤه وأداؤه.

11- على المسلم أن يحج عن نفسه قبل أن يحج عن غيره.

12- لا يجوز اقتراض المال من أجل الحج، ولا يجوز للذي عليه دين لا يستطيع سداؤه الحج، بل يجوز للتاجر الذي له دين على غيره من التجار وعليه دين لهم أن يحج لأنه يستطيع سداد دينه ويمارس التجارة بشكل مستمر.

13- لا يجوز ممارسة مناسك الحج في غير أوقاتها، اذ أن ما ذكره الله تعالى من أن الحج في أشهر معلومات يقصد به مناسك العمرة والاحرام في هذه الشهور وهو جزء من الحج، وهناك رأيان الأول يجيز الاحرام في أشهر الحج والآخر لا يجيزه.

14- لا يجوز الاحرام من المناطق غير المحددة لذلك، وهي: ذا الحليفة ميقات أهل المدينة، والحجفة أو رابع ميقات أهل الشام ومصر، وقرن المنازل ميقات أهل نجد، ويللم ميقات أهل اليمن، وذا عرق ميقات أهل العراق، ويصح الاحرام في الطائفة أو الباخرة اذا وازى مسير الحاج مكان الميقات، كما يصح الاستحمام والتطيب والنية من مكان الانطلاق الى الحج اذا خاف الحاج أن يلتبس عليه الأمر.

15- الاحرام أنواع، احرام افراد واحرام تمتع واحرام قران، الأول يحرم الحاج أو المعتمر من أجل القيام بأحدهما ولا يتحلل الا بعد اداء المناسك، الثاني التمتع يحرم الحاج مرتين الأول للعمرة ثم يتحلل من احرامه ويحرم مرة أخرى يوم التروية للحج، والقران لا يتحلل الحاج من الاحرام حتى نهاية مناسك الحج، ويقول لبيك اللهم عمرة في حجة فلا يتحلل من احرامه بالحل أو التقصير بعد أن ينهي العمرة، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل شروعه في أعمالها، ثم يعمل عمل الحج في الصورتين.

16- الاحرام بغرض الحج لا يلزمه التلبية، ولكن الأحناف رأوا أن التلبية شرط من شروط الاحرام، والتهليل والتلبية جهرا مستحبتان لأنهما تبشران بالجنة.

17- محظورات الاحرام، أي بعد أن يحرم الرجل وتحرم المرأة يمنع عليهما الجماع ودواعيه من مداعبة وملاطفة، والكلام الفاحش، والمخاصمة، ولبس المخيط للرجل، أما المرأة تلبس ما تشاء الا ما يبرز مفاتها، كذلك يحرم عقد الزواج أثناء الاحرام وتقليم الأظافر وإزالة الشعر بالحل أو القص حتى يبلغ الهدي محله، كما يحظر التطيب في الثوب أو ابدن، أو لبس ثياب فيها طيب، كذلك الصيد الا ما يضر من الحيوان كالثعبان والعقرب، كما يحرم أكل الصيد، أما أكل اللحوم المذبوحة فيحلل أكلها، ومن يفعل المحرمات عليه بالكفارة بقدر ما اصطاد أو الصيام أو اطعام مسكين بقدر الكفارة مالا، أي اذا كان ثمن الصيد مئة درهم فالكفارة تكون كذلك طعاما وهكذا.

الفصل السادس

الجهاد في سبيل الله في السنة النبوية

الجهاد في سبيل الله يعني جميع الأفعال والأقوال والممارسات التي تتم لنشر الاسلام أو لصد عدو يستهدف ديار المسلمين، أو لاستعادة أرض مسلمة اغتصبت من بين أيدي المسلمين كاخراج الصليبيين من بلاد الشام ومصر، كذلك ضرورة تحرير فلسطين والقدس الشريف من الغاصبين اليهود، والجهاد يشمل كذلك مساعدة المسلمين في شتى أنحاء العالم على مواجهة الحياة. الجهاد مراتب منها ما هو واجب، ومنها ما هو فرض كفاية، اذا قام به بعض المسلمين سقط عن الآخرين ومنها ما هو مستحب، فجهاد النفس وجهاد الشيطان واجبان على كل مكلف، وجهاد الكفار والمنافقين والظالمين وأصحاب البدع والمنكرات فرض عين، كذلك الدفاع عن أراضي المسلمين من عدو خارجي لقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة 190

قتال الكافرين والمشركين والمنافقين ليس اعتداء بل هو دفاع عن العقيدة والنفس والمجتمع المسلم، فالعدوان هو الفتنة بين المسلمين ونشرها والبدء بقتال المسلمين وايدائهم بل ولدعوة الى الكفر والشرك لقوله تعالى:

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة

191

وللتأكيد على أن القتال لا يكون الا ضد الظالمين وليس المسالمين في قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

البقرة 193

الجهاد يؤخذ معناه من واقع الحال، فاذا كان العدو قريبا ومحتلا لأرض مسلمة فهو فرض عين، واذا كان في بقعة بعيدة فهو فرض عين على أصحاب الأرض وفرض كفاية على باقي المسلمين، وهناك أنواع من الجهاد في الحياة، كالصلاة والصيام والحج واعطاء الصدقات، وكلها أنواع من أنواع الجهاد في سبيل الله عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

انتظار الصلاة الى الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط. رواه مسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

أفضل الشهداء عند الله المقسطون. متفق عليه

وقال نبي العالمين:

الساعي على الصدقة بالحق كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع الى بيته. رواه رافع

بن خديج

أما في قتال العدو الواجب، فالشهداء عند الله هم الذين يقاتلونهم اما النصر واما الشهادة لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج اليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يقتلون أبدا. رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ووصف نبينا الكريم الشهداء بعد مواجهة العدو بقوله: أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك اليهم ربك، فاذا ضحك ربك الى عبد في موطن فلا حساب عليه. رواه الالباني في صحيح الجامع والشهيد في سبيل الله منزلته رفيعة عند الله تعالى لقوله:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ نَالُوا مِنَ الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ يُخْفُونَ خَلْفَهُمْ وَلَا هُمْ يَخْزُونَ﴾

ال عمران 170

كما أعد لهم أجرا عظيما لقوله تعالى:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء 74

فالقتال في سبيل الله يختلف عن القتال في سبيل الشيطان، الأول يقاتل لنصرة دين الله والثاني يقاتل لنصرة الشيطان الذي لا دين له، أو يقاتل من أجل القتل والعدوان الذي لا مكان له في الاسلام يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء 76

والشهيد حينما يرى نعيم الآخرة يتمنى لو أنه يعود اليها وينال الشهادة مرات ومرات، لقوله صلى الله عليه وسلم:

ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شيء الا الشهيد

يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من كرامة. رواه البخاري
والشاهد له خصال عدة عند الله، ويمتاز عن غيره بميزات لا ينالها الا هو (الشاهد، وبينها
نبينا الكريم بقوله:

للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجاز من
عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا
وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه.
رواه الترمذي

الجهاد فرض عين حينما تهاجم قوة كافرة أرض المسلمين فتحتلها وتسيطر عليها وعلى
أهلها، فالجهاد في هذه الحالة فرض عين على سكانها حتى تحريرها من أيدي أعدائهم، كذلك يكون
فرض عين حينما يلتقي الصفان، أي تقابل الجيشين والتحامهما يكون الجهاد فرض عين، ولا يجوز
التولي يوم الزحف وهو من الموبقات المهلكات وفق حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر
الثالث: حينما يعلن الحاكم الحرب على العدو فالجهاد فرض عين، أما الأصل في الجهاد فهو فرض
كفاية اذا لم تتوافر الشروط الثلاث السابقة ففرض الكفاية هو ما يقوم به بعض المسلمين نيابة عن
الجميع، والآخرين يمدونهم بالمال والسلاح وكل ما يساعد على تحقيق النصر على العدو، بمعنى
أدق اذا ما دافع المتطوعون عن ثغور المسلمين ونعم الآخرون بالأمن والسلام فان ذلك يكفي
المسلمين.

الاسلام هو السلام من أجل أن ينعم العالم به شريطة لا ضرر ولا ضرار ولا اعتداء. فالجهاد
في سبيل الله في الاسلام يهدف الى نشر عقيدة التوحيد، وقتال الكفار على شهادة ان لا اله الا الله
محمد رسول الله، وفي أيامنا هذه يتحقق الهدف دون قتال، اذ أن كثير من الناس يدخلون في دين
الله أفواجا بمجرد سماعهم عن الاسلام وقراءتهم القرآن الكريم، كما أن وسائل التواصل الاجتماعي
تقوم بالغرض اضافة الى الدعاة الذين ينتشرون في كل بقاع الدنيا يدعون الى عبادة الله وحده لا
شريك له، وتستجيب أعداد غفيرة لهذا النداء وتلك الدعوات. اذن الجهاد في الاسلام ليس للقتال من
أجل القتال وسفك الدماء كما يدعي المغرضون وأعداء الدين، واذا ما قارنا مشروعية الجهاد من أجل
اعلاء كلمة الله بالقتال من أجل القتل في الديانات السابقة نجد الفارق الكبير بين الأمرين، اذ أن
اسفار اليهود مليئة بالدعوة الى القتل والاستعباد والتدمير وقتل الصغير قبل الكبير والمرأة قبل
الرجل، وهذا ما تمارسه اسرائيل ضد الفلسطينيين على أرض فلسطين، ففي الاصحاح عشرين عدد
10 وما بعده يحث على قتل الرجال والنساء والأطفال حتى الحيوانات واستعباد من يستسلم، وكل

هذه الأمور تتنافي مع دعوة الاسلام ورسائل النبي الكريم الى قاداته ورسائل صحابته الى قاداتهم التي يحذرون فيها من هذه الممارسات التي تتنافي وحقوق الانسان والأخلاق الاسلامية، اذ يمنع الاسلام قتل المرأة والشيخ الكبير والطفل والحيوان وقطع الأشجار وحرق البيوت وغير ذلك من الاساليب غير الانسانية

وفي الانجيل الاصحاح العاشر عدد 24 يقول السيد المسيح:

لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً، فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه.. الخ، وهناك بعض الأنجيل ذكرت ألقى انقساماً وناراً.. وهكذا هي دعوات الكتب السابقة وبما أن الله تعالى واحد وكل ما أنزله من مشكاة واحدة، فان الشك يراود القارئ بصحة هذه الايات التي تدعو الى القتل والتقسيم والنار والذبح، وهذه الايات تتنافي وروح الاسلام الذي هو دين ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل الأنبياء والرسل عليهم السلام. الجهاد في الاسلام علاوة على أنه لاعلاء كلمة الله، فانه لرفع الظلم أيضاً عن المظلومين، والجهاد ضد الفساد والمفسدين في الأرض من المشركين والكفار الذين يهدمون بيوت الله تعالى ويعيثون في الأرض فساداً وإذا تتبعنا شروط الجهاد في الاسلام ومشروعيته وأسبابه ودواعيه، نرى الفرق الشاسع بين ما يدعو اليه أعداء الاسلام والاسلام الحنيف، الذي تنص أركانه وعقائده على الرحمة بين الناس، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلْغًا لِّقَوْمٍ غَبِيْنٍ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْهُكْمِ إِلَهٌ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الانبياء 108

الفارق الكبير بين الاتجاهين نراه هذه الأيام رؤيا العين ونسمع به ونستشعره ونعايشه، أذ أن الدول الصليبية واسرائيل اليهودية كما يزعمون، يمارسون ما يؤمرون به في كتبهم التي يعتبرونها مقدسة، فيهدمون المساجد ويحولون بعضها الى ملاه واصطبلات وكنائس وكنس وغير ذلك، كما يقتلون الناس من غير ملتهم بالجملة يقصفون المساجد فوق رؤوس المصلين، ويفسدون الأفراح بالقصف فوق رؤوس الفرحين، كما يقصفون الأسواق المزدهمة لقتل أكبر عدد من الناس، وهذا ما فعلته الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون في العراق وافغانستان وسوريا وليبيا، وما فعلته فرنسا في الجزائر ومالي وكثير من الدول الافريقية، وما فعله الصرب في البوسنة والهرسك، وما فعلته روسيا في الشيشان وسوريا وعصاباتاها في ليبيا وبعض الدول الافريقية، وما فعلته اسرائيل في فلسطين وجنوب لبنان وقصف سوريا وقتل المدنيين بشكل ممنهج ويومي، هذا غيض من فيض التامر الصليبي اليهودي ضد الدول العربية والاسلامية وكلها مستهدفة من هؤلاء.

كل أنواع الجهاد له فوائد للمسلم تعود عليه بالنفع، فجهاد النفس وجهاد الشيطان كلاهما مهم للتهذيب والتخلق بخلق الاسلام، فمجاهدة النفس تتمثل بإبعادها عن المعاصي والمنكرات، وتوطينها على الحق دائما وأبدا، عن فضال جهاد النفس قال بن عبيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله عز وجل. أخرجه أحمد بإسناد حسن

ومجاهدة النفس تؤممة لمجاهدة الشيطان ومنعه من تحقيق أهدافه ومراده من الانسان المسلم والمجتمع المسلم أما نصرة المظلوم وجهاد المناققين فيخلصان المجتمع الاسلامي من الأدران والأحقاد والفساد، أما جهاد الكفار اذا اعتدوا على ديار المسلمين فالجهاد فرض عين وواجب على أهل الديار بمساعدة من المسلمين لدرهم، وفي ذلك حفاظ على الدين وقبل ذلك حفاظ على علو كلمة الله تعالى، وعلى الحاكم المسلم أن يعلن النفير العام لمقاتلتهم، كما حدث أثناء الحروب الصليبية واعتداءات التتار والمغول فهب المسلمون بقيادة أبطال المسلمين صلاح الدين في حطين وسيف الدين قطز في عين جالوت وهما في فلسطين المغتصبة، وغيرهم كثيرون في التاريخ الاسلامي. وفي فلسطين اليوم محتل غاصب للأرض الاسلامية والقدس الشريف، فالجهاد لاجراجه واجب على كل المسلمين المحيطين بفلسطين والبقية تساعد وتعاون على تحقيق الهدف. فالصليبية العالمية تتخذ من اليهود ستارا لحروبهم الصليبية المستمرة، فهي الذراع القوي الذي أعدته للانتقام من هزائمها المتكررة في فلسطين وغيرها من البلاد العربية والاسلامية، اذن اسرائيل هي مقلب القط الغربي في المنطقة، بدليل أن الغرب لا يدين جرائم اسرائيل ضد الفلسطينيين، ولا يردعها عن استقرازااتها اليومية من جيشها ومن المستوطنين، بل يشجعها ويزودها بكل مستلزمات الحياة وبناء المستعمرات اليهودية، ولتنفيذ وعد الله تعالى جمعهم في فلسطين كي يعلون ويستقوون بالغرب الاستعماري فجمعهم هذا بشارة لاقتراب الساعة، لقوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

الاسراء 104

ولكن قتالهم من قبل الفلسطينيين والعرب المحيطين بفلسطين واجب شرعي، ليس فيه تهاون ولا تقاعس فالجهاد مستمر الى تحقيق النصر على العدو باذن الله، فالجهاد في سبيل الله مراتب ودرجات أعلاها الجهاد ضد أعداء الاسلام والذين يحتلون أراضي المسلمين عنوة، لأن في ذلك دفاع عن النفس وحفاظ على مكتسبات المسلمين عبر العصور والدهور. ولعل ما يفسر ذلك قول النبي الكريم لعبد الله بن مسعود بعدما سأله عن اي العمل أفضل قال النبي الكريم:

الصلاة على ميقاتها، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استتردته لزدني. النبي الكريم وضع مجاهدة الكفار والمحتلين لأرض الاسلام في كفة، وكل أنواع الجهاد الأخرى في كفة فرجح مجاهدة الكفار والمحتلين ومقاتلتهم حتى يجلو عن أرض المسلمين، وذلك في قوله:
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وفي صحيح مسلم: لغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها.

اذن الجهاد والمرابطة لحراسة ثغور المسلمين من أي اعتداء أو عدوان ومن ثم اذا حدث الاعتداء وتمت مواجهته هذا من أعلى درجات الجهاد في سبيل الله وخير من أي جهاد في الحياة العادية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. رواه مسلم والبخاري

مجاهدة المحتلين والغزاة فرض عين وواجب ديني، وخصوصا في أيماننا هذه التي تتكالب علينا الأمم من كل ناحية وزاوية ودرب، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:
يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نجن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغشاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت.

وما نراه اليوم هو توصيف دقيق لما ذكره نبينا الكريم وكأنه يعيش بين طهرانينا، لذلك وجب علينا التيقظ والحذر وأخذ الأمور أكثر جدية في مواجهة المخاطر والنوائب التي تحيط بنا، والجهاد في سبيل الله كما أمرنا الله ونبيه الكريم في قوله:
عبادة أحدكم مقام أحدكم في سبيل الله من في أهله ستين سنة، أما تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة؟جاهدوا في سبيل الله،من قتل فواق ناقة وجبت له الجنة. رواه الترمذي والبيهقي

وعن ابي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف. رواه مسلم

وعن أبي عيسى الترمذي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

ما اغربنا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار. رواه البخاري

فالجهد في سبيل الله لا تعقبه الا الشهادة اذا دنى أجل المقاتل، فمنزلة الشهيد عند ربه عالية لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ال عمران 170

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذوعيال، وأول ثلاثة يدخلون النار أمير متسلط، وذو ثروة لا يعطي حق الله، وفقير فخور. رواه الترمذي
والثواب يذهب أيضا للذي يجهز المقاتلين في سبيل الله، فمجهز المجاهد له الأجر العظيم عند الله تعالى عن زيد بن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: قال النبي الكريم: من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله فقد غزا. رواه مسلم والبخاري
مجهز المقاتل ومن يخلفه في بيته وأهله للمحافظة عليهما فلهما أجر المجاهد، شريطة أن يكون المال المقدم للتجهيز مالا حلالاً ويقدم بنية الجهاد، والذي يخلف الغازي لا يخونه أثناء غيابه، عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم الا وقف له يوم القيامة فيأخذ حسناته ما شاء حتى يرضى، ثم التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: فما ظنكم؟. رواه مسلم

الجهاد في سبيل الله باب واسع، ولكن خيره هو الدفاع عن الوطن بالروح والمهج، صحيح أن المال مهم لتجهيز المقاتلين وبالسلح والطعام والدواء وكل ما يلزم المقاتل، الا أن الجهاد بالنفس والروح أعظم الدرجات فالله سبحانه وتعالى قدم المال على النفس في الايات السابقة، لأنه لولا المال لما كان هناك جهاد، ولكن مقدم المال درجته عالية ولكنها ليست كدرجة الشهيد الذي يكون أول من يدخل الجنة كما قال نبينا الكريم. وخصوصا اذا ترك الشهيد عائلة من أطفال ونساء وأبوين اذا ما كانا على قيد الحياة، فهذه الشهادة عظيمة لا يعدها عمل في الدنيا كلها، ولقد ذكرنا فضل الشهيد عند الله تعالى في أحاديث سابقة، ونزيدها بقول النبي الكريم: رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان. رواه مسلم عن سلمان رضي الله عنه

وعن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة
ويؤمن من فتنة القبر. رواه أبو داود والترمذي

دم الشهيد ونفسه غاليتان عند رب العالمين، وتتميزان عن غيرهما يوم القيامة، يقول نبينا
صلى الله عليه وسلم:

لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة اللون لون
الدم، والريح ريح المسك عن أبي هريرة رضي الله عنه
المتهرب من الجهاد ومقاتلة العدو حينما يغزو أرض المسلمين، كذلك الذي لم تحدثه نفسه
عن القتال والجهاد يعتبر بدرجة المنافق، لقوله صلى الله عليه وسلم:

من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق. رواه مسلم
لذا من الضروري أن يتمسك المسلم بالجهاد كفريضة اذا ما تعرض الوطن للخطر، ولا
يتوانى للذهاب الى ساحات القتال اذا ما دعى الداعي لذلك، لأنه بدون الجهاد لا يمكن للأمة أن
تنهض وتحمي ديارها، ومن ينكر ذلك يعتبر منافقا، فالجهاد ليس عدواناً على أحد ولا اعتداءً على
حرمة الآخرين، بل هو دفاع مشروع عن الدين والأرض والمال والعرض، ومن مات دونها فهو
شهيد، فالذي جاء لمحاربتك لا يريد لك الخير بل يريد تدميرك ونهب مكتسباتك والقضاء على
عقيدتك أيضاً لأنها هويتك، فمن فقد هويته فقد نفسه، يقول عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ (15) وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبْرَةٌ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾
الأنفال 16

هناك فرق واسع وشاسع بين حرب العدو والارهاب، حرب العدو أصبحت معروفة، وهي
صد العدوان وتحرير الأرض من الاحتلال ومساعدة المسلمين المضطهدين في أصقاع الأرض، أو
نشر الاسلام في بلاد لم يدخلها بعد، أما الارهاب فهو القتل من أجل القتل، والاعتداء على أملاك
الآخرين وأرواحهم وأنفسهم وأموالهم، وان كان المعتدى عليه غير مسلم، لأن ذلك يعتبر قتل النفس
التي حرم الله الا بالحق ولم يذكر التاريخ لنا أن جيشا من جيوش المسلمين ذهب للقتال وتعرض
للمدنيين الأبرياء، أو اعتدى على أعراضهم وممتلكاتهم وأماكن عباداتهم، بل كانت الجيوش
الاسلامية ألطف مع سكان البلاد المفتوحة من حكامهم السابقين، ولم يقاتلوا أو يقتلوا المدنيين عملا
بتوجيهات رب العالمين في قوله:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. البقرة 190

في الوقت نفسه يجب على المسلمين التيقظ للأخطار المحدقة، هناك أعداء ظاهرين وهناك أعداء لا تعرفهم يعيشون بين ظهرانيكم، وهناك المنافقون والمشركون لذلك يجب مقاتلتهم جميعاً كما يقاتلونكم جميعاً، لقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿التوبة 36

الجهاد في سبيل الله ليس بالسيف فقط كما ذكرنا، بل ان النبي الكريم كان يجاهد الكفار والمنافقين والمشركين بالقران ومبادئ الاسلام، وبكلمة الحق واللين في كثير من الأحيان. وهناك أنواع وأنواع من الجهاد، ولكل درجته عند الله تعالى كما في الحديث الشريف، فالجهاد بالمال مثلاً على درجة عالية من الأهمية كما أوضحنا لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿التوبة 20

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم. رواه أبو داود والنسائي

وهذا ينطبق على الكفار والمنافقين وأعداء الدين والمحتلين أيضاً، لا بل المبتدعة في الدين والذين يرفعون مقام أهل بيت رسول الله الى درجة الألوهية والعياذ بالله العلي العظيم، هؤلاء مشركون بالله، ويجب أن يعاملوا معاملة المشركين، كذلك أصحاب الطرق الصوفية المغالى فيها كالرقص في المساجد، وإقامة صلوات غريبة عن الدين وممارسة شعائر مخلة بنظام الصلاة والعبادة، وبعض أصحاب الطرق الصوفية يستخدمون شعارات دينية لتمرير مخططات غريبة عن الاسلام... الخ، كل هذه الأمور يجب عدم السماح لها في ديار الاسلام، بل هي بدع ومدعاة لتفريق وحدة الصف الاسلامي. ومن أنواع الجهاد أيضاً التبليغ أي تبليغ الرسالة، رسالة الاسلام لأن التبليغ هو المدخل الطبيعي للاسلام وهناك جهاد الدفع، أي دفع أذى أعداء الاسلام عن ديار الاسلام بكل الوسائل والسبل، وكل عمل خير للمسلم يقوم به من أجل رفعته ورفعة بلاده وأمتة يعتبر جهاداً في سبيل الله، كالتعليم أو مداواة الجرحى وإسعافهم وتقديم الخير بأوجهه.. الخ.

وفي جهاد المرأة فقد استعان النبي الكريم ببعض نسائه في غزواته، في يوم أحد اقترح النبي بينهن للمساعدة في نقل الماء وتضميد الجرحى، واستعان بنساء الأنصار في الغزوات الأخرى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كان النبي الكريم يغزو بأمر سليم ونساء من الأنصار معه اذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى أما في الأحوال العادية، فكان النبي الكريم يأمر نساءه بالجهاد بأداء

الفرائض وأعمالهن اليومية الصالحة عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور. رواه مسلم والبخاري
اللهم انا نجعلك في نحور أعدائك أعداء دينك من أي مكان أتوا وفي أي مكان حلوا، ونعوذ بك من شرورهم أيا كان مصدرها وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السادس

1- باب الجهاد واسع يكون فرض عين اذا احتل الأجنبي ديار المسلمين أو اعتدى عليها، واذا أعلن الحاكم النفي العام، واذا تواجه الجيشان وجها لوجه، وفرض كفاية اذا تمكن أهل البلاد المحتلة من مقارعة العدو فالجهاد بالمال والمساعدات العينية تكفي، ويكون جهادهم فرض كفاية يسقط الوجوب عن الباقيين.

2- الحث على الجهاد اذا جد الجد، فعلى القائد أن يعلن النفي العام لمواجهة العدو، كما كان النبي الكريم يحث أصحابه على القتال في بدر وغيرها، وكان يقول لهم: قوموا الى جنة عرضها السماوات والأرض.

3- الجهاد يشمل الجهاد بالنفس والمال والكلمة الطيبة وطبابة الجرحى، كما نشر الدعوة ومساعدة الملهوف والتعليم، وكل ما يؤدي الى فائدة المجتمع ورفعته.

4- مجاهدة النفس ومجاهدة الشيطان فرض عين وهما تؤمان.

5- العبادة الخالصة لله تعالى في كل وقت، وخصوصا في العاشر من ذي الحجة نوع من الجهاد.

6- يجب أن يكون على رأس المجاهدين قائد محنك يقودهم ويسمى الأمير يعين من الحاكم أو الرئيس يرجع اليه المجاهدون في كل ما يلزم القتال، والجهاد معقودة نواصيها الى يوم القيامة حتى لو لم يوجد قائد يحث على القتال، فالجهاد لا يلغى بعدم وجود قائد أو وجود قائد فاسد، يقول الامام البخاري رضي الله عنه: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر عن عروة بن الجعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الخيال معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة بالأجر والمغنم. رواه مسلم والبخاري

وقال الامام النووي رحمه الله: فيه (الحديث) دليل على بقاء الاسلام والجهاد الى يوم القيامة والمراد قبيل القيامة ببسير، أي حتى تأتي الرياح الطيبة من قبل اليمن تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة.
7- يجب الاعداد للجهاد من كل ناحية لقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال 60

فالترهيب غير الارهاب، الترهيب الاخافة والسيطرة بالقوة، لقوله صلى الله عليه وسلم: نصرت بالرعب مسيرة شهر، أي يخافه أعداؤه ويخافون من قوته ومن جيشه من على بعد شهر مشيا وبالحيل، فاذا سمع العدو أن جيش النبي قادم يصاب بالرعب والخوف والخذلان، وهذا ما تعتمد عليه جيوش العالم القوي اليوم إذ يرهبون أعداءهم بقوتهم واعدادهم الجيد وبأسلحتهم الحديثة المتطورة.

أما الارهاب فهو من الأعمال الخسيسة والتي لا تتوافق مع مبادئ الاسلام، فلا قوانين حرب تنظم أعمال الارهابيين ولا ضوابط لعمليات القتل المستهجنة، إذ أن الارهاب يطال الأبرياء وغير الأبرياء المدنيين وغير المدنيين، والمدنيون المسالمون ينالون الجزء الأكبر من عمليات انتقام الارهاب.

8- الجهاد يتطلب النية باللسان والقلب كأى فرض من الفروض، ولا يصح الجهاد للمباهاة والتفاخر، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة رواه البخاري

9- القتال في سبيل الله يكون من أجل اعلاء كلمة الله، حتى تحرير أرض المسلمين من الأعداء والمحتلين يعتبر من أجل اعلاء كلمته، لأن الأرض تعود الى المسلمين، ولا يكون القتال من أجل الاستيلاء على مال أو عقار، ولا يكون من أجل عصبية قبلية ولا لذاتية أي انتقام أو الأخذ بالثأر، فكل هذه الحروب وأعمال القتال ليس جهادا والذي يقتل ليس شهيدا الا اذا كان دون ماله أو عرضه أو أرضه وفوق كل ذلك دينه فهو شهيد.

10- لا بد من استشارة الامام او الحاكم قبل التوجه الى القتال، لأنه هو المسؤول عن حماية الوطن والمواطنين، الا اذا فاجأ العدو البلاد بزحفه عليها دون انذار مسبق، فلا تجب الاستشارة أو الاستئذان حينئذ يتوجه الجيش والمواطنون للقتال لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ التوبة 44

استئذان والالدين أمر ضروري، اذا كان للمجاهد أبوان عليه استئذانهما، فاذا لم يأذنا له بالقتال أو أحدهما فلا اثم عليه، وخصوصاً اذا كان وحيدهما، سأل النبي الكريم رجلا جاء ليجاهد فقال له: أحي والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد متفق عليه

استشارة الدائن، فلا يصح جهاد المدين حتى يسدد دينه، فان رخص له غريمه أو وضع كفيلا عنه أو رهن عقارا مقابل المال فله أن يخرج الى الجهاد.

الفصل السابع

الدين عند الله الاسلام في السنة النبوية

الاسلام هو الدين الحق، وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين في قوله وهو اصدق

القائلين:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعٌ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

ال عمران 20

والاسلام يعني الاذعان لله تعالى، والالتزام بأوامره والبعد عن نواهيه، والاسلام يعني أيضا تسليم الأمر لله تعالى، أي كل ما يتعلق بالانسان من شؤون حياتية ومعيشية ووظيفية، ومن طعام وشراب وتنفس وحركة وعبادات وغير ذلك، يسمى ذلك تفويض الأمر كله لله الذي يدبر الأمر، لأنه هو الخالق وأنت المخلوق، فلا يتعدى المخلوق على خالقه في أي شيء، ولا يحق له ذلك بأي حال من الأحوال، وله الطاعة الكلية والاستسلام التام لما يريده والاخلاص الدائم له، لذلك يفوض المسلم أمره لربه، لقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۖ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ

الأمور ﴾ لقمان 22

فتسليم النفس لله تعالى دليل الايمان ولا ينقص ذلك الا العمل المتمثل بالاحسان لله تعالى

قال رب العالمين:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة 112

فالدين الازلي هو الاسلام الذي يدل على مراده وهو الطاعة والخضوع والامتثال للأوامر والنواهي، وهذا الأمر ليس انيا أي مؤقتا، بل بشكل دائم ما دامت الحياة في السماوات والأرض، وقد عبر رب العزة والجلال عن ذلك بقوله:

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۖ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ النحل 52

والاسلام يعني السلام على الأرض، كما جاء في اللغة مشتقات كلمة سلم المسالم والسلام والسلم، وكلها تعني السلام، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، فمن ذا الذي لا يريد أن ينتمي لاسم

من أسمائه سبحانه وتعالى؟ انه لشرف عظيم أن يعتقد المخلوق بما يأمره به الخالق الذي يدعو الى السلام والطمأنينة في النفس والحياة والمال والعيال وكل ما يتعلق بحياته، لذلك كان الاسلام الذي هو السلام دين الأنبياء جميعا، دون ذكر كلمة اسلام في الكتب السماوية التي حرفها الكهنة على مزاجهم الخاص، ولكن الأنبياء والرسول نطقوا كلمة الاسلام بلغاتهم، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ البقرة 128

وكان الانبياء كلهم مسلمين لله قبل ابراهيم وبعده، ولكن ابراهيم الخليل خوطب من ربه بطريقة مباشرة فأدعن لأمر ربه، لا بل وصى بنيه وذريته بالاسلام لقوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (131) (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (132) (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ﴿ البقرة 133

وكان هؤلاء الأنبياء يمارسون العبادات وفق معتقداتهم الاسلامية التي أمرهم بها الله تعالى وذلك في قوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿ الأنبياء 20

فعبادة الله وحده لا شريك له هو الاسلام في حد ذاته، اذ أن الاسلام لا يعني أركانه المعروفة، لأن أركان البيت ليست هي البيت، بل العبادات والممارسات التي أمرنا الله تعالى أن نقوم بها هي جزء من الاسلام بمفهومه الشامل، وهذه العبادات كلها كانت موجودة قبل الاسلام المحمدي، ولكن اداؤها ربما كان بطرق مختلفة، لأن الشرائع التي شرعها الله تعالى لأنبيائه مختلفة باختلاف الزمان والمكان والمناسبة، اذ أن نبينا الكريم بعث كي يتمم مكارم الأخلاق ويؤكد على الاسلام كدين أزلي، قال تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

ال عمران 83

وقال جل من قائل مخاطبا نبيه الكريم:

﴿قُلْ ءَأَمَّنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (84)

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾

بمعنى أن من يمت غير مسلم موحد بالله تعالى، ومن لم يستجب لأوامره ومن لم يبتعد عن نواهيه التي تضر به وبمجتمعه وأمته فإن جزاؤه جهنم وبئس المصير. إذن الاسلام هو التوحيد وما يلزمه من عبادات وجاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم كي يعيد العرب ومن بعدهم العالم أجمع الى كلمة التوحيد، ومن ثم العمل بالايمان باقام الصلاة وإداء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا الذي كان معمولاً به يقول تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

الحج 29

وفي الصيام قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

البقرة 183

أما الصلاة فكانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً يؤدونها كل بطريقته قبل الاسلام، قال الله تعالى في سيدنا زكريا عليه السلام:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

ال عمران 39

وهذه السيدة مريم العذراء عليها السلام، يأمرها الله تعالى بالصلاة ركوعاً وسجوداً مع الراكعين والساجدين، ما يدل على أن الناس في عهدها كانوا يصلون لله ويسجدون له لقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يُمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يُمْرِيْمُ اقْنِطِي لِزَكَاةٍ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

ال عمران 43

وكان السيد المسيح نفسه يختلي بنفسه للصلاة لله، ما ينفي تماماً ألوهيته وشركه بالله، نقرأ في انجيل لوقا وذات يوم وقبل اختياره للتلاميذ، خرج الى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله، ولما كان النهار دعا تلاميذه

لوقا 6-12

وكان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، ولم يكن هو الله سبحانه عما يصفون، ولم يكن ابن الله كذلك نقرأ في أعمال الرسل:

لقد مجد عبده يسوع 3-13 في السفر نفسه نقراً: فاليكم أولاً أرسل الله عبده

الأعمال 3-26

اذن المسيح عليه السلام هو نبي ورسول اصطفاه الله وأرسله لبني اسرائيل، وكان موحدًا بالله تعالى يصلي ويصوم ويزكي ويعمل كل ما أمره به الله تعالى، اذن الحج والصلاة والصيام كانت مفروضة على كل الأمم وكل الأنبياء، ولو أن بعض العبادات كحج بيت الله الحرام مفروضا من أيام ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الا أن العبادات بمجملها المتعلقة بالتوحيد كانت موجودة، لكن بطرق مختلفة باختلاف الزمان والمكان والعامل المشترك هو توحيد الله تعالى والبعد عن الشرك به، والعبادات ترجمة حقيقية لهذه العقيدة الأزلية يقول تعالى مخاطبا نبيه الكريم محمدا صلوات الله وسلامه عليه:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

عمران 64

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المائدة 12

فدين ابراهيم الخليل هو الاسلام، وكان هو وقومه بعد اسلامهم يمارسون العبادات التي أمرهم الله بها فكانوا مسلمين موحدين به ولا يعبدون الا هو، بعد أن حطم ابراهيم الخليل عليه السلام الأصنام ودعى الى عبادة الله، فكان كل نبي يدعو الى الحق يتبعه جزء من قومه، وبعد مماته ينقلب بعض منهم على عقبيه ويرتد عن دين الحق، ثم يأتي النبي الاخر ويدعو بالدعوة نفسها، ويستمر الحال الى مجئ نبي الأمة والبشرية وهو خاتم الأنبياء ليقول للعالم: انها فرصتكم الاخيرة فمن ينقص على عقبيه فلا يلومن الا نفسه.

الاسلام دين بناء وسلام، وهو عكس العدوان والفساد وضدهما، لقوله صلى الله عليه وسلم: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

متفق عليه

كما أن الرسالة المحمدية جاءت لتلغي كثيرا من المعتقدات البالية والأحكام الظالمة التي كان العرب وأصحاب الكتب السماوية يحتكمون اليها، وخصوصا حول القصاص والمعاملات وغير ذلك.

فالاسلام هو دين التوحيد كما قلنا وأكدنا مراراً، فاذا اعتقد امرؤ بوجود اله اخر غير الله فهو غير مسلم، واذا اعتقد أن لله أندادا وابنا أو بنتا فهو غير مسلم، واذا أنكر فرضا من فروض الله أو ركنا من أركان الاسلام فهو غير مسلم، أما اذا اعتقد وامن وعمل بكل ماتقدم فهو مسلم ولو عاش زمن سيدنا نوح أو شعيب أو موسى أو عيسى أو محمد عليهم السلام. اذن الاسلام عقيدة وايمان وممارسة، وهو دين أزلي بل دين الخليقة، أي كل مخلوق أكان من الملائكة أو الجن أو الطير أو أي شيء خلقه الله تعالى ويعبده حق العبادة فهو بالضرورة مسلم، يقول الله تعالى:

﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ خَلِيماً غَفُوراً ﴾ الاسراء 44

ويقول جل من قائل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ الاعراف

106

ومن الايات البينات يتبين لنا ما قلنا وما أكدنا عليه بأن الاسلام دين الخليقة، يقول تعالى في دعاء ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت الحرام:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة 128

من الاية الكريمة نلاحظ أن المسلم هو المؤمن بوحداية الله أولاً، ثم العمل من أجل تثبيت ذلك بالنسك والعبادات، وكان رب العالمين قد أمر ابراهيم الخليل أن يسلم بعد أن احتار ابراهيم في أمر نفسه فراى الشمس فقال هذا ربي، ثم رأى القمر فقال هذا ربي، ثم دعا الله تعالى أن يهديه والا وقع في الضلال:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة 131

اذن الأمر باتباع لاسلام جاء من الله تعالى لكل خلقه، للملائكة والجن ولبنی ادم، ولا ندري ما الصيغة التي أمر الله بها الطير والحيوان والشجر وما في البر والبحر ان يكونوا مسلمين موحدین وله يسبحون ويسجدون. بعد أن خرج ابراهيم عليه السلام من حيرته وأسلم لله رب العالمين أراه الله كيف يخلق الطير وأنجاه من النار التي أوقدها له قومه ومنهم أبوه الذي فقد عاطفة الأبوة والنخوة والعاطفة بل والايمان على رأسها، بعد كل ذلك عكف ابراهيم الخليل على العبادة وتعليم ابنائه كيف يكونون مطيعين لله خاضعين له وأوصاهم بالاسلام ديناً، ولما اختلف اليهود والنصارى على دين ابراهيم حسم الله تعالى الأمر ونبههم الى أن الدين عند الله الاسلام فلا يهودية ولا نصرانية، فكل

عقيدة تخالف عقيدة التوحيد مهمورة بالعبادات الصحيحة فلن يقبل بها الله تعالى فقال في ذلك وهو خير القائلين:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ال

عمران 67

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن أتباع ما تسمى الديانات اليهودية والنصرانية ان هم الا مشركون بالله تعالى وابراهيم لم يكن مشركا بالله تعالى، لذلك أوصى بنيه اسماعيل واسحق وحفيده يعقوب بالاسلام ديننا وعدم التخلي عنه والحيد قيد أنملة عن تعاليمه، قال تعالى:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة 132

وعلى الجانب الشرقي من البحر الميت كان يعيش ابن أخ ابراهيم الخليل وهو لوط عليهما السلام، ولما بعث الله الملائكة لابراهيم وبشره بغلام حلیم، قالوا له انا ذاهبان الى قرية لوط لتدميرها، لأن أهلها يمارسون الخبائث ومنها اللواط، فذهبا في صورة بشر، وما أن اتيا القرية حتى اجتمع أهل القرية بتشجيع من امرأة لوط لفعل الفاحشة فيهما، ولكن الله تعالى أمر لوطا بأن يغادر القرية وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ويقول تعالى انه أرسل على أهل هذه القرية حجارة من طين مسومة أي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي سيرديه، ولم يكن في القرية من المؤمنين المسلمين الا بيت لوط عليه السلام، والبقية الباقية من الكافرين، لقوله تعالى:

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ الذاريات 37

وهذا يبين أن لوطا وأسرته ومن معه من أهل بيته كانوا مسلمين، فالمسلم هو المؤمن بالله الواحد الأحد المطيع له والذي يعبد حق العبادة، فالاسلام هو دين التوحيد كان قبل مجيئ النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان دين ابائه وأجداده الأولين، دعى اليه كل الأنبياء والمرسلين، فهذا يعقوب عليه السلام أوصى بنيه أن لا يعبدوا الا الله وحده ويكونوا له مسلمين، فاستجابوا لوصية والدهم وأعلنوا أنهم لن يكونوا الا على دين أجدادهم وابائهم وهو الاسلام، قال تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ

إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة 133

وهذا يوسف عليه السلام، أحس بالامان بعد ما اتاه والداه الى مصر، بعد قصة طويلة من العناء والمعاناة ثم بعد ذلك الاحساس بالرفعة والراحة التي استوجبت الشكر لله تعالى فوق شكره

على كل الأحوال، استقر به الحال على حكم مصر من خلال وزارة المالية التي تبوأها وامتلك مفاتيحها، وكان الله تعالى قد من عليه بأن فتح قلبه للإيمان بالله، ومقاومة المغريات التي واجهته في شبابه، فدعا ربه أن يكون مسلماً حنيفاً على طريق جده إبراهيم الخليل وأبيه يعقوب عليهما السلام، قال تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف 101

ومن أروع ما ذكر عن اعتناق الأنبياء الاسلام دينا قصة النبي سليمان مع ملكة سبأ، اذ أخبره الهدد أن هناك قوما يعبدون الشمس من دون الله تعالى، وعليهم ملكة تحكمهم، فبعث لها كتابا يأمرها فيه سليمان بالاسلام، وعليها وعلى قومها أن يعبدوا الله الواحد الأحد بدل عبادتهم الشمس قال تعالى:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ النمل 32

رفضت بلقيس ملكة سبأ الأمر الانصياع لأمر سليمان، واستعاضت المال والهدايا الى سليمان بالاسلام أي الذي هو أدنى بالذي هو خير، ورد سليمان الذي كان يملك الدنيا في ذلك الوقت الهدايا اليها، وهددها بجيش جرار يكتسح مملكتها، ولكنه فكر مليا واسعض وأمر أحد أفراد الجن المملوكين له باحضارها وعرشها أمامه وقال:

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل 38

فلما أحضرت هي وعرشها أمام سليمان أمر بنصب العرش، قال تعالى:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النمل 41

فسألها أتباع سليمان ان كان هذا عرشها؟

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾

النمل 42

ولما رأت ما لسليمان من قوة وجبروت وهو مسلم لله موحد به، وما دعاها الا من أجل خيرها وخير قومها أسلمت بدورها، قال تعالى:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل 44

أي أن سليمان كان مسلماً اتبع دين أبائه وأجداده الذين كانوا مسلمين، وها هم سحرة فرعون لما رأوا برهان الله تعالى، ولم يستطيعوا مجازاة عصا موسى عليه السلام وهزيمتها، بالرغم من أن أدواتهم كانت أكثر بكثير من أداة موسى الوحيدة، خروا لله سجدا وأعلنوا أنهم مسلمون على دين موسى وقومه من بني اسرائيل (بني يعقوب عليه السلام) على الملأ، ما أغاظ فرعون وأخرجه عن طوعه، مهددا متوعدا إياهم بعظائم الأمور والعذاب الشديد، وذلك بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم ليكونوا عبرة لغيرهم لأنهم عصوا أمره ولم يستشيروه قبل اعلان اسلامهم، وكان ردهم الصاعق له ولأتباعه في قوله تعالى:

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

الأعراف 126

وهذا نبي الأمة والعالمين سيد المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه، اصطفاه الله تعالى من دون خلقه لحمل رسالة الاسلام العظيمة، ولتكلمة ما أتى به النبيون والمرسلون وجده ابراهيم الخليل، ومن أتى بعده مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل، وقد بدأ النبي الكريم بنفسه، وأعلن أنه أول المسلمين بعد بعثته ليكون قدوة لقومه وعشيرته وأصحابه، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ يُبْذَلُكَ

أُمرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام 163

وقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ

(12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الزمر 13

هذا وقد دعا قومه وأصحابه وأنصاره الى الاسلام، الذي هو دين أبائه وأجداده من الأنبياء

وأتباعهم من المؤمنين، قال تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ

وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

البقرة 136

وكان هذا أمر من الله تعالى لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بالرسالة ويبلغها أحسن تبلغ ولا يتوانى عن ذلك لحظة، ولا يتردد في تبليغها لأنها الرسالة الأبدية الأزلية التي لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان والمكان، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿ النمل 92

نلاحظ أن الاسلام واتباعه أمر من الله تعالى لأنه يلخص دور العابد والمعبود، ولا شيء بينهما الا الشيطان الرجيم المتمرد على ربه وعلى ما خلق، من هنا نوضح أن الاسلام أمر من الله تعالى، كما أنه يدعو الى الايمان بالله فانه مكمل للايمان بما خلق الله، فلا بد اذن من عبادته سبحانه وتعالى، فهذا الامر ليس خيارا للانسان أن يسلم او لا يسلم الا اذا أنكر وجود الله تعالى، يقول في ذلك لنبية الكريم:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ الأنعام 14

جاهد نبينا الكريم حق الجهاد في نشر الدعوة، واقامة حدود الله تعالى، وتذكير الناس بعبادته دائما وأبدا فمنهم من لبي الدعوة، ومنهم من نكص على عقبيه والعاقبة الطيبة والحسنة كانت دائما وابدا للمتقين، من الأعراب من طلب من النبي أن يعبدوه دون الله تعالى بعدما أسلموا، ولكن كان اسلامهم على ما يبدو أضعف من الضعيف، قال الله تعالى فيهم:

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ ال عمران 80

والأمر مختلف مع بعض أهل الكتاب، اذ كان يستمع هؤلاء الى القرآن الكريم ويقرأونه ويؤمنون بما جاء به لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ ﴿ البقرة 121
ويقول الله فيهم أيضا:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴿ ال عمران 199

لا بل ان بعض أهل الكتاب وخصوصا القساوسة منهم، لما سمعوه، ولما قرأوه، اعترفوا فوراً أن هذا ما يؤمنون به، وهو توحيد الله، لقوله تعالى:

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بَأْنٍ مِنْهُمْ قِسِيْسِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاَمَنَّا فَاتُخَبِّئْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿ المائدة 83

كان النبي الكريم يستقبل وفودا من كل الجهات، وكان من ضمنهم سبعون قسيسا بعثهم النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى نهايتها فجعلا يبيكون، فأعلنوا اسلامهم فنزلت فيهم الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يَوْمُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَمَنَّا بِهِ ءِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ القصص 54

هذا دليل قرآني واضح ودامغ على أن الاسلام هو دين الأنبياء قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه، كما كان دين كل من اتبعهم من المؤمنين ويتبع محمدا الى يوم الدين. السنة النبوية الشريفة من أقوال وأفعال وتقارير كلها تؤكد على أن الاسلام هو دين الله تعالى، فسيرته صلى الله عليه وسلم وتاريخه طيلة ثلاثة وثلاثين عاما من الدعوة، كلها لعبادة الله واعتناق الاسلام دينا بمفهومه الواسع كما ذكرنا، منذ بداية الدعوة والنبي الكريم يدعو قومه الى الاسلام، وكان يوجه الرسائل الى الشرق والغرب يدعو فيها الرؤساء وزعماء القبائل الى الاسلام، وذهب الى الطوائف يدعو الى الاسلام، فعذب وأهين عليه الصلاة والسلام من أجل نشر دعوة الحق، كذلك خاض الحروب والغزوات وقاد السرايا لمواجهة من أراد المواجهة على الايمان من قريش واليهود ومن والاهم، ثم منع من زيارة مسقط رأسه مكة المكرمة بعد هجرته الى المدينة مع أتباعه ولكن الله تعالى أراد لدينه النصر فنصر عبده عليهم، ودخل مكة لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ الاسلام المستمر بزخمه وقوته الى يومنا هذا، وما النصر الا من عند الله، هذا ولم يأل النبي الكريم جهدا عن الدعوة الى الاسلام كما قلنا، عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر رواه الطبراني وأحمد

والاسلام بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معنى ومبنى، فكان جهاد النبي في الاتجاهين يؤكد على معنى الاسلام ويغرسه في نفوس وعقول المسلمين، ويترجم هذا المعنى الى أعمال لبناء هذا الصرح العظيم ومبناه العملى هو: العبادات بأنواعها، السلوك القويم، من الصدق والوفاء والحب والاخلاص وبر الوالدين والصبر بأنواعه والأخلاق بأنواعها، واحترام المرأة وحقوق الانسان، وحقوق الجار وحقوق أهل الكتاب الذين هم في ذمة ومسؤولية الدولة الاسلامية، لهم حقوقهم وعليهم واجباتهم، والحفاظ على العهود والمواثيق، وحفظ السلام والأمن لجميع البشر، وللحياة

الدنيا نصيبها في السنة النبوية المطهرة وللنبي الكريم أحاديث شتى في كل من هذه الجوانب التي تشكل بناء الاسلام، أو اذا صح التعبير مبنى الاسلام الشاهق الارتفاع. فعن الحب مثلا قال صلى الله عليه وسلم:

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري في الصحيح
وقال أيضا:

لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم رواه مسلم عن أبي هريرة
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين رواه مسلم
وقال في الأخلاق:

من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن حرم من الرفق فقد حرم حظه
من الخير أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق وإن الله ليبغض الفاحش البذئ
رواه الألباني

وقال في الصبر، عن صهيب بن سنان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
عجا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا المؤمن أن أصابته سراء شكر
فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له رواه مسلم في الصحيح
هذا وقد تحدث عن نعيم الجنة وجحيم النار، كما تحدث عن أمور الدنيا ونعيمها، والآخره
ومغانمها، فلم يترك جانبا من جوانب الحياة والآخره الا تطرق اليه صلى الله عليه وسلم، كانت
الحصيلة دينا عظيما يتسابق الى اعتناقه المؤمنون، وكل من يريد السعادة في الدنيا والخلاص في
الآخره.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السابع

- 1- الاسلام دين البشرية والعالمين منذ الأزل.
- 2- الاسلام هو الاذعان والطاعة لله تعالى، وقد أطاعه كل من في السماوات والأرض وبذلك هم مسلمون.
- 3- الاسلام هو الايمان بالله وحده لا شريك له، ويترجم هذا الايمان بالعبادات الصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله، وقد كان النبيون والرسل وأتباعهم يمارسون هذه العبادات تقربا من

الله تعالى.

- 4- دعا النبيون والرسل أقوامهم الى الاسلام، فمنهم من لبى النداء ومنهم من كفر، واستمرت الدعوة الى مجئ نبي الأمة والعالمين محمد النبي الأمي الأمين.
- 5- دعا النبي الكريم قومه وحكام البلاد المجاورة الى الاسلام الذي هو دين ابائهم وأجداده، كما هو دين ابائهم وأجدادهم، ولم يتوانى النبي الكريم عن القيام بهذه المهمة الى وفاته صلى الله عليه وسلم، من هنا نؤكد أن الاسلام دين البشرية والخلق أجمعين الى يوم الدين.
- 6- وضع النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين معنى الاسلام، كما شرح لهم مبناه من عبادات وأنماط السلوك القويم بأبسط العبارات والجمل في أحاديثه الشريفة.

الفصل الثامن

الطهارة والنظافة في السنة النبوية

الطهارة هي النظافة وتطهير البدن والثوب والمكان من الأذناس، جمع دنس والقاذورات بل والميكروبات والفيروسات لأنها من أخطر الجرثوميات على الانسان، والطهارة بنواحيها الثلاث مهمة للمسلم، اذ لا صلاة ولا صيام وخاصة للمرأة الحائض والنفساء ولا حجا مبرورا الا بالطهارة المادية، وهناك الطهارة المعنوية وهي طهارة النفس ونقاؤها وصفائها من كل الشوائب، كالحقد والكراهة والنميمة والغلش والفساد ... الخ.

الطهارة ضد النجاسة، فالنجاسة أيضا مادية ومعنوية، فالجسم والثوب والمكان يجب أن يكونوا طاهرين مطهرين من كل دنس ونجاسة مادية حتى تستقيم العبادات، ويتم ذلك بالماء والتراب، وهما الطهوران المباحان، وإذا حضر الماء بطل التيمم وخصوصا اذا كان الغسل والوضوء للصلاة أو اسقاط الحدثين الأكبر والأصغر، الحدث الأكبر هو ما يوجب الغسل كالجنابة والحيض والنفاس، والأصغر هو ما لا يوجب الغسل بل الوضوء أو التيمم اذا لم يوجد الماء كخروج شيء من القبل أو الدبر، كبول أو غائط ومذي أو ودي أو ريح، وكلها تستوجب استخدام الماء للطهارة، وهناك أدلة كثيرة على وجوب الطهارة، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
البقرة 222

وقوله تعالى في تطهير الثوب والنفس:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) وَتَبَارَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

المدثر 5

وقوله تعالى في تطهير المكان من الأوساخ والأصنام:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
البقرة 125

وفي الأحاديث النبوية الشريفة ما يشير الى أهمية الطهارة والنظافة في الاسلام، عن سعد بن المسيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا

أفنيتم ولا تتشبهوا باليهود ضعفه الرواة ولكنه حديث مفيد
وفي رواية أخرى: طهروا أفنيتم، فان اليهود لا تطهر أفنيتمها.
وقال صلى الله عليه وسلم:
الطهور شطر الايمان وقال في السياق نفسه: لا تقبل صلاة بغير طهور. أخرجهما مسلم
وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
غسل الجمعة واجب على كل محتلم. رواه مسلم والبخاري
وفي ضرورة استخدام السواك لنظافة الفم والأسنان واللثة، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم:

السواك مطهرة الفم مرضاة للرب. أخرجہ النسائي وصححه الألباني
وقال أيضا:
لولا أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء. رواه مالك والنسائي وأحمد
وكان النبي الكريم ينتقد كل من لم يهتم بنفسه وشكله، قال في رجل أشعث الشعر أغبره
واشتكى للصحابة

أم كان هذا يجد ما يسكن به شعره؟.
وقال في رجل متسخ الثياب:
أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه؟. صححهما الألباني في السلسلة الصحيحة
وعن عائشة رضي الله عنها قالت:
كان الناس مهنة أنفسهم (أصحاب مهن عملية) وكانوا اذا راحوا الى الجمعة راحوا في
هينتهم (في ملابسهم وأشكالهم بعد العمل) فقل لهم لو اغتسلتم؟. رواه البخاري
وفي نظافة البدن أيضا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم:

إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده الاناء حتى يغسلها ثلاثا، فان أحدكم لا يدري
أين باتت يده. رواه البخاري
وقال أيضا:

إذا استيقظ أحدكم فليستنثر ثلاثا (يستشق الماء وينثره) فان الشيطان يبيت على خيشومه.
اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالنظافة العام، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اتقوا الملاعن (التي تجلب لصاحبها اللعنة من الله والناس) الثلاثة، البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل. رواه احمد

وقال أيضا: اماطة الأذى عن الطريق صدقة. رواه البخاري ومسلم

وقال صلى الله عليه وسلم:

عرضت علي أعمال أمتي حسننها وسيئها فوجدت من محاسنها أعمال الأذى يماط عن

الطريق. رواه مسلم

الملاحظ هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم بالبيئة ونظافتها، كما كان يهتم بنظافة موارد المياه وأن لا تتدنس من براز أو بول، كذلك البراز في الطريق عمل شائن لا يرضى عنه الاسلام ولا المسلمون، أما البراز في الظل فانه يبقى الأرض رطبة لا تجف فتجذب البعوض والحشرات الضارة، وتتكون الفيروسات والبكتيريا الضارة للإنسان، ان دل هذا على شيء فانما يدل على ثقافة النبي الواسعة، **وانه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى اليه**، وأنه صلوات الله وسلامه عليه كان يبني صرحا اسلاميا حضاريا كبيرا كما قلنا في الفصل السابق، صحيح أن الدين الاسلامي دين عبادة وتقوى وقبل كل شيء دين التوحيد الأعظم الا أنه دين ودنيا أيضا، اذ يجب أن يعيش المسلم في بيئة نظيفة صحية من كل الأمراض والأدران، وهذا ما كان النبي الكريم يركز عليه.

هذا بالنسبة للنظافة والطهارة الخارجية فماذا عن الطهارة الداخلية؟ حث النبي الكريم على أن تكون رائحة المسلم- المسلمة طيبة زكية دائما، وهذا يأتي عن طريق التطيب والتعطر، وعن طريق طهارة البدن الداخلية فعلاوة على الاستحمام والوضوء، هناك الاستنجاء بعد الغائط وقضاء الحاجة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه. رواه الدارقطني

لم تكن هذه الأمور عقائديا الا في الاسلام لأهميتها البالغة في حياة الناس، فلا يستنزه من بوله وبرازه ويغتسل بالماء لتتحية النجاسة الا المسلم، ولا يتوضأ خمس مرات في اليوم الا المسلم، لذلك فان من يتبع هذه التعليمات النبوية يسلم من كثير من الأمراض والفيروسات الفتاكة كفيروس كورونا العين الذي مصدره ومصدر كل الفيروسات القاتلة أمريكا والصين والغرب الذي يدعي الاهتمام بالانسان وحقوقه، وهو ينشر هذه الفيروسات في كل دول العالم، فلم تجد فيروسا واحدا قاتلا مصدره بلد مسلم، وسببه الاعتناء بنظافة الجسم والمكان والثوب والنفس.

في هذه الأيام الدول الغربية نظيفة المكان، ولكن الناس لا ينظفون مكان النجاسة ولا

يستعملون الماء، لذلك نجد انتشار الأمراض الفيروسية والميكروبات، كما أن هذه الدول لا تدبج المواشي وخصوصا في الصين والدول الآسيوية غير المسلمة، ويأكلون كل شيء يتحرك على الأرض دون مراعاة للحلال والحرام. لا غرو إذن أن تنتشر الأمراض بينهم وينقلونها بالتالي إلى كل دول وشعوب العالم، ويتناول هؤلاء النجس من الطعام والشراب، كالخمور والمنخقة والنطيحة والمتردية ولحم الخنزير والميتة، إذ يخنقون الطيور والحيوانات حتى تموت قبل طهيها وأكلها، وهذه محرمة في الإسلام، إذ أن الله تعالى هو العليم الخبير، يعلم عواقب الأمور، ونبهنا إلى حرمتها لما فيها من أضرار على صحة الفرد وصحة المجتمع، لذلك حرّمها على المسلمين، كما حرّمها على كل من يؤمن بالله الواحد الأحد حيث لا يقدم على هذه المحرمات لأن في ذلك خيرا له ولأسرته وعائلته وبالتالي لمجتمعه.

ما يستوجب الطهارة في الإسلام الغسل العادي، إذ يغتسل المسلم في كل مناسبة، ويسمى ذلك طهارة البدن من الأوساخ، وما يعلق فيها طيلة اليوم من غبار وروائح كريهة وميكروبات وغيرها، وقد حث النبي الكريم على ذلك بقوله:

حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده. رواه البخاري

ومسلم

وما يصدق على الغسل كل أسبوع، يصدق على التطهر والغسل يوم الجمعة كمنااسبة اسلامية جامعة للمسلمين، لقوله صلى الله عليه وسلم: **غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم.** رواه البخاري ومسلم

هذا بخصوص الواجب، أما بخصوص السنة النبوية، فكان النبي الكريم لا يخرج إلى صلاة الجمعة إلا بعد الغسل، وكان دائما يقول لأصحابه وللمسلمين: **لو أنكم تطهروا ليومكم هذا، لذلك لا يستوجب هذا النوع من الغسل الروتيني تعرض الجسم للنجاسة أو أحداث ما يستوجب الطهارة كالجماع أو الحيض أو النفاس لأن التطهر من هذه الأمور أمر واجب. الطهارة، يجب أن تكون بالماء الطهور، أي أنه طاهر في نفسه مطهر لغيره، كماء المطر والثلج والبرد، والبحر والنهر الجاري والابار النظيفة، كذلك الماء المستعمل للوضوء يجوز استخدامه لغسل أعضاء من البدن، ويبقى ماء طهورا وطاهرا مطهرا لغيره، وللاستدلال على ما ذكر من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في قوله بعد التكبير في كل صلاة وقبل القراءة:**

اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي

بالثلج والماء والبرد. رواه الجماعة إلا الترمذي

وقوله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر :

هو الطهور ماؤه الحل ميتة. رواه الخمسة وقال الترمذي انه حسن

الوضوء نوع من أنواع الطهارة، فهو يمثل نظافة الجسم الظاهر دائماً، وكما يطهر البدن يطهر النفس أيضاً ويغسل الخطايا، لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا توضأ المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء، أو مع آخر قطر ماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب. رواية أبي هريرة

فالصلاة دون وضوء باطلة، الا اذا كان هناك مانع استوجب التيمم، وفي حالة الوضوء والتيمم قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

المائدة 6

الطهارة من الحدث الأكبر واجبة على كل مسلم باشر زوجته وهي كذلك عليها الغسل، كذلك اذا أمنى الرجل وجب عليه الغسل باحتلام أم غير احتلام، كذلك المرأة اذا شعرت بنزول سائل اللذة فعليها الغسل، أما اذا ساورها الشك بعدم الانزال فلا يجب عليها الغسل، كما يجب عليه الغسل اذا باشرها زوجها دون القذف فعلى الطرفين الغسل. كذلك في حال انقطاع الحيض والنفاس وجب الغسل.

فالغسل هنا يجب أن يكون بالماء الطهور الطاهر الا اذا كان هناك عذر للتيمم لأداء الصلاة ثم الاغتسال بعد زوال المانع، وتراعى في الغسل سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والبداية بغسل اليدين وغسل الفرج باليد اليسرى، ثم الوضوء للصلاة، ثم غسل الشعر من أصوله كي تذهب الجنبات كلها، ثم يعم الجسم كله بالماء بدءاً من الجانب الأيمن ثم الأيسر كما كان يفعل النبي الكريم، ثم غسل الرجلين ويكون بذلك قد غسل جسمه من الجنبات وغسلت المرأة نفسها من الجنبات واثار الحيض والنفاس، ورأى بعض العلماء أن هذا يسمى الغسل الكامل، أما الغسل المجزئ فيكتفي المسلم الاتيان بالواجبات دون السنن، على أن يعم الجسم كله بالماء، حتى لو نزل في بركة ماء

ونوى الطهارة يكون بذلك طاهرا وتحلل من الجنابة، وإذا نوى الوضوء مع الطهارة تصح له الصلاة. أما الطهارة من الحدث الأصغر، وهو خروج المذي من الرجل والمرأة أثناء المداعبة، أو التفكير في الجنس، وهو سائل نجس يحتاج نظافة الأعضاء التناسلية والثوب بالماء دون الغسل، كذلك الودي الذي يخرج ماءا ثخيناً بعد البول، فهو نجس أيضاً، ويستلزم غسل المحاشم والوضوء للصلاة، ودليل ذلك ما جاء على لسان سهيل بن حنيف رضي الله عنه قال: كنت ألقى من المذي شدة وعناء، وكنت أغتسل فذكرت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **انما يجزيك من ذلك الوضوء**، فقلت: يا رسول الله يصيب ثوبي منه قال: **يكفيك أن تأخذ كفا من ماء فتتضح به ثوبك حيث أنه قد أصاب منه**. رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي

طهارة الثوب والبدن مهمة جدا في العقيدة الاسلامية، يجب أن يكون المسلم خاليا من كل دنس أو أوساخ أو غير ذلك، وكان ذلك أمرا من الله تعالى لنبيه الكريم، والأمر للنبي يكون ملزما للمسلمين الا في الأحوال القليلة التي تخص النبي وحده، قال تعالى مخاطبا النبي:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

المدثر 5

ما يؤمر به النبي من رب العباد يأخذ به المسلم ويعمل به كما قلنا، فطهارة الثوب والبدن واجبان على كل مسلم ومسلمة، فالطهارة تكون بغسل الجزء الذي أصابته نجاسة بحفنة من الماء على الأقل، أما غسل البدن من الحدث الأكبر أو اثار الحيض والنفاس فالغسل واجب كما أكدنا على ذلك، جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: احدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف تصنع به؟ قال: **تحته (تلكه بأطراف الأصابع) ثم تفرضه بالماء ثم تنضحه (تغسله جيدا) ثم تصلي فيه**. متفق عليه

أما تطهير الأرض، فإذا أصابها نجس يكتفى بصب الماء على الجزء المصاب، أما اذا كانت النجاسة عينية فلا يزال الدنس الا اذا أزيلت العينة، ثم شطف المكان بالماء، أما الأرض فهي طاهرة اذا كانت جافة لأن الهواء وأشعة الشمس يطهران المكان، لذلك أمر الرسول الكريم الناس بعدم التبول أو التبرز في الظل لأن الظل يمنع اشعة الشمس والهواء النقي من تطهير المكان، فالتراب النظيف الطاهر يظهر الثوب والائناء اذا لا يوجد الماء، قال صلى الله عليه وسلم:

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة. متفق عليه

وهناك أحاديث كثيرة تشير الى طهور الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت. رواه مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم:

فضلنا على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجدا
وتريتها طهورا اذا لم نجد الماء. رواه مسلم

الأرض طاهرة ومطهرة كالماء تماما في حالتها الصلاة والتيمم، الا اذا أصابها نجس فتغسل
بالماء، أو يزال سبب النجاسة ثم ينضح مكانه الماء، واذا جفت الأرض أصبحت طاهرة للتيمم (اذا
لم يوجد الماء) والصلاة فوقها، ودليل ذلك، أن النبي الكريم أمر أصحابه بتقصد نعالهم قبل دخول
المسجد، فاذا وجد أحدهم أثر نجاسة أسقل نعله غسله بالتراب، لقوله صلى الله عليه وسلم:

اذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فان التراب له طهور. رواه أبو داود

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
اذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالأرض ثم
ليصل فيهما. رواه أحمد وأبو داود

الماء كما قلنا طهور، أي طاهر في نفسه مطهر لغيره، والطهور صيغة مبالغة من طاهر
لكونه ماء شرب وهو كذلك الماء الطيب الذي يشرب منه الانسان والحيوان والنبات، بل والتربة أيضا
من أجل انبات العشب والأشجار وكل شئ حي في الأرض، ويغسل الناس به أبدانهم ويتوضؤون
ويطهون الطعام به ويستخدمونه لأغراض كثيرة أيضا، اذ لا لون له ولا طعم ولا رائحة، لقوله تعالى:
﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48)
لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّثْنَا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الفرقان 50

أما الماء الذي اختلط به شئ طاهر كالألوان والمواد الكيماوية فغير لونه وطعمه ورائحته،
فانه يستخدم لغسل الملابس وسقي المزروعات، ولا يستخدم للشرب أو الوضوء أو التطهر من
النجاسة والحدث أو اثار الحيض والنفاس، وقد صنفه العلماء بأنه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره،
بخلاف المالكية الذين رأوا أنه طاهر ومطهر اذا لم تصبه النجاسة.

الماء المتنجس هو الذي أصابته النجاسة وغيّرت من لونه وطعمه ورائحته، فلا يجوز
استخدامه مطلقا الا للمزروعات، اذا لا يؤثر عليه سلبا كاجتذاب الحشرات أو الميكروبات أو نحو
ذلك، أما اذا أصابت الماء نجاسة لم تغيّر من صفاته كوجود حيوان ميت مثلا، فانه يجوز التطهر

به بعد ازالة السبب، شريطة ان يكون مكان الماء كبيرا بحجم قلتين أي ذراع وربيع طولا وذراع وربيع عرضا وذراع وربيع عمقا وأكثر، أما اذا كانت المساحة أقل من ذلك فيعتبر الماء نجسا لا يجوز التطهر به لأنه يغير من صفاته كالرائحة الكريهة أو اللون أو كليهما، فلا يصح استخدام الماء لأي شيء سوى سقي المزروعات، أما الماء المتبقي في الاناء بعد الشرب فهو طاهر ولو كان الشارب رجلا أو امرأة حتى لو كانت حائضا، والماء الذي يشرب منه الحيوان الذي يؤكل والسباع وغيرها فانه ماء صالح للشرب لا يجعلها مدعاة للنجاسة، لجوابه صلى الله عليه وسلم عن السؤال، أنتوضأ بما أفضلت الحمر؟ قال:

نعم وبما أفضلت السباع كلها. أخرجه الشافعي والدارقطني والبيهقي

أما سؤر الكلب والخنزير، أي ماتبقى بعد شربهما فهو نجس لا يشرب بعده ولا يستخدم للطهارة، وإذا شربا من اناء يجب تطهيره سبع مرات بالماء أو التراب أو كليهما معا، ومن الطبيعي أن يسيع الاناء بالماء في النهاية لاستخدامه

الاسلام دين النظافة، النظافة في كل شيء ومن كل شيء نجس، حتى أماكن مبيت الحيوان يجب أن تكون نظيفة لعدم اجتذاب الحشرات والفيروسات والبكتيريا الضارة والقوارض ونحو ذلك، ولم يسبق لدين أو عقيدة أن اهتمت بالنظافة العامة وداخل البيت وخارجه قبل الاسلام، فالمجتمع المسلم مجتمع حساس جدا للنظافة وعدم وجود النجاسة في أي ركن من أركان المنزل أو على الثياب أو في الشارع أو الحي، ومن المستغرب جدا أن نجد بعض المجتمعات الاسلامية لا تهتم بالنظافة التي هي جزء من عقيدتها؟ وهذا الحرص على النظافة والبعد عن النجاسة وتطهير أماكنها يبعد المجتمعات عن أمور مضرّة كثيرا، ويقيها شرور الأمراض المتوطنة والمعدية، لذلك نجد أن أغلب المجتمعات الاسلامية والدول الاسلامية التي تهتم بالنظافة لا توجد فيها هذه الأمراض، وهي ليس منبعها ومصدرا لها، بل نجد أن الأمراض الفتاكة تأتي من الدول التي لا تهتم بالنظافة ولو كانت متقدمة، كما فيروس كورونا الفتاك وكل الفيروسات المعدية مصدرها الدول غير المسلمة وإذا وجدت بلدا مسلما فيه نسبة عالية من المصابين بالفيروس فابحث عن الفقر الذي يسبب الأمراض وتراكم الأوساخ في أزقته وحوايره، لذلك يجب الاهتمام بالدول الفقيرة مسلمة أم غير مسلمة لأن العالم تجمعها الانسانية التي يجب أن تحترم.

الاسلام اهتم بنظافة البدن وطهارته منذ الصباح، ومنذ نهوض المسلم من نومه، اذ يتطهر صباحا ثم يتوضأ بعد الاستنزاء من البول أو الحاجة وطهارة الأعضاء الداخلية، ثم غسل اليدين قبل تناول طعام الافطار وبسملة والحمد لله على النعمة بعد تناول الطعام، عن أبي هريرة قال نبينا

الكريم:

إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يدخل يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يرى أين باتت يده.

هذا دليل على كراهة تناول الطعام قبل غسل اليدين جيداً، لأن في الغسل يذهب شك النجاسة باليقين بعد الغسيل والتطهر، والحديث الشريف يدلنا على غسل الأيدي دائماً وخصوصاً بعد النوم نهاراً أو ليلاً، ودليل أيضاً على أن الاسلام ممثلاً بنبيه صلى الله عليه وسلم يولي النظافة أهمية بالغة في حياة المسلم والمجتمع الاسلامي، ويستمر المسلم على هذا الأمر طوال اليوم من وضوء الى وضوء فيبقى دائماً طاهراً نظيفاً حتى صلاة العشاء، وبعد الصلاة وقبل النوم يتوضأ المسلم وضوءه للصلاة ثم ينام على جانبه الأيمن أسوة بالنبي الكريم، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا أتيت الى مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي اليك، ووجهت وجهي اليك، وفوضت أمري اليك، وألجأت ظهري اليك، رغبة ورهبة اليك، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك، اللهم امنك بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت، فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن اخر ما تتكلم به. متفق عليه

من هذا الحديث النبوي الشريف يتضح لنا أن المسلم يكون طاهراً نظيفاً عفيفاً طيلة اليوم من صحوه الى منامه، فلا ينام الا طاهراً ومؤمناً بالله وبنبيه وبالكتاب الذي أنزل عليه، وهو بذلك يكون طاهر البدن والثوب والقلب وهذه غاية الاسلام ومقصده من الطهارة، ويجب أن ننبه أن المسلم يجب أن يتطهر من الجنابة قبل الفجر، ولكن اذا أتى زوجته وأراد النوم فعليه أن يغسل فرجه ويتوضأ قلب النوم، ثم يغتسل قبل طلوع الفجر للصلاة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ. رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة. رواه الجماعة

هذه الأحاديث وغيرها كثير تدل دلالة قاطعة على اهتمام الاسلام بالنظافة والطهارة، فهذه الأمور جزء مهم من أجزاء البناء العظيم الذي حرص النبي الكريم على بنائه ولبنات مهمة من لبنات أسس الاسلام العظيم وهذا ما يسمى بالبنية التحتية للبلاد المتحضرة، وواجهة أمامية للاسلام الحضاري الذي استمر على مدى بناء الدولة الاسلامية عبر العصور والدهور، وكان الغرب

المتخلف أنذاك يأخذ من هذه الدولة نظامها ومظاهر تقدمها الحضاري والانساني، ونحن نواقون لنرى هذه الحضارة المبنية على أسس التقوى والخير لتعود من جديد. اللهم اجعلنا ممن تدركهم الرحمة ثم المغفرة ثم العتق من النار، اللهم تقبل من صلاتنا وصيامنا وقيامنا وارض عنا يا أرحم الراحمين.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثامن

1- الطهارة واجبة على كل مسلم ومسلمة، والطهارة تكون للجسد والثياب والمكان، وبعض العلماء أضاف الطعام والشراب يجب أن يكونا طاهرين أيضا، فلا يأكل المسلم الا الطعام الطاهر غير النجس كلحم الخنزير والدم والميتة، ولا يشرب الخمر ولا ما اختلط فيه المسكر.

2- الله تعالى يحب الطهارة ويحب المتطهرين وذكر ذلك في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ التوبة 198

3- الطهارة نصف الايمان وشطره كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم
4- لا بد من استعمال الماء لطهارة البدن أو الثوب أو المكان، وإذا لم يتوفر فاستخدام التراب للطهار جائز وخصوصا التيمم للصلاة وفق الشروط المطلوبة
5- الطهارة المعنوية لا تقل عن الطهارة المادية كطهارة النفس ونقائها، وطهارة الايمان وصفائه، وطهارة اليد والقدم واللسان، وكل من هذه الأمور تظهر من خلال سلوك المسلم وممارسته العبادات بالشكل الصحيح

6- الطهارة واجبة قبل الصلاة وقبل الطواف حول البيت، وقبل مس المصحف وقراءته، وقبل النوم أيضا اذا لم يكن هناك مانع

7- الوضوء جزء من طهارة النفس والبدن لقوله صلى الله عليه وسلم:
لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول. رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
8- الغسل للطهارة من الحدث الأكبر أي وطئ المرأة أو اخراج المنى حتى دون جماع واجب، كذلك الطهارة من اثار الحيض والنفاس.

9- الخبث مثل المذي والمدي والبول لا يستوجب الغسل، بل الطهار البدنية بغسل المحاشم غسلا جيدا حتى تذهب الرائحة.

- 10- هناك شروط للطهارة تتناغم وشروط الصلاة والحج، كذلك تتناغم وشروط الاسلام، اذ يجب التطهر من الحدث الأكبر والخبث بعد البلوغ، كذلك يجب استخدام الماء أو التيمم كما ذكرنا.
- 11- الطهارة حماية للمسلم من الأمراض السارية والمعدية، كما أنها حماية للمجتمع علاوة على أنها دليل الايمان بالله تعالى وبمحمد نبيا وبالاسلام ديننا.
- 12- تبدأ الطهارة مع المسلم منذ نهوضه من نومه الى ذهابه الى نومه، اذ يبدأ يومه بالوضوء وينتهي به المطاف بالوضوء قبل النوم.
- 13- يجب أن يكون الماء المستخدم للغسل والوضوء وغسل الملابس طهورا، أي طاهرا في ظاهره وباطنه لم يختلف لونه ولا طعمه ولا رائحته ومطهرا لغيره، ويجب أن نؤكد هنا على أن طهارة ونظافة البيت وساحاته من الأوساخ والقاذورات أمر واجب، كذلك نظافة الشارع والحي واماطة الأذى عنهما، لأن النظافة عنوان البلد النظيف والمتحضر والشعب المتحضر أيضا، فيجب عدم القاء الأوساخ والقاذورات في الشوارع والأحياء السكنية والقائها من البيوت او من السيارات الى الشوارع لأن ذلك يسئ لسمعة البلاد وسمعة المسلمين وليس الاسلام فقط كدين، لأن الاسلام يدعوك الى الطهارة والتطهر والنظافة التي هي جزء من الايمان.

الفصل التاسع

الزواج في السنة النبوية

الزواج نصف الدين، والزواج من سنن الله العليا أرادته لخلقه كي يعمر الكون، اذ بدون الزواج لا حياة للبشر ولا للحيوان ولا للنبات ولا للطيور ولا حياة لكل شيء يتناسل خلقه الله تعالى، فالإنسان خلق لعبادة رب العالمين كما يعبد كل مخلوق في السماوات والأرض بل والأرضين اذا وجدت كل بطريقته، ولكن الانسان مميز بالعقل والتكليف، أي أنه مكلف من الله تعالى كي يخلفه في الأرض يدعو لعبادته تعالى لقوله وهو جل من قائل: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات 58

أي خلقت الجن والانس لعبادتي لا لاحتياجي اليهم، فأنا الخالق وأنتم المخلوقون، أما الانسان على وجه الخصوص يعبد الله بالفرائض المفروضة عليه، اضافة الى كل عمل ينفع الناس فهو عبادة، كذلك العمل من أجل كسب الرزق عبادة ومعاملة الناس معاملة جيدة عبادة... الخ

الزواج سنة من سنن الله تعالى كما قلنا، وهو سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاءه قوم قال منهم: أنا أصلي الليل أبدا، وقال اخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال ثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فرد عليهم النبي الكريم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله أني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. رواه الألباني

الزواج فيه استقرار كل من الرجل والمرأة، وكل منهما سكن للآخر وقرة عينه يلجأ اليه في كل الأوقات يسرها وعسرهما، سهولتها وقساوتها، لقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۖ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاءًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ النحل 80

أي أن الاستقرار والسكنى لا يكونان الا بالحياة الزوجية والمودة الحقيقية بين الزوجين، والزواج أيضا الحصن الحصين للمسلم والمسلمة، وهو الذي يعصمهما من الفتنة والوقوع في المحذور والحرام، لقوله صلى الله عليه وسلم:

يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (قطع الشهوة). عن عبد الله بن مسعود

هذه سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لها تبديلاً أو تحويلاً، فالإنسان لا يمكن له أن يغير من سنن الله تعالى ولا أن يبدلها، فمن سننه ومعجزاته ظاهرة النمو عند الإنسان والنبات والحيوان، فالنمو له مطالب في كل مرحلة، ومن مظاهر النمو الجسمي البلوغ عند كل من الفتى والفتاة، وهو جزء من النمو الشامل لدى الفرد، فهناك النمو الاجتماعي والعقلي والنفسي أيضاً، فإذا كنا نستطيع اشباع النمو الجسمي والعقلي والنفسي بالعلم والنشاط الرياضي والثقافي، فإن اشباع نمو البلوغ بالزواج والبعد عن كل ما يضر الفرد والمجتمع، أقصد الزواج يحد من اللجوء الى المفسدات والمحرمات والممارسات الخاطئة، ففي الزواج ابعاد للفتى والفتاة عن كل هذه الأمور التي لا تضره فحسب بل تضر المجتمع المسلم وتفسده بأسره، كما أن في الزواج كما قلنا السكن والطمأنينة لكل منهما، علاوة على تنمية روح المودة والرحمة المطلوبة لبناء مجتمع صالح معافى من كل الأدران والأمراض الجسمية والعقلية والنفسية لقوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
 الروم 21

وإذا كان الزواج مطلباً إسلامياً فإنه مطلب إنساني أيضاً، يعبر فيه الفرد من ذكر وأنثى عن مكونات نفسه وعن حبه وانجذابه للطرف الآخر لأنها مرة أخرى من سنن الله تعالى، وفي الزواج يشبع كل منهما غريزته الجنسية، ومن الشباب والشابات من يريد الاستقرار النفسي والعاطفي والجنسي، لا بل والاستقرار العائلي وتكوين أسرة سعيدة وانجاب الأطفال السعداء يعيشون ضمن هذه الأسرة السعيدة بأمان واطمئنان، ولا يتأتى ذلك الا بازواج والزواج الشرعي فقط، لا زواج مسيار ولا متعة ولا بوي فرند ولا غير ذلك، اذ لا شئ من هذه الزواجات تحقق الأهداف المنشودة التي تحدثنا عنها مهما كانت مبررات مروجي مثل هذه الزيجات، لأن نتائجها معروفة ومجربة وسارية مفسدها بين المجتمعات، وهي زيجات متعة ليس الا باسم الزواج الشرعي مكتمل الشروط، لذلك لا بد من توافر شروط للزواج الصحيح في الاسلام، وهي ضوابط تحكم العلاقة بين الذكر والأنثى، وتحقيق ما شرعه الله تعالى من الزواج.

أولى هذه الشروط، أن يسبق الزواج التعارف بين الفتى والفتاة، والتعارف يتم عن طريق الأهل أو عن طريقهما أنفسهما اذا كانا ناضجين متقهمين لأصول الزواج، واقامة علاقة سليمة حتى يبنى الزواج على أسس متينة راسخة، فاذا لم يتم التعارف والتفاهم بين الاثنتين لا تبنى الحياة الزوجية على اسس قوية، وقد يكون التعارف بعد الخطبة كي تكون الأمور أيسر وأسهل، يقول النبي الكريم:

إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه نكاحها فليفعل. رواه أبو

داود وأحمد

وحيثما نقول بضرورة التعارف، نعني التعارف الشريف العفيف الذي لا تشوبه شائبة وفي الغالب تأتي من الفتى، إذ لا نريد منه أن يتخذ من التعارف وسيلة للعب بعواطف الفتاة والتسلية بها، وفي الأخير يقدم لها الأعذار الواهية وبذلك يكون قد أساء لها ولنفسيتها ولعائلتها، لذلك لا بد من وجود ضوابط للتعارف، منها أن يكون تحت نظر وسمع وبصر الأهل، ولا يتحجج الفتى أو الفتاة بأنهما ناضجان بما فيه الكفاية لتركهما يقرران مصيرهما، نعم اعطاء كل منهما حرية التعبير والثقة بالنفس مطلب مهم ولكن الحيلة والحذر أيضا وإجبان، وإذا ما تفاهم الطرفان على الأمور التي تهمهما يأتي دور الخطبة، أي الارتباط بالطلب والقبول يطلب الفتى يد الفتاة من أبيها أو أخيها أو وكيلها، ويلتمس الفتى شبكة مناسبة ولو بأقل الأشياء، ولكننا لا نعني التعميم هنا، فقد يقدم لها شبكة غالية أو متوسطة الثمن أو ما يتفق عليه الطرفان، لقول النبي الكريم للرجل الذي أراد منه أن يزوجه المرأة التي وهبت نفسها للنبي، فسأله هل عنده ما يقدم لها للصداق؟ فقال الرجل: لا، فقال له النبي الكريم: **التمس ولو خاتما من حديد.** رواه مسلم والبخاري

وهو تعبير عن الحب والنية الصادقة للزواج، وقد يقدم الرجل أو الفتى شبكة غالية الثمن ولكن الأهداف لا تكون نبيلة، وكل ما نتحدث عنه هو النيات الصادقة في الزواج العفيف الشريف الصادق، وغير ذلك يعتبر كذبا وتحايلا وتدليسا، وهذا ما لا نقصده بالخطبة الشرعية والزواج الشرعي. بعد الخطبة يأتي ما يسمى كتب الكتاب أو كتابة العقد، في هذه الحالة يجب توضيح الأمور كلها في العقد، ويجب أن يكون الكاتب والشهود متيقظين تماما لكل ما يقال من حيث: - أهلية الخطيبين للزواج من حيث النضج الجسمي والعقلي والنفسي (العمر الزمني في هذه الأيام مهم)

- موافقة الفتى والفتاة على الزواج كل منهما بالآخر، خصوصا رأي الفتاة فهو أمر مهم للغاية لقوله صلى الله عليه وسلم: **لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف أذنهن؟ قال: أن تسكت.** متفق عليه

ولكن لا بد من موافقة الأب والأم أو ولي الأمر، وقد يقول قائل: ما علاقة ولي الأمر بالزواج بين اثنين إذا اتفق العريسان على الزواج؟ وقد يخرب ولي الأمر العلاقة بين العريسين إذا لم يوفق على الزواج بالرغم من اتفاق العريسين؟ نقول: ان نظرة الأب والأم فيها الصواب في أغلب الأحيان، فهما لا يريدان لابنتهما ولابنهما الا الخير، فقد يكتشف أحدهما أو كلاهما أمرا في العريس

أو عائلته لا تتركه الفتاة لسذاجتها أو لقلّة خبرتها في الحياة أو غير ذلك، وقد لا يعرف العريس خفايا أسرة عروسه أو أشياء أخرى. لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فان دخل بها فلها المهر ما استحل من فرجها، فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له. رواه الترمذي وحسنه ابن حبان والألباني

أما الأيم فإنها تزوج نفسها بدون وليها إذا أرادت، لقوله صلى الله عليه وسلم:

- **الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن واذنها صماتها.** رواه مسلم عن ابن عباس
- ضرورة معرفة أسماء الخطيبين كما هو متفق عليه وكما هو في بطاقات الخطيبين الرسمية، لأنه ربما لا يدري الخطيب أيهما من بنات الرجل سيتزوج وخصوصا إذا كان لديه أكثر من ابنة، لذلك لا بد من تحديد اسم العريس واسم العروسة كاملين
- تحديد المهر المقدم والمؤخر بكل دقة ومتى يتم دفع كل منهما
- تحديد الشروط التي يضعها كل من الفتى والفتاة، كي يعمل بها من حيث البيت والفرش وأدوات المطبخ وكل مل يلزم للحياة الزوجية
- تحديد مكان الإقامة للزوجين، فقد لا تريد الفتاة مغادرة بلادها والبقاء بقرب أهلها، أو أن أهلها لا يريدون لها الابتعاد عنهم، لذلك لا بد من تحديد كل هذه الأمور كي لا تحدث الخلافات مستقبلا، كذلك قد تكون الحياة ضمن أسرة الفتى تحدث المشاكل بين الحماة والكنة، وهنا تكون الطامة الكبرى التي قد لا يرضيها الطرفان وتحصل المشاكل
- يجب معرفة عمل الفتى أو الرجل ودخله الشهري بكل أمانة وصدق، لأن الحياة الزوجية لا تبنى على الغش والخداع
- يجب التفاهم على عمل الفتاة ودخلها ومرتبها وكيفية انفاقه قبل الزواج، لأن جل المشاكل تحصل من هكذا أمور ثم لا بد من الشهود على الزواج أقلهما اثنان لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل. رواه ابن حبان في صحيحه

ثم الاشهار أي اعلان الزواج على الملأ كي يعرف الناس أن فلانا تزوج من فلانة، وهو حل لها وهي حل له، وبالتالي يكون الناس شهودا على الزواج، وتدعم شهادتهم عقد الزواج والشهود لقوله صلى الله عليه وسلم:

أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه الدفوف. رواه ابن حجر العسقلاني

في تخريج مشكاة المصابيح

ومن شروط عقد الزواج أيضا عدم وجود مانع لعقد القران، كالرضاع والمرض وعدم الاسلام وعدم البلوغ الرجل المسلم يبحث عادة عن المرأة الصالحة، كذلك المرأة الصالحة لا تريد الا الرجل الصالح، ولقد أوضح رب العباد ولخص كل المطالب العادلة لكل من الزوج والزوجة بقوله:

﴿الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على

المؤمنين﴾ النور 3

وقوله تعالى:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ النور 26

وان كانت هذه الآية الكريمة نزلت في تبرئة السدة عائشة رضي الله عنها من قصة الافك التي ابتدعها عبد الله بن سلول، الا أنها تنطبق على جميع المسلمين الطيبين، الذين لا حظ لهم الا الزوجات الطيبات الصالحات، نحن هنا نتساءل عن الذين خاضوا بالافك العظيم بحسن نية أم بسوءها، كيف للنبي الكريم المعصوم أن يقترن بغير الصالحات المؤمنات العابدات القانتات؟ كيف وهو النبي الطيب ألا يتزوج الا الطيبات؟ من افترى على النبي وزوجاته أو احداهن انما هو غبي لا يفكر ولا يستوعب معنى النبوة والعصمة لذلك نزلت هذه الآية الكريمة وما قبلها التي تلعن الذين مشوا في طريق الافك والضلال وقذف المحصنات الغافلات، ومن هن؟ انهن نساء النبي وشرفه وعرضه، ومنهن على وجه الخصوص السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه. قال تعالى في هؤلاء الموتورين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ النور 25

وما زال بعض من يدعون الاسلام يطعنون في المؤمنات الصالحات عبر وسائل اعلامهم البغيض، لا نقول فيهم الا حسبنا الله ونعم الوكيل، هو المولى وهو نعم النصير، ويكفيهم ما قال الله فيهم في الايات السابقات وعودة الى الزواج الاسلامي الصالح، يبحث المسلم عن المرأة الصالحة المؤمنة العابدة، لقوله صلى الله عليه وسلم:

الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة. رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص
كذلك المرأة الصالحة هي التي تحافظ على ماله وترعى حق زوجها في حضوره وغيبه،

لقوله صلى الله عليه وسلم: ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته، وان نظر اليها أسرته، وان أقسم عليها أبرته، وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله. رواه النسائي وأحمد وأبو داود

وذاات الخلق والدين تعدل كل نساء الأرض، لأن فيها البركة والغنى اللامحدود وهو رضى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم: تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها وجمالها ولدينها، فافطر بذات الدين تربت يداك. رواه البخاري

كذلك المرأة اذا وجدت في الرجل التقى ومخافة الله تعالى، فلا تتردد في القبول لقوله صلى الله عليه وسلم:

اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنه في الأرض وفساد عريض.

رواه الترمذي

والمرأة الصالحة هي التي تنبت في المنبت الصالح والبيئة الصالحة والاسرة الصالحة، لأن للأبوين والأسرة عموما أكبر الأثر في التربية والتبشئة الاجتماعية والدينية، وقد تكون الفتاة صالحة تنبت في أسرة غير ذلك والعكس صحيح، وهذا ما نلاحظه أحيانا بين الناس، أو قد ينبت الشاب صالحا وسط أسرة مفككة ومستتهرة أو يكون الابن عاقا ومستتهرا بالرغم من تقوى والديه، هذه المظاهر ليست ظواهر اجتماعية قد تحدث في حالات لها ظروف معينة تدرس وفق المتغيرات التي أدت الى هذا السلوك أو ذاك، ولكن بشكل عام فان للأسرة والبيئة والمسجد والمدرسة وأصدقاء اللعب والجمعيات الاجتماعية والنوادي الرياضية وأجهزة الاعلام والتواصل الاجتماعي عبر الانترنت وغيرها الأثر الكبير في تنشئة الجيل ذكرا كان أم أنثى، من هنا يجب أخذ البيئة بأشكالها في الاعتبار حين التوجه الى الزواج المقصود منه الاستقرار وتكوين اسرة ناجحة موفقة وسعيدة، يقول النبي الكريم:

اياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في

المنبت السوء رواه الدارقطني

الزواج واجب ديني وانساني لمن استطاع ذلك ماديا، أي من يستطيع فتح بيت للانفاق على نفسه وزوجته فمن الناس من يقدم على الزواج (دونما خميرة) كما يقول المثل الشعبي، فهذا الذي يقدم على الزواج دون امكانات تؤهله للزواج فانه بذلك يظلم المرأة التي ستعيش معه، وبالتالي لا يكون اسرة سعيدة، كذلك الذي لا يمتلك مؤهلات زوجية جنسية، أي لا يستطيع معاشرته فانه يظلمها أيضا، أو رجل لا ينبغي لسبب أم لآخر ففي هذه الحالة يجب أن يبلغ الفتاة أو المرأة

ويصارحها بذلك، لأن هناك من النساء من لا ينجبن أيضا أو لا يردن أطفالا لسبب أم لأخر، أو كن متزوجات ولهن أطفال ولا يردن أطفالا بعد ذلك فتقبل به زوجا على هذه الأسس الواضحة، وهكذا يجب أن تكون العلاقات مبنية على المصارخة والصدق قبل الزواج اتقاء للمشاكل في المستقبل.

الزواج واجب ومستحب أيضا لمن لا يستطيع الصبر، أو يخاف الوقوع في المعصية، ومن الشباب من يريد الحفاظ على دينه بالزواج، لأن الزواج نصف الدين أو شطر الدين، فان استطاع فعليه بالزواج لأنه يعصم الشاب والفتاة من الوقوع في المعصية، كما أن الزواج من أسباب العفة وغيض البصر والاستقامة ومن أسباب اصلاح المجتمع وصلاحه وكثرة النسل بين المسلمين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة. رواه ابن حبان القادر

على الزواج من كل النواحي التي ذكرناها عليه بالاقدام عليه لأنه في هذه الحالة فريضة، ولاتجوز الرهبانية في الاسلام، فالزواج نعمة من الله تعالى أنعمها على العباد ذكورا واناثا، لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

﴿ المائدة 87

الزواج من المحارم محرم شرعا، فلا يجوز الزواج ممن ذكرهن الله تعالى، كذلك الزواج المبني على الغش والخداع هو محرم، وذكرنا أن الذي لا يستطيع الزواج فعليه الصبر حتى يستطيع ويتمكن من الزواج، كذلك الفتاة أو المرأة اذا كانت تعاني من مرض أو مانع للزواج يحول بينها وبين الانجاب أو الجماع أو الحمل فلا تغش الشاب أو الرجل المقدم على الزواج، ومن يجد عيبا في الزوجة بعد الزواج لم تبج به فعليه ردها وارجاعها الى أهلها، ويطلب ما أنفق عليها من صداق الا أن يتصدق به أو ببعضه لها، من العلماء من أجاز له كل الصداق اذا دخل بها وبعضهم أجاز له نصف الصداق، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تزوج امرأة من بني بياضة فوجد بكشحا برصا فردها وقال: **دلسم علي**، أي خدعتموني بها، لذلك وجب رؤية الفتاة قبل الزواج من قبل الأم أو الأخت أو فريضة الرجل والتأكد من خلوها من الأمراض، كما التأكد من عمرها ونموها أكان طبيعيا أم لا والقدرة والرائحة.. الخ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الزواج من احدها أرسل قريبة له وكان يقول: **شمي فمها، شمي ابطيها، انظري الى عرقوبها.**

وجاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين وفي المستدرک للحاكم بهذا المعنى، دلالة على ضرورة

معرفة حال العروس قبل خطبتها.

هذه الأمور مهمة للغاية كي يستقيم الزواج ويبقى ويستمر فيما بعد، ولكي تتحقق العدالة بين الزوجين كذلك هناك حقوق للمرأة بعد الزواج، فإذا اكتشفت غشا وخداعا من الزوج فعليها اللجوء الى القاضي لانصافها وعدم السكوت عن ذلك خشية من السنة المجتمع أو كلام الناس الجارح، فالحق يعلو ولا يعلى عليه، ومن الزواج المكروه الزواج من أجل المتعة فقط، لأن الأصل في الزواج الاستمرارية وانجاب الأطفال وتعمير الأرض وتكوين أسرة سعيدة، كما أن الزواج من أجل الحصول على المال أكان من الزوج أو من الزوجة فهو زواج مصلحة مكروه يقول النبي الكريم:

من تزوج امرأة لماله لم يزد الله الا فقرا، ومن تزوج امرأة لحسنها لم يزد الا دناءة، ومن تزوج امرأة ليغض بها بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه.
رواه ابن حبان

روي هذا الحديث بأسانيد مختلفة وضعفه العلماء على كل أوجهه، ولكن يمكن الاستفادة منه بمعنى الزواج يجب أن يبنى على أسس لا مصلحة انية فيه، ولا يكون مبنيا على المنفعة الخالصة، إذ أن الزواج رباط مقدس لدى الزوجين يجب المحافظة عليه لا التفریط فيه. والأب يجب أن يحترس حينما يزوج ابنته من القادم للخطبة، فيجب أن يتعرف عليه جيدا وعلى أخلاقه وسيرته، عملا بالمثل الشعبي القائل (ابحث لابنتك قبل أن تبحث لابنك) وهذا مثل صحيح، إذ يجب أن تنزل الفتاة الى بيت خير وتقوى وصلاح، لا الى بيت بعيد عن الدين والتقوى، لأنها ستكون الخاسرة وليست الوحيدة بل أسرتها كذلك، وقد يتحمل الأب مسؤوليتها مجددا إذا كان الزوج لا يصلح للزواج وزوجها أبوها اليه، كما قد يتحمل مسؤولية أبنائها إذا جاءت حزينه أو مطرودة من بيتها أو مطلقة، وقد يتحمل أخوها المسؤولية أو أمها أو أختها، والسبب أن الزواج لم يكن متكافئا، لا بل كان الزوج غير أهل للزواج من الفتاة وخصوصا إذا كانت صالحة المنبت يقول النبي الكريم في ذلك:

من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها. رواه ابن حبان في الضعفاء

الفاسق هو الخارج عن طاعة الله، والتارك لأوامره والفاعل كل أو جزء مما نهانا عنه رب العالمين ورسوله الأمين، كيف يمكن التعامل مع مثل هذا الشخص؟ هو خارج عن السيطرة وخارج عن النصيحة، إذ لا تنفع معه النصائح، فإذا كان متمردا على كلام رب العباد كيف له أن يستمع لنصائح العباد؟ لذلك تنبأ النبي الكريم بأن من يزوج ابنته لفاسق فإنه يحرم منها ومن رؤيتها، لأن الفاسق سحرهمها من أهلها ويحرم أهلها منها، فتكون النتيجة في النهاية تعاسة الفتاة وتعاسة أهلها أو الطلاق والفراق في أقسى الظروف.

قلنا ان الزواج الشرعي لا بد أن تتوفر فيه شروط الزواج الشرعي ومنها وجود شهود وولي أمر، الا اذا كانت المرأة مطلقة أو أرملة فلها أن تتدبر أمر نفسها في الزواج، ولكن قد يلجأ بعض الشباب أو الرجال البالغين وبعض الفتيات أو النساء الى الزواج العرفي، فهذا النوع من الزواج لا تعترف به الدولة على اعتبار أنه غير موثق لديها، بالرغم من وجود شهود على عقد الزواج الذي يحرر بعيدا عن قوانين البلاد، وقد يخالف هذا الزواج القواعد الشرعية، كأن تتزوج المسلمة من غير المسلم فتكون مشاكل ديانة الأبناء والبنات مستقبلا، وتسجيلهم في السجلات المدنية، كما تكون مشاكل الارث والميراث وغير ذلك من المشاكل، وقد تكون الفتاة قاصرا أو يكون الزوج غير مؤهل للزوجة، وأسوأ الأمور حينما لا يعترف الأب بأبوته لأبنائه ممن تزوجها عرفيا، وهكذا يتسبب هذا الزواج بمشاكل لا حصر لها، وبما أنه زواج بعيد عن أعين ولي الأمر والأهل وبعيدا عن عيون المجتمع فانه ليس شرعيا ويشكك في صحته.

الزواج الشرعي هو الذي يسجل في سجلات الدولة والمحكمة الشرعية، وذلك للحفاظ على حقوق الزوج والزوجة والأبناء وحقهم في المواطنة الكاملة وأمور كثيرة قانونية. اذن الزواج الشرعي هو لصالح الزوجين أما دون ذلك فان له مخاطر كثيرة وعواقبه وخيمة أكان زواج متعة أم زواج مسيار أو أي نوع من أنواع الزواج خارج نطاق الشرع، ونحن نسمع عن مشاكل كثيرة نتيجة مثل هذه الزيجات، وقد يذهب الرجل والمرأة الى بلاد أجنبية لا تتقيد بالشرع الاسلامي للزواج، ثم يأتي الزوجان بعد سنين ليتهموا بلدهم بأنها ليست ديمقراطية وأنها تقف ضد رغبات الناس.. الخ هذه التهامات الباطلة، لأنهما هما اللذان خالفا قانون بلدهما وبالتالي عليهما أن يتحملا العواقب، اذ أن لكل بلد شرعته ومنهاجه في التعامل مع مواطنيه، وقد تكون قوانين البلاد الأجنبية تخالف قوانين بلدنا، فهل من حق المواطن أن يخالف قوانين بلاده؟ يقول الله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة 48

هذه الاية الكريمة توضح تماما الموقف من الزواج خارج الشرع، والاية الكريمة لا تتحدث عن هذه القضية بالذات، بل عن كل القضايا الشرعية التي أمر الله تعالى أن يعمل بها، فالقران الكريم بأحكامه الشرعية مهيمن على كل الكتب والأحكام الأخرى، لأنه اخر الرسالات السماوية ولكل أمة خلت شرعتها ومنهاجها ولكن بعد نزول القران الكريم الشريعة الوحيدة هي شريعة الاسلام

وخصوصا بالنسبة للمسلمين، فيجب أن يتقيدوا بها ولا يخالفوها لأنها أوامر من رب العالمين للعالمين.

الزواج يجب أن يكون سكنا للزوجين، ويجب أن يكون امنا ومستقرا قائما على التفاهم التام بين الزوجين أولا وبين عائلتي الزوجين، لأن المجتمع الاسلامي مجتمع التكافل والتكامل يشد بعضه بعضا، صحيح أن الحرية في اختيار الزوج لزوجته والحرية في اختيار الزوجة لزوجها وهذا ما أقره الاسلام العظيم بآياته البينات وبالأحاديث النبوية الشريفة، ولكن اذا كان الشاب طائشا والفتاة طائشة وهذا ما نلاحظه في أيامنا التي نعيشها، فعلى ولي الأمر توضيح الأمر لهما أو لأحدهما وتوجيههما الى الطريق الصحيح والى الصراط المستقيم، وعدم تركه أو تركها نهبا للزوات الطائشة والا كانت العواقب وخيمة كما قلنا، هنا تكمن أهمية وضرة وجود ولي الأمر وتوجيهات الوالدين والحكماء من الناس، فعلى الشاب أو حتى الرجل البالغ الكبير وعلى الفتاة حتى المرأة البالغة الكبيرة أن يستمعوا الى النصح والارشاد دائما، ولا يحكموا عواطفهم الجياشة ويعتمدوا عليها لأنها تكون خادعة في أغلب الأحيان وخصوصا في اتخاذ قرار الزواج.

قد يتفق الرجل والمرأة أو الفتى والفتاة على الزواج، ولكن لموانع محددة كعدم رضى الأبوين عن هكذا زواج أو يكون الفتى قد عاشر الفتاة قبل الزواج بطريقة غير شرعية، أو لأي سبب من الأسباب، فليجأ الاثنان الى الزواج العرفي أو زواج المتعة أو زواج المسيار أو المساكنة أو أي نوع من هذه الأنواع التي تخالف بعض الشروط الشرعية أو كلها، ولكنها في الظاهر زواجا لأن هناك عرضا وقبولا، وقد يحضر الطرفان شاهدين وتكون العملية قد تمت بأركان الزواج، ولكن هذه الأنواع لا تحقق الاستقرار الأسري والعائلي الزواج العرفي لا يحقق الاستقرار كما قلنا والاستقرار من اسس الزواج الناجح، وان كان يترتب عليه النفقة والمبيت في بيت الزوج وزواج المتعة محرم في الاسلام، اذ حرمه النبي الكريم بالنسخ أي نسخ السنة بالسنة وان النبي قد سمح به في بداية الدعوة في الغزوات، ثم نهى عنه في فتح خيبر كما نهى عن أكل الحمر الانسية (المستأنسة) أي التي يستخدمها الناس لحمل أثقالهم، ونهى عن زواج المتعة يوم فتح مكة وبقي الحال حتى وفاته صلى الله عليه وسلم، عن الربيع بن سبرة عن أبيه أن الرسول الكريم، نهى يوم الفتح عن زواج المتعة وقال:

أيها الناس، اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وأن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما اتيتموهن شيئا رواه النووي
أما زواج المسيار فقد أباحه بعض العلماء مع الكراهة، أي هذا زواج مكروه، اذ لا حق للمرأة

بالنفقة والمبيت في بيت الزوج وفق هذا النظام ما يخالف الهدف الاساس من الزواج وهو بناء أسرة سعيدة، ولكن تبقى قضية تحقيق المصالح والمفاسد من هكذا زيجات، فاذا حققت مقاصد الشريعة من مودة وسكن واستقرار مع توافر شروط العقد الشرعي فهي محللة الا المتعة محرمة لحرمة رسول الله لها، أما زواج الشغار أو البذل أي يقول الرجل لصاحبه زوجتك أختي على أن تزوجني أختك، أو تزوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، وفي هذه الحالة يستهين الرجل بأخته أو قريته ويبيعها لصاحبة كسلعة، وهذا مرفوض في الاسلام ولو كان بمهر لكل منهما، لأن المقصود بالزواج في هذه الحالة امرأة بامرأة أ فاذا حصل شيء سيئ مع هذه تبنتى الأخرى به كالطلاق مثلاً، أو المعاملة السيئة في البيت، وهكذا تكون المفاسد أكثر من الفوائد، لذلك نهى النبي الكريم عنه.

أما نظام المساكنة الذي استحدث هذه الأيام، فبعض الناس يسميه زواجا وهو ليس كذلك، فهو يقوم على علاقة زوجية كاملة من دون موافقة ولي الأمر ومن دون شهود ومن دون أوراق رسمية، حيث يعيش الطرفان الفتى والفتاة أو الرجل والمرأة في بيت واحد ويلتقيان في وقت معين، بعضهم يقول: اننا نعيش في بيت واحد ولكن في غرفتين منفصلتين كي يختبر أحدهما الآخر، وبعض المساكنين المساكنين يقول: اننا نعيش معا ونتعاشر كما يتعاشر الزوجان ولكن بلا زواج كي يختبر أحدهما الآخر أيضاً، وإذا اتفقنا تزوجنا وإذا لم نتفق نفترق، في كلتا الحالتين هذا الأمر محرم شرعا لاشتراك الطرفان في الحمام والمطبخ والممرات بل في الغرفة الواحدة في الحالة الثانية، فمهما ادعى أي طرف أن المساكنة نوع من زواج ملك اليمين أو نوع من زواج المتعة أو أن المرأة لها أن تزوج نفسها من دون اذن وليها، فان هذا النظام يفتقر الى أي من شروط الزواج الشرعية فهو محرم شرعا ولا يجوز، وماذا لو أنجبت الفتاة بعد فقد عذريتها الى من سيؤول حال الطفل؟ وما هو وضعه في المجتمع وبالنسبة لقوانين الدولة وخصوصا اذا كانت دولة مسلمة تحكمها القوانين الاسلامية، ان هذه الممارسات الخاطئة التي قد يلجأ اليها ذوا العقول قصيرة النظر أو المتأجبة الذين يقلدون الأجانب في سلوكهم وتصرفاتهم فانهم يجانبهم الصواب ويفقدونه، لأن ديننا وثقافة مجتمعنا المشتقة من الدين الحنيف يأبى علينا الوقوع في المعاصي، ومن ثم لا يحقق هذا النظام المصطنع السكينة والاطمئنان للفتاة أو المرأة بل العكس هو الصحيح، وإذا كانت الحجة هي التجربة ففي الزواج الشرعي مساكنة شرعية، اذا اختلف الطرفان واستحالت العشرة بينهما يلجان الى الطلاق وهو أبغض الحلال عند الله ولكن الزواج موثق في الدولة وعليه الشهود واستوفى كل شروط الزواج الشرعي، اذن ما الأفضل المساكنة دون الاستقرار والأمن والأمان، أم الزواج الشرعي الذي يؤمن حقوق كل من الزوج والزوجة أمام الله أولا وأمام القانون والعدل؟

عودة الى خطبة النساء والفتيات، اذ لا يجوز أن يخطب المسلم على خطبة أخيه، فاذا علم بأن الفتاة مخطوبة فلا يجب عليه الاقدام لخطبتها الا اذا كان لا يعلم، ولكن عليه التراجع اذا بلغ الى مسمعه بأنها مخطوبة، كما لا يجب خطبة المرأة المطلقة طلاقا رجعيا حتى باننا الى أن يستقر حالها، كذلك لا يحق له أن يخطب المرأة قبل اكتمال عدتها على أن تؤكد للخاطب أنها لن تعود لزوجها بعد انقضاء العدة، ولكن يجوز أن يتربص الرجل بالمرأة التي توفى عنها زوجها دون التصريح قبل انقضاء العدة وذلك حرصا على شعورها بفقدان زوجها، ومراعاة لشعور ابنائها وبناتها اذا كان لها ابناء وبنات، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۖ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَغْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
البقرة 235

من الاية الكريمة يتبين لنا أن خطبة النساء لا غبار عليها بل هي سنة من سنن الله تعالى، ولكنه عز وجل يعلمنا أصول الخطبة وخصوصا لخطبة المتوفى عنها زوجها، أو التي لم تعتد بعد من المطلقات طلاقا باننا بينونة كبرى، علمنا رب العزة والجلال بأن نكون لطفاء ولا نتسرع، وهو سبحانه وتعالى يعلم مكنونات الأنفس بأن فلانا يرغب في فلانة، ولكن عليه التريث الى حين انقضاء العدة أو الحزن على الفقيد، ولا يلجأ لعلاقة سرية مع المرأة لأن هذا قد يؤذيها ويؤدي من حولها، لذلك أجاز الله تعالى التعريض للبائن والمعتدة من الوفاة، وحرّم التعريض (أي المكاشفة بالخطبة) في العدة من طلاق رجعي لزوجة زوجها أولى بها وقد يردّها

دروس وعظات وحكم يعلمنا الله تعالى اياها من خلال كتابه الكريم، لذلك فالقرآن مدرسة ايمانية وأخلاقية واجتماعية وعلمية ان أردت الوصف الشامل له، وهو أسلوب حياة للذين يطلبون النجاح والسؤدد والسعادة لمن ينشدونها في حياتهم، وهو مجموعة من العبر والاعتبار لمن يعتبر من أحداث التاريخ التي ذكرها رب العباد ويذكر بها عباده.

لا يحل أن يخطب الرجل على خطبة أخيه (ان كان شقيقا أو أخا في الاسلام) لقوله صلى الله عليه وسلم:

المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر (أي يترك الخطيب خطيبته والمشتري لما اشتراه). رواه أحمد ومسلم

بالرغم من أن الشارع في الاسلام أحل للرجل النظر الى المرأة التي يريد خطبتها والزواج

منها، ويتأكد من خلوها من الأمراض ومن سلامة جسدها ورائحتها عن طريق أقاربه من النساء، إلا أنه غير المسموح له الاخلاء بها إلا بوجود محرم، فهي ما زالت محرمة عليه حتى العقد عليها، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما

الشيطان. رواه أحمد

فالخلوة بالخطيبة دون محرم أو دون العقد عليها لها مخاطر كبيرة في مجتمعاتنا الإسلامية على الخاطب والمخطوبة على حد سواء، فقد ينفصل الخطيبان لسبب أم لآخر، فتلوك الألسن حينئذ في حقهما، وقد تلوك الألسن في عرضهما من قبل الفاسقين والحاقدين، فتخسر الفتاة أو المرأة شيئاً من كرامتها وسمعتها وعفتها، وقد تكون الفتاة أو المرأة على علاقة باخر (وهذه حالة قليلة ولكنها واقعية) فتحمل منه خارج نطاق الزوجية، وتدعي أن حملها من خطيبها الذي تكون معه جينة وذهاباً، وهكذا تولد المشاكل بين الناس والأسر من خلال تصرف فتاة أو امرأة طائشة، أما بوجود محرم فإن هذا الأمر لن يحدث.

في حال عدول المخطوبة عن الخطبة للخطاب أن يسترد كل ما أنفقه على الخطيبة من مال وخلافه، إلا المأكولات والمشروبات، وإذا كان العدول من الخطيب فلا يحل له أخذ شيء مما قدمه للخطيبة، فيكون هبة منه لها لقوله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لرجل أن يعطي عطية أو يهب هبة ثم يرجع فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل فاذا شبع قاء ثم عاد في قيئه. رواه أبو داود عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر شبه النبي الكريم استعادة الهدية أو العطية باستعادة الكلب لقيئه، وهو من أبشع الصور وأقذرهما، ما يدل على قذارة من يعود عن عطيته. وبعد الخطبة لا بد من كتابة العقد (الكتاب عند بعض المجتمعات) بعد الإيجاب والقبول وبحضور شاهدين كما قلنا سابقاً، أي رجلين عدول، أو رجل وامرأتان على المذهب الحنفي، إذ أتى الى عمر بن الخطاب بشهادة زواج لم يشهد عليه إلا رجل وامرأة فقال: **هذا نكاح سر ولا أجيزه ولو كنت تقدمت فيه لرجمت.** رواه مالك في الموطأ

هذا دليل على عدل عمر رضي الله عنه وتشدده في الأحكام الإسلامية، ودليل على أن العقد يجب أن يكون موثقاً وعليه شاهدان عدول، أحراً، عقالاً ومسلمان بالغان، وإن يسمعا ما يقال ويفهما أن المقصود هو زواج فلان ابن فلان على فلانة ابنة فلان البالغ العاقل المسلم على البالغة العاقلة المسلمة، وليس التوقيع على العقد دون فهم المقصود، إذا كان الزوج مسلماً والزوجة كتابية يجوز شهادة الكتابيين على العقد على رأي أبي حنيفة النعمان.

أما فسخ العقد فلا يجوز الا اذا تبين للزوج أو الزوجة أن أحدهما فيه عيب لم يكشف عنه، أو لم تكشف عنه كعدم القدرة على الانجاب، أو مرض عضال أو اكتشاف خيانة زوجية قبل الزواج أو بعده، أما اذا علم أحدهما بذلك قبل العقد ووافق عليه فلا يصح له أو لها فسخ العقد والعقد صحيح لا غبار عليه، ولكن اذا صمم أحد الطرفين على فسخه فيترتب عليه أو عليها الحقوق الشرعية لكل منهما، وهناك اراء بهذا الخصوص والله أعلم.

هذا ولا يجوز كتابة الكتاب أو العقد على من تحرم على الفتى أو الرجل الزواج منها، لأن الله تعالى حرم الزواج من المحارم التي حددها في سورة النساء 23، وفيها تفاصيل كثيرة يجب الاطلاع عليها وفهمها واستيعابها جيدا، وخصوصا فيما يتعلق بدرجة القرابة والمصاهرة والنسب والرضاع، كما يحرم العقد على المحرمات مؤقتا كأخت الزوجة وخالتها وعمتها لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم.
رواه ابن الملقن خلاصة البدر المنير عن ابن عباس

لا يجوز العقد على المتزوجة الا السبية المتزوجة بعد انقضاء عدتها، كما يحرم العقد على المعتدة الا بعد انقضاء عدتها كما قلنا سابقا، ويحرم العقد على الزاني والزانية والمشارك والمشاركة، ويجب التفرقة بين هذين النوعين وبين أهل الكتاب ولكن بحذر شديد، لأن كثيرا من أهل الكتاب يشركون بالله أيضا، كما لا يحل زواج مسلمة من مشرك ولا من أهل الكتاب، وأرى أن هذا منطقي جداً، اذ سيقع الخلاف مستقبلا على تربية الأولاد والبنات، وشهدنا خلافاً كثيرة من زيجات مختلطة كهذه كان نتيجتها الانفصال وضياع مستقبل الأبناء وعلى أقل تقدير ايذاؤهم نفسياً.

لا يجوز العقد على امرأة لا عنها زوجها، أي أقسم كلاهما بأنه على حق في الاتهام بالزنى ولعنة الله على الطرف الآخر ان كان من الكاذبين، ولا يصح العقد على امرأة أخرى اذا تعهد الزوج بأنه لن يتزوج امرأة أخرى عليها وثبت ذلك في العقد، فالوفاء بالعقود والعهود أقوى من الزواج لقوله صلى الله عليه وسلم:

ان أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج. رواه البخاري ومسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيما امرأة نكحت على صداق أو حياء أو عدة قبل عصمة النكاح فهو لها، وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن أعطيه، وأحق ما يكرم عليه الرجل ابنته وأخته. رواه الخمسة الا الترمذي

وقال عمر بن الخطاب: **المؤمنون على شروطهم عند مقاطع حقوقهم**. أخرجه سعيد بن

منصور

كما لا يجوز العقد على الزوجة بعد طلاقها طلاقاً بائناً إلا بعد استحلالها من رجل غيره، يكون فيه الزواج من أجل العشرة والسكينة والاستمرارية، لا أن يكون شكلياً لأن هذا لا يعتبر زواجا شرعياً، فعلى الزوج الجديد أن يدخل بها وتكون نيته الزواج الشرعي، لا أن يكون محللاً أو نيته التمتع بها وتطليقها، أو يتفق مع زوجها الأول على تطليقها فوراً إذا دخل بها أو لم يدخل، ويسمى الزوج الثاني في هذه الحالة التيس المستعار، فهذا محرم شرعاً عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما قوله صلى الله عليه وسلم:

الا أنبؤكم بالتيس المستعار؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل لعن الله المحلل

والمحلل له.

أما إذا اختلفا اختلافاً طبيعياً دونما تخطيط مسبق، فيحل للزوج الأول أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها ووضع طفلها إذا حملت من زوجها الثاني على أن يسمى باسم والده.

للزوجة حقوقها الشرعية على زوجها، كما له حقوقه الشرعية عليها، فحقوقها أن تأخذ مهرها كاملاً غير منقوص أن دخل بها، فإن لم يدخل بها وحصلت الوفاة أو الطلاق فلها نصف صداقها، كما أن لها على زوجها النفقة من مأكّل ومشرب وملابس ومسكن لائق وعلاج، الخ، ولا مانع من أن يجهز أهل الفتاة البيت إذا كان ذلك من عادات وتقاليد المجتمع، ولكن إسلامياً يكون الرجل هو المسؤول عن ذلك، لأن في كثير من البلاد يكون تجهيز الأب لابنته مرهقاً مالياً له، لذلك يجب أن يقوم الزوج بهذه المهام إذا أراد أن يبني بيتاً صالحاً سليماً منذ البداية، والنبي صلى الله عليه وسلم جهز ابنته فاطمة رضي الله عنها في خميل وقربة ووسادة حشوها أذخر (نبت طيب الرائحة تحشى به الوسادة) رواه النسائي عن علي رضي الله عنه

نلاحظ أن النبي الكريم جهز ابنته الحبيبة والغالية على قلبه بأشياء بسيطة وغير مكلفة كثيراً، فلا يؤخذ فعل النبي الكريم مع ابنته كدليل على ضرورة تجهيز الأب لابنته وتكليفه أكثر مما يطبق كما يحصل في أيامنا هذه، بأن يتكلف أبو البنت تكاليف باهظة تثقل كاهله، ويقع في الدين الذي يطارده في حياته أو جزء من حياته فهذا لا يجوز، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وللمرأة حق على زوجها بحسن المعاشرة، فلا يعنفها ولا يشتمها ولا يحقرها ولا يقلل من قيمتها أمام نفسها وأمام الناس، هذا هو الإسلام الحق والدين الصحيح القويم، وما عدا ذلك ليس من الدين إلا إذا كانت المرأة ناشراً أو غير مطيعة ومتمردة على الزوج وعلى الأبناء، ففي هذه الحالة تتخذ

التدابير اللازمة الدينية والقانونية والأخلاقية كما أمر الله تعالى ونبيه الكريم، لا كما يريد الزوج من القسوة والتعنيف، لذلك أمرنا الله تعالى بمعاملتهن بالمعروف لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا بَغْيًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء 19

كما أوصى النبي الكريم بالنساء خيرا لقوله صلى الله عليه وسلم:
أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا، وخيركم خياركم لنسائهم. رواه السيوطي في الجامع الصغير

وقال أيضا:

ان الله يوصيكم بالنساء خيرا، ان الله يوصيكم بالنساء خيرا، فانهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم، ان الرجل من أهل الكتاب يتزوج المرأة وما تعلق يداه الخيط، فما يرغب واحد منهما عن صاحبه حتى يموتا هرما. الألباني في السلسلة الصحيحة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الناس بمعاملة النساء معاملة حسنة وأفضلهم في الحفاظ على حقوقهن وذلك في قوله:

انما النساء شقائق الرجال ما أكرمهن الا كريم وما أهانهن الا لئيم. وفي رواية عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ما أكرم النساء الا كريم ولا أهانهن الا لئيم. رواه الألباني

وهناك عشرات من الأحاديث النبوية الشريفة والمواقف النبيلة من طرف النبي تجاه زوجاته، فلنتعظ منها ونأخذها عبرة لنا في التعامل مع زوجاتنا وبناتنا وأخواتنا ونسائنا عامة، لأن النبي الكريم هو قدوتنا وهو قائدنا الذي نسير خلفه وليس أمامه صلوات الله وسلامه عليه لقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب 21

من حق الزوجة على زوجها أن يحفظ كرامتها وصيانة شرفها، فلا يعرض سمعتها بسوء ولا يذكرها الا بالخير، هذا وقد نهى النبي الكريم عن التحدث عن النساء أمام الرجال وخصوصا عن الزوجة، كذلك المرأو بين النساء وخصوصا عن زوجها، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل الذي يفضي الى المرأة وتفضي اليه، ثم

ينشر سرها. رواه أحمد

كما أن للمرأة حقا على زوجها بأن لا يهجرها دون سبب، وحدد العلماء هجرة المرأة من قبل زوجها بسبب ذنب اقترفته أو اثم ارتكبته أو معصية على ألا تكون فترة الهجران عن أربعة أشهر، وإذا زادت الفترة أصبح الرجل موليا (من الإيلاء) أي الامتناع عن معاشرة الزوجة، وفي هذه الحالة من الأفضل الانفصال على أن يكون الهجر بالإيلاء لقوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (226) وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 227

الرجل لا يحق له الإيلاء ثم يترك المرأة معلقة لا هي زوجته ولا هي مطلقة، فهذا الأمر محرم في الاسلام، لقوله تعالى:

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ النساء 129

إذا طلقت المرأة في حالة الإيلاء فيعتبر طلاقها بائنا لا رجعة فيه، أي لا يحق إرجاعها إلى ذمته ولا يجبرها على العودة، ولكن بعض العلماء من يجد أن الطلاق رجعيًا ويحق للزوج إرجاعها إلى ذمته والله أعلم.

وكما للزوجة حقوق فعليها واجبات نحو زوجها منها الطاعة، أي تطيعه في بيتها، دون معصية الله بالطبع وحفظه في ماله وعرضه واسعاده في حياته، لأن الزوج هو أحق الناس بالرعاية والحب والمودة والأقرب إليها. سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم، أي الناس أعظم حقا عند المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فأَي الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال: أمه. وفي طاعة المرأة لزوجها واسعاده في حياته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك مسند أحمد والسنن

طاعة الله تعالى قبل طاعة الزوج، فالمرأة الصالحة هي التي تقوم بواجباتها الدينية وتقيم الفرائض ثم الواجبات الزوجية، عن عبد الرحمن بن عوف قال النبي صلى الله عليه وسلم:

إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب شئت. رواه أحمد والطبراني

ومن طاعة الزوجة أن تخدمه في بيته من تقديم الطعام وطهيه وغسيل الملابس ونظافة البيت ورعاية الأطفال رعاية جيدة، كما أن له الحق في أن تستقبل ضيوفه وألا تدخل بيته من لا

يرغب فيه، ولعل ما جاء في خطبة الوداع ما يوضح هذه الحقوق في قوله صلى الله عليه وسلم: ألا واستوصوا في النساء خيرا فانهن عوان عنكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فان أظعنكم فلا تبغون عليهن سبيلا، الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن ألا يوطئن فروشكم من تكرهونه، ولا يأذن في بيتكم لمن تكرهون، الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن. رواه ابن ماجه والترمذي

هذا الحديث الشريف لا يشتمل على كل الحقوق والواجبات، بل انه ذكرها جملة والتفصيل يتأتى من المعاملة بين الزوج والزوجة، فالعشرة بالمعروف تعني كل الوجبات والحقوق، ومن طاعة الزوج امساك الزوجة في بيتها، فاذا أمرها بالبقاء في البيت والخروج باذنه فلتفعل، كما أن عليها أن تسكن في المسكن الذي يختاره لها اذا قبلت به قبل العقد، الا اذا كان المسكن غير لائق وموحش وخطر على حياتهما فلها أن تمتنع لقوله تعالى:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأُتِمُّوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرِفِ بَيْنِكُمْ فَسَتَرْضِعْنَ لَهُ أُخْرَى﴾ الطلاق 6

تمعن أخي القارئ في عدل الله تعالى وفي حكمته، أمر الزوج بأن يسكن زوجته حتى في حالة العدة بعد الطلاق في البيت اللائق حسب مقدرة وسعة المطلق، لا أن يضيق عليها العيش حتى لو كانا مطلقين والزوجة في عدتها، حتى أنه مكلف بالنفاق عليها وأن يدفع لها أجرة ارضاعها لطفله، بالرغم من أنه طفلها أيضا، الا أن والده هو المسؤول عن حياته وعن الانفاق عليه، فاذا لم تتمكن الأم من ارضاعه لسبب أم لآخر فعليه أن يستأجر مرضعة لابنه أو ابنته، هذا هو الاسلام الحق النابع من كلام الله تعالى وسنة نبيه الكريم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل التاسع

- 1- الزواج سنة من سنن الله تعالى اراده لخلقه كي يعمر الأرض ويعبد له لا اله الا هو لا شرك له في الحكم ولا في الملك.
- 2- الزواج سكونية واستقرار للزوج وللزوجة وهو الحصن الحصين للرجل المسلم والمرأة المسلمة.
- 3- لا يتم الزواج الا بعد النضج للفتى والفتاة، ويجب التركيز على العمر الزمني بالنسبة لكل منهما.

- 4- يجب أن يتفاهم الطرفان بحضور الأهل أو المحرم قبل الاقبال على الخطبة، لأنها نصف الطريق الى الزواج، فالخطبة لها أصولها وأركانها وشروطها يجب الاطلاع عليه وتفهمها.
- 5- يجب أن يفصح ولي الأمر عن اسم العروس وعمرها، واسم العريس وعمره وألقابهما أيضا أمام الشهود كي لا تختلط الأمور فيما بعد.
- 6- يجب أن يشهد رجلان عدول على عقد الزواج، وإذا لم يتح لرجلين فرجل وامرأتان.
- 7- يجب أن يوضح كلا الطرفين كل للآخر عما فيه من عيوب أو أمراض أو قصور حتى في الشأن المادي بالنسبة للعريس، هل يمكنه النفقة وفتح بيت الزوجية أم لا، كل هذه الأمور يجب أن تكون واضحة جلية درءا للمشاكل في المستقبل.
- 8- يجب أن يبحث الرجل عن المرأة الصالحة، لا على مالها وجمالها فقط، كذلك المرأة أو الفتاة يجب أن تركز على الصلاح والتقوى لا على المال والجاه، فعلى ولي أمر الفتاة تقع هذه المسؤولية عملا بالمثل الشعبي ابحت لابنتك قبل أن تبحث لابنك، فالمال والجاه زائلان أما الصلاح والتقوى فباقيان الى يوم الدين.
- 9- الزواج لا يبنى على غش وخداع، فإذا ما اكتشف الزوج ذلك فعليه فسخ العقد واستعادة كل ما أنفقته على الزوجة ان دخل بها أم لم يدخل.
- 10- يحرم على المسلم العزوف عن الزواج اذا كان مقتدرا جسميا وماليا ونفسيا واجتماعيا، اذ لا رهبانية في الاسلام، كذلك اذا لم يستطع البقاء في فضاء العزوبية وخاف على نفسه الفتنة فليتزوج فان لم يستطع فليصم فان الصيام له وجاء .
- 11- يجوز للمسلم أن يرى من يريد الزواج منها، ويتعرف عليها عن قرب بوجود محرم، شريطة وجود نية الزواج لأن في ذلك حفظا لها وحفظا له أيضا، أو يرسل احدى قريباته للتأكد من صلاحيتها للزواج من جميع النواحي.
- 12- الزواج من أجل المصلحة أو المتعة زواجا مكروها، اذ يجب أن يكون بنية الزواج والسكن لتكوين أسرة وعائلة مستقرة، فمن يتزوج من أجل المال أو المتعة المؤقتة سيجد عكس ما يتمنى في المستقبل وتبوء كل أحلامه وطموحاته بالفشل.
- 13- الزواج الشرعي هو الذي تتوافر فيه شروط الزواج وأركانه، تتمثل بالايجاب والقبول والمهر والشهود والشروط التي يشترطها كل من الطرفين.
- 14- الزواجات غير الشرعية ولو أخلت بشرط من شروط الزواج الصحيح يعود بالضرر على الطرفين كالزواج العرفي وزواج المتعة والمسيار والمساكنة وغيرها من أنواع الزواج، لأن

كلا منها يفتر الى الركائز الاساسية للزواج ولو أنها اذا تضمنت الايجاب والقبول والشهود الا أن نية الزواج من أجل الاستقرا وتكوين أسرة وتسجيل الزواج في الدوائر الرسمية من أجل حقوق الزوجة والزوج والأبناء اذا وجدوا مستقبلا غير متوفرة، لذلك فان هذه الزيجات بعضها محرم كالمتمعة والمساكنة وبعضه مكروه كالزواج العرفي والمسيار .

15- لا يجوز خطبة المرأة المطلقة طلاقا رجعيا لأن زوجها أولى بها، كما لا يجوز خطبة الأرملة أيام عدتها، ولا المطلقة طلاقا بائنا قبل استكمال عدتها، بل يمكن التلميح لا التصريح في مثل هذه الحالات.

16- لا يجوز للمسلم أن يخطب على خطبة أخيه ان كان شقيقه أو أخوه في الاسلام، الا اذا فسح الأخ خطبته أو كان الخاطب الجديد لا يعلم بخطبة أخيه فيترجع حينئذ.

17- لا يجوز خطبة المحرمات ولا الزواج منهن، كما ذكر الله تعالى ذلك في سورة النساء .

18- يحرم على المسلم الزواج من متزوجة أو زانية أو مشركة.

19- لا يجوز للرجل أن يتزوج من أخرى اذا نص العقد على عدم زواج الرجل من أخرى ووافق هو على ذلك، لأن العقد شريعة المتعاقدين.

20- للزوجة حقوق على الزوج كما عليها واجبات، كذلك الزوج له حقوق وعليه واجبات في الحياة الزوجية. فاذا ما استوفى الطرفان ذلك كانت حياتهما سعيدة.

21- الطلاق هو أبغض الحلال عند الله، ولكن بحدوثه يجب أن يراعي الزوج المطلق حقوق الزوجة كاملة من دفع مؤخر الصداق والنفقة عليها وعلى الأبناء لحين وضع طفلها أو لحين كبر الأبناء، كما النفقة عليها حتى استكمال عدتها في بيت لائق.. وهكذا سنفصل ذلك في الفصل المقبل انشاء الله تعالى.

الفصل العاشر

الطلاق في السنة النبوية

الطلاق هو عكس الزواج، والطلاق هو حل عقدة النكاح بلفظ صريح أو كناية مع نية الطلاق، وهو أبغض الحلال عند الله لأنه يلغي ما اتفق عليه أثناء الخطبة وأثناء الزواج من عهود ومواثيق، وفيه من الأضرار التي تعود على الأسرتين وعلى الأبناء ان وجدوا ما يفوق الطلاق والفراق. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أبغض الحلال الى الله عز وجل الطلاق. رواه أبو داود والحاكم

الزواج يجمع الحبيبين تحت سقف واحد والطلاق يفرقهما تحت أسقف متعددة، والزواج نعمة من نعم الله تعالى على عبده وهو سنة من سننه تعالى، أما الطلاق فانه يلغي هذه النعمة ويحولها بعض الأحيان الى نقمة على الجميع، ولكن هناك بعض الحالات التي تستوجب الطلاق والفراق وخصوصا اذا استحالَت العشرة بين الزوج والزوجة، فيكون الطلاق راحة للطرفين أو لأحدهما، ولا بد قبل حدوثه من تدخل الأقارب من الطرفين لتقريب وجهات النظر اذا أمكن ذلك، ولكن اذا كانت نية الطلاق مبيتة لدى أحد الطرفين دونما سبب فهذا محرم في الاسلام، كأن تطلب المرأة الخلع دون سبب واضح أو لأنها تعشق رجلا اخر دون علم زوجها. لقوله صلى الله عليه وسلم: **أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرم عليها رائحة الجنة.** رواه الترمذي

كذلك الرجل لا يحق له تطليق زوجته دون سبب وجيه وقاهر، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا ضرر ولا ضرار.** رواه ابن ماجه والدارقطني ومالك

هذا الحديث على قصره الا أنه يبين كثيرا من مقاصد الشريعة السمحاء لضمان حقوق الناس في شتى المجالات، فلا ضرر من أحكام الله على عباده وكلها خير لهم، ولا يجب أن يحدث الناس فيما بينهم الضرر عليهم، فالضرار من الناس والعدل من الله تعالى، فاذا كان في الطلاق من ضرار للمرأة فهذا لا يجوز للرجل، اذ أن المكلف المسلم منهى عن فعل يترتب عليه اضرار الآخرين بقصد أم بغير قصد وطلاق المرأة من غير سبب يقع في هذا الباب، أما اذا استحالَت العشرة أو مارس الايلاء وهو مقاطعة الزوجة أكثر من أربعة أشهر كما ذكرنا، أو أن نفسه لم تعد تطيب معها فالطلاق أوجب ولو أنه مكروه.

يحرم تطليق المرأة اذا كانت نفساء أو حائضا مهما كانت الأسباب، طلق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما زوجته وهي حائض، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل النبي الكريم عن

ذلك فقال:

مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم اذا شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن تطلق لها النساء. رواه مسلم

وهنا خيرہ النبي الكريم اما أن يمسك عليه زوجته بعد الحيض الثاني وبعد الطهر واما أن يطلق، وكانت المهلة حيضتين كي يتروى ابن الخطاب قبل اصدار الحكم بالطلاق من عدمه، لأن الطلاق أبغض الحلال عند الله تعالى. الطلاق بعمومه أمر مكروه لما يطال المرأة والأبناء من ظلم في الحياة والتشرد والضياع كذلك فيه ضرر للرجل في كثير من الأحيان لاستعجاله الطلاق، من هنا يرى بعض العلماء كابن تيمية أن الطلاق قريب من التحريم لولا الحاجة اليه في بعض الأحيان. الطلاق أنواع الأول: يسمى البينونة الصغرى كأن يقول الرجل لزوجته طلقتك أو أنت طالق، أو من الكلمات التي تدل على الطلاق بالنية، حتى لو قال لها طالق ثلاثا فيعتبرها أهل العلم طلاقة واحدة حتى الطلقتين تسري أحكامهما مسرى الطلاق مرة واحدة، أي يحق له استرجاعها قبل انقضاء العدة أي ثلاثة قروء (ثلاثة أشهر)، أما بعدها أي بعد انقضاء العدة يحل له استرجاعها بعقد جديد ومهر جديد وشهود. أما طلاق البينونة الكبرى فهو الطلاق ثلاث مرات في فترات متفرقة ولو في يوم واحد، فلا تحل له حتى تتزوج رجلا آخر زواجا شرعيا يستوفي كل شروط الزواج، ولا يكون زواج استحلال وهذا حرام لعنه الرسول الكريم كما ذكرنا سابقا. اعتاد الناس في زمن الخليفة عمر بن الخطاب على حلف يمين الطلاق ثلاثا في المرة الواحدة، وكان النبي الكريم يعتبرها طلاقة واحدة، ولكن عمر رضي الله عنه غضب في ولايته غضبا شديدا من هؤلاء الذين اعتادوا على الطلاق تخرج من أفواههم كأن الأمر شربة ماء، فاتخذ قرار اعتبار الحلف ثلاثا كأنه طلاق بائن بينونة كبرى، فكان يحرم الرجل من زوجته حتى تتزوج من اخر حتى الوفاة أو الطلاق ومن ثم له الحق باسترجاعها. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

ان الناس استعجلوا من أمر كانت لهم فيها أناة، فلو أمضيناه عليهم، وقال ابن عباس:

فأمضاه عليهم. رواه مسلم

أفاد هذا الفعل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن ايقاع الطلاق ثلاثا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت الثلاث المجموعة تحسب واحدة، ولكن زمن عمر استسهل الناس الحلف بالطلاق واستساغوا اللفظ فحكم عليهم الثلاث بثلاث طلاقات عقابا لهؤلاء المستهترين بحلف يمين الطلاق، فأخذ الأئمة بحكم عمر من بعده لأنه نوع من الاجتهاد الذي كان المسلمون بحاجة اليه،

فعمر رضي الله عنه لم يخالف حكما شرعيا بل أكد على ضرورة المحافظة على الاسرة والمرأة على وجه الخصوص، ولكن بعضهم أثر الأخذ بحكم النبي صلى الله عليه وسلم لأن أحكامه مقدمة على أحكام صحابته والله أعلم.

الأصل في الطلاق بيد الرجل، لأنه هو الأحرص على الحياة الزوجية من المرأة في كثير من الأحيان والأحرص على بقاء زوجته معه تشاطره الحياة بجلوها ومرها، وهو الذي يجب أن تكون العصمة بيده، لأنه هو الذي جرى خلفها وأحبها وخطبها وبذل في سبيلها المال، وقدم لها المهر والعطايا والهدايا كي تبقى وفيه صادقة معه صالحة في رعايتها له، وفي الاسلام أعطى الله تعالى الرجل هذا الحق بقوله:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۚ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ النساء 34

فالرجل قوام على المرأة في النفقة والمهر والحفظ والرعاية والصيانة والدفاع عنها، وهذه شروط القوامة كي لا تدعي المرأة عليه بالتقصير في احداها، ما يعني وضع المرأة موضع الاحترام والتقدير من الرجل الذي له القوامة في هذه الأمور، لذلك يجب أن تكون العصمة بيده، لأن الرجل العاقل الحكيم لا يفرط بزوجه التي عمل الكثير من أجل الحصول عليها كي يعيش في سعادة وهناء واستقرار، وبعد كل ذلك يحلف عليها الطلاق دون مبرر او دونما سبب وجيه يستدعي الفراق، فالطلاق بالنسبة للرجال لا يكون الا لحاجة ملحة، أو اذا كانت زوجته ناشزا لا تريده، أو اذا رأى من زوجته ما يكره، أو ارتاب في سلوكها أو لم يعد يطيقها فهذه السلوكيات تؤدي الى الطلاق الواجب، ولكن ليس دون هذه الأسباب، وان تكرر الزواج والطلاق يكون الرجل مزواجا مطلقا أي كثير التطلق، ذوقا أي يحب تذوق النساء وتطليقهن، فهذا ليس من سنة الحياة ولا من سنة نبي الله، عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي صل الله عليه وسلم: **لا تطلق النساء الا من ريبة ان الله تبارك وتعالى لا يحب الذواقين ولا الذواقات**. رواه البزار والطبراني

أي كثير الزواج والطلاق، كذلك المرأة المذوافة التي تحب الزواج من الرجال الكثر، وبالرغم من ذلك فالطلاق جائز اذا استحال العشرة نتيجة العوامل والأسباب السابقة، وكما يرى القاضي والشهود والمتدخلين من أقارب الطرفين أن العشرة أصبحت مستحيلة، ولكن لا يجوز الطلاق بالاكراه حتى لو كان من طرف الأم أو الأب فهذا غير جائز مطلقا لقوله صلى الله عليه وسلم:

كل طلاق جائز الا طلاق المغلوب على عقله. رواه الترمذي والبخاري

المغلوب على عقله هو المطلق المكره على الطلاق والسكران والغافل والساهي والغضببان والمدهوش والهازل المدهوش هو الذي لا يدري ما يقول، والهازل الذي يتكلم في أمر لا يقصده ومن ذلك الطلاق، بعض الفقهاء يرى أن الهازل لا يستحق زوجته لأنه يأخذ الأمور الدينية الجدية هزلاً، لقوله صلى الله عليه وسلم:

ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، النكاح والطلاق والرجعة. عن أبي هريرة

عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ثلاث لا يجوز اللعب فيهن: الطلاق والنكاح والعق. رواه الطبراني

كثير من النساء اللاتي ينفقن على الرجال يطلبن بأن تكون العصمة بأيديهن لماذا؟ لأنهن ينفقن على الرجل وهو عاطل عن العمل، وهي غنية تتفق ماتشاء عليه أو على بيتها، فتكون لها اليد العليا في البيت فتطلب الطلاق إذا أرادت، ولكن هذه من الأمور غير مستحبة بالنسبة لكليهما، فلا الرجل يحب أن يكون الطرف الضعيف في بيته، ولا المرأة تحب أن تتصرف تصرف الرجال في بيتها، في حين يجب أن تكون الأنثى المطيعة الجميلة الناعمة التي تعتر بأنوثتها، لذلك ولأسباب كثيرة يجب أن تكون العصمة بيد الرجل، إلا إذا جار على زوجته وظلمها وأصبحت الحياة معه لا تطاق من ظلمه أو بخله أو غلظته، أم أي شيء آخر مثل ذلك كأن يضربها بمناسبة أو غير مناسبة، في هذه الحالات يجوز للمرأة أن تطلب الطلاق منه أو الخلع. كذلك إذا كان مرتداً عن الإسلام أو أنه لا يؤدي فروض الله تعالى، أو يسكر ليل نهار أو يزني ويرتكب المعاصي فلها أن تطلب الطلاق أو الخلع.

إذا كانت عصمة المرأة في يدها من حقها أن تطلب الطلاق أو الخلع باتفاق إراء العلماء، ويكون الطلاق رجعياً أي يحق للزوج إرجاع زوجته إذا أرادت هي، أو بئنا بينونة كبرى لا ترد إلا بالزواج مرة أخرى.

وكما للرجل للمرأة كذلك، إذا لم يعجبها بعد الزواج وبه دمامة وقبح فلها الحق في طلب اطلاق. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتت امرأة ثابت بن قيس النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ما أعتب على ثابت عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام (تأتي بمعصية نتيجة قبح زوجها)، فقال النبي الكريم: **أتردين عليه حديقته؟** (كان ثابت قد أهداها حديقة في صداقها) قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت: **اقبل الحديقة وطلقها تطليقة**، وذلك كي يراجع الاثنان بعضهما ربما يعودا زوجين مجدداً. نلاحظ أن للمرأة الحق في خلع زوجها شريطة أن تدفع له المهر الذي قدمه لها، أو مقابل الخلع الذي كان بسبب دمامة ثابت وقبحه، ما

أدى الى نفورها منه وعدم حبها له، وخوفا من لجوئها الى معصية الله ونشوزها والتقصير في حقه فطلبت الطلاق منه.

الطلاق كما قلنا هو نية فسخ عقد النكاح، أو عقد الزواج، لأن كلمة نكاح في الاسلام وفي الكتب السماوية الأخرى تعني الزواج فلا حرج، وذلك باللفظ أو التلميح أو التصريح، فهذا الأمر في غاية الأهمية والخطورة ليس فيه الهزل والمزاح والمزاج أيضا، فهو كنية الزواج، اذا عقدت النية فهو صحيح بالشروط والأحكام المطلوبة، والطلاق يجب أن لا يسري على السنة الناس كجري الماء في السيول، لأنه سيجرف ما أمامه والطلاق ولو كان مزاحا سيجرف الزواج ولا يبقى له أثرا، ولو تحملت الزوجة مزاح زوجها الا أنه سيرتك أثرا غير طيب في نفسها لا يندمل أبدا ولو تظاهرت بغير ذلك، حفاظا على اسرتها وعائلتها، علاوة على أن الزواج بعد المزاح يكون باطلا. عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مابال أقوام يلعبون بحدود الله ويستهزؤون بآياته؟ خلعتك، راجعتك، طلقتك. (النبي يستهزئ بهم)

معنى الحديث أن الناس أصبحوا يتلهون بكريه الحديث والقول، ولا يكثرثون بعواقبه الوخيمة، اذ أن في كلمة الطلاق انفصال الزوجة عن زوجها ولا تحل له الا اذا راجعها قبل العدة، وإذا لم يفعل يتقدم لها بمهر جديد وشهود وكأنه يتزوجها أول مرة، وإذا طلقها ثلاث مرات تحرم عليه الا أن تتزوج رجلا اخر زواجا شرعيا هدفه استقرار الحياة الزوجية، وإذا حلف الطلاق ولم يطلق فانه بذلك خالف شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتكون علاقته بزوجته غير شرعية وقد يقام عليه الحد، لأنه تعدى حدا من حدود الله.

الطلاق يختلف عن تحريم الظهار، فالطلاق واضح يقصد به الفراق بالنية، أما التحريم فانه لفظ قد لا يقصد به الفراق، وأخذ الشارع بتحريم الظهار مأخذ النية الحسنة وليست السيئة، وسبق أن قلنا أن الذي يظاهر زوجته بقوله أنت علي كظهر أمي تحرم عليه على اعتبار أنه ينوي الطلاق، ولكن اذا كانت عبارته نتيجة غضب أو ملل منها أو خلافه فلا يعتبر طلاقا، يقول بعض العلماء يتجنبها ولكن لا يفارقها عل وعسى أن يقرب الله القلوب، لأن في قوله أنت علي كظهر أمي (المظاهرة) لا يعني تحريمها عليه بشكل دائم، بل هو فعل منكر وزور لا يقع فيه طلاق، ولكن له عواقب يجب أن يتحملها الحالف على امرأته على أنها كظهر أمه لقوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ

وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ المجادلة 4

اذن الذي يظاهر زوجته كظهر أمه، لا يعتبر طلاقا على اعتبار أن أمه الحقيقية التي ولدتها وليست زوجته وهذا التفسير الالاهي من رب العالمين جاء ليخفف الوطأة عن الحالف (الزوج) بأن كلامه نوع من اللغو لقوله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝﴾

البقرة 225

ولكن وبالرغم من هذا التبرير، فإن الله تعالى وضع شروطا على الزوج كي يرد زوجته ويعاشرها مجددا، وهي دفع فاتورة كفارة الظهار الممثلة بتحرير عبد اذا كان لديه عبيد، واذا لم يستطع فصيام شهرين متتابعين وان لم يجد فاطعام ستين مسكينا جزاء بما اقترف لسانكم من لغط وزور.

الطلاق يقع اذا كاتب الزوج زوجته بمعنى الطلاق، أو كتب في صحيفة أو أرسل رسالة على عنوان زوجته كذلك الكناية عن الطلاق كأن يقول الزوج روجي الى بيت أهلك بنية الطلاق، أو اذهبي الى بيت أهلك، أو أنا سرحتك، أو أخرجي من البيت، أو أنت حرة بعد الان بنية الطلاق، وكل هذه الأمور يجب أن تكون بنية الطلاق فهو صحيح ويقع تحت عنوان الطلاق الرجعي قال ابن قدامة:

إذا ثبت أن يعتبر فيه اللفظ فاللفظ ينقسم الى قسمين، صريح وكناية، فالصريح يقع فيه الطلاق من غير نية، والكناية لا يقع بها الطلاق حتى ينويه، أو يأتي بما يقوم مقام النية. ولا خلاف بين جمهور الفقهاء في أن الطلاق يقع بالكناية مع النية.

يقع الطلاق اذا وكل الزوج أحدا بتبليغ الزوجة الطلاق (احتج الظاهرية على التوكيل وقالوا: لا يقع الطلاق بالتوكيل) في هذه الحالة يشترط في وقوع الطلاق وجود شاهدين مع الوكيل والا لا يقع الطلاق، واذا حصل ذلك يشترط في المراجعة وجود شاهدين أيضا. لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ

لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا ﴿ الطلاق 3

الاية الكريمة واضحة كل الوضوح، ضرورة وجود شاهدين بعد انقضاء الأجل اذا استرجع زوجته أو اذا طلقها بمعروف، فالشاهد في القران الكريم يؤكد على الشاهدين عند الطلاق وعند الرجعة، ولقد أكد فقهاء الأمة على وجوب وجود شاهدين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وقد أكدت دار الافتاء المصرية على وجوب وجود شاهدين عند الطلاق بعد انقضاء فترة العدة وعند الاسترجاع وقالت: اذا أقرت الزوجة بوقوع الطلاق وأنكر الزوج ان لم يكن شهود فيؤخذ برأي الزوج الحريص على استمرار الحياة الزوجية

الطلاق منه المنجز في حالة قول الزوج لزوجته أنت طالق، فيقع الطلاق دون تأخير، ومنه المعلق أي المرتبط بشرط كقول الزوج: اذا خرجت من البيت فأنت طالق، بعض العلماء يعتبره كحلف اليمين عليه الكفارة وهي اطعام عشرة مساكين أو صيام ثلاثة أيام متتابعات، ولا يقع الطلاق اذا خرجت المرأة من البيت أما اذا قال لها اذا سامحتيني بمؤخر الصداق فأنت طالق فاذا سامحته وقع الطلاق وهو صحيح. يقع الطلاق اذا غاب الزوج أكثر من عام عنها دون مسامحته ودون أن تعلم أين هو فعليها طلب الطلاق، اذا حكم عله بالسجن أكثر من عام فلها أن تطلب الطلاق اذا أرادت لوقوع الضرر اذا لا ضرر ولا ضرار.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل العاشر

- 1- الطلاق مكروه، وبعض العلماء أكد على عدم وجوبه الا للضرورة وهو أبغض الحلال عند الله تعالى. والضرورة لمن ارتاب في سلوك زوجته بالأدلة أو أن يستقر في قلبه عدم اشتائها، أو كفر المرأة أو عدم التزامها بشرع الله تعالى وما شابه ذلك
- 2- الطلاق يقع بلفظ صريح بدون نية الطلاق أو كناية بالفاظ مع النية، وهو الارسال والنية كما هو حل رابطة الزواج وانهاء العلاقة الزوجية
- 3- العلاقة الزوجية عهد أمام الله تعالى، ومن يفسخ العقد الا لسبب وجيه فقد أغضب الله تعالى بقوله سبحانه:

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَذَا وَاثْمًا مِّثْلًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

النساء 21

فالطلاق هو نقض لهذا العهد لقوله تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . الاسراء 34

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . المائدة 1

4- لا يجوز افساد الحياة الزوجية من عزول حاقد أو حاسد، لأنه بذلك يدمر الحياة الزوجية لقوله صلى الله عليه وسلم:

من خبب عبدا على أهله فليس منا ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا . أخرجه أبو داود وانسائي

5- الطلاق ليس للتسلية أو الحلف به اينما اتفق، فانه لا يقع الا لاستحالة العشرة وبعد تدخل وسطاء بين الطرفين من أهله ومن أهلها.

6- الطلاق عند بعض العلماء من حق الزوج وحده لأنه الأحرص على بقاء الأسرة والحياة الزوجية، والذي أنفق في سبيلها المال والجهد لذلك تجد أنه من الصعب على الرجل تدمير هذه الحياة التي طالما سعى اليها.

7- الطلاق البائن بينونة صغرى هو طلاق الرجعة، اذ يحق للزوج استرجاع زوجته قبل انتهاء عدتها وهي ثلاثة قروء أي ثلاث حيضات مع الطهر مهما طاللت المدة لقوله تعالى:

﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُغُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة 228

8- اذا انقطع الحيض عند المرأة أو كانت لا تحيض أصلا فعدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى:

﴿ وَاللَّي يَتَسَّنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ الطلاق 4

أما اذا حاضت خلال الأشهر الثلاثة وقبل انتهاء عدتها فيجب عليها أن تعتد بالاقراء، ولا يحسب ما مضى من العدة، واذا بدأت المرأة العدة بالاقراء فحاضت مرة أو مرتين ثم انقطع الحيض لوصولها لسن اليأس فانها تنتقل الى عدة الأشهر ولا يحسب لها ما مضى من العدة.

9- أما الحامل اثناء الطلاق فان عدتها الى أن تضع حملها سواء طاللت المدة ام قصرت،

سواء وضعت طفلا حيا أو ميتا والمقصود براءة الرحم من كل حمل أو شك بالحمل لقوله تعالى:

﴿ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾

الطلاق 4

10- بعد الطلاق حتى استرجاعها الى ذمته أو حتى تضع حملها على الرجل أن يكرم وفادتها ويسكنها المسكن الآثق حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا بالعودة الى ذمته أوتسريحها تسريحا جميلا، فالانفاق عليها في هذه الفترة واجب على الزوج المطلق يقول تعالى:

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولِي حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَائْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوْا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمِشْرُؤُهُ لَكُمُ الْاُخْرَى ﴾

الطلاق 6

11- المرأة التي لم يدخل عليها زوجها بعد عقد القران، أو لم يختل بها فلا عدة عليها لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِغْوُهُنَّ وَسِرَّخُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴾

الأحزاب 49

على المطلق قبل التماس أن يحدد مهرا للزوجة المعقود عليها أو هدايا معينة تنتفع بها المطلقة جبرا لخاطرها ودفعها لوحشة الطلاق وإزالة للأحقاد، وكل حسب سعته، وهو حق ثابت على الذين سحسنون الى المطلقات والى أنفسهم بطاعة الله، لقوله تعالى:

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

البقرة 236

ولها الحق قبل الدخول في نصف المهر اوالصداق، أو أن يترك لها كل الصداق من قبيل التسامح والارضاء يقول تعالى:

﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ۖ وَلَا تَنْسُوا الْفَصْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة 237

12- الرجل يحق له أن يسترجع زوجته بعد طلاقها مرة أو مرتين، وذلك احسان من الله وفضلا عظيما. في فترة العدة يجب أن يحسن وفادتها، وإذا كانت حاملا عليه مراعاة حقوقها كاملة، فاذا مرت العدة ولم يرجعها الى ذمته اما أن يطلبها بمهر جديد وشهود واما أن يسرحها سراحا جميلا. ما أروع هذا التعبير القراني، يقول تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَتْهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

البقرة 229

13- الطلاق البائن بينونة كبرى، أي اذا طلق الرجل زوجته ثلاث طلاقات متفرقات فلا يحق له استرجاعها الى ذمته الا بعد أن تتزوج رجلا اخر زواجا شرعيا لا زواج تحليل، كما يطلق عليه المخادعون في شرع الله تعالى. فالزواج الشرعي يقصد به الدخول والزواج من أجل الاستقرار ولا ينفك هذا الزواج الا بالموت أو الطلاق لأسباب جوهرية وشرعية أيضا، وأقصد بذلك الا يتفق الزوج السابق مع الزوج الجديد على طلاقها بعد فترة يحددها الطرفان وهذا محرم في الاسلام. بعض العلماء من يرى أن الطلاق ثلاثا دفعة واحدة يعتبر طلقة واحدة وهذا ما طبقه النبي الكريم، وبعض العلماء من رأى في فتوى عمر بن الخطاب لاعتبارها ثلاثة طلاقات تأديبا لمن اتخذ من الطلاق تسلية واستهتارا بالمرأة وبالدين، ولكن أغلب العلماء اعتبرها طلقة واحدة. يقول تعالى:

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَخْرُجَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۖ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة 230

14- لا يحل للمسلم ولا يحق له أن يبقي المرأة معلقة لا هي على ذمته ولا هو معتقها او مسرحها باحسان كما أمر الله تعالى:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة 231

اعتبر الله تعالى من يتجاوز هذه الأحكام بأنه معتد أثيم، ويهزأ بآيات الله تعالى ويتجاوز حدوده التي حددها للناس من أجل مصلحتهم وفائدتهم يقول تعالى:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ الطلاق 3

15- لا يحق لأحد أن يمنع أو يضيق الأمر على عودة الزوجين قبل انقضاء العدة ولا بعدها اذا نوى أن يعيد زوجته بمهر جديد وشهود، ولكن قبل أن يخطبها أخر بعد انقضاء العدة بشهور أو سنين ويتزوجها، فلا يحق له استرجاعها أو عودتها اليه لانقضاء أجل العدة يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَمْ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

16- اذا طلق الرجل زوجته وله منها ولد فارضعت له ولده وجب على الوالد النفقة والكسوة لها وللولد بالمعروف، ولا يحق لها أن تدفع بالطفل بعيدا عنها رضاعة أو تربية انتقاما من أبيه، كما لا يحق له أخذ الطفل منها لمجرد الضرار بها، وإذا حدث شيء للمطلق فعلى وريثه أن يتحمل مسؤولية الولد أو البنت ومسؤولية المطلقة لمدة عامين كاملين (مدة الرضاعة الشرعية) ولا يحق للآب أن يأخذ الولد ويمنعه من رضاعة أمه قبل العامين الا عن تراض بينهما يقول تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة 233

17- اذا دب الخلاف على الرضاعة بين الزوج ومطلقة اما لعدم قدرتها على الرضاعة أم لا تريد أن ترضع ابنه، فلا مانع من أن يدفع لها أجرة رضاعته أو يستأجر مرضعة له وينقدها أجرها بالمعروف لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِبَنِيكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَضِعْ لَهَا أُخْرَى﴾ الطلاق 6

18_ نهى النبي الكريم عن الطلاق في حالة حيض المرأة أو نفاسها، فعلى من يفعل ذلك أن يرد زوجته اليه الى أن تظهر ثم تحيض مرة أخرى وتحيض بعدئذ اما أن يبقيا على ذمته واما أن يسرحها بمعروف ولا يمسا طيلة هذه المدة.

19- العصمة في يد الرجل دائما الا في حالة الشرط عليه أن تكون العصمة في يد الزوجة، فالرجال على النساء درجة كما أنهم قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم، لأن الرجل هو أكثر حرصا على العلاقة الزوجية كما قلنا، وهو المنفق على المرأة وعلى الأسرة، فالمرأة لها الحق في الخلع ولكن ليس بلا سبب، عن ثوبان قال: قال صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها راحة الجنة. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

20- الطلاق لا يجوز للمكره عليه حتى لو كان من الأب أو الأم، اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالطلاق بالاكراه معصية للخالق لأنه أبغض الحلال، كما لا يجوز الطلاق للفاقد عقله والساهي والغضبان والمدهوش والهازل.

21- حلف الظهار لا يعني الطلاق بل على الحالف الكفارة، أما طلاق البتة فيعتبر طلاقا

- بأننا بينونة صغرى وبعض العلماء اعتبره بينونة كبرى لا تعود اليه زوجته الا بزواج رجل اخر .
- 22- الطلاق يقع بالاخبار أوكتابة مستبينة موسومة واضحة أو الاعلان في الصحف أو توكيل شخص بالغ عاقل بالطلاق.
- 23- يرى بعض العلماء ضرورة الاشهاد في حال الطلاق والطلاق بالتوكيل وفي حال الرجعة وبعضهم لا يشترط ذلك.
- 24- من حق الزوجة طلب الطلاق اذا غاب الزوج أكثر من عام بعلمها أو بدون علمها، واذا حكم عليه بالسجن عاما أو أكثر .
- 25- الطلاق المنجز هو الطلاق الفوري الذي يقع حال القول وفورا، ومن الطلاق المعلق المرتبط بشرط كقول الزوج لو خرجت من البيت أنت طالق وخرجت فيعتبر حلف يمين فعلى الحالف الكفارة، أما اذا اشترط عليها شرط مسامحته بالمهر المؤخر اذا طلقها وسامحتها فالطلاق منجز .
- 26- لا يجوز للزوج أن يهجر زوجته في الفراش فوق أربعة أشهر نكاهة بها أو كرها لها في هذه الحالة عليها أن تطلب الطلاق اذا أرادت.
- 27- الطلاق يكون بالتصريح واذا كانت النية بالطلاق تلميحا يقع الطلاق، لأن الطلاق في الاسلام هو حل عقدة النكاح بلفظ صريح أو كناية مع النية، وألفاظ الطلاق هي طلقتك، أنت علي كظهر أمي (المظاهرة)، الفراق بيني وبينك، وسرحتك، أو الحقي بأهلك أو ما يقصد به الطلاق والفراق، واذا لم يكن القصد من الألفاظ الطلاق فلا يقع ما عدا أنت طالق مرة أو مرتين أو ثلاثة أمامها أو أمام شهود عدول أو أمام القاضي حينئذ يقع الطلاق.
- 28- لا يجوز طلاق الرجل زوجته اذا كان مريضا مرض الموت أو المرض الذي لا يرجى شفاؤه، فاذا مات ترثه لأنه أراد حرمانه من الميراث قبل وفاته، ولكن الأحناف قالوا انها ترثه اذا مات قبل انقضاء عدتها ولا ترثه اذا مات بعد انقضاء عدتها لأنها محرمة عليه شرعا، ولكن العلماء عامة رأوا وجوب العمل بسد الذرائع، فمن طلق زوجته من أجل الا ترثه قبل موته أو في مرضه العضال فترثه بعد موته والله أعلم.

الفصل الحادي عشر

الصدق خصلة حسنة والكذب صفة سيئة في السنة النبوية

الصدق هو قول الحق ومطابقته للواقع، وقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نكون صادقين في

قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة 119

وصف الله سبحانه أنبياءه بالصدق:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم 41

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم 54

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ

خُضِرَ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف 46

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم 56

ذكر النبي الأمي الأمين في سورة الأحزاب بأنه من الصادقين بقوله:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا

زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ الأحزاب 22

ليس هذا فحسب بل ان الله تعالى رفع من شأن النبي ما لم يرفعه لأحد من أنبيائه ورسله لما وصفه بأنه على خلق عظيم، فالخلق العظيم عام وشامل لكل نواحي الخير والتي لا تحصى، كيف لا؟ وقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن الكريم كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها، فالقرآن يشتمل على كل مكارم الأخلاق وهي التي يتصف بها نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وكان عليه الصلاة والسلام له من آيات القرآن الكريم أكملها وأجلها وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا كما قال السعدي في شرحه الآية الكريمة، وكان الأنبياء والرسول قد بعثوا من أجل بث مكارم الأخلاق لدى الناس والمؤمنين منهم خاصة وجاء النبي الكريم كي يكمل هذه الأخلاق كي تكون منهاجا للناس في حياتهم، وما الصدق الا جانبا من جوانب الأخلاق الكريمة

والصادقون عند الله هم المؤمنون به تعالى وبرسوله عن يقين وقناعة لا تتزعزع، والذين

يجاهدون بأموالهم وأنفسهم يقول تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات 15

المهاجرون الفقراء الذين أخرجوا من مكة وهاجروا الى المدينة مع النبي الكريم والذين ينصرون الله ورسوله هم الصادقون، يقول تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر 8

تحدى الله تعالى الكفار والمشركين اذا ما كانوا صادقين بدعواهم أم كاذبون بأن يأتوا بسورة مثل ما جاء في القرن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة 23

كذلك تحدى اليهود والنصارى بأن يأتوا بدليل واحد على دعواهم ان كانوا صادقين بقوله:
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة 111

الصدق ضده الكذب، الأول من أسمى الصفات وأرفعها والثاني من أسوأها وأدناها، وكان نبينا الكريم يسمى الصادق الأمين قبل البعثة وبعدها، وذكر في الانجيل في سفر الرؤيا بهاتين الصفتين نقرأ:

ثم رأيت السماء مفتوحة واذا بجواد أبيض والراكب عليه يدعى الأمين الصادق الذي يحكم بالعدل الرؤيا 13

الصادق الأمين ما هو الا محمدا صلوات الله وسلامه عليه باعتراف الكهنة والرهبان الذين فسروا الآية من الانجيل، ولم يعرف بهاتين الصفتين من الأنبياء الا هو، فالصدق كما قلنا من أسمى الصفات وأرقاها كما أنه يفتح أبواب الرزق الموصدة أمام غير الصادق، وتثار له السبل والطرق المغلقة دون غيره، فالنبي الأمي الأمين كان صادقا ويحث على الصدق الذي هو صفة من صفات الأنبياء كما ذكرنا، عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه أن ملك الروم سأله: ماذا يأمركم به محمد؟ قال أبو سفيان: يأمرنا أن اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول ابائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. متفق عليه

بعد أن نصبت قبائل هوازن وثقيف الكمائن للنبي وأصحابه في غزوة حنين بين مكة والطائف، تفرق كثير من المسلمين عن النبي صلى الله عليه وسلم بالرغم من كثرة عددهم، ولكن الله تعالى نصره على المشركين بجنود من عنده، فهزم مالك بن عوف النصري قائد هوازن كما هزم قادة القبائل الأخرى مثل نصر وجشم وسعد بن بكر وغيرهم من القبائل التي رفضت الدخول في الاسلام

بعد فتح مكة المكرمة، فكانت حنين الفتح الثاني للنبي الكريم، وبعد أن من الله عليه بالنصر قال كلمته الشريفة:

أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. أي أنه نبي لا يكذب والأنبياء لا يكذبون على أقوامهم وأتباعهم هذا وقد سخر الله تعالى للنبي الكريم قبل البعثة كل السبل للتأكيد على صدقه وأمانته وحسن سيرته وسريته وكان ذلك بوضع الحجر الأسود في مكانه في الكعبة المشرفة، بعدما اختلفت القبائل فيما بينها أيها أحق بهذا الشرف العظيم، فاحتكموا الى أول من يأتي الى المكان، فكان محمدا صلوات الله وسلامه عليه، فقالوا جاء الصدق الأمين، فحكم بأن يوضع الحجر في عباءة ثم تمسك كل قبيلة بطرف فترفعه ثم يقوم بوضعه في مكانه بيديه الشريفتين، وكان حلا رائعا قبلت به القبائل واسبشرت بمحمد خيرا، ولكن هذه الصدفة الجميلة لم تكن هكذا بالنسبة للنبي صلوات الله وسلامه عليه بل كانت مقدمة لنبوته.

أولا: لاقرار قبائل قريش وزعمائها بأنه صادق لا يكذب، فلما جاء بالرسالة صدقه كثيرون تباعا بعد ذهاب الصدمة الايجابية بأنه نبي لا كذب.

ثانيا: بشارة له بأنه سيتلقى وحيا من الله تعالى يتضمن حج بيت الله تعالى والبدء بالطواف من استلام الحجر الذي رفعه بنفسه ووضعه في مكانه.

ثالثا: كان وضع الحجر في وضعه الحالي الهاما من الله تعالى لمكانة هذا الحجر بالنسبة لحجيج البيت فيما بعد، ولو أنه لا يضر ولا ينفع الا أنه جزء من مناسك الحج.

من أجمل ما في حياته صلى الله عليه وسلم الاسراء والمعراج، حيث عاد من معارجه يحدث قومه بما جرى له ليلتها فصدقه من صدق، ولكن بعضهم تشكك في الرواية ومنهم عمه أبو جهل، وبعضهم ارتد عن الاسلام. أبو جهل ذهب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال له: هل سمعت ما قال صاحبك في المعراج؟ يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت المقدس، قال: أوقال ذلك؟ قال: نعم، قال أبو بكر: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه؟ قال: نعم اني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في عدوه أو روحه، لذلك سمي رضي الله عنه بالصديق. ولمنزلة الصدق في الاسلام روي عن عبد الله بن عمرو وبعضهم نسبته الى عبد الله بن مسعود قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الصدق يهدي الى البر، وان البر يهدي الى الجنة، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وان الكذب يهدي الى الفجور، وان الفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا. متفق عليه

هذا الحديث الشريف يحث المسلم على الصدق دائما لأنه من الفضائل ويؤدي بالصادق الى الجنة، ويتجنب الكذب لأنه يؤدي بصاحبه الى الفجور وهو الفسق والميل عن الحق، وبالتالي يؤدي بصاحبه الى النار ولطالما كان النبي الكريم يحث أصحابه على الصدق وتجنب الكذب والبهتان وقول الزور، روي عن عبد الله بن عمرو قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن الخلق، وعفة في طعمة.** أخرجه أحمد

هذه الصفات الأربع تغني الانسان اذا اتسم بها عما في الدنيا من متعها ونعيمها. **أولا:** حفظ الأمانة، أي عدم التفريط بالأمانة التي أؤتمنت عليها ان كانت مالا أو عقارا أو سرا من أسرار العائلة أو سرا من أسرار أصحابك أو سرا من أسرار بلدك، كذلك أنت مؤتمن على أسرتك أولادك وبناتك ومؤتمن على والديك وزوجتك، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فأنت مؤتمن على زوجتك أم أطفالك، مؤتمن على حياتها ومعيشتها، واحترامها وتقديرها، لأنك استحللتها بعقد وميثاق أمام الله تعالى، لذلك لا يجب خيانة هذه الأمانة والاستهانة بها، لأن عواقبها وخيمة على الأسرة عامة والأطفال خاصة، كذلك كسر خاطر المرأة التي هي عمود البيت وكل شيء في حياة أسرتها.

ثانيا: صدق الحديث أي اذا حدث المسلم صدق في حديثه، والا أصبح من المنافقين والعياذ بالله، كما أكد على ذلك نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: **اية المنافق ثلاث، اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا أؤتمن خان.** عن أبي هريرة رضي الله عنه

الأربع السابقات في الحديث السابق هي الأربع المنجيات من العذاب، ولكن هناك أربع مهلكات وصاحبها في الدرك الأسفل من النار لأنه يعتبر منافقا، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه حصة من النفاق حتى يدعها، من اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا خاصم فجر، واذا عاهد غدر رواه الشيخان وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، أصدقوا اذا حدثتم، وأوفوا اذا وعدتم، وأدوا اذا أؤتمنتم واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم. رواه أحمد وابن حبان والحاكم

دروس وعظات وحكم ما فتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا اياها، لعمري انها

المنجيات من النار المؤدية الى جنات النعيم، وهي قمة الأخلاق التي تخلق بها نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، لا يريد لها لنفسه فحسب، بل يريد لها لكل مسلم ومسلمة حتى يكون لهم شفيعا يوم القيامة، فالصدق في الحديث والشهادة والمعاملات وغيرها على قمتها، والوفاء بالعهود والمواثيق ثانيها، وهو موضوع يطول بحثه، وأداء الأمانات اذا أؤتمنت وهو موضوع طويل أيضاً، أما حفظ الفروج وغيض البصر فانهما من صميم العقيدة الاسلامية التي تهدف الى سلامة المجتمع الاسلامي وأمنه، كما نقائه وصفائه من الشوائب المدمرة للمجتمعات التي لا ضوابط أخلاقية لديها، ولكن المجتمع المسلم يجب أن يتحلى بأعلى الأخلاق وأسمائها، منها بالطبع حفظ الفروج وغيض الأبصار عن المحرمات وذلك لحفظ الأعراض والأنساب والأحساب ونقاء وصفاء وطهارة المجتمع المسلم من كل الأذناس.

كذب الحديث من اسوأ الخصال كما ذكرنا، لأنه يضر بصاحبه أولاً ثم بمجتمعه، وخصوصا اذا كان الأمر يتعلق بالأحساب والأنساب والأعراض، أو نقل الحديث من شخص الى اخر مع اضافات مغرضة من عند الكاذب لغرض في نفسه، لذلك لا بد من التحري عن أصل الكذب ومنبعه لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحرات 6

والصدق في القول فضيلة، والصدق في العمل يحمل كل معاني الايمان من طهارة ونقاء وصفاء وعفة وشرف، لأن القول يصدق العمل كما قال الحسن البصري: ليس الايمان بالتلمي، ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل. فالايان بالله باللسان له فوائد قد تؤتي أكلها، ولكن العمل هو الذي يصدق الايمان فلا يكفي أن يقول المسلم اني مؤمن بالله وبرسوله، بل لا بد له أن يثبت ذلك بالصلاة والصيام والزكاة والعمل الصالح.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحرات 14

لا يكفي للمسلم أن ينصح الناس بالأمانة والاخلاص في العمل وينسى نفسه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف 3

ولا يكفي العمل أيضا اذا لم يكن متقنا، أكان في الصلاة أم في الصيام أم في حج بيت الله أم في اداء الزكاة أم كان في الوظيفة المسندة اليك أم في أي مجال من مجالات الحياة، فلا بد من

الاتقان ومخافة الله في العمل لقوله صلى الله عليه وسلم:

ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه. أخرجه أبو يعلى والطبراني

العمل الصادق من أحب الأشياء الى الله تعالى لقوله:

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة 105

ثالثا: حسن الخلق، من اتصف بحسن الخلق عظم شأنه عند الله تعالى في الآخرة وعند الناس في الدنيا وحسن الخلق أمام الله يتمثل بالتأدب أمامه تعالى في القول والعمل في الصلاة والصيام والدعاء والركوع والسجود والائتمار بأوامره واجتناب نواهيه، والصبر على ما يصيب المسلم من عنت وأذى ويهب كل عمله وصبره لله تعالى، أما حسن الخلق أمام الناس فيتمثل بكف الأذى والمعاملة الحسنة والتصدق وبر الوالدين وكل عمل صالح يحقق المنفعة للمسلم ولمجتمعه ويحقق مرضاة الله سبحانه وتعالى.

رابعا: عفة المطعم، أي لا يأكل المرء القادر الا من كد يده ومن عرق جبينه، ولا يأكل من المال الحرام ولا مما حرمه الله تعالى، ويطعم اذا أطمع مما يأكل ومما يشرب ويتصدق مما يلبس وهكذا، هذه الصفات التي يجب أن يتصف بها المسلم والتي تغنيه عن الدنيا ومباهجها ومحاسنها. الصادق يعيش حياته في طمأنينة وهدوء، لا يفكر فيما يعكر صفوها لأنه لم يحدث بما يخالف الطبيعة الخيرة المتجذرة في الانسان بطبعه، لأنه يولد على الفطرة والصادق هو الذي ما زال على الفطرة مطمئن لأفعاله وأقواله، لا يعتريه الخوف والوجل ولا يساوره القلق من شيء مخالف للدين أو للقانون أو مخالف لما جرت عليه عادات الناس وتقاليدهم الطيبة. عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة. رواه النسائي

وخير الصدق في التجارة، اذ أن التاجر الصادق لا يغش أبدا ولا يخدع الناس أو يمنيهم بما ليس في بضاعته، أو يخلف المواعيد والمواثيق معهم، فالتاجر الناجح هو التاجر الصادق، وهو في الآخرة من الفائزين يقول النبي الكريم:

التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء، أما التاجر الفاجر في التجارة والحلاف المهين فهو في الآخرة من الخاسرين. رواه الترمذي
وقال أيضا:

التجارهم الفجار، قالوا: يا رسول الله أوليس قد أحل الله البيع؟ قال: بلى ومنهم يحلفون

فيأثمون وحدثون فيكذبون. مسند أحمد

وأكد على قوله بأحاديث كثيرة حيث قال صلوات الله وسلامه عليه:

ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق. رواه الترمذي وابن حبان
نلاحظ أن النبي الكريم أكد على أن عواقب الكذب في التجارة وخيمة، كما أكد على ضرورة
تحري الصدق والتعامل به، ومن التجار من يحلف ايمانا غليظة بأن سعر بضاعته بكذا ولا يربح بها
وهو غير صادق ويحلف ايمانا كثيرة في مواضع كثيرة كذبا وزورا، وهو يغش الزبائن ولا يبالي،
ومنهم من يطفف بالميزان ومنهم من يبالغ في الأرباح ومنهم من يخبي البضاعة عن الناس
لاحساسه بأن أسعارها ستزيد كي يحقق أرباحا أكثر، ومنهم من يحتكر البضاعة ولا يسمح للآخرين
ببيعها كي يستأثر بها ويتحكم بأسعارها، هؤلاء الذين أسماهم النبي الكريم بالفجار، والفجار عند الله
في الجحيم.

الكذب هو ضد الصدق كما في الحديث السابق، فان الكاذب لا يعيش حياته باطمئنان
وسكينة، وهو دائم الكذب والناس لا يتوقعون منه الصدق، ويتربصون كلامه ويتحرزون منه، لذلك
يعيش بالهواجس والخيالات المريضة فلا يصدق أحد، وتكون العواقب عليه وخيمة كالراعي الذي
كذب على أهل قريته بأن الذئب هجم على قطيعه وطلب النجدة منهم فلما أتوه فازعين لم يجدوا ذئبا
ولا حتى ثعلبا، وتكررت الكذبة مرارا حتى اتت مجموعة ذئاب وليس ذئب واحد فأخذت تقترب
الأغنام وتبقرها واحدة تلو الأخرى وهو يستغيث، ولكن ما من مغيث لأنهم خبروه كذبا أشرا، وهذه
نتائج الكذب. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على خصومة مع الكذب والكاذبين، عن عائشة
رضي الله عنها قالت:

كان النبي اذا أطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث
توبة. أخرجه أحمد

وعنها قالت: ما كان خلق أبغض الى الرسول من الكذب، فكان الرجل يحدث عند النبي
بالكذبة فما زال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة. صحيح الترمذي

وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

يطبع المؤمن على خلال كلها الا الخيانة والكذب. رواه أحمد عن أبي أمامة

هذا الحديث الشريف يبين فقه النبي الكريم وعلمه الذي علمه الله اياه، وأنه لا ينطق عن
الهُوى ان هو الا وحي يوحى اليه، ففي علم النفس الحديث أثبتت الأبحاث أن المرء يولد وهو مزود
بحاجات أساسية لا دخل له أو للمجتمع بها، وهي التنفس والاخراج والطعام والشراب والجنس، وكل

حاجة من هذه الحاجات مهمة للإنسان ولا يعيش بدون التزود بها، ولكنها بدرجات متفاوتة فالإنسان والحيوان والنبات بشكل عام كل يحتاج الى هذه الحاجات الأساسية فالتنفس أول هذه الحاجات الأساسية اذ لا يمكن للكائن الحي أن يعيش بدون التنفس ثم الاخراج ثم الماء أو الشراب ثم الطعام ثم الجنس، أما الصفات الأخرى فيزود الله بها الإنسان اما خيرا واما شرا، لكن الإنسان عليه أن يختار بين هذه المتضادات لأنه يتعلمها ويكتسبها من مجتمعه مثل الحب والكراهة، الخير والشر، الايمان والكفر، العفة والتهتك أو المجون، الخوف والشجاعة، وعلى قمة هذه الصفات الايمان بالله، فان الإنسان يولد مؤمنا، فأبواه اما أن ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه، هذه الصفات وغيرها كثير يتعلمها المرء نتيجة احتكاكه بالمجتمع وتعلمه في المؤسسات الاجتماعية بدءا بالأسرة مرورا بالمدرسة والمسجد والنوادي الاجتماعية والاعلام المرئي والمسموع والمقروء ثم ممارسة ما تعلمه المرء وامتنسبه في الحياة، لذلك أكد النبي الكريم على أن هذه الصفات موجودة في الإنسان الا الخيانة والكذب فانهما صفتان بغضتان الى القلب والى الضمير الانساني، لذلك فهما ليستا من طبائع الإنسان العادي الذي يكتسب الايجابيات والسلبيات من المجتمع، فالمجتمع المسلم لا يعلم الخيانة ولا يعلم الكذب، كذلك لا يعلم الرشوة ولا السرقة وما شابه ذلك من خلال السيئة، بل انه ينمي العادات الحسنة التي جبل عليها المسلم بايمانه وعقيدته، فما جبل عليه الإنسان يلتصق به ويكون جزءا من شخصيته، فهناك من الطباع التي يتصف بها السلوك البشري بناء على التجارب والتعلم والتعليم التي مر بها، فلا مدرسة هناك تعلم الكذب ولا أسرة تعلم أبناءها الكذب الا اذا كانت أسرة منحلة لا تنتمي لمبادئ الاسلام لأنه من أسوأ الخلال وأدنىها الخيانة والكذب ليسا من طبائع الإنسان العادي، والكذب يستخدم عادة لفرض الخداع، أي خداع الكاذب للمكذوب عليه، وبطبيعة الحال لا بد من وجود دافع لكل فعل، فدافع تناول الطعام هو الجوع أو الحاجة الى اشباع المعدة لعدم الشعور بالجوع، أما دافع الكذب فيكون غالبا الهروب من المسؤولية والقضاء اللوم على شخص معين أو المجتمع برمته، وقد يكون الدافع للحصول على منفعة مادية أو معنوية من الطرف الآخر أو الضحية، أو ربما يكون دافع الكذب الخروج من مأزق معين أو اخراج شخص اخر من مأزق أيضا اذن دوافع الكذب كثيرة، ويمكن التعرف اليها من خلال السلوك أو الموقف الذي يمارس فيه الكاذب هذه العادة السيئة.

الكذب موضوع كبير يحتاج الى عمليات تحليل نفسية عميقة لكل موقف كاذب أو سلوك كاذب، وهو مرتبط بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وتفاعلهم مع بعضهم البعض، فمتعاطي المخدرات مثلا يلجأ الى الكذب كثيرا لتبوير سوكه المرضي، وكثير من الذين يحتاجون الى المال

يلجأون الى الكذب للحصول عليه وبالتحايل أيضا، لأنهم لم يستطيعوا الحصول عليه بالكد والعرق، وهذا الصنف من الناس يغضب الله عليه لأنه يلجأ الى التحايل لاقتناص مال الغير دون وجه حق لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 188

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من حلف على يمين كانبا ليقطع مال رجل لقي الله وهو عليه غضبان. رواه ابن مسعود

والكذب ليس حالة فردية بل قد تكون جماعية كحلف الزور كذبا من قبل جماعة أمام المحكمة لارضاء شخص متنفذ أو للحصول على مال أو منصب أو ما شابه ذلك، وقد تكذب حكومة على شعبها كي تخفف من غضبه أو تخفف من روعه، وقد تكذب دولة بتصلها من عمل عدواني أو فعل مدان دوليا.. الخ الكذب أنواع وأسوأها الكذب على الله، اذ أن بعضهم يحلل الحرام ويحرم الحلال ويقول هذا من عند الله كذبا وزورا، يقول تعالى:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَكَثَرُوا لِيَعْقِلُوا﴾ المائدة 103

وقوله تعالى:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ النساء 50

والكذب على لسان النبي الكريم أيضا من أسوأ أنواع الكذب، بعض الناس وبعض الرواة يؤلفون أحاديث وروايات غير صحيحة وينسبونها الى النبي الكريم، أو الى احدى زوجاته، وخصوصا على لسان السيدة عائشة رضي الله عنها وهؤلاء معروفون و يهدفون الى الاساءة لبيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الرواة من يعتقد أنه بتأليفه حديثا أو رواية باطلة يعمل على تثبيت الايمان في قلوب المسلمين، وهذا اعتقاد خاطئ لأن أحكام الدين ليست لعبة في أيدي جهلة القوم، وأن هذه الأمور تبليبل العقيدة وتفسدها ولا تصلحها بالرغم من أنها صالحة ولم تكن يوما فاسدة، وبعض المندسين على الدين يحاولون بث المتناقضات في الحديث أو الأحاديث الضعيفة، لا بل ان بعض غير المسلمين يحاول تشويه أحاديث النبي صلوات الله وسلامه عليه ووضع أحاديث لم يقلها على لسانه ولم يتطرق اليها، لذلك يجب الحذر كل الحذر من هذه المحاولات المضللة، كما يجب مراجعة الصحاح بين فترة وأخرى واجتثاث الموضوع فيها ومن بينها، أكان حديثا أم رواية باطلة أو غير ذلك، عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ان كذبا علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري لأن الكذب على لسان النبي معناه الأخذ بما نقل عنه وجعله قانونا اسلاميا، أو على أقل تقدير سلوكا أو قولاً يعمل به ويكون قدوة للمسلمين، فاذا نقل قول أو فعل أو تقرير عن ملك أو حتى عن امبراطور ولم يعجب الناس بتركوه ولا يعملوا به، لا، بل ينسى مع الأيام والسنين، ولكن اذا نقل قول أو فعل أو تقرير عن النبي الكريم فلا يجزئ مسلم أن يتركه، ولكن من حقه أن يشكك في صحته، لذلك يجب البحث والتدقيق بشكل مستمر، لذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان كذبا علي ليس ككذب على أحد.

الكذب كغيره من السلوكيات السلبية ولكن الانسان لا يجبل عليه بل قد يتعلمه من الأسرة، لذلك نقول ان الكذب على الأطفال منهى عنه، ناهيك عن تعليمه لهم بقصد أم بغير قصد، فغاية التربية الحسنة تنشئة الجيل على الصدق والثقة بالنفس لا الغش والخداع، لأن الطفل ينشأ على ما يقال له من الكبار، فاذا ما سمع أشياء مخالفة للواقع، فانه يعتقد أنه الصواب وغير ذلك ليس صوابا، فالطفل مثلا اذا قالت له المعلمة أو المعلم ان الأرنب يطير فانه يذهب الى البيت ويقول لأمه ان الأرنب يطير، فانهما حاولتا تصحيح المعلومة لديه فانه من الصعب تقبل غيرها، لأن المعلمة التي يثق بها ثقة عمياء قالت له ان الأرنب يطير من هنا يجب على كل من هو مسؤول عن تربية الطفل أن يعلمه الأمور بدقة متناهية، ويعلمه صدق الحديث، لأن الكذب يودي بصاحبه الى النار، ليس ذلك فحسب، بل لأن الكذب ليس من شيمة الانسان السوي وطبعه، وليس اسلوبا جيدا للتعامل مع الناس لأنه يضر بصاحبه وبالمجتمع ككل أيضا، وفي درس بليغ من النبي الكريم في النهي عن الكذب على الأطفال، أنه سمع امرأة نادت ابنها وقالت له: تعال أعطيتك شيئا، فسألها النبي عن هذا الشيء فقالت: أريد أن أعطيه تمرا، فقال لها: أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة. هكذا كان النبي الكريم يعلم الناس رجالا ونساء أطفالا وشيوخا، يعلمهم الصدق في القول والبعد عن الكذب مهما كان صغيرا، جدا أم هزلا، لأن الكذب لا يعلم الا الكذب ويطبع الطفل عليه اذا استمر يسمعه في كل مناسبة. قال النبي الكريم:

لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئا ثم لم ينجز له، ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة، وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار، انه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، او يكذب حتى يكتب عند الله كذابا. رواه الشيخان البخاري ومسلم

كذب المزاح من أخطر أنواع الكذب، اذ قد يمزح المسلم مع زميل له ويقول له، لقد تعطلت

الدوائر الحكومية اليوم فلا داعي لأن تذهب الى العمل، فاذا صدقه صاحبه ولم يذهب الى العمل فانه يفقد وظيفته أو على أقل تقدير يوبخ على غيابه أو تقصيره أو تأخره عن العمل، وإذا اكتشف أن حديث صاحبه غير صحيح وأنه كذب عليه كذبة مزاح فان علاقتهما ستتأثر الى الأسوأ، وهكذا الأمثلة تتوالى، كذلك كذبة نيسان كما يطلق عليها الناس، فان لهذه الأنواع من الكذب لها عواقب وخيمة تضر بالناس وبمصالحتهم وحياتهم، يقول النبي الكريم:

ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له. رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد

وقال نبينا الكريم أيضا:

أنا زعيم بببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه. رواه أبو داود

تحدثنا عن الكذب وأنواعه وأسبابه ودوافعه، وقلنا ان بعض الدوافع ما يؤدي الى الكذب البواح، وبعضها يؤدي الى الكذب المباح، والأول فيه خداع للآخرين والثاني فيه اصلاح للمجتمع سمعت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط النبي الكريم يقول:

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا وينمي خيرا. أي الذي يصلح بين الناس ويقول في كل منهم خيرا للاصلاح فلا يعتبر كذبا، كذلك الذي يخفي الحقيقة عن أعين الظالمين اما لتعليمهم الايمان أو الاستهزاء بهم وبكفرهم، كقول ابراهيم الخليل عليه السلام لقومه مستهزا بعقائدهم البالية بعد أن حطم أصنامهم:

قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم 62 قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون الأنبياء 63

بعض المفسرين قال: ان ابراهيم أشار باصبع إبهامه لهم بأنه فعل بالهتهم ما فعل، وبعضهم أوضح أن ابراهيم أشار الى كبير الأصنام وقال لهم: اسألوه واسألوهم ان كنتم لا تصدقونني. الكذب محرم في الاسلام لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ النحل 105

وقوله أيضا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر 28

الكذب من الكبائر فيجب تجنبه في كل صوره وحالاته، الا ما قصد به الاصلاح بين الناس والاصلاح بين الزوج وزوجه وأثناء الحرب لأنها خدعة، وما يراد به الحفاظ على أسرار البلاد

والعباد، وما يقاس على ذلك لا يعتبر كذبا والله أعلم.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الحادي عشر

1- الصدق من صفات المسلم الحق، وهو صفة حميدة يجب أن يتصف بها الفرد والمجتمع على حد سواء

2- يجب أن يكون الصدق أولا مع الله، وذلك بأن يكون العبد مخلصا له تعالى في عبادته، مطيعا لأوامره متجنباً نواهيه لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة 119

3- المسلم يجب أن يكون صادقا مع نفسه، أي لا يجوز أن يخدعها بالتمني والكذب، أو تبرير كل عمل سيئ أو غير صالح، فالصدق مع النفس هو الذي يرفع المسلم الى مصاف النبيل والعفة والشرف وكل الصفات الحسنة.

4- الصدق مع المجتمع، على المسلم أن يكون صادقا في معاملاته مع أفراد مجتمعه في كل مناحي الحياة وإنشاء علاقات اجتماعية سليمة، ومعاملات تجارية صادقة واتباع الخطوات السليمة في معاملات الزواج والطلاق واحترام الجار وبر الوالدين ... الخ.

5- الصدق في التعاملات مع غير المسلم، اذ يجب أن يكون المسلم قدوة يعكس روح الاسلام السمحة

6- يجب أن يكون المسلم قدوة في النجدة والفروسية والأمانة والحفاظ على حقوق الآخرين

7- الصدق يكون في الحديث، اذ يبتعد المسلم عن المراوغة والخداع كما يجب أن يقرن القول الصادق بالعمل الصالح والا كان منافقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف 2

8- الصدق في البيع والشراء، فالبائع المسلم لا يكذب الحديث، ولا يحلف على بضاعته ولا يغش ولا يبالغ في الأسعار ولا يحتكر البضاعة ودائما ما يبيع بالتراضي لقوله صلى الله عليه وسلم:

البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما. متفق عليه

وقال صلى الله عليه وسلم:

رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى. رواه البخاري عن جابر

9-الصدق والأمانة خصلتان حميدتان يتصف بهما المسلم أسوة بنبي الأمة والعالمين الذي كان يسمى الصادق الأمين

10-الصدق طمأنينة للنفس في الدنيا والاخرة، لذلك على المسلم أن يتحرى الصدق دائما لقول النبي الكريم

تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلكة. رواه الامام المنذري عن منصور بن المعتمر

11- الصادق يكتب عند الله صديقا، والكاذب يكتب عند الله كذابا وشتان بين الأمرين.

12-الصدق منجاة للمسلم والكذب مهلكة له، قال الحسن بن علي عليه السلام: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: **دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة.** رواه الترمذي والنسائي

13-الصادق الأمين شديد الصلة بالله تعالى، دعاؤه مستجاب والله ينظر اليه نظرة رضى، ومن ينظر اليه نظرة رضى فقد رحمه، والذي يتحرى الصدق تعبدا لله تعالى يثاب يوم القيامة لقوله تعالى: **﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾** المائدة 9

14- الكذب مهلكة للفرد وقد يضر به ويضر بمجتمعه، وبعض أنواع ما يسمى بالكذب ليس كذبا بالمفهوم الحرفي له، بل هو اتقاء شر الأعداء أو المغرضين، أو للصلح بين الأقربين والأزواج وهكذا.

15- من شر أنواع الكذب الكذب على الله ورسوله، وذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال واختلاق أحاديث وروايات غير صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأصحابه رضوان الله عليهم.

16-الكذب هو أقصر الطرق الى النار وهو كبيرة من الكبائر.

17- الكذاب لا يؤتمن على شئ فهو غير جدير بالأمانة، فهو والغشاش والمنافق لا فرق، فهؤلاء غير مؤتمنين على مال أو عقار أو سر من الأسرار مهما كان صغيرا، علاوة على أنهم غير مؤتمنين على الدين لأنهم يفسرون الأمور حسب أهوائهم ورغباتهم.

18-يجب أن يكون الحاكم صادقا مع رعيته لا يكذب، فإن في كذبه مهلكة للبلاد والعباد، وليس أدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم. **أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب.**

19- يجب تغليظ العقوبة على الكاذب لما له من اثار سيئة على المجتمع المسلم.

الفصل الثاني عشر

قتل النفس البريئة في السنة النبوية

قتل النفس التي حرم الله الا بالحق محرم في الاسلام تحريماً قطعياً، ومن يدعي أن الاسلام يدعو الى القتل فهو كاذب أشد منافق ومغرض، يريد تشويه سمعة الاسلام النقية الصافية، وتلطيخ ثوب الاسلام ناصع البياض بالأوساخ، لأنه لا يروق له أن يرى ويلمس بنفسه ما لهذا الدين من قداسة وحرمة ورفعة وتقدم وحضارة، وهكذا من الصفات الحسنة التي لم يسبق لها دين أو مذهب أو فلسفة من قبل، ولا تجد في الاسلام كلمة قتل النفس التي حرم الله الا بالحق، ولا تجد كلمة ازهاق الروح المحرمة، وازهاق الروح انما يكون بالحق وليس بالباطل، فازهاق روح الحيوان من أجل الطعام حق، وازهاق روح العدو الذي يتربص بك ليقتلك ويعتدي عليك وعلى أهلك وبلادك وشرفك وإنسانيتك حق، أما قتل النفس البريئة دون وجه حق فهو باطل لا مسامحة في ذلك الا اذا عفى أهل المقتول عن القاتل، ولكن في الآخرة لا مسامحة له حتى يؤدي حق القتل.

القتل يعنى اللعنة من الله في بعض المواقع، فالكفر بالله أو الشرك يوقع صاحبهما تحت لعنة الله تعالى ويضرب بعتبة بن أبي لهب مثلاً على ذلك، بأن لعنه الله لعدم إيمانه بسورة النجم لأنها تتحدث عن معراج النبي صلى الله عليه وسلم ووصوله الى السماوات العلاء، واقترابه من سدة المنتهى فارتد عن الاسلام وقال: كفرت برب النجم وقال أيضاً ك امنت بالقرآن كله الا سورة النجم، فانزل الله سبحانه وتعالى آيات في سورة عبس تتضمن اللعنة والعذاب عليه في قوله تعالى:

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ عبس 18

وان كانت الايات الكريمات نزلت في عتبة حسب رأي بعض المفسرين الا أنها تقصد جنس الانسان الذي خلقه الله من شئ غير ذي بال الى أن يصبح رجلاً أو امرأة يكفر بالله العظيم وبآياته، ويروى ان النبي الكريم دعا على عتبة نتيجة ارتداده عن الاسلام بأن يسلب عليه كلب أسد الغاضرة لكفره، فذهب من فوره الى الشام فوصل الى الغاضرة فتذكر دعاء النبي عليه، فكان أن قضى فيها تحت أنياب الأسد

القتل يعني الازاحة أو التخلص من الشئ غير الانسان أو الحيوان، كقولنا بعد تناول الطعام قتلنا الجوع أو قتلنا العطش بعد الارتواء بالماء أو غيره من غير المسكر بالطبع، أو قتل الوقت بعمل أشياء مفيدة حتى يأتي ما ينتظره المرء، والذي يهنا هنا هو قتل النفس البريئة المحرمة في الاسلام، كواد الفتاة بعد ولادتها كما كان يفعل الجاهلون المتخلفون قبل بزوغ فجر الاسلام، وقتل

النفس من أجل السرقة أو من أجل أخذ الثأر، أو قتل نفس بريئة بعد الحكم عليها بالموت ظلما وعدوانا، ومن الناس الضالين من يفتي اليوم بقتل الأبرياء في الأسواق والمساجد والكنائس ظلما وعدوانا بحجة تكفير المجتمع والناس، هذا القتل بكل مبرراته هو الارهاب بعينه، وهذا ما يفعله المتطرفون من المسلمين واليهود وغيرهم في اسرائيل ضد الفلسطينيين الأبرياء، والهندوس في الهند وكشمير، والصين بالمسلمين في بلادهم، وغيرهم وغيرهم كثيرون يمارسون القتل المحرم في الاسلام لأنه لا يقره أبدا ولا بأي حال من الأحوال، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الاسراء 33

هذا وقد اقترن قتل النفس بالشرك بالله، وكما أن المشرك له عذاب أليم فالقاتل كذلك يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ الفرقان 69

ووصف الله تعالى عملية قتل البرئ الواحد عن عمد وقصد بأنها قتل للناس جميعا، لأن بني اسرائيل درجوا على قتل الناس دون ذنب أو جريمة تذكر، كما يفعلون اليوم في فلسطين يقتلون المرأة والطفل والرجل والشاب دونما ذنب، ولكن كي يتسلون بالناس ويروون تعطشهم للدماء، فليس عبثا أن يحذرهم رب العالمين من مغبة أعمالهم التي نراها ونشاهدها كل يوم كحقيقة دامغة على تجنيهم على الأبرياء، يحذرهم رب العالمين بقوله:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة 32

جاءت هذه الآية الكريمة بعد ذكر قصة قتل قابيل أخيه هابيل، حيث قتله بغير حق وكان من النادمين على فعلته الشنيعة تلك، وبعد ذلك بقرون تبوأ بنو اسرائيل مكانتهم في الأرض بعد أن مكنهم الله تعالى، ولكنهم أسرفوا في القتل بدون حق، فالقران الكريم لا يذكر ذلك لتوبيخ هؤلاء فحسب، بل ليكون الأمر قاعدة تسري على بني اسرائيل وغيرهم، وخصوصا المسلمين الذين يتبعون أوامر ربهم ويجتنبون نواهيهم، ومن أهمها ضرورة الحفاظ على النفس البشرية وعدم التفريط بها كما يفرط بها بعض بني إسرائيل.

هناك آيات بينات كثيرة بين دفتي القرآن الكريم تنهى عن القتل وتحرمه وجعلت منه أثما ومعصية كبيرين كما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتل العمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وماهن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. وقال صلى الله عليه وسلم:

لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مسلم بغير حق. رواه البيهقي في شعب الإيمان وجاء هذا الحديث بروايات مختلفة بالمعنى نفسه. ولعل خطبة الوداع لخير مؤشر ودليل على حرمة قتل المؤمن للمؤمن أو حتى قتل غير المؤمن، قال النبي الكريم: أيما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل برئ وإن كان المقتول كافرا. أخرجه البزار والطبراني وفي خطبة الوداع نقرأ:

إن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت؟ ثلاثا، وكانوا يجيبون: نعم، قال: ويحكم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

من هذا الخطاب الشامل الجامع وله تكملة، يبين لنا نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حرمة قتل النفس البريئة المظلومة، ووصل الأمر الى تكفير كل من يقتل نفسا بريئة، أي لم يعد له من اسلامه وإيمانه شيء بعد القتل، عن عبد الله بن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما. أخرجه البخاري وقال أيضا: كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا امن مات مشركا أو من يقتل مؤمنا متعمدا. رواه أبو داود

الله سبحانه وتعالى سيجعل للمقتول سلطانا على القاتل إلا أن يأخذ حقه كما ذكرنا سابقا، وفي السياق نفسه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يجئ المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة، اخذا رأسه بيده فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول قتلته لتكون العزة لك، فيقول انها لي، قال ويجئ اخر متعلقا بقاتله فيقول: رب سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فانها ليست له فيبوء باثمه، قال:

فيهوي في النار سبعين خريفاً.

أخرجه النسائي والطبراني

وقال أيضاً:

لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبههم الله في النار. رواه الترمذي
وهناك أحاديث كثيرة تحرم وتجرم قتل النفس الانسانية الا بالحق، وكلها تؤكد على قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

عظيماً﴾ النساء 93

مما سبق ندرك أن القتل العمد جريمة كبيرة ومصير القاتل النار بعد غضب من الله تعالى، ولو اشترك عدد كبير في عملية القتل ولو بشطر كلمة ينالون العقاب نفسه ولا يغفر للقاتل يوم القيامة، وما بالكم بالذين يستيحيون دماء المسلمين في الأسواق وأماكن العمل والرزق والمساجد، وغير المسلمين في المعابد وأماكن التجمعات وغير ذلك؟ هؤلاء باءوا بغضب من الله ورسوله ومأواهم جهنم وبئس المصير.

غاية الاسلام هي الحفاظ على النفس البشرية أينما كانت وأينما حلت، وتقديرها حق قدرها من أجلها ومن أجل حياتها ومن أجل الحفاظ على الحياة البشرية على الأرض، كما هو الحفاظ على الأفراد والجماعات من نقشي الجريمة الخطرة يقول العلماء: ان مقاصد الشريعة الاسلامية الحفاظ على خمس:

الحفاظ على المسلمين وعلى دينهم وعقولهم وأنسابهم وأموالهم، فحفظ النفس الانسانية وحمايتها ضرورة دينية ومصلحة شرعية وفطرة سوية وغريزة انسانية، وقالوا: ان دماء المسلمين عند الله مكرمة محترمة مصونة محرمة، لا يحل سفكها ولا يجوز انتهاكها.

القتل الخطأ كفارته تحرير رقبة ودية مسلمة الى أهل القتل الا اذا عفا أهله وسامحوا، كما أن هناك كفارة على قاتل شخص من أعداء قومه قتلاً خطأ، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

النساء 92

قتل المرتد عن الاسلام لا يتم ولا يطبق الا بعد استتابة المرتد عدة مرات، ويستتاب وجوباً وليس اختياراً أو استحباباً، وقتل المرتد فيه اراء مختلفة منها أنه لا يجوز قتله عملاً بالاية الكريمة:

﴿ لَا إِخْرَازَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة 256

وقوله تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾
الكهف 29

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ السجدة 22

بعض الفقهاء يرى أن قتل المرتد حد من حدود الله إذا لم يتب خلال ثلاثة أيام يطلب منه فيها التوبة، فإذا تاب وأصلح فأمره الى الله تعالى لقوله جل من قائل: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۚ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة 5

هذه الآية الكريمة تسمى اية السيف أي اعمال السيف فيمن عاهد النبي من المشركين ثم أنكر ما عاهد عليه، وخصوصا بعد فتح مكة واستتباب الأمر للنبي الكريم، وبالرغم من ذلك تسير الآية بروح التسامح مع هؤلاء إذا تابوا الى الله، وتماشى هذه الآية مع الايات المدنية التي تدعو الى التسامح أيضا، ولكن في حدود التوبة وليس في حدود استمرار التمرد والعصيان، بدليل التسامح مع هؤلاء حتى النهاية قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة 6

ولكن إذا لم يتب المرتد فيقام عليه الحد، وهذا الحكم ليس اسلاميا فقط بل عمل به أتباع اليهودية والمسيحية، في التنثية وفي الخروج وغيرهما، والمقصود بالردة في المفهوم الاسلامي هي الكفر البواح الصريح واشاعة الأمر بين الناس أي دعوتهم الى الكفر، ومن أنواع الردة انكار شئ من القرآن والعقيدة الاسلامية، أو تحريم ما أحله الله أو تحليل ما حرمه الله تعالى، أو سب النبي أو زوجاته أو الدين أو الصحابة، كل هذه الأمور تعتبر فسادا في الأرض تستحق التعزير، والتعزير في هذه الحالات القتل بعد الاستتابة والنكران بعدئذ، فإذا تاب فعلى الحاكم اطلاق سراحه كما سبق. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الشيب الزاني

والنفس بالنفس والطارك لدينه المفارق للجماعة. متفق عليه

فقتل النفس ليس شيئاً هيناً في الاسلام، أما من يتعدى حدود الله فلا يلومن الا نفسه، فلا يحق حينئذ لمغرض أو كافر أو مشرك أو مرتد أو ملحد أن ينتقد الأحكام الشرعية الاسلامية، لأنها أحكام عادلة لا ضير فيها، لأن الهدف الأسمى هو إقامة العدل على الأرض، وأن يخلف الانسان ربه عليها باقامة حدوده والعمل بأوامره لأنه هو الخالق.

الأخذ بالثأر من أسباب قتل النفس البريئة، إذ يقدم أهل القتل الى قتل كبير عائلة القاتل مثلاً، أو شخصاً آخر غير القاتل الحقيقي، فالاسلام شرع القصاص فيمن قتل غيره بغير حق، فلورثته القصاص من القاتل بشروطه المعتبرة عن طريق ولاية الأمور، ومن يتعد بغير نظام وأمر شرعيين فلا يجوز بل يعتبر فساداً وفتنة في الأرض، لهذا أنزل الله تعالى قانوناً انسانياً لبني اسرائيل حرم فيه قتل النفس البريئة بقوله جل من قائل:

﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝﴾ المائدة 32

فقتل النفس بغير النفس التي قتلت محرم شرعاً، والقاعدة تقول ان الضرر لا يزال بالضرر، لذلك فان الانتقام من شخص أو أشخاص لا علاقة له أو لهم بالقتل يعتبر قتلاً عمداً، ويحاسب القاتل بناء على ذلك والثأر الذي يطال كل أفراد العشيرة والقبيلة فيه من الظلم الكثير، والله سبحانه وتعالى لا يرضى بالظلم إذ أن القاعدة الفقهية الأساسية من القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ فاطر 18

أي أن كل انسان مسؤول عن عمله، لا يحمل مسؤوليته أحد يوم القيامة ولو كان أقرب الأقربين لحامل الوزر، وهذا القانون الالهي ينطبق على الناس في الدنيا، إذ لا يتحمل أحد وزر صاحبه ولا قربه بأي حال من الأحوال، وأوضح رب العزة والجلال هذا الأمر في كثير من الايات البينات في قوله:

﴿كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝﴾

الاسراء 13

كل انسان مسؤول عن عمله، ولا يتحمل ما اقترفه من اثم غيره، لذلك فان الثأر من انسان

برئ يعتبر اعتداء وظلما فادحين لا يرضى بهما الله تعالى، من هنا كانت عملية قتل البرئ محرمة ومصير القاتل الى النار.

من عمليات قتل النفس المحرمة قتل الأولاد الأبرياء خشية اطلاق أي خشية الفقر، كذلك قتل البنت التي تولد لأنها ابنة وليست ابنا كما كان يفعل أهل الجاهلية في بناتهم، اذا بشر الأب بابنة ظل وجهه مسودا وهو كظيم، أي كاظم الغيظ الى أن يند ابنته تحت التراب قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾

الاسراء 31

وقال في كراهة البنات في الجاهلية:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل 58

وفي وأدها حية قال تعالى:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ التكوين 9

انه لعمل فظيع تشعر له الأبدان، ان كان قتل الولد أو البنت لأي سبب من الأسباب فهذا محرم، ويعتبر قتلا عن عمد وسبق الاصرار والترصد وعقابه قتل القاتل ومصيره النار.

يوم القيامة ذلك اليوم المهيّب، حيث تتعطل العشار وتسير الجبال وتسجر البحار من هول ذلك اليوم العظيم في الوقت نفسه تسأل الفتاة الصغيرة التي لا ذنب لها الا أنها ولدت أنثى، بأي حق قتلها أبوها أو وليها ولم يعطها حقها في الحياة كغيرها من خلق الله تعالى؟ بعد ذلك تكشف السماء من النجوم والكواكب وتنتشر الصحف على الناس وتسعر النار للمذنبين ومنهم ذنب الفتاة المؤودة، وتزلف الجنة للمتقين ويأخذ كل ذي حق حقه.

قتل النفس المحرمة يكون أحيانا بسبب نزاع بين اثنين أو قبيلتين أو دولتين مسلمتين، ففي الحالة الأولى يجب فض النزاعات بطرق سلمية بين متنازعين خوفا من سفك الدماء ظلما وعدوان، وخوفا من عاقبة القاتل والمقتول وهي النار لقوله صلى الله عليه وسلم:

إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، فقول: يا رسول الله هذا القاتل فما

بال مقتول؟ قال: انه كان حريصا على قتل صاحبه. رواه مسلم والبخاري

فالمقتول عجز عن قتل قاتله لذلك فهما في الجريمة واحد، وفي أيامنا هذه كثرت الحروب وكثر القتال بين المسلمين أنفسهم، حتى أنهم لا يراعون حرمة للأشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال، فيقاتلون بعضهم بعضا ونلاحظ أن طرفا ثالثا مسلما لا يتدخل تنفيذا لأمر الله تعالى في قوله:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

الحجرات 10

القتلى بين الطرفين ليسوا شهداء، وإن ادعى كل طرف أن شهداءه في الجنة وقتلى الطرف الآخر في النار فالشهادة لا تمنح لقاتل الأخ أخاه، والله يحكم بين الطرفين يوم القيامة لأنه العليم ببواطن الأمور والحكيم والعاقل. قال صلى الله عليه وسلم:

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله

وعرضه رواه مسلم البخاري

وقوله عليه الصلاة والسلام: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. رواه البخاري

من هنا نرى أن قتال المسلمين بعضهم بعضاً دون أسباب جوهرية فسوق وعصيان لأوامر الله تعالى، وهي حروب عبثية استفاد منها أعداء المسلمين والعرب عموماً كثيراً، وكانوا هم الفائزين والمنتصرين، راح ضحية الحروب بين العرب وأنفسهم مئات الآلاف من الأبرياء وغير الأبرياء، في حين أن إسرائيل تقتل الأبرياء في فلسطين وتستولي على أراضيهم وتهدم بيوتهم وتعتدي على الدول التي تقاوم بعضها بعضاً ولا تجرؤ بلد على أن ترد عليها، أليست هذه الأمور مهزلة تاريخية تحسب علينا ولا تحسب لنا؟

ويرى كثير من المراقبين والمحللين لهذه الأوضاع المؤلمة مصداقاً لقول النبي الكريم:

لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج

وهو القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض. رواه البخاري ومسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري

المقتول على أي شيء قتل. رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أبغض الناس إلى الله ثلاث، ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم

امرئ بغير حق ليهريق دمه. رواه البخاري، بعض الروايات أرجعته إلى عبد الله بن عباس

كان النبي الكريم يحذر أمته من ارتكاب المعاصي كبر منها أم صغر، ومن هذه المعاصي

الظلم والعصيان وفعل الكبائر في المحرمات، وأحداث ما محاه الإسلام من أعمال الجاهلية واشاعته

بين المسلمين، ثم طلب دم بريء لاهداره

الاقدام على الانتحار يعتبر من قبيل قتل النفس، وهو محرم في الاسلام تحريما قطعيا وهو

كبيرة من الكبائر ويحرم على المنتحر الجنة، وقد نهى الله تعالى عن قتل النفس في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء 31

الآية واضحة كل الوضوح، ينهاه الله تعالى عن قتل النفس أو الانتحار، ومن يفعل ذلك له

نار جهنم وهذا الأمر منهى عنه تماما، والذي يأتى بأوامر الله تعالى سيكون جزاؤه الجنة، فالمدخل

الكريم هنا هو جنة الفردوس نزلا، وفي الانتحار العقاب الأليم والنار هي الجزاء، كذلك ينهاه الله

تعالى عن تعريض النفس للأخطار وتعريضها للمهلك، يقول تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۚ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

البقرة 195

هذه الآية نزلت في الأنصار الذين قالوا اننا نريد أن نتفرغ لمزارعنا بدل الجهاد، فحذرهم الله

تعالى بأن التحجج بالزراعة بدل الجهاد مع القدرة يؤدي بهم الى التهلكة، ولكن في الآية ما يدل على

ان الاعتبار في النصوص بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي أن التهلكة تطال كل من يؤدي

نفسه، فلا يحق للمسلم أن ينتحر من أعلى عمارة مثلا، ولا أن يتناول السم من أجل الموت، فهذا

انتحار والقاء النفس الى التهلكة وقتا النفس عمدا والجزاء هو النار والعياذ بالله، وفي الانتحار

مخاطره في الآخرة يحدثنا النبي الكريم ويقول:

من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا،

ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى عن جبل

فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. رواه مسلم والبخاري

فالخلد المخلد هو طول البقاء في النار، ولا يعني اللانهاية للعذاب كما فسر ذلك بعض

العلماء، وبعضهم رأى أن المسلم الذي كان يصلي والمعروف بورعه وتقواه وصلاحه وأقدم على

الانتحار فانه لا يموت كافرا ولا يخرج الانتحار من الاسلام، فالانتحار بناء عليه كبيرة من الكبائر

وكغيره من المعاصي يعاقب مرتكبه ويعفو الله عن كثير اذا أراد.

من الايات السابقة ومن الأحاديث النبوية الشريفة تأكدنا أن الانتحار من الكبائر، وهذا ينبغي

نفيا قاطعا الروايات المغرضة عن النبي الكريم أنه حاول الانتحار من على أسنة الجبال لما انقطع عنه الوحي، هذه روايات وغيرها كثير كاذبة أصلا وفرعا وجملة وتفصيلا، اذ كيف للنبي له أن يحاول الانتحار وهو الذي أنزل اليه القرآن عن طريق جبريل عليه السلام؟ ومحاولته الانتحار المزعوم يخالف ما نزل اليه من الوحي وهو شرع الله تعالى، وكيف للنبي الذي أنزل اليه الشرع أن يخالفه؟ كذلك كيف ينهى عن شيء من الكبائر ويأتي بمثله أو يقوم به؟ هذا أمر لا يمكن حدوثه، وخصوصا من نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فهذه الروايات وغيرها التي تتعلق بالمحرمات وإن كانت حول تناول الخمر أو الزنى أو أية موبقة من الموبقات عن النبي الكريم ان هي الا تخرصات يراد بها ومنها تشكيك المسلم بدينه وبنبيه الذي لم يرتكب موبقة ولا محرما في حياته حتى مماته صلوات الله وسلامه عليه، وهو منزه عن هذه الترهات التي يبثها أعداء الاسلام، وحاولوا كثيرا وسيحاولون ولكن هيهات من أن ينالوا من سمعة نبينا الطاهر الذي شهد ويشهد له علماء الدنيا وفلاسفتهم من أقصاها الى أقصاها، وسيدوم الأمر في مدحه صلوات الله وسلامه عليه ومدح أخلاقه العلية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسيخسأ الخاسؤون والمغرضون والحاقدون على دين الله تعالى الذي أراد له أن يسود في العالم وسيستمر الى يوم الدين.

انقطاع الوحي لم يدم الا أياما معدودات، والنبي الكريم حزن لذلك حرصا منه على استكمال الرسالة واستمرار تلقيها من الله تعالى، فهذه هي أخلاق النبي الكريم التي عبر عنها أمام عمه أبي طالب:

يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

هذه أخلاق سيد الناس أجمعين، وهو الذي كان يدعو الى احترام الفطرة الانسانية وتنميتها عند المؤمن بالله الواحد الأحد، وهو الذي ترك كوب الخمر وشرب كوب اللبن الذي قدمه له جبريل عليه السلام ليلة الاسراء العظيمة، وقال له هديت الى الفطرة يا محمد وهديت أمتك وحرمت عليكم الخمر. ويعتقد بعض العلماء أن شرب الخمر حرم على المسلمين منذ ذلك الحدث، وبعده نزلت آيات التحريم. لذلك ولأسباب كثيرة لا يمكن للنبي أن يتصرف بعيدا عن الفطرة السليمة التي كان يؤمن بها أشد الايمان ويدعو لها بقوله:

ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء.

رواه مسلم البخاري

الفطرة هي الاسلام أي يولد الانسان مسلما موحدا بالله تعالى الذي خلقه فسواه فعدله، ولكن

الشیطان أوحى لبعض عباد الله وزین لهم الشرك به، والشياطين الذين يوسوسون في صدور الناس من الجن والانس منهم الذين يشوهون الايمان بالكفر والعصيان. فالانسان يولد كامل الخلقة ثم يشوه فكره بما يميله عليه أبواه من تهويد أو تنصير أو تمجيس أي اتباع المجوسية وعبادة النار، وشبه النبي الكريم ذلك بخلق الحيوان كاملاً ثم يقطع صاحبه أذنه أو ذيله أو يضع عليه علامة تؤذيه دائماً للتعرف عليه من بين الحيوانات، فالطفل يولد كاملاً لا ينقصه شيء وإذا ترك على سجيته سوف يتوصل الى خالقه سبحانه وتعالى مثلما توصل ابراهيم الخليل وكل المؤمنين من قبله ومن بعده.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثاني والعشرين

1- قتل النفس الانسانية البريئة محرم تحريماً قطعياً.

2- القتل لا يكون الا لسبب يستوجب كدراً اعتداءات الكفار في قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة 190

في هذه الآية الكريمة رد قاطع على الذين يتهمون القرآن بأنه يدعو الى القتل، بل انه يدعو الى الرحمة وعدم الاعتداء على الآخرين، وخصوصاً الكفار والمنافقين وأعداء الدين، حتى هؤلاء لم يدع القرآن الى قتالهم الا اذا اعتدوا على المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم كما حدث في مكة مع النبي الكريم، وما حدث في فلسطين في العصر الحديث، فعلى المسلمين أن يقاتلوا الذين أخرجوهم من ديارهم وأهانوهم واستولوا على بيوتهم وأماكنهم فقتالهم واجب على المسلمين حتى استرجاع ما اغتصبه الأعداء، يقول تعالى:

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۚ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

البقرة 191

الآية واضحة كل الوضوح انها لا تدعو الى قتل الأبرياء، بل الى قتل المعتدين وللبيت العتيق حرمة فلا يجوز القتال فيه الا رداً على اعتداء، أو قتل المعتدي دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال أو كلهم مجتمعين وقتل النفس بالنفس والكبير الزاني والمردد عن دينه اذا لم يتب بعد استنابته أو الفساد في الأرض.. الخ

فأين التحريض على قتل الأبرياء هنا؟

3- قتل النفس التي حرم الله الا بالحق كبيرة من الكبائر مصير القاتل العمدة النار، ويأخذ هذا

القتل أشكالاً مختلفة، كالثأر وقتل الأولاد خسية املاق والانتحار ... الخ.

4- قرن الله سبحانه وتعالى القتل بالشرك بالله.

5- جعل الرسول الكريم قتل النفس البريئة من الموبقات التي يجب اجتنبها أو الاقدام عليها أو التفكير بها.

6- عقاب القاتل النار في الآخرة والقتل في الدنيا، وما ينطبق على الفرد ينطبق على المجموعة إذا اشتركت في عملية القتل أو شجعت عليه لكل جزأه بما اقتترف.

7- القتل العمد جزأه في الأصل القتل لورود الآيات الكثيرة التي تنص على ذلك، والقاتل يقتل في شرع الله خوفاً من توسع دائرة القتل بين القبيلتين المتنازعتين أو الأفراد المتنازعين النبي الكريم خير أهل القتل بين القتل والدية والعفو عند المقدرة لقوله صلى الله عليه وسلم:

من أصيب بدم أو خبل فهو بالخيار بين احدى ثلاث: فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية رواه أبو داود

ولكن القتل غير العمد لا يستوجب قتل القاتل، بل دفع الكفارة وهي عتق رقبة أو ما يعادلها من مال لعدم وجود ما يعتق هذه الأيام، ودية تسلم إلى أهله أو أهلها إلا إذا سامح أهل القتل.

8- الانتحار كقتل النفس محرم في الإسلام، والذي يقدم على الانتحار (دون مرض نفسي) فهو في النار بعض العلماء يرى كفره، وبعضهم يرى أنه ارتكب معصية تدخله النار ولكنه غير مخذل فيها، وبعض العلماء من يرى الحكم نفسه على المنتحر الذي يشهد له الصلاح في الدنيا.

9- لو تخاصم شخصان على شيء واقتتلا فالقاتل والمقتول في النار لأن كلا منهما هم بقتل صاحبه.

10- إذا التقى جيشان مسلمان واقتتلا فعلى الطرف الثالث أن يتدخل للإصلاح ومحاربة الطرف الباغي إذ اضطر هذا الطرف إلى ذلك حقناً للدماء.

يعرج بها الملائكة كل يوم، وربما الطريق ذاته الذي عرج به نبي البشرية ولكن بوقت أقصر أراده الله أن يكون كذلك، وطلب من نبيه الكريم أن يصبر على نشره دعوة الحق وصبره على هؤلاء المتمردين المتمترين على دين الله تعالى في قوله:

﴿سَأَلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا (5) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ المعارج 7

والمعارج هي: الدرجات العلا المتفاوتة في العلو في الدنيا أيضا، ويقول تعالى: انه قادر على أن يجعل بيوت الذين كفروا من الفضة وعالية شامخة يصعدون اليها بأدرج للوصول الى أسطحها وذلك بسبب حبهم للدنيا، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ يُكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُئْتِيَهُمْ سُقُفًا مِّنَ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ الزخرف 33

أسري بالنبي الكريم من المسجد الحرام ليلا الى المسجد الأقصى في القدس الشريف في فلسطين، وفي المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بالنسبة للمسلمين صلى النبي بالأنبياء في داخل المسجد، ووقف البراق الى الجانب الغربي من المسجد، وبعد الانتهاء من الصلاة ركب النبي البراق من على الصخرة المشرفة وطار الى السماء في معرجه، حيث أكمل رحلته التي رأى فيها ما رأى وفرضت عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، وقد أثبت ذلك بايات من القرآن الكريم، ففي حالة الاسراء قال تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الاسراء 1
كما أثبتت معجزة المعراج أيضا في قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ النجم 18

في الاية الأولى استدلال واضح على حدوث معجزة الاسراء، وفي الايات الأخريات دليل

واضح أيضا على حدوث معجزة المعراج الذي يفوق الاسراء من حيث الزمان والمكان والأحداث، ولكنهما بلا شك معجزتان أتاها الله تعالى لنبيه الكريم دون غيره من الأنبياء تكريما له واحتفاء به، ولعظم الحدث صدقه من صدقه وكذبه من كذبه من المتشككين بالاسلام كدين والذين يعبدون الله على حرف، ولكن الكافرين الذين لم يسلموا بعد الفتح فقد بقوا على حالهم مناكفين معارضين للدعوة، ومنهم عتيبة بن أبي لهب الذي غضب وأرعد وأزبد لما سمع سورة النجم، فهاجم النبي بسبب هذه السورة وطلق ابنته أم كلثوم، بعدما طلق أخوه عتبة ابنة النبي رقية بطلب من أبيهما أبي لهب وأمه أم جميل بنت حرب بنت أمية التي كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم في ذهابه وإيابه، ولكن عتبة وأخاه معتب أسلما وحسن اسلامهما وحضرا حنينا مع النبي الكريم.

عتيبة الذي بصق أمام النبي بكل عنجهية وغطرسة وحمق وجهل في الوقت نفسه، لم يواجهه النبي الكريم الا بالحسنى فقال له: ألا تخاف أن يسلط الله عليك كلبه؟ (الأسد أكان في الصحراء أم في الغابة) حينئذ من يقدر على انقاذه؟ ويقال ان النبي دعا عليه بالقول اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، بعد ذلك بأيام وقع بين فكي الأسد في رحلة الى بلاد الشام مع أصحابه وكان أبوه أبو لهب معه (بعض المفسرين قال ذهب الى اليمن، ولكن الأرجح الى الأردن في بلاد الشام) وكان موقع موته في وادي الزرقاء المعروفة حاليا بمنطقة جناعة المحاذية لسيل الزرقاء، حيث كانت المنطقة تعج بالأسود كما تعج الغنم في المراعي كما وصفها الراهب الذي لجأ اليه عتيبة وأصحابه.

يؤكد رب العزة والجلال في الايات السابقة على أن محمدا رسول من الله تعالى لا ينطق من عنده ولا يؤلف الأحكام الشرعية من خياله أو ذاكرته، كذلك هو الصادق الأمين الذي لا يكذب على قومه، الله سبحانه وتعالى يقسم بكل شيء عظيم خلقه ويستدعي من الانسان التفكير والتدبر فيه، وهنا أقسم بالنجم الذي يهوي الى الأفق بعد بزوغ الفجر، والمعتقد هنا كل النجوم التي تختفي بعد ظهور الفجر، حيث تتحرك النجوم والكواكب مع حركة الأرض وتدور عكس دورانها لتغيب تماما في النهار، الله تعالى يقسم بها لنتفكر في خلقه العظيم ويمتدح نبيه الكريم ويصفه بأنه في غاية الاستقامة والصدق والرشاد، فهو لا يضل أبدا ولا يكذب ما رآته عيناه وما أدركه قلبه، حيث كان معه جبريل عليه السلام الذي ظهر بصورته الحقيقية مع مطلع الشمس، ودنى منه دنوا كبيرا، واصطحبه الى سدة المنتهى وهي المكان الذي يعرج اليه من الأرض الى السماء السابعة، وهناك الجنة العظيمة التي سيأوى اليها المتقون، فالنبي الكريم لم يذكر الا ما شاهده ولم يزغ بصره عن الأشياء التي لم يؤمر برؤيتها، بل أراه الله اياها كجزء من اياته الكبرى وفي بعض الروايات: ان النبي الكريم وصل الى ما بعد سدة المنتهى حيث دنى من الله مرتبة لا يدنوها منه غيره، وتدلى

النبي أي سجد لما راه من رفعة في المنزلة والكرامة عند ربه، والروايات حول هذا الموضوع كثيرة، ولكن من المؤكد أن نبينا عرج به الى السماوات العلا وفرضت عليه وعلى أمته الصلاة في هذه الرحلة العظيمة.

هذه الآيات المباركات تضع حدا للذين لا يصدقون حدوث المعجزتين، فالاسراء والمعراج حدثا بالروح والجسد، اذ لا يمكن للمرء أن يوضح ما رأى بهذه التفاصيل في الحلم، ولو كان الى درجة الرؤيا مثلما وضحه النبي الأمين والصادق الذي رأى كل شيء ببصره الذي لم يزغ عن أي شيء مما كتب له أن يراه والقصة الكاملة أتت في حديث للنبي الكريم نقله مالك بن صعصعة رضي الله عنه ونقله عنه أنس بن مالك رضي الله عنه، وروى البخاري حديث المعراج كذلك.

الاسراء والمعراج معجزتان اختص بهما النبي الكريم بعد أن انتابه الحزن الشديد على موت عمه أبي طالب الذي اواه ورياه ودافع عنه قبل البعثة وبعدها، ثم وفاة زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها بفترة وجيزة وسمي هذا العام بعام الحزن، فأراد الله تعالى أن يبعد الحزن عن قلب نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام فكان ما كتب له في هذه الرحلة العظيمة التي كانت كما قلنا جسدا وروحا لوجود الأدلة القاطعة على ذلك.

بعد وفاتهما ذهب النبي الكريم الى الطائف وحيدا كي يدعو الناس الى التوحيد والى دخول الاسلام، ولكنهم لم يصدقوه وسخروا منه، وسلطوا عليه أطفالهم كي يرموه بالحجارة حتى سال الدم من قدمه الشريف، وركن تحت شجرة يدعو الله تعالى بقوله:

اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني؟ أم الى عدو ملكته أمري؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنورك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك. رواه الطبراني وابن عدي وابن عساكر

هذا الدعاء الذي يدمي القلوب وجد من الله تعالى القبول، فأراد أن يكرم نبيه ويخفف عنه الالام وهمومه وحسرتة على من فقدهم، وعلى ما يلاقيه من عنت وشدة في نشر الدعوة، فأرسل اليه جبريل عليه السلام مع البراق كي يحمله اثنان من الملائكة، جاء بصورة بشر من فراشه في بيت أم هانئ الى البيت العتيق وبعد تهيئته للرحلة في الحطيم عند زمزم، وبعد أن شق الملكان صدره الشريف وغسلاه بالماء وملاه بالحكمة والايمان كي يتحمل ما سيراه ويعد لذلك اعدادا يقينيا وروحيا، جاءه جبريل بالبراق فصعدا الى القدس الشريف، وبعد أن صلى النبي بالأنبياء عرج به الى

السموات العلا، فقابل الأنبياء مرة أخرى فأهلوا وسهلوا به، ثم سار الى سدره المنتهى والبيت المعمور، ثم صعد الى السماء السابعة وكلم الله تعالى، ففرض عليه خمسين صلاة ثم جعلت خمسا، وكانت الايات الأخيرة من سورة البقرة نتاج الكلام كما قال العلماء، وفي رحلته رأى الشيء الكثير من النعيم للمتقين والحجيم للثامنين، ثم عاد الى فراشه، وفي الصباح أخبر أصحابه بما جرى، فصدقه كثيرون وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومنهم من كذبه وعلى رأسهم عمه أبو جهل الذي جمع الناس للاستهزاء بابن أخيه، بالرغم من أنه وصف لهم الطريق الى بيت المقدس كما وصف القافلة المتجهة من بلاد الشام الى مكة وتنبأ لهم بموعد وصولها، ولكن هؤلاء مع المرتدين عن الاسلام كان عددهم قليلا، وقال الله فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر 67

في حين وقف معه أصحابه وأنصاره وهم كثر، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق الذي قال: ان قالها فقد صدق، صدقته في الوحي الذي ينزل من السماء أفلا أصدقه فيما يقول؟ الذين أسلموا ودخلوا الاسلام بعد روايه معجزتي الاسراء والمعراج أكثر بكثير من الذين ارتدوا واستهزؤا من الحدث العظيم والاسلام، وكي يؤكد رب العالمين لنبيه الكريم أنه على حق، وأن الكفار بعد علمهم بالمعجزتين ما ازدادوا الا كفرا وطغيانا أنزل عليه الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ الاسراء 60

والرؤيا هنا هي ما يراه المرء في المنام، وبما أن النبي الكريم أسري به وعرج به أيضا الى السموات العلا، فتكون الرؤيا هي التي تحققت عيانا بيانا للنبي، حيث جعلها الله اختبارا للناس ليميز كافرهم من مؤمنهم فأفلح المؤمنون وخاب الكافرون، وانتصرت فيها حقيقة النبوة على باطل الكفر.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثالث عشر

- 1- معجزتا الاسراء والمعراج اختص بهما النبي الكريم دون أنبياء الله تعالى لمنزلته العالية ومكانته الرفيعة عند رب العالمين.
- 2- الاسراء والمعراج معجزتان كانتا خير دليل على محبة الله لنبيه واستجابة لدعائه المتكرر له بنصرته على أعدائه أعداء دينه.
- 3- الاسراء والمعراج معجزتان كانتا من ضمن أسباب حدوثهما التسرية عن النبي الكريم لمصابه من فداحة خسارته لعم أبي طال وزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها.

4- رأى النبي الكريم بالدليل القاطع ما لم يره أحد من العالمين ولا من الأنبياء والمرسلين الا ما كان في علم الغيب، رأى الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وأهوالها، وبلغنا ما رآه كي يتعظ المسلمون ويتمسكون بأهداب دينهم الذي ارتضاه الله لهم، كي يفوزوا بالجنة ويتبعوا عن النار.

5- الصبر جزاؤه الفوز العظيم وهو الجنة، كلما واجه المسلم من أذى وعنت في سبيل دينه كلما عظمت قيمته عند ربه.

6- الأماكن الدينية والمقدسات الاسلامية لها حرمتها وقديستها، فيجب الحفاظ عليها لمكانتها العظيمة عند الله الذي ذكرها صراحة في كتابه العزيز وهي البيت العتيق والمسجد الأقصى المبارك اللذين هما خالصين للمسلمين.

7- صلاة النبي اماما بالأنبياء في بيت المقدس وردود أفعالهم في استقبال نبي البشرية في السماوات العلا دليل على الأخوة في الدين الواحد وهو دين الإسلام.

8- المسلم الحق هو الذي يصدق بما جاء في كتاب الله دون تشكيك أو تردد، كما يصدق بما جاء على لسان نبياء الكرم وأفعاله وتوجيهاته دون ارتياب وظنة والتباس، ولنا في أبي بكر الصديق خير مثال على تصديقه لنبي الله دون تردد منه بعدما سمع قصة الاسراء والمعراج.

9- تصديق رؤيا النبي الكريم ان كانت بالعين والقلب والعقل كما في الاسراء والمعراج، أم كانت رؤيا في المنام كما رأى النصر في بدر ودخول مكة معتمرا مع أصحابه، حيث تشكك بعضهم بعد أن ردتهم قريش عن زيارة بيت الله الحرام وكان صلح الحديبية، فعادوا في العام الثاني تحقيقا لرؤيا النبي الكريم، فنزلت الآية الكريمة في ذلك:

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

الفتح 28

الفصل الرابع عشر

تحريم الخمر في السنة النبوية

جبريل عليه السلام قدم كوبا من اللبن الى النبي الكريم وكوبا من الخمر بعد اداء صلاة الجماعة بالأنبياء في بيت المقدس، ويروى أنه قدمهما عند سدره المنتهى فاختار النبي كوب اللبن فشربه، فقال له جبريل: **تصرفت على الفطرة وحرمت عليكم الخمر (أي حرمت الخمر على أمة الاسلام)**، وكان هذا أول تحريم للخمر قبل نزول آيات التحريم، ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن الابتعاد عن الخمر وهو من المحرمات من فطرة الانسان التي فطره الله اياها بالابتعاد عن كل ما يضر صحته وأهله ومجتمعه.

كان هذا الحوار أثناء المعراج الشريف أي في السنة الثالثة أو الخامسة قبل الهجرة الى المدينة المنورة، هذا وقد نزل تحريم الخمر على دفعات، الأولى في سورة البقرة الاية 219 نهى الله تعالى فيها عن الخمر والميسر لأن ضررهما أكثر من نفعهما، والثانية في سورة النساء الاية 43 نهى الله تعالى المسلمين عن تناول الخمر أثناء الصلاة حتى يعلم المصلي ماذا يقول في صلاته، والتحريم الثالث والقطعي بعدم الاقتراب منه وتجنبه في جميع الأوقات في سورة المائدة الايات 90، 91 حيث وضع الله تعالى منزلة الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من أعمال الشيطان، وأمر المسلمين باجتناب هذه الأعمال الخبيثة، لأن كل ما يأتي من الشيطان خبيث، ولا يأتي منه الخير أبداً، ويريد أن يوقع البغضاء بين المصلين وبين المسلمين وأنفسهم كما وصف الله تعالى هذه الأعمال بالنجاسة (رجس من عمل الشيطان)، تلهي المسلم عن اداء وظائفه الدينية والأخلاقية والعملية، وأمرهم الله تعالى بأن يتركوها الى غير رجعة في قوله (فهل أنتم منتهون؟)

الخمر كما وصفها النبي الكريم بأنها أم الخبائث في قوله:

اجتنبوا أم الخبائث، انه كان رجلا ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية، فأرسلت اليه جاريته فقالت له: انا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريته فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى الى امرأة وضيفة عندها غلام وباطية خمر فقالت: اني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي أو تشرب من هذه الخمرة كأسا أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر كأسا فسقته كأسا، قال: زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه. سنن النسائي

يتبين لنا من الحديث الشريف أن شرب الخمر مهلكة للذي يتناوله من جميع النواحي

المادية والعقلية والنفسية والاجتماعية ناهيك عن غضب الله وسخطه على شارب الخمر، فمن الناحية المادية ينفق شارب الخمر من ماله أحق به عائلته وأولاده، المال الذي ينفق على شرب الخمر كثير وخصوصا اذا أدمن الانسان عليه، لذلك قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝﴾

البقرة 219

قد يستخدم الخمر للعلاج لأمر ما كفايدة بدنية، ولكنه لا يستخدم دائما بحجة العلاج اذا استوفت الحاجة منه، فهو محرم تحريما قطعيا ولا ينفع التحجج بالمرض الا اذا أمر الطبيب بذلك لفترة محددة يعلمها هو (الطبيب)، كذلك لعب القمار قد يكسب اللاعب بعض المال، ولكنه مهما كسب سيخسر في النهاية كل أمواله، لأن القائمين على الميسر يعلمون علم اليقين أن المدمن على القمار سوف يخسر كل ماله على المدى القصير أو على المدى البعيد، وكلا الأمرين شرب الخمر ولعب القمار مفسدة واثمهما أي عقابهما لا محالة الخسران المبين في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة.

أما الجانب النفسي، فان في شرب الخمر محاولة للخروج من أزمة نفسية أو أزمات نفسية يمر بها المرء فيلجأ الى ما يفقده الذاكرة مؤقتا، أو يهرب من هذه المشاكل الى الخمر بدلا من اللجوء الى العلاج الطبيعي الطبي، بعد أن يلجأ الى الله تعالى بالصلاة والدعاء والاستغفار، واللجوء الى الصيام الذي يعصم المرء من الهفوات والشهوات والمعاصي ومنها شرب الخمر، فالعلاج بالمسكنات لا يشفي ولا يكفي للخروج من الأزمات والمشاكل، بل لا بد من الحلول الناجحة والناجعة بعيدا عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام التي ذكرها رب العزة في كتابه العزيز .

المريض مرضا عضالا لا يحتاج الى الأسبرين لتخفيف الامه، بل يحتاج الى علاج أقوى وعمليات جراحية اذا كان الأمر يستدعي ذلك، من هنا نرى أن الأزمات النفسية التي يمر بها الانسان لا بد من اتباع وسائل علمية لعلاجها لا اللجوء الى المخدرات والخمر وغير ذلك لأنها حلول مؤقتة كما قلنا، ولا تشعر المرء بالأمان والاطمئنان لأنه سيكون في حال اضطراب دائم، أما العلاج الجذري ومن ضمنه القيام بالعبادات فانها تؤدي الى الاطمئنان والسكينة اللتين طالما افتقدهما المريض بالسكر أو بالميسر .

أما الجانب العقلي فان المدمن على الخمر كالمدمن على المخدرات لا يعرف ما الذي يفعله، يفقد عقله مؤقتا بعد أن يسري الخمر في جسده، فقد يلجأ الى أفعال تتنافى والدين والأخلاق كما في

الحديث السابق كما يتنافى والسلوك السوي، فقد يلجأ شارب الخمر الى القتل والى ضرب زوجته وابنائها، وقد يلجأ الى تحطيم الأشياء دون وعي، وقد يلجأ الى الشتم والسب القبيح، ولما يستفيق ينكر كل هذه الأمور.

أما من الناحية الجسمية، فترى الهزال والضعف باديان على جسم مدمن الخمر، علاوة على اصابته بالأمراض المستعصية كأمراض تليف الكبد والكلية والقلب ما يصعب علاجها اذا ما تمكنت منه.

أما من الناحية الاجتماعية، فان شارب الخمر والمدمن عليه لا يجد له سنداً في المجتمع ولا معيناً، فقد يفقد أصحابه وأقاربه، كما قد يدمر حياته الزوجية فتهجره زوجته وربما أولاده فيصبح وحيداً، واذا نشأ الأطفال تحت رعايته فانهم ينشؤون في بيئة غير سليمة، فيصابون بالاحباط والأمراض النفسية التي يصعب علاجها. النبي الكريم نهى عن شرب الخمر، وهو نفسه لم يذق الخمر في حياته لا في شبابه ولا في كبره عن عائشة رضي الله عنها قالت:

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتة وهو نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يشربونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **كل شراب مسكر فهو حرام.** رواه البخاري

ولكن النبي الكريم كان يشرب النبيذ غير المسكر للوقاية من العطش وحرارة الشمس، حيث يبرد النبيذ الأجسام صيفاً ويدفئها شتاءً، والنبيذ هو غمس الزبيب أو التمر بالماء ونقعه لساعات معدودات، أو ليوم للشرب في الأجواء الحارة لترطيب الفم والجوف ومساعدة الجسم على الحركة بهمة ونشاط لوجود الكولوكوز (السكريات) فيه، أما اذا مكث النبيذ أكثر من يومين وبدأ بالتخمر فكان النبي الكريم يذلقه على الأرض ولا يشربه ولا يسمح لأحد ممن حوله بشربه لأنه يصبح مسكراً، اذ كيف ينهى النبي الكريم عن شيء ويأتي بمثله حاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك، وكان النبي الكريم لا يخلط الزبيب مع التمر لنفعهما معاً، بل كان كل منهما منفصل عن الآخر ونهى عن خلطهما في اناء واحد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبذ له الزبيب في السقاء فيشربه يومه والغد وبعد الغد، فاذا كان مساء الثالثة شربه وسقاه فان فضل شيء أهرقه (القاء على الأرض)** رواه مسلم

النبيذ من المشروبات المرطبة في أيامنا هذه، وقد اختلط الأمر على بعض المسلمين بأن النبيذ هو الخمر اعتاد الناس أن يغمسوا قمر الدين وهو المشمش المجفف المرقق في الماء البارد في رمضان ويشربونه مع الافطار، وهو نوع من أنواع النبيذ، ومن يعتقد أن النبي الكريم كان يتناول النبيذ على أنه الخمر فانه اما مخطئ في تأويله أو مغرض ومدلس على النبي والاسلام، اذ أن

النبي الكريم ولد على الفطرة وبقي عليها بشهادة جبريل عليه السلام ومن أعظم منه بعد الله تعالى شهادة، فالعبرة اذن لا بالتسمية بل بالفعل، فكل مسكر كثيره فقليله حرام، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر. سنن النسائي

شرب الخمر كما قلنا من الكبائر وأم الخبائث كما وصفها النبي الكريم، والخمرة ليست في ذاتها محرمة فحسب بل ان كل من يتعاطى معها يؤثم، عن ابن عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:

لعن الله الخمر وشاربها وساقيتها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول

اليه

وأكل ثمنها. رواه السيوطي وابن ماجة وأبو داوود والترمذي رواه عن ابن عباس وفي صحيح مسلم نقراً:

ان رجلاً أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر فقال له: هل علمت ان الله قد حرمها؟ قال: لا فصار انساناً فقال له رسول الله بم ساررتة؟ فقال أمرته ببيعها، فقال: ان الذي حرم شربها حرم بيعها. قال: ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار. رواه مسلم

شرب الخمر وكل المسكرات وكل عمل محرم لا يجتمعوا مع الايمان بالله، لأن المؤمن لا يرتكب الموبقات فهذا أمر محال لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن. البخاري

الخمر في الاسلام مادة نجسة كأية نجاسة مادية حسية يعف عنها الانسان السوي من رائحتها واثارها في الفم والحلق، ناهيك عن اثارها الضارة الأخرى التي ذكرناها، فيجب التطهر منها وغسل ما أصابه منها ان كان ثياباً أم ماء أم مكاناً أو أي شئ يندلق عليه الخمر، بعض العلماء رأى أن الخمر نجس نجاسة معنوية لأنه ذكر في القرآن الكريم مقروناً بالميسر والأنصاب والأزلام، وكلها أمور معنوية تضر بالفرد والمجتمع فغسل الأواني التي استخدمت في تناول الخمر يكفي بدل

تطهيرها والتطهر منها. شرب الخمر له عقابه في الدنيا والاخرة، وعقاب الدنيا اقامة الحد على الشارب السكران وهو الجلد، وذلك لخطورة شرب الخمر على شاربه وعلى من حوله ومجتمعه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان من شرب الخمر فاجلدوه، وان عاد في الرابعة فاقتلوه. رواه أبو داود في السنن
روى هذا الحديث كثير من الرجال الثقة ،ولكنه نسخ بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، اذ جئى برجل سكران للمرة الرابعة فلم يقتله النبي، بل أمر بجلده أربعين جلدة عقابا له على ما اقترفه من محرم في الدين وتأديبا له، وبذلك فان القتل لم يعمل به زمن النبي كذلك من بعده، ولكن استمر جلد شارب الخمر أربعين جلدة وجعلها عمر بن الخطاب ثمانين جلدة كي يكف الناس عن هذه العادة القبيحة، أما القتل فانه لم يكن معمولاً به في الدولة الاسلامية عملاً بقول النبي الكريم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.
رواه مسلم

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الرابع عشر

- 1- شرب الخمر من الكبائر والخمر أم الخبائث يجب اجتنابه اجتناباً تاماً.
- 2- شرب الخمر حرمه الله تعالى كما حرمه جبريل عليه السلام على أمة الاسلام، ومن بعدهم حرمه النبي الكريم.
- 3- شرب الخمر يضر بالانسان وبعائلته ومجتمعه ولبالغ ضرره حرم في الاسلام، لأن القاعدة الفقهية تقول لا ضرر ولا ضرار، فكل ما يضر محرم، وبعض العلماء قاس على ذلك الاضرار على المخدرات وبيعها والاتجار بها فكلها محرمة ويعاقب عليها القانون، كذلك استتبط العلماء التدخين فوق تحت درجة التحريم لأنه يضر بالفرد والمجتمع.
- 4- الخمر نجس نجاسة مادية كما يرى بعض العلماء، وبعضهم يرى أنه نجاسة معنوية كما أوضحنا.
- 5- الخمر رجس من عمل الشيطان كالميسر والأنصاب والأزلام، فالرجس يحمل معنة النجاسة كما يحمل معنى العمل الشرير، لأن كل ما يأتي من الشيطان فهو عمل شرير.
- 6- شرب الخمر يبعد المسلم عن ذكر الله وعن اداء العبادات المفروضة، كما يوقع العداوة والبغضاء بين الناس.

7- شرب الخمر يذهب العقل وما يذهب العقل يؤدي الى الأعمال غير المسؤولة والتصرفات التي تتنافى والشرع الحنيف، لذا لا بد من تطبيق الحد على شارب الخمر.

8- شرب الخمر يعطل مصالح المجتمع ومصالح الأفراد المدمنين، لذا يجب سحبه من الأسواق نهائيا وعدم بيعه مصداقا لقول النبي عن شاربه وبائعه وناقله الخ.

9- منع بيع الخمر يحمي المجتمع من حدوث الجرائم التي ترتكب في البيوت والأسواق وبين الناس وغيرها

10- منع بيع الخمر يحمي المجتمع من الأمراض الفتاكة التي تفتك بالمجتمعات كأمراض الكبد والكلى والقلب وغير ذلك.

11- شرب الخمر يخرج الشارب عن ادميته فيتصرف تصرفات غريبة بالرغم من أن الله تعالى أكرم الانسان بقوله:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الاسراء 70

الله تعالى كرم بني ادم على كثير من خلقه، وشارب الخمر يعيد شخصيته الى أسفل الدرجات بالسكر وذهاب العقل والتصرفات، اما الطفولية واما العدوانية واما الذلة والهوان، فشتان بين الأمرين والبون شاسع بين العقل وكماله وذهاب العقل وقصوره

الفصل الخامس عشر

الزنى في السنة النبوية وهو محرم في الاسلام

الزنى من أقبح ما يقوم به الانسان من سلوك ناهيك عن المسلم والمسلمة. الزنى امتهان لكرامة المرأة وكرامة الرجل على حد سواء وخصوصا اذا كان متزوجا، فانه يهين زوجته وعائلتها وعائلته وأولاده وذريته من بعده انظروا الى فداحة هذا الأمر والى خطورته؟ فالزاني والزانية يتصرفان بخفية عن الناس وكأنهما لصان يسرقان حقوق الآخرين، ويعيشان في خوف ووجل من أن يراهما الناس ويفضحون سرهما، ويخافان الناس ولا يخافان الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

الزنى هو اقامة علاقة جنسية خارج نطاق الزواج الشرعي، علاقة رجل بامرأة أو علاقة امرأة برجل، ونقول ذلك لأن الرغبة قد تأتي من الرجل وقد تأتي من المرأة، حتى لو قبل الخطبة أو بعدها أي قبل كتابة العقد. الزنى حرمه الله تعالى في القرآن الكريم كما حرمه في الشرائع السماوية الأخرى، ففي العهد القديم في سفر اللاويين الزاني يقتل، نقرأ في ذلك: فاذا زنى بامرأة قريبة فانه يقتل الزاني والزانية لا 20 اية 60

وفي السفر نفسه نقرأ: اذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها، عرى ينبوعها وكشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما أي يقتلا لا 18:20

وفي المسيحية جاء الزناة ضمن ممن لا يرثون ملك الله مع عبدة الأوثان والسكيرين: لا يرثون ملكوت الله لا زناة ولا عبدة أوثان ولا مضاجعوا ذكورولا سكيرون كورنثوس 6-9:10

يعتقد بعض المتشككين بعظمة الاسلام أنه قاس في أحكامه، ولا يعرفون أن أحكام القرآن والسنة النبوية خففت كثيرا من الأحكام التي جاءت في العهدين القديم والجديد أي التوراة والانجيل ولكن دون اهدار الحقوق والواجبات، فمن الأحكام في العهد القديم ما تقشع له الأبدان، وقد يقول قائل: أليس من الله؟ نقول بلى هي من عند الله تعالى، ولكن الأبحار أضافوا على أحكام الله الشيء الكثير لارهاب القوم وجعلهم تحت امرتهم ونفوذهم، أما الاسلام فانه نقي صاف من هذه الاضافات والتأويلات التي كانت توضع حسب أهواء واضعها، في الاسلام نلاحظ أن بعض الروايات عن النبي الكريم مدسوسة وموضوعة، فانه يسهل كشفها وكشف زيفها لمخالفتها آيات القرآن الكريم، أو مخالفتها لسنة النبي الكريم وأخلاقه وأخلاق زوجاته وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، كما أنها تعرف بالتناقض في الأقوال والأفعال، ولكن الاحكام القرآنية لم تمس منذ أن نزل الوحي على رسول

البشرية حتى يومنا هذا، فتراها صافية رقراقة ونقية شفافة ووافية شافية
في الاية التوراتية السابقة نلاحظ أن ما كان محرما عندهم ما زال في الاسلام محرم فالزنى
محرم، وعبادة الأوثان محرمة، ووطئ الذكور (الواط) محرم كما أن شرب الخمر محرم، وهذا يدل
على أن الكتب السماوية نزلت من مشكاة واحدة كما قال ملك الحبشة لعقيل بن أبي طالب رضي الله
عنه.

السيد المسيح عليه السلام اعتبر النظر الى المرأة بشهوة فيه زنى في قوله:
قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن، وأما أنا فاقول لكم: ان كل من ينظر الى امرأة
ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فان كانت عينك اليمنى تعثر فقلعها وألقها عنك، لأن خيرا لك
أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في جهنم. انجيل متى 5:27-30

عقاب الزاني في الاخرة جهنم وبئس المصير، هذا القول يذكرني بادعاء أحد النصارى أنه لا
توجد جنة ولا نار في المسيحية بل يوجد ملكوت واسع للذين يؤمنون بالمسيح ويؤمنون بصلبه لأنه
فداهم جميعا بدمه وحرّم النار عليهم بصلبه ونقول: ما معنى قول السيد المسيح عليه السلام: ولا
يلقى جسدك كله في جهنم؟ أليس هذا هو عقاب الزاني في المسيحية؟ فكيف يكون فدى خطاياكم
وأنتم ستردون جهنم اذا زنيتم واذا عبدتم الأصنام واذا نكحتم الذكور واذا شربتم الخمر؟ يعنى أن
هناك جنة ونار في المسيحية، ويحاسب كل على عمله كما في الاسلام تماما، ولا فداء في الأمر
ولا شفاعة الا بعد أن ينال كل امرئ جزاءه ثم يأتي دور الأنبياء للشفاعة لأتباعهم وهذا مرهون بارادة
الله تعالى في قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
البقرة 255

وعقاب الزاني والزانية في الكتب السماوية القتل رجما في الدنيا وجهنم وبئس المصير في
الآخرة، أما في القرآن الكريم فقد جاء عقاب الزاني والزانية الجلد في قوله تعالى:
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
النور 2
وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فُحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلٌ﴾
الاسراء 32
والنبي الكريم رجم العامرية وماعزا لاعترافهما بالزنى علنا وهما محصنان أي متزوجان، فان
لم يظهر اثمهما لا يطبق عليهما الحد بل يتوب الى الله تعالى، ولكن اذا وصل العمل الى الحاكم فما
له الا أن يطبق الحد ويقول قائل: ان الرجم لم ينزل في اية من القرآن الكريم، فكان رد العلماء أن

اية الرجم نزلت في سورة الأحزاب ولكنها رفعت لفظا وبقي حكمها وهو الرجم، وبعض العلماء رأى أن السنة تنسخ الآية اذا جاءت بعدها لأن كلا منهما وحي من الله تعالى والأمثلة كثيرة. وهناك اراء في ذلك (تحدثنا عن هذا في كتابنا الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية).

الزنى محرم لقبحه كما قلنا، ولأنه يدمر الأسر والمجتمعات ويفسدها ولا يحافظ على الأحساب والأنساب النظيفة الطاهرة، وهو مخالف للفطرة الانسانية المجدولة على الخير والفضيلة، كما أنه يخالف شرع الله منذ ادم عليه السلام الى أيامنا هذه، فالزواج الشرعي هو سكن وأمان واطمئنان للزوجين والأبناء والأسرة كلها كما للمجتمع كله.

في السنة النبوية الطاهرة شدد النبي الكريم على جريمة الزنى (وهو جريمة بالفعل الى أيامنا هذه)، فالزنى مناف للايمان كما قلنا في الحديث السابق، كما السارق كما شارب الخمر، فكلها أعمال قبيحة لا تليق بالمسلم الحق، كما أن الزانى يلاقى ربه بالاثم العظيم يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم:

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر. صحيح مسلم

الزنى عقابه الجلد لغير المتزوج كما في القران الكريم، والنص شمل المتزوج وغيره والرجم للمتزوج والمتزوجة كما جاء في السنة النبوية التي جاءت تطبيقا لاية الرجم في سورة الأحزاب التي رفعت لفظا وبقيت حكما كما سبق أن ذكرنا، وفي الاخرة ان لم يتب الزاني والزانية فمأواه النار في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النِّفَاسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ الفرقان 71

نفهم من الآية الكريمة أن مغفرة الله تعالى دائمة للتوابين من المعاصي، كالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق والزنى، وكل هذه الأمور من الكبائر، ولكن اذا ما تاب العاصي توبة نصوحا وعمل صالحا فليس على الله شيء ببعيد أن يتوب عليه ويستبدل سيئاته حسنات، يجب في الوقت نفسه أن لا يعرف القاضي أو الحاكم بالذنب الذي اقترفه العاصي، فاذا وصل الامر الى الوالي أو الحاكم فعليه اقامة الحد على الجاني الا في حالات تخص كل جرم، فمثلا المشرك يستتاب والقاتل يقتل الا في حالة مسامحة ولي الدم والزاني يجلد ويستتاب والله غفور رحيم يقول

تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر 53

وقال صلى الله عليه وسلم:

التائب من الذنب كمن لا ذنب له. صحيح ابن ماجه

للحاكم الرأي في اقامة الحد على المذنب من عدمه حسب الحالة وحسب رأي الشرع كما قلنا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أقام الحد على الغامدية وماعر بن مالك الأسلمي بعدما اقترفا جريمة الزنى واعترفا أمام النبي الكريم بالرغم من أنه حاول مرارا وتكرارا تثنيهما عن الاعتراف صراحة الا أنهما لم يفعلا فأقام عليهما الحد وقال العلماء: ان الحد لا يقبل الاسقاط بعد ثبوت سببه عند الحاكم وعليه فلا شفاعة فيه، ولذا أنكر النبي الكريم على أسامة بن زيد وهو من أحب الناس الى قلب رسول الله، حين شفع في المخزومية بعدما سرقت فقال: **أتشفع في حد من حدود الله؟ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** متفق عليه

كان النبي الكريم أحرص الناس على اتباع الأخلاق الحميدة، وكان يحب أن يرى المجتمع المسلم من حوله طاهرا نظيفا مستقيما عفيفا لا تشوبه شائبة، ويظهر ذلك جليا من أخذه العهد من أصحابه دائما بأن يكونوا قدوة للأمة كما أنه قدوة لهم وللمسلمين قاطبة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنون ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه. متفق عليه

جعل النبي الكريم اقامة الحدود كفارات ومطهرات لمرتكبي الذنوب، ومن ستره الله بعد أن اقترف الذنب وتاب فالله تواب رحيم ومن لم يتب فأمره الى الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء 48

ليس معنى ذلك أن الله تعالى سيغفر للمستمر في ظلمه وطغيانه، بل انه ينال العذاب الذي يستحق ثم يغفر له ان شاء، أما المشرك فانه يخلد في النار ولا يرى الرحمة لأنه افترى على الله تعالى وجعل له شريكا في الحكم والملك، انما الحكم والملك لله الواحد القهار.

الزنى جريمة ليست سهلة، وليست منكرة فحسب بل محرمة لأنها لو تفشت في المجتمع

أهلكته ودمرته من كثرة الماسي والمشاكل الصحية والنفسية والاجتماعية وغيرها التي تخلفه ممارسات الزنى بين الناس، علاوة على غضب الله تعالى وسخطه، عن ميمونة بنت الحارث ام المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال أمتي بخير ما لم يفشى فيهم ولد الزنا، فاذا فشا فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله بعذاب. رواه شعيب الأرنؤوط وقال صلى الله عليه وسلم:

ما نقض قوم العهد قط الا كان القتل بينهم، وما ظهرت فاحشة في قوم قط الا سلط الله عز وجل عليهم الموت رواه مسلم
لخص النبي الكريم بعض المعاصي والكبائر التي يعاقب عليها مرتكبها في الدنيا والاخرة حينما سئل أي الذنب أكبر؟ قال:
أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني خيلة جارك.

جعل النبي الكريم جريمة الزنى بعد الشرك بالله وقتل النفس البريئة وهي الابن خشية املاق، هذه الجرائم الثلاث وغيرها بالطبع من الأعمال القبيحة التي ان استشرت في المجتمع أهلكته ودمرته وأعادته الى العصور المتخلفة، لا بل تثير الخصومة والبغضاء بين الناس، ومن أجل مرضاة الله تعالى يجب تقادي هذه الأمور كلها والابتعاد عن المعاصي، كم يجب الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه ونظافته وطهارته وأمنه وسلامته واطمئنانه، لأنه بدون تطهيره من هذه الأدران لن ينعم بالحياة الكريمة كما ذكرنا، نعم انها أدران وأمراض فتاكة، فالزنى يتسبب في أمراض وأسقام يصعب علاجها أحيانا، أما الأمراض الجتماعية والنفسية المرتبطة بها فلا يمكن اصلاحها وعلاجها، عن عبد الله بن عمر قال: كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل علينا بوجهه فقال:

يا معشر المهاجرين، خمس خصال اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، ما تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا، ولا ينقصوا المكيال الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم متفق عليه

نلاحظ أن جريمة الزنى لما تقشت بين الأمم وأصبحت سلوكا شبه عادي في بعضها،

وروتينا لا يسأل عن ممارسته من يمارسه وخصوصا في البلاد التي تدعي التقدم والرفاهية وتتمتع بالحريات العامة، نلاحظ نقشي الأمراض فيها، وأمراض الفيروسات المعدية الني تبدأ من هذه البلاد وتنتشر في أنحاء العالم، فظهرت أمراض السفلس والايذز والعين وسرطانات الشرج، وأخيرا وليس اخرا مرض جذري القروء وغيرها من الأمراض التي تتعلق بممارسة الجنس خارج الزواج الشرعي، وأكد الأطباء والمختصون أن الايذز وسرطانات الشرج وجذري القروء انتشرت نتيجة العلاقة الجنسية بين المثليين، وقال النبي الكريم انها لم تكن في اسلافهم الذين سبقوهم، أي لم تكن هذه الأمراض منتشرة في الماضي، ولكنها تنتشر بين الناس الذين يقترفون الاثام والمعاصي والزنى المباح عندهم، والذي تدعو له بعض المؤتمرات الدولية كمؤتمر بكين عام 1995 والذي دعا الى حرية المرأة من منظور غير أخلاقي، كما دعى الى حرية ممارسة الجنس خارج الزواج، وتشجيع المثليين وتأييد ممارساتهم غير الأخلاقية، وغير ذلك ما يهدد أمن وسلامة المجتمعات كذلك مؤتمر نيروبي الذي سبقه عام 1985، فعلى العالم الاسلامي أن يقف صفا واحدا ضد هذه الدعوات المغرضة والهدامة، وخصوصا فيما يتعلق بحرية ممارسة الجنس بين المثليين، وممارسته خارج الزواج الرسمي الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، ولعن الله في كتابه العزيز الزنى واللواط، وكان جزاء قوم لوط أن خسف الله بهم الأرض لأنهم كانوا يمارسون هذه الرذيلة، وجاء من يدعو لممارستها علنا وفي وضح النهار في أيامنا هذه، الاسلام ضد الزنى وضد ممارسة الجنس بين المثليين ناهيك عن زواجهم بعضهم ببعض فان هذه منكرات ومفاسد أخلاقية لا يرضى بها الله ولا رسوله ولا المؤمنون أبدا الى يوم الدين، وما الأمراض المنتشرة الا نتيجة هذه الممارسات لقوله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ﴾ الروم 41

لو تناولنا كل عنصر من العناصر التي ذكرها نبينا الكريم، لوجدنا أنها حقائق دامغة تدمغ كل من يمارسها ويدعو الى ممارستها، وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى. الزنى لكراهته وقبحه لا أحد يرضاه لأسرته ولعائلته، حتى الذين يدعون اليه لا يتمنونه لأنفسه ولأولادهم وبناتهم، لأنهم يدركون مخاطره عليهم كما يدركون الماسي التي يسببه الزنى للأسر الامنة المطمئنة، ولكن الذين يدعون الى نقشي الفاحشة والرذيلة في المجتمع يمارسونها مع أناس غير أسرهم وعائلاتهم فيستغلون ظروفًا معينة تمر بها هذه الأسرة أو تلك أو هذه المرأة أو تلك فيمارسون الرذيلة التي تغضب الله ورسوله والمؤمنين، قال الامام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة أن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أئذن لي

لازني، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، أي اسكت ماذا تقول؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أدنه، فدنا منه قريباً فقال: اجلس، فجلس فقال: أتحبه لأهلك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتيك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه.

رواه أبو أمامة الباهلي

من هذا الحديث الشريف الشامل يتضح لنا حرص النبي الكريم على حفظ أعراض اناث المجتمع بدءاً بالأُم فالابنة فالأخت والعممة والخالة، أي كل أفراد الأسرة من الاناث، أراد النبي الكريم توصيل رسالة الى الأمة الاسلامية من خلال هذا الفتى، أن الناس الأسوياء الأصحاء عقلياً وجسدياً والمؤمنين بالله ورسوله لا يقبلون ارتكاب معصية الزنى في بناتهم ونسائهم عامة فكيف بعاص أن يبيح لنفسه ذلك ويستبيح أعراض الناس؟ هذه الاستباحة محرمة حتى في المجتمعات التي تبيح كالمجتمعات التي لا تؤمن بالله ولا بدين أو عقيدة فالمسلم الحق والمسلمة الحقة هو الذي يحفظ فرجه وعرضه وهي التي تحفظ فرجها وعرضها أينما يكونا وفي أي بلد أقاما أو يقيما، لأن الاسلام ليس دين مكان أو زمان، انه دين الله تعالى الأبدى الأزلي الذي أمن به آدم عليه السلام، ومن بعده الأنبياء والرسل، واخرهم سيد العالم والبشرية محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ومن اتبعوهم جميعاً باحسان الى يوم الدين.

إذا تفشى الزنى في العالم فهو علامة من علامات يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنى وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد. رواه البخاري

رمي شخص ما بالزنى ليس بالأمر الهين، فقد نهى الله تعالى ورسوله الكريم عن قذف المحصنات الغافلات كذلك اتهم رجل بالزنى لا يقل حرمة، ومن الأزواج من يتهم زوجته بارتكاب المعصية دونما دليل، فعقابه الجلد أو الملاعنة، قد يكون الرجل في حال سكر شديد أو في حال غضب فيتصرف تصرفات طائشة ويلقي بالاتهامات الباطلة التي لا أساس لها من الصحة ضد الآخرين لذلك يجب أن ينال جزاءه، فالسكر والغضب لا يبرران الاتهامات من هكذا نوع من الاتهام، فعلى المرء أن يضبط نفسه ويصونها ولا يدع لمثل التصرفات الشائنة أن تدفعه للاتهامات التي لا أساس لها من الصحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة، إنما

الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب متفق عليه

لذلك أراد الله تعالى أن يحمي المرأة من المتسرعين بالولوغ في أعراض الناس، بأن جعل أحكام الملاعنة تسري عليهم في قوله تعالى ﴿: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخُمُسَةَ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ (7) وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ (8) وَالْخُمُسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿ النور 10

وقد يكون الزوج محققا في اتهام زوجته، لذلك اتسمت الملاعنة بالعدل، إذ يدعو الرجل بلعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وتدعو المرأة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، فالملاعنة تنصف الزوجين لأنها (أي الزوجة المتهمة بالزنى) إن لم تفعل ذلك يقام عليها الحد لرفضها الملاعنة، والرجل كذلك إذا لم يفعل يقام عليه حد القذف، فكلاهما يبرئ نفسه بالملاعنة وينتهي الأمر بذلك في الدنيا، أما في الآخرة فأمرهما إلى الله تعالى، إن شاء غفر وإن شاء عذب.

بعد الملاعنة يفرق الشارع بينهما، وينسب الولد بعد الملاعنة لأمه وليس لأبيه لاتهام الزوج زوجته بالزنى وكان قد حلف أربعا أنه من الصادقين، فالولد هنا ليس للفراس كما قال النبي الكريم لأن صاحب القراش لم يكن معروفا وقت الاتهام بالزنى، وقول النبي أن المولود لصاحب الفرش أي للرجل المعروف وقت الحمل أما العلم الحديث فانه يثبت البنوة والأبوة عن طريق التحاليل المخبرية والنتائج تنهي أوجه الخلاف.

النبي الكريم نهى عن قذف المحصنات الغافلات، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اجتنبوا السبع الموبقات (المهلكات) قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. متفق عليه

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الخامس عشر

- 1- الزنى عمل قبيح ومستهجن ومحرم من الله ومن رسوله ومن المؤمنين.
- 2- الزنى امتهان لكرامة المرأة وعفتها وشرفها.
- 3- عقاب الزانى والزانية غير المتزوجين مائة جلدة يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين لردعهم وفضحهم أمام الناس، كي لا يعودا إلى مثل هذه الأعمال القبيحة.

4- الزاني المحصن عقابه الرجم حتى الموت عملاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده.

5- لا يقام الحد الا بوجود الأدلة القاطعة اما بالشهود واما بالاعتراف الصريح أمام القاضي أو الحاكم.

6- في حال عدم وجود أدلة على حدوث الزنى الا شهادة الزوج أو الزوجة في حال اتهام زوجها لها بالزنى تتم الملاعنة بينهما كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز .

7- يسقط حد الرجم والجلد في حال الملاعنة، ويفرق بين الزوجين وينسب الولد أو البنت لأمه - أمها لعدم معرفة صاحب الفراش أثناء الاتهام بالزنى، ولكن العلماء يرون أن العلم الحديث يستطيع تحديد نسب الولد أو البنت.

8- اذا اعترف الأب بابنه أثناء اللعان لحق به وتوارثا، ويقام على الزوج حد القذف لأنه يعتبر غير صادق في دعواه، أما اذا اعترف به بعد اللعان فلحق به ويرثه الابن ولكن الأب لا يرث ابنه بل ترثه أمه ومن يتغرب بها.

9- حد الزنى لا يقام على الزانى اذا استتر به ولم يعلم به أحد، أما اذا وصل الى الحاكم بالشهود أو الاعتراف الصريح فلا مناص ولا مفر من اقامة الحد.

الفصل السادس عشر

الأخلاق في السنة النبوية

الأخلاق هي مجموعة من القيم والمبادئ النبيلة والخيرة التي تحكم سلوك الفرد والجماعة، فالأخلاق سجية من السجاياء وفطرة خيرة فطر الله تعالى عبده عليها، اما أن يحافظ عليها واما أن يشوهها فيغير بذلك نمط الحياة السعيدة الى الأسوأ. يضع بعض العلماء الأخلاق كمعيار لثقافة المجتمع وحضارته، فهي دليل التقدم والرفعة للأفراد والجماعات، والأخلاق مصدر الهام تستقي منه الأمم والشعوب والدول قوانينها وأنظمتها كالعدل والمساواة والحرية وحقوق الانسان وغيرها. من المفروض أن تلتزم الدول والجماعات والمنظمات الأهلية والدولية بهذه القيم التي أفرزتها اسس الأخلاق الحميدة، ولكن للأسف الشديد هناك من يفسد القاعدة العامة لا ضرر ولا ضرار، بأن يكيل الأمور بمكائيلين أو أكثر حسب المصلحة والأهواء والتعصب العرقي والمذهبي والديني غير السليم، فتكون الأخلاق بهذا المعنى فاقدة امعناها ومفرغة من كنهها المفروض أن يكون مفعما بالخير العميم لجميع الناس، وهذا الخير الذي أراده الله تعالى لخلقه وفرق به بيننا وبين سائر الحيوانات، فجعل الأخلاق قيمة يرتقي بها الانسان ويرتفع، وتكون أساسا للتعامل بين بني البشر، وخير ما يبدأ به الانسان في الأخلاق الصدق في التعامل بينه وبين الله أولاً، ثم بينه وبين نفسه وبينه وبين بني البشر، لأن الصدق هو سيد الأخلاق كما قال سيد الناس أجمعين محمد صلوات الله وسلامه عليه: ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً. عن ابن مسعود رضي الله عنه متفق عليه

ومن الاخلاق العظيمة التي دعا اليها النبي الكريم الى جانب الصدق، الحفاظ على الوعود والعهود والحفاظ على الأمانة في قوله:

اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان. صحيح البخاري

بعث النبي الأمي الأمين الى الناس كافة ليثبت مكارم الأخلاق في عقول ونفوس الناس، لقوله صلى الله عليه وسلم:

انما بعثت لأكمل (لأتمم) مكارم الأخلاق. عن أبي هريرة رضي الله عنه

العرب قبل الاسلام كانوا يتمتعون بخصال حميدة وأخلاق رفيعة قل ما توجد بين الأمم، ولكنهم كانوا يمارسون بعض الأمور التي تخرجهم عن الطريق المستقيم، كوأد البنات بعد الولادة،

وقتل الأبناء خشية املاق، وعبادة الأصنام وجعلها واسطة بين العبد وربّه، كما كانوا يشربون الخمر حتى الثمالة كما يقولون ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا يصلون الرحم ويقتلون النفس التي حرم الله، ويتعاملون بالربا وغيرها من الأعمال التي تنتافي والأخلاق العامة ولا ترضي الله بل تغضبه، كما كانوا لا يصلون ولا يصومون ولا يحجون الى بيت الله بل يقومون بالطواف عراة، أما من سبقهم من أصحاب الديانات الأخرى فكانوا أيضا يمارسون الأعمال المنافية للدين وحرفوا كلام الله تعالى، وكانت الأحكام الشرعية عندهم يطبقونها وفق أهوائهم، لذلك جاء النبي الأمين كي يزيد على هذه الأحكام ويعدل من سلوكياتهم وسلوكيات العرب الى الأفضل بالطبع، وكان النبيون من قبل الاسلام يدعون أقوامهم الى الايمان والى الأخلاق الحميدة ولكنهم كانوا يختلفون بعد موت أنبيائهم، ويعيد الله تعالى الكرة مع أسلافهم بارسال الأنبياء والرسل والناس يعودون الى سيرتهم الأولى من تخلف وترك للعبادات، فجاء نبي البشرية كي يذكرهم بدينهم دين ابراهيم الخليل عليه السلام، ويذكرهم بما نسوه أو تناسوه عن عمد كي تتلائم الظروف وفق أهوائهم ورغباتهم بل وشهواتهم أيضا، فالخلق القويم هو عنوان المؤمنين وفي ذلك يقول نبينا الحبيب:

ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة.

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ليس المؤمن باللعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء.

فالفحش في الأقوال والأفعال ليس من الخلق من شتم وقذف وسرقة وكذب وزنى وغير ذلك من الأفعال القبيحة، انها من الأفعال المستكرة المستهجنة في الاسلام، ومن يفعل ذلك لا يكون مؤمنا حينما يقوم ما قام به من منكر أو محرم، لذلك هناك أمران متناقضان الأخلاق وما يحتويه من قيم نبيلة، والردائل وما تحتويه من أفعال وأقوال وممارسات دنيئة، وكلا الأمرين لا يلتقيان أبدا، ولكن يمكن القول: ان المجتمع السليم هو المجتمع الذي يتمتع بالأخلاق الحسنة والاداب الرفيعة، وكان هذا هو غاية الاسلام، والقائم على الأخلاق وعلومه لا بد أن يكون متسما به واحدى صفاته، لا بل لا بد له أن يبتعد عن أولئك الذين يكذبون بالدين وعن المنافقين والكاذبين والذين يسعون في الأرض فسادا، فكان ذلك هو النبي الأمين لذلك مدحه الله تعالى في سورة القلم بقوله:

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِّكَ أَجْزَا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ

لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٍ (4) فَسَتَبْصِرُ وَيَصْبِرُونَ (5) بِأَيِّكُمْ الْآمَنُونَ (6) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْثَدِينَ (7) فَلَا تَطِيعَ الْمَكْذِبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تَطِيعَ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِمِيمٍ (11) مَنَاعٌ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عَثَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءِآيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿ القلم 15

الآية الكريمة توضح من هو ذو الخلق العظيم، هو محمد بن عبد الله، والسورة الكريمة توضح أيضا أن الذي على خلق عظيم يجب أن يبتعد عن أولئك الذين يتسمون بالشر والعناد، والله أعلم بهم، لذلك يقول لنبيه الكريم وينبهه بما أنه على خلق عظيم، فانه يجب عليه أن لا يطيع هؤلاء، أي لا يسايرهم في أعمالهم وأفعالهم، لأنها رديئة لا تتماشى ومبادئ الاسلام الحنيف، ناهيك عن أخلاق النبي الكريم، وذكر الله تعالى بعض هؤلاء كأمثلة وليس كلهم، الكذاب والضال عن سبيل الله تعالى، والذي يحلف ذهابا وإيابا بالكذب والزور والبهتان، والذي يمنع الخير عن الناس ولا يقوم به، كذلك الظالم المستبد الذي يتسم بالشر يأكل ولا يطعم يشرب ولا يسقي، وبعض العلماء قال: ان الزنيم هو اللئيم الذي يتصف بكل الصفات السيئة وبعضهم قال انه مجهول النسب، والتحق بالقوم دون أن ينتمي اليهم، فهو في القوم كالزائدة في رقبة الشاة التي تسمى بالزلومة، وهكذا وأكثر من ذلك يكذب بايات الله تعالى ويصفها بأنها من أساطير الأولين، ويقال انها نزلت في الوليد بن المغيرة الذي كان سيدا في قريش، ثم حارب الدعوة بكل ما أوتى من قوة، وهو الذي مدح كلام النبي لما سمعه يقرأ القرآن وقال فيه (في القرآن الكريم): والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له حلاوة، وان عليه لطاوة، وان أعلاه لمثمر، وان أسفله لمغدق، وانه يعلو ولا يعلى عليه. وبالرغم من هذا الكلام الجميل عن القرآن الكريم، وبالرغم من اسلام ابنه خالد بن الوليد، الا أنه بقي منافحا ومخالفا للاسلام الى أن مات، وفي أكثر من اية في القرآن الكريم يوجه رب العالمين نبيه الكريم الى الابتعاد عن هؤلاء بصفاتهم التي وصفهم الله بها والتي أجملها بالجهل في قوله:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف 199

وصف الله تعالى الذين مر ذكرهم ومن هم على شاكلتهم بالجاهلين الذين لا يدرون من أمر الدين القويم شيئا وأولئك هم السفهاء الذين يؤذون الناس بأفعالهم وأقوالهم، ويسخرون منهم ويستهوون بهم ويسيوون اليهم هؤلاء لا تعيرهم يا محمد أي أهمية لأنهم لا يستحقونها، وما يجري على النبي يجري على المؤمنين به وبرسالته الى يوم الدين.

النبي الكريم هو قدوة المسلمين، وإذا أراد غير المسلم أن يقتدي بأحد فلم يجد غير نبينا

صلوات الله وسلامه عليه قدوة يقتدي به، لأنه من الأخلاق ومن الحكمة واللين والعطف وكل الصفات الحسنة لا تتوافر لأحد من العالمين الا هو قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝﴾ ال

عمران 159

ومدحه الله تعالى في أكثر من آية، ولم لا وهو صفيه وحبيبه؟ يقول في أخلاقه:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

﴿التوبة 128

في الايات السابقة يمدح الله تعالى نبيه الكريم ويقول عنه انه ذو خلق عظيم، أي في منتهى الأخلاق لا قبلها ولا بعدها، وهذه الصفة لا يتصف بها الا الأنبياء الذين جاء نبي الله تعالى محمد على قمة مجدهم ثم يفصل رب العالمين أخلاق النبي، فهو الذي يغفو عن أصحابه وغيرهم ويصفح عنهم وان خالفوه الرأي كذلك يصفح عن أعدائه اذا ما التزموا بالمواثيق والعهود، ومن صفاته اللين مع أصحابه وعدم اظهار القسوة والعنف، لأنهم في هذه الحالات سينفضون من حوله ولن يساندوه، وتتعرش الدعوة الى الله تعالى، وما جاء محمد صلوات الله وسلامه عليه الا لتبليغها واتمامها على أحسن وجه، ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم اتخاذه مبدأ الشورى وأخذ آراء أصحابه في القرارات الصعبة وهذه من شيم التواضع، كما أنه كان شديد التوكل على الله تعالى اذا ما قرر عمل شئ أو الانشاء عن عمله، ومن أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه حرصه على حياة المؤمنين وراحتهم وكان يتألم لألمهم ويسعد لسعاتهم، هذا علاوة على الحب والاخلاص والتفاني في سبيل الدعوة والصدق والأمانة وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، ليس ذلك فحسب، بل انه كان يقرب اليه ذوي الأخلاق الحسنة ويحبهم ويغض نقيضهم وذلك في قوله:

ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وان أبغضكم الي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفقهون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفقهون؟ قال: المتكبرون. رواه الترمذي عن جابر

تحدث النبي الكريم عن كل ما يتعلق بالأخلاق الحميدة، وأثاب فاعل الفعل ومدحه من احسان وصدق وأمانة وعلم.. الخ هذه الصفات، ولم يترك صفة حسنة الا ذكرها بالاطراء والاستحسان، لا بل دعى الى العمل بها دليل على أن هذا الدين دين أخلاق ومبادئ أخلاقية، وهو دين مثالي يحتذى به على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، لا بل على مستوى العالم أجمع، ان

تمسك به المسلم سلم وغنم وإن استهزأ به خسر وندم في الدنيا وله الخزي والعار في الآخرة، إذ أن الله تعالى يطلع على خافية الأنفس والأعين وما تخفي الصدور. من محاسن ما ذكره النبي الكريم عن الأخلاق حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال:

تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: الفم والفرج رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم دعوة الناس الى البر والاحسان دائما، حتى مع من يقطع صلة الرحم والاساءة الى الآخر عله يرتدع ويعود الى رشده من جراء المعاملة الحسنة يقول في ذلك:

صل من قطعك وأحسن الى من أساء اليك وقل الحق ولو على نفسك عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وللتأكيد على ذلك الأمر قال النبي الكريم لعقبة بن عامر ناصحا:

يا عامر صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، قال عقبة: ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يا عقبة أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك.** رواه الامام أحمد

حرص النبي الكريم على أن يتوجه بالنصح دائما لأصحابه بأن يتحروا سبل الأخلاق بكل معانيها، وفي هذا السياق نصح أبا ذر بقوله:

يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: عليك بحسن الخلق وطول الصمت، والذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثليهما. رواه أبو يعلى والطبراني والبخاري

مجموعة من الأحكام جاءت على شكل نصائح ليست لأصحابها فقط، بل جاءت ليعمل بها كل مسلم ومسلمة الى يوم الدين، انها قيم أخلاقية لا يتمتع بها الا النبي الكريم وأهل بيته الكرام والذين كانوا يعملون بها وهي من خصالهم الحميدة وخصاله بالطبع قبل أن ينصح بها أمته، والدليل على ذلك مدح السيدة خديجة رضي الله عنها زوجها الوفي محمدا صلوات الله وسلامه عليه في قولها عنه:

فوالله انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نواب الحق. متفق عليه

كيف لا يكون كذلك والقران الكريم بين ظهرائه وهو الذي يبلغه للناس أولا بأول، ويكون هو

أول من يطبق تعاليمه وأحكامه كي يكون قدوة للمؤمنين، ومن يكن القرآن الكريم هاديا له فلا هادي قبله ولا بعده، إذ انه الكتاب المحكمة آياته الكامل المتكامل، من سار على هديه فاز ونجى، ومن حاد عنه وعن تعاليمه خسر وتردى، سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن، ومن كان خلقه القرآن أحق أن يتبع، لأن فيه كل الخير للإنسان ولل البشرية جمعاء الى يوم الدين النبي صلى الله عليه وسلم كان رقيقا مع أصحابه، لم يعنف أحدا منهم الا لأمر فيه مرضاة الله، ولم يكن معروفا عنه العنف، بل الغضب على ما يغضب الله تعالى، في الوقت نفسه كان رقيقا مع الذين يعملون معه فلم يزجر ولم ينهر أحدا منهم، ومن هؤلاء أنس بن مالك رضي الله عنه الذي قال عن النبي الكريم كلاما خرج من القلب فلامس القلب:

ما مسست ديباجا ولا حريرا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت رائحة قط أطيّب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد خدمت مع رسول الله عشر سنين، فما قال لي قط أف، ولا قال لشيئ فعلته لم فعلته؟ ولا لشيئ لم أفعله ألا فعلت كذا؟ متفق عليه

كان النبي الكريم خلقا مع غير المسلمين، ويدعو الى التعامل معهم بأخلاق عالية لقوله صلى الله عليه وسلم:

ألا من ظلم معاها أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقتة، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة متفق عليه

من يتتبع أحاديث نبي الله تعالى يجد فيها شمول الفكرة والايمان بها كما العمل بها أيضا، وصدق الحديث وحلاوة اللسان وطلاوة المعاني والألفاظ الحسان، لا يجد فيها عوجا ولا أمثا أي تناقضا وقلة، بل كل أحاديثه صلى الله عليه وسلم شاملة كاملة قابلة للعمل والتطبيق، لأنها تعبر عن محاسن الأخلاق، يقول صلى الله عليه وسلم:

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله اليه طريقا الى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه حديث صحيح

هذه هي أخلاق النبي الكريم كاملة مكملة، شاملة مشتملة على كل مناحي الحياة، ولم

يستطيع امرؤ الى يومنا هذه من علماء الفلسفة والأخلاق والأدب وغيرهم أن يلموا بهذه المعاني الأخلاقية كاملة مثلما ألم بها النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه، وان تحدثت فيلسوف عن قضية ما فانه لا يستطيع تجاوزها لقلة علمه أمام علم النبي الكريم، ولم لا؟ وهو الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى من الله تعالى، فشتان بين الفيلسوف وعالم الأخلاق الذي يبحث عن الحقيقة وقد يجدها وقد لا يجدها وبين نبي الله الذي تأتيه الحقيقة غير قابلة للنقاش أو الجدل حولها، اذ لا نسبة يلتقون بها وعلومهم الأخلاقية والحياتية أمام علم النبي، بدليل أن ما جاء في كتبهم قلما يتذكرها القارئ أو الباحث وأنا منهم حيث كان اضطلاعي بعلم الفلسفة كبير وكنت أهوى وأعشق هذا العلم، ولكن ما علق بذهني قليل، ولا أتذكر ما قاله ديكرت مثلا عن الأخلاق الا اذا أردت البحث عن ذلك، ولكن أخلاق النبي وعلمه نمارسها كل يوم بل كل لحظة ونتذكرها دائما، واءاء الفلاسفة الكبار لها اثارها الوقتية بمقياس الزمن اندثرت بعد موتهم، ولكن علم النبي ما زال حيا ويزداد حياة بمرور الزمن ويحافظ عليه المسلمون لأنه ارثهم الخالد، لأنه من ينبوع القرآن الكريم الذي لا تجف مأؤه بل تزداد حلاوة وطلاوة مع مرور الأزمان والدهور ليس هذا فحسب، بل ان المفكرين والفلاسفة وحتى رجال الدين غير المسلمين ينهلون من هذا البئر العميق والعلم الوفير، ويتساءلون : كيف لنا لا نعرف هذا من قبل؟ ربما يكون التقصير منا نحن المسلمين، وربما يكون التقصير منهم لأنهم يكونون قصيري النظر قبل الولوج في المعرفة الحقّة حول الاسلام ومنهجه، ولم يقرأوا القرآن ولو مترجمة معانيه ولم يضطلعوا على السنة النبوية الشريفة التي تطرقت الى كل أمور الدنيا والاخرة.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السادس عشر

1- الأخلاق هي السلوك الظاهر من الانسان وهي التي تعكس تربية صاحبها والبيئة التي نشأ فيها.

2- الأخلاق فطرة سليمة فطر عليها الانسان، لذا يجب الحفاظ عليها وتنميتها ايجابا والتمتع بكل صفاتها من صدق وأمانة واخلاص وحب للغير ورأفة وطيب خاطر ومعاملة حسنة للقريب والغريب المسلم وغير المسلم...الخ.

3- الأخلاق الحميدة هي أخلاق الاسلام ثابتة وتتطور الى الأفضل دائما، لا ينقص منها التطورات التي نشهدها، فالقيمة ثابتة لا تتغير مهما طرا على المجتمعات من تغيرات، بعض البراجماتيين والبراليين من يرى أن القيم متغيرة كما العالم متغير متطور ولكننا نرى أنها ثابتة بثبات الأخلاق، اذ لا يمكن أن نبيح الزنى مثلا اذا أباحتها الدول غير المسلمة،

ولا نوافق على الممارسات الجنسية خارج الزواج، كما لا نوافق على مثليي الجنس وممارساتهم الجنسية الرخيصة، إذ تمثل هذه الأمور محرمات أبدية وليست انية وقتية على المسلمين أفرادا وجماعات.

4- أخلاق المسلمين هي أخلاق القرآن، كما هي أخلاق نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، فلا تبديل ولا تغيير فيها، إذ أنها تمثل سمو الأخلاق ورفعتها، فلا تتأثر بتغيرات أخلاقيات الغرب غير المسلم، لا يعني ذلك أن كل أخلاق الغرب غير مقبولة، بل إن منها الكثير مشتق من التعاليم السماوية وتتماشى مع تعاليم الإسلام، ولكن المقصود أن المسلمين لا يمكن لهم أن يخالفوا تعاليم دينهم السمحة والأخلاقية، كما أن العبادات المفروضة كالصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله تعالى وقبل ذلك الشهادتان كلها أمور لا نقاش حولها، وغير خاضعة ولا قابلة للتفاوض والتنازل عن أي جزء منها إلى يوم الدين.

5- الأخلاق لا تخضع للهوى والشهوة، أي ما يفسره المرء لصالحه، فهذا ما فعله اليهود في أحكامهم الشرعية إذ كانوا يغيرون ويبدلون الأمور والمفاهيم وفق أهوائهم ومل تقتضيه مصالحهم ومصال حاخاماتهم

6- السلوك الحسن جزء من شخصية الإنسان السوي وجزء من الأخلاق الحميدة، وليس هبة ولا منحة من الفرد لمجتمعه ولا للآخرين، بل هو دليل على الإيمان والتقوى كالأحسان إلى الغير وحب الناس ومعاملة الجار معاملة حسنة وحفظ المال والعرض ... الخ.

7- الأخلاق الحسنة ليست عملا اجباريا أو سلوكا اكراهيا يكره المرء على ممارسته، بل هو فطرة فطر عليها المرء وهي التي تميزه عن غيره من الحيوانات.

8- المؤمن بحسن خلقه يعادل الصائم القائم لعبادة الله تعالى، وهذا ما أكد عليه نبينا الكريم.

9- الأخلاق الحميدة مرتبطة بالعقيدة الصالحة، وهي جزء من مجاهدة النفس في الدنيا ولها ثوابها العقيم والنعيم في الآخرة.

10- أخلاق الأفراد الحسنة تنعكس على المجتمع بأسره، فتشيع مظاهر وظواهر الصدق والاخلاص والتفاني في العمل والمحبة بين أفرادها والأمانة والوفاء وحفظ حقوق الغير، وغيرها من السلوكيات الطيبة التي تميز المجتمع المسلم عن غيره الذي يتسم ويتصف بغير ذلك.

الفصل السابع عشر

الربا وأكل مال اليتيم في السنة النبوية

إذا كان القرض الحسن من الفضائل فإن الربا من الرذائل، وما أغرق العالم في أزمارته الاقتصادية والمالية الحالية والمستقبلية إلا الربا الذي ابتدعه اليهود ويتعاملون به، فإن جل بنوك العالم مرتهنة لهم، وفي النهاية أغلب الأرباح التي تجنى من الربا تصب في جيوبهم وهم سعداء لذلك، وفي هذا الصدد سمعت عدة تعليقات حتى من قبل بعض زعمائهم بأن السبب الذي طردوا فيه من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها من البلاد والدول هو استثمارهم بثروات البلاد عن طريق الربا وتحكمهم بمساراتها المالية والاقتصادية، وبالتالي التوجهات السياسية الداخلية والخارجية.

الإنسان لم يفطر على أكل مال الآخرين بالربا أو بغيره من الممارسات التي تخالف شرع الله تعالى المبني على العدل والمساواة ومساعدة المحتاج وغير ذلك من الفضائل، فالربا سلوك غير أخلاقي ابتدعه اليهود لاستغلال العالم ونهبه بالحرام، وهذا سلوكهم منذ البدء وقبل مجيء الإسلام، فالمرابي يستغل حاجات الناس بفرض هذا النظام عليهم، وتطور هذا النظام ليكون على شكل فوائد تجنى من المستدينين أفرادا كانوا أم جماعات أم شركات أم دولا، لذلك يبقى هؤلاء جميعا رهائن البنوك الدائنة وأغلبها يمتلكها اليهود في العالم لا بل إن البنك الدولي يفرض على الدول اجراءات قاسية تنعكس على شعوب الدول المستدينة من أجل ضمان سداد هذه الديون في مواعيدها بالأرباح التي تفرض على هذه الدول، وتتوء تحتها وتتقل أعباء شعوبها، من هنا كان الربا الفاحش حتى القليل منه من الموبقات أي المهلكات التي نهى الله تعالى عنها كما نهى نبيه الكريم كذلك في آيات وأحاديث كثيرة، وذلك لما تمثله من أخطار على الأفراد وعائلاتهم والمجتمعات وتجمعاتهم والدول ورعاياهم.

إن الربا فاحشة كبرى، لأنه يضع العالم كله في أزمار اقتصادية ما أن تخرج من واحدة حتى تواجه التي بعدها، وهكذا إلى ما لا نهاية حتى ينتهي هذا النظام الظالم من العالم أجمع ويحل محله نظام أكثر عدلا وأعتقد أنه النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على المربحة وليس الربا هو الأفضل لثبوت ذلك بالممارسة

الربا هو الزيادة في المال أو نحوه دون وجه حق، ويعرفه العلماء بأنه: **عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير البدلين أو أحدهما**، هذا تعريف فقهي صرف، أما التعريف الاجرائي فهو **النماء والزيادة في الشيء وارتفاعه**، أي ما يزيد

على أصل البيع أو الدين من مال دون وجه حق، أو ما يزيد بعد مدة من الوقت دون مقابل، وما يزيد عن الأصل فهو ربا سواء كان في اللحظة نفسها أو بعد فترة مخصصة من الزمن عدا عقود التجارة والتعاملات التجارية بأنواعها التي لا تدخل فيها عقود الربا، هذا وقد خصصنا فصلا كاملا عن الربا في كتابنا (الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية).

واجه العالم أزمات اقتصادية عالمية نتيجة التعاملات الربوية كان أسوأها في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2007-2008، حيث لم يستطع المستدينون من دفع أقساط العقارات فذهبت مليارات الدولارات أدراج الرياح وخسر المستثمرون أموالهم، ولكن البنوك استطاعت استرداد أموالها من العقارات التي صودرت، ولكن لأسواق خسرت ما يزيد على 14 تريليون دولار في أكبر خسارة في التاريخ الحديث، والدول العربية الخليجية فقط خسرت أكثر من 650 مليار دولار خلال الأربعة أشهر الأولى من الأزمة فقط، والذي كشف عنها في مؤتمر الكويت الاقتصادي عام 2009 ميلادية، وقلت يومها ان الله تعالى قوله الحق ولا شيء في الكون يعلو فوق قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة 276

ويقول أيضا في السورة نفسها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة 279

صدق الله ورسوله الكريم، لقد خسرت الدول العربية مليارات الدولارات وذهبت الى جيوب المرابين هباء منثور، والتعلم من الماضي ليس عيبا وانما العيب أن نستمر في الخطأ، فكان أجدى بهذه الدول أن تستثمر في بلادها وبلاد العرب والمسلمين، لأنهم بحاجة ماسة الى هذا المال للرفع من شأنهم وتنمية بلدانهم وكي يعيش العربي والمسلم بكرامة في وطنه، اذ ينقصه الشيء الكثير حتى يصل الى ما وصل اليه المواطن الغربي، فهو بحاجة ماسة الى كل قرش ينفق في بلاد غير بلاده، وعلى المستثمرين الأغنياء أن يحصدوا أرباحهم من المشاريع التي يقومون بها وينفذونها في بلادهم وبلاد العرب والمسلمين، وهذا ليس محرما عليهم بل هو عين الحلال، فهم بذلك يخدمون أنفسهم ويخدمون المواطنين العرب والمسلمين الذين هم بحاجة الى المدارس والمستشفيات والطرق المعبدة

والغذاء الصحي السليم والكهرباء والماء النظيف وغير ذلك من المستلزمات الحياتية الأخرى، وفوق كل ذلك يعتبر المال الذي ينفق على هذه المشاريع الخيرية استثمار الهي للمستثمرين يحصلون على أضعافها مضاعفة يوم القيامة، ماذا يريدون أكثر من ذلك؟ أسأل نفسي دائما كما يسأل غيري: المسؤول العربي والمسلم الذي يموت وخلف وراءه مليارات الدولارات ماذا يستفيد منها في قبره؟ أليس من الأفضل له لو أنفقها في سبيل رفعة أبناء بلده أولا، ثم على أبناء المسلمين المحتاجين الذي بعضهم يجمع ذرات القمح والشعير من بين ذرات رمل الصحراء حتى يطحنه ويأكل في ليلته تلك؟ والمرأة التي تجمع الحطب كي تطبخ لأطفالها ما يسد رمقهم في ذلك اليوم؟ ألم ير هؤلاء الأثرياء هؤلاء الضعفاء؟ فينفقون شيئا من أموالهم المكدسة التي يستفيد منها الربويون والمستعمرون لأوطاننا؟ وهم لا يستفيدون منها بعد موتهم وملاقة وجه الله تعالى؟ على كل حال هم يعرفون هذه الحقائق وما لنا الا أن ندعوا لهم بالهداية ولا نكون قد أثقلنا عليهم. هذا لا يعني مطلقا تحريم الاستثمار في الدول الأخرى ولكن كل شيء بميزان يقدره الاقتصاديون تحت شعار لا ضرر ولا ضرار، وفقراء المسلمين وفقراء العالم أيضا أولى بالاستثمار فيهم.

الربا محرم في كل الديانات السماوية ويبغضه المؤمن وغير المؤمن أيضا لأن الجميع في مركب هالك واحد من اثار الربا، نقرأ في العهد القديم سفر الخروج فصل 22 اية 25
إذا أقرضت مالا لأحد من أبناء شعبي، فلا تقف منه موقف الدائن لا تطلب منه ربحا

لمالك

وفي سفر اللاويين نقرأ:

إذا افتقر أخوك فأحمله لا تطلب منه ربحا ولا منفعة فصل 25 اية 35

وفي الانجيل أيضا نقرأ:

إذا أقرضتم لمن تنتظرون منه مكافأة، فأني فضل يعرف لكم؟ ولكن افعلوا الخيرات وأقرضوا

غير منتظرين عائداتها، وأذن يكون ثوابكم جزيلا الفصل 6 اية 34-35

وفي الاسلام نلاحظ أن كل المحرمات في الكتب السماوية السابقة هي في القرآن الكريم، وثى عليها

الحديث النبوي الشريف، ففي الربا قال صلى الله عليه وسلم:

لعن الله اكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه. رواه الخمسة عن ابن مسعود

وفي رواية النسائي:

اكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه اذا علموا ذلك ملعونون على لسان محمد يوم القيامة.

عن عبد الله بن حنظلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: درهم ربا يأكله الرجل وهو

يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية في الخطيئة. رواه أحمد

وفيما يجري فيه الربا عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق الا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منهما غائبا بناجز. متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل، والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل رواه أحمد ومسلم

لا يجوز بيع شيء بالشيء نفسه أي الرديء بالحسن من الشيء نفسه، الا بعد بيع الأول نقدا وشراء الثاني نقدا والا اعتبر ربا، والهدف من تحريم الربا ابعاد الناس عن المفاصد والأضرار التي تلحق بالفرد والمجتمع على حد سواء، فالفرد يتعرض الى الافلاس ما يؤدي الى تفاقم الأزمات المنزلية وتحدث الشقاكات والمنازعات وفي المجتمع تحدث المشاكل نتيجة الافلاس أو الامتناع عن دفع الفوائد وذلك بمصادرة المنزل أو السيارة أو الأرض من قبل المرابي، وقد تحدث عمليات قتل يروح ضحيتها البريء، وبذلك يفتت ويتشتت شمل المجتمع ويتمزق، وذلك نتيجة أكل الربا أضعافا مضاعفة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ال عمران 130

لذلك حث القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم على الكف عن التعامل بالربا، فمن لم يعلم وعلم بحرمة فليدعه وليأخذ رأس ماله ويكتفي بذلك كما في سورة البقرة الآية 279، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وان كل دم من دم الجاهلية موضوع، وأول دم أضع فيه دم الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، قال: اللهم هل بلغت؟ قالوا نعم ثلاث مرات، قال: اللهم أشهد ثلاث مرات.

اكل الربا ومؤكل الربا كلاهما ستكون عاقبته الفقر والفاقة باذن الله، ولو ظهر الغنى والتبطر على الربابي ولكن هذا الى حين، ان لم يطالعه الفقر والفاقه فسيطال ورثته وذريته التي ارتبت على الربا، يقول صلى الله عليه وسلم:

ما أحد أكثر مال من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة. عن ابن مسعود رضي الله عنه ولكثرة التعامل بالربى هذه الايام عن طريق البنوك وغيرها حذرنا النبي الكريم من الوقوع فيه،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا، قيل يا رسول الله الناس كلهم؟ قال من لم يأكله
ناله من غباره أخرجه الامام أحمد

ولتشابك المصالح الاقتصادية في عصرنا هذا والمنافع بين الدول، نرى أنها تستدين من
البنك الدولي ومن بعضها بعضا أموالا بفوائد كبيرة يكون نهايتها الاثقال على الدول الضعيفة،
وبالتالي يعاني المواطنون من هذه الأعباء، فتضطر الدولة الى الاقتراض مجددا لسداد الديون التي
تتراكم وتتراكم فوائدها، وتكون من نتائجها غلاء الأسعار وغلاء المعيشة التي أصبحت لا تطاق في
بعض البلدان نتيجة لهذه المقامرات والمغامرات غير محسوبة العواقب، فيطلب البنك الدولي مثلا من
البلاد المقترضة أن يجري بعض الإصلاحات الاقتصادية كرفع الدعم عن المواد الأساسية، ورفع
أسعار بعض المستلزمات كالكهرباء والغاز والسجائر (نرى أن مضارها أكثر من فوائدها) وخفض
الأجور وغير ذلك، كي تتمكن الدولة من سداد ديونها مع الأرباح المستحقة، وتبقى هذه البلاد تعيش
في دوامة الاقتراض ولا تستطيع النهوض بأعباء مواطنيها ولا بالتقدم المطلوب، كما تبقى متخلفة
عن ركب الحضارة والتقدم العلمي وغير ذلك، وسبب كل هذا الاقتراض بالرّبي، وهذا ما تريده الدول
القوية كي تبقى مسيطرة على الدول الضعيفة، وتكون تحت امرتها سياسيا واقتصاديا حتى ثقافيا، إذ
تقرض هذه الدول على الدول الضعيفة ما يجب أن تدرسه في مدارسها وما لا تدرسه كي يتماشى
الأمر مع ما تريده هذه الدول وتحققه من أهداف أكثرها خبيثة، ألم نسمع بأنهم يريدون تغيير مناهجنا
في المدارس ويليغون هذه المادة أو تلك؟ وأغلبها يتعلق بديننا وعقيدتنا؟ هذه بعض نتائج التعامل
بالاقتراض من البنوك الدولية، كذلك لجأت البنوك باقراض الناس الأموال من أجل شراء البيوت
والسيارات الفارهة فأغرقت الناس في الديون، وجعلتهم يجرون وراء العمل من أجل سداد هذه الديون
بدل الجري وراء كسب الرزق من أجل الحياة السعيدة وتعليم الأبناء وغير ذلك، وقد يعجز المقرض
عن سداد الفوائد الشهرية فتلجأ البنوك الى مصادرة العقار أو السيارة لبيعها وأخذ الاموال المقرضة
المستحقة وبذلك تعم الفوضى ويعم الفساد نتيجة الافلاس، قال ابو هريرة رضي الله عنه: قال النبي
الكريم: ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن الحلال أم من الحرام. رواه
البخاري

قسم العلماء الربا الى نوعين:

- 1- النسئة أي تأجيل السداد فتأخيره يستوجب عليه الزيادة فهو ربا.
- 2- الفضل أي بيع ذهب بذهب أو فضة بفضة، كذلك القمح والشعير والتمر والملح وما شابه ذلك، أي

لا يجوز بيع الذهب المستعمل بجديد بل ببيعه وقبض ثمنه ثم شراء الذهب الجديد، أو صاعين من التمر الرديء بصاع من التمر الجيد، بل ببيع الرديء بسعر ثم شراء الجيد بسعر آخر لقوله صلى الله عليه وسلم: لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني أخاف عليكم الرماء. (الربا) مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري

وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تبيعوا الدينار بالدينارين ولا الدرهم بالدرهمين ولا الصاع بالصاعين فاني أخاف عليكم الرماء. رواه أحمد

وفي السياق نفسه قال صلوات الله وسلامه عليه: الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والملح بالملح مثلاً بمثل ويذا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الاخذ والمعطي سواء. رواه أحمد والبخاري

والمقصود أن لا يؤجل البيع مثلاً بمثل خوفاً من الوقوع في النسيئ. أما أكل مال اليتيم ظلماً فإنه من المحرمات، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ۖ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ النساء 2

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الاسراء 34

كما نهى النبي صلوات الله وسلامه عليه عن أكل مال اليتيم في قوله: يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا، قيل يا رسول الله: من هم؟ قال: ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً أخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

النساء 10

وأخرج ابن جرير وابن حاتم عن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال:

نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافهم، ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار فتقذف في في أحدهم حتى تخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا.

وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيما، مدمن الخمر، واكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه.

كما ذكر النبي الكريم أكل مال اليتيم ضمن السبع الموبقات أيضا، وأكل مال اليتيم يتمثل في الأموال المنقولة السائلة وغير المنقولة، كالعقار والأرض وغير ذلك التي تترك بعد وفاة الأب أو الأم أو كليهما ويتركان أطفالا ضعافا لا يستطيعون التصرف بأموالهم، أو ماله أو مالها اذا كان واحدا أو واحدة من الأطفال، وتعهد احد الأقرباء برعايتهم والاحتفاظ بأموالهم حتى يشبوا عن الطوق أو تشغيل هذه الأموال لصالحهم، فمنهم من يعترف بأحقيتهم وحقمهم بالمال، ويعيده اليهم أو له أو لها بعد التأكد أنهم جديرون برعاية أموالهم كما أمر الله تعالى، وبعضهم من يدعي أن له حق فيه باعتبار الرعاية والاستثمار له نصيب مفروض منه، وبعضهم من يبالغ في الادعاء بالمصاريف ويأخذ أضعافا مضاعفة على حقه، وبعضهم من ينكر تماما أن للأطفال أو الطفل أموال أو عقار أو أي مستحق لهم أو له أو لها، والصنفان الاخران هما اللذان يأكلان مال اليتيم بدون وجه حق وهما المقصودان في الايات المباركات والأحاديث الشريفة.

العطف على اليتيم ورعايته والعناية به والحفاظ على أمواله من القيم الاسلامية النبيلة، ومن يخدش هذه القيم انما يحاول أن يهدم أسس الدين المتينة، لذلك يستحق العذاب المناسب، واليتيم له موضع خاص، اذ أنه يحرم من حنان الأم والأب، لذلك يحتاج الى كل هذه الرعاية، وليس أدل من أهمية رعاية اليتيم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أنا وكافل اليتيم في الجنة، هذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. رواه البخاري

اليتيم يكون عادة في كفالة الكافل وهو اما أن يكون قريبا أو بعيدا، وبعد أن يشب اليتيم أو اليتيمة عن الطوق أي يكون أو تكون قدرا أو قادرة على تدبير شؤون أمره فيسمح له أن يستقل بأمواله، فاذا أراد الكافل ان كان فقيرا أن يقتطع شيئا معقولا جراء أتعابه فله ذلك، واذا سامح اليتيم في أتعابه فله ذلك أيضا، أما اذا كان الكافل غنيا وأراد أن يستقطع من أموال اليتيم جراء أتعابه فلا يعتبر كافلا لليتيم بل هو أدار أمواله بأتعابه، والكافل الغني الحق هو الذي يستعفف ولا يأخذ شيئا من أموال اليتيم لقوله تعالى:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ النساء 6

يجب اشهاد الشهود عند دفع ما لليتيم من أموال أو عقارات أو نحوه، حتى يبرئ الكافل ذمته

ويوضح للشهود ما له وما عليه، أي تصفية الحسابات والذمم المالية.

هناك من الطامعين في أموال اليتيم وأموال الغائبين عن أرزاقهم لأسباب متعددة منها:

الحروب التي تحول بين المالك وأملاكه، يدعي هؤلاء أي الذين أوتمنوا على أموال اليتيم أو الغائب أنهم أو أنه أنفق الكثير للحفاظ على هذه الأموال، لذلك لا بد له أن يتقاضى أتعابه التي يحسبها أضعافا مضاعفة طمعا بالحصول على أموال طائلة لا حق له فيها، فهذا الصنف من الناس يأكل مال الآخرين بدون وجه حق، فلا فرق بين أكل مال اليتيم أو الغائب والربا، فكل الأمرين فيه أكل للمال الحرام، وهذا ما لم يستوعبه الطامعون في أموال الناس، ولكن الحقيقة أنه مال حرام كالربا تماما.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السابع عشر

- 1- الربا محرم في الاسلام ما قل منه وما كثر.
- 2- الربا هو الزيادة في المال دون بيع أو شراء أو تجارة، وإذا كان البيع بالاجل وتطلب زيادة في السعر فهو ربا، أما إذا اتفق الطرفان على السعر الحالي بكذا وبعد شهر بأعلى قليلا فقد حلله بعض العلماء، قال ابن باز: لكن بعض أهل العلم قال: إذا قومها قال: تساوي كذا ألفا نقدا وألفا ومائة الى أجل فان هذا يشبه الربا، ولكن الصحيح أن هذا ليس ربا، وليس فيه شيء لأنه يقول له: ان كنت تشتريها الان بالنقد فالثمن كذا، وان كنت تشتريها بالاجل فالثمن كذا، فإذا قطعه على شيء معلوم قطعه بالمعجل فلا بأس، أو قطعه بالمؤجل فلا بأس، لكن لا يفترقان الا وقد قطعوا على شيء معلوم فلا بأس في ذلك.
- 3- الربا يحو الحسنات والأعمال الصالحة باعتباره كبيرة من الكبائر.
- 4- يحرم المرابي من خير الدنيا وله في الآخرة عذاب أليم.
- 5- الربا له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع والدولة إذا اعتمدت على النظام المالي الدولي القائم على الربا.
- 6- الربا يشمل ربا المال وربا البيوع، وهو نوعان: ربا الفضل وهو بيع شيء بشيء مماثل له في النوع والجنس كبيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة الغرام باثنين أو أكثر، بل البيع بالشيء ومثله تماما فهو حلال وربا النسيئ أي قلب الدين على المدين المعسر بأن يخيره بين أن يدفع أو يؤخر الدفع مع الزيادة.
- 7- أكل مال اليتيم محرم في الاسلام.

8- يجوز اقتطاع أتعاب الكافل أو الولي دون مبالغة، أما إذا كان الكافل غنيا واقتطع أتعابه فلا يعتبر كافل یتیم.

9- ترد أموال الیتیم حال بلوغه أو وصوله الى سن الزواج، لأنه يكون قادرا على استثمار أمواله.

10- يجوز استثمار مال الیتیم لصالحه وليس لصالح الولي أو الكافل، ولا يصح اقتطاع أموال خاصة بالغائب دون وجه حق والادعاء أنها أتعاب المشرف على هذا المال أو العقار، لأن كل مال جر نفع دون وجه حق فهو حرام.

الفصل الثامن عشر

القرض في السنة النبوية

القرض أو الاستقراض هو طلب مال أو ما يستفاد منه للحاجة، كاقتراض سيارة نقل مثلا أو حيوان لنقل بضاعة أو أثاث أو نحوه، كأن يقترض رجلا من أخيه مالا يكون بحاجة اليه، أو تقترض امرأة فستانا للزيارة ثم يرجع ما اقترض الى صاحبه أكان مالا أو شيئا استفاد منه المستقرض أو يرد أفضل منه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فاغلظ له فهم به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **دعوه فان لصاحب الحق مقالا، ثم قال: أعطوه سنا مثل سنه، قالوا: يا رسول الله لا نجد الا أمثل من سنه قال: أعطوه فان خيركم أحسنكم قضاء.** صحيح ومتفق عليه

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه:

استقرض النبي سنا فأعطى سنا خيرا من سنه وقال: خياركم أحاسنكم قضاء. رواه أحمد ونقل مجموعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استلف من رجل بكرة، فقدمت عليه ابل من ابل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكرة فرجع اليه أبو رافع فقال: لم أجد الا خيارا رباعيا فقال: **أعطه اياه ان خيار الناس أحسنهم قضاء.**

فقضاء القرض يكون بمثله أو أحسن منه لأنه قرض حسن، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن اعرابيا جاء النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه دينا كان عليه فأرسل الى خولة بنت قيس فقال لها:

ان كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك. رواه ابن ماجه

القرض الحسن دون فائدة حلال، وهو عين الصواب وعين الخير لقوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۖ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾ البقرة 245

القرض الحسن في الالية الكريمة هو مساعدة المحتاجين دون سداد القرض للمقرض، فان الله تعالى يعيدها لصاحبها أضعافا مضاعفة يوم القيامة، وقد يجازي الله المقرض في الدنيا بأن يوسع عليه الرزق، أو يضع في أمواله البركة، أو يمتعه هو وأسرته بالصحة والعافية، ويبعد عنه شرور المرض والناس الشريرين وهمزات الشياطين.. الخ، أما القرض العادي فهو نوع من أنواع الصدقات،

ولكن يرد الى صاحبه شريطة أن تكون بدون فوائد، وتكون نوعا من أنواع المساعدة لقوله صلى الله عليه وسلم:

من أسلف في شيء فلا يأخذ الا ما أسلف فيه أو رأسماله. رواه الدارقطني

أما اذا كان قرضا حسنا غير مردود، فلا يشترط في المستلف أن يرده ولا للمقرض أن يطالب برده، لأنه نوع من أنواع القرض الحسن الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وتقريج كرب عن المكروب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك:

من أسلف سلفا فلا يشترط على صاحبه قضاؤه. رواه الدارقطني

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. رواه مسلم

هذا حديث شريف من بين الاف الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن المتمعن في هذا الحديث يجد الرقي والحضارة الانسانية تتساب من بين كلماته، فهو يدعو الى الخير وعمل الخير من بدايته حتى نهايته يدعو الى مساعدة المحتاج وفك كربته، مقابل ذلك يثاب فاعل هذا الخير بأحسن مما قدم، وهو تنفيس كربة من كرب يوم القيامة، أي العفو والمغفرة عن بعض الذنوب كبيرا أم صغيرا، كذلك يدعونا النبي الكريم الى طلب العلم، فان الله تعالى ييسر لطالب العلم طريقا الى الجنة، ولم ينس نبي الأمة والعالمين عملا من أعمال الدنيا التي تتعلق بالعبادة وهي ذكر الله تعالى في المسجد، حيث تحف الملائكة بالذاكرين ويذكرهم الله بين ملائكته، كما نبه المؤمنين الى خطورة مضي الوقت دون عمل الخير ودون اداء العبادات المفروضة، فان من يفوته هذه الأمور لن يجد له نصيرا يوم القيامة الا عمله، اذ أن الحسب والنسب لا قيمة لهما في ذلك اليوم، ما هذا الفضل العظيم؟ وما هذه المنزلة الرفيعة التي يميز الله تعالى هؤلاء الناس عن غيرهم بذكرهم عنده؟ هذا الحديث الشريف مدرسة من مدارس الفضائل الذي يصلح للتدريس في كل دور العلم والمعرفة لقيمتها الانسانية والأخلاقية التي قل ما نسمع مثله من العلماء والفلاسفة والمربين.

القرض الحسن ذكر في الكتب السماوية الأولى، ولكنه لم يذكر بأنه من أجل مرضاة الله

تعالى، أما في القرآن الكريم، فإن القرض الحسن ذكر صراحة بأنه من أجل مرضاة الله أولاً، والله تعالى يثيب عليه، ثم من أجل تفريج كربة المحتاج

مما سبق ذكره ندرك الفرق الشاسع والبون الواسع بين الربا والقرض العادي دون فوئد، والقرض الحسن من أجل مرضاة الله تعالى، الأول مهلكة والثاني مسلكة وثوابه عند الله، والثالث ثوابه أعظم لأنه من أجل مرضاة الله تعالى ورضوانه، ومن يرضى عنه الله حرم جسده عن النار .

وإذا ما قاربنا بين الربا والقرض بشقيه نجد أن الربا لا توجد فيه رائحة المساعدة والمسالمة، والثاني يهدف الى المساعدة ومسالمة النفس واطمئنانها، الربا لا يهدف التوسعة على المدين بل التضيق عليه، والقرض يهدف الى مساعته ومساندته والتعاون معه على تفريج كربته ومشاكله، كذلك الربا ليس صدقة يتصدق بها المرابي، ولكن القرض بشقيه صدقة اذا كان قرضاً حسناً، وصدقة اذا كان قرضاً دون فوائد، فكلاهما يعتبر صدقة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين الا كان صدقتها مرة. رواه ابن ماجه وابن حبان

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة. أخرجه ابن ماجه

يجب التأكيد هنا على أننا نورد الأحاديث كما جاءت في المراجع العلمية المختصة بعلم الحديث ونستفيد من محتواها اذا كانت صحيحة، كما نستفيد من محتواها اذا كان السند ضعيفاً الا اذا كانت الرواية تتناقض وإيات القرآن الكريم وتتناقض وأحاديث سابقة، على سبيل المثال كثير من الأئمة ضعف هذا الحديث كابن معين وبعضهم جرحه كابن حبان وبعض آخر لم يعتبره كالتسائي وأحمد، ولكننا كمسلمين ان سلمنا بصحته فاننا نستفيد منه فائدة عظيمة تصب في مصلحة المقرضين بعوض أو غير عوض، اذ أن في ذلك فائدة عظيمة نجنيها من روايته فان لم ينفع فهو لا يضر أبداً.

نهى النبي الكريم عن أخذ زيادة على القرض قبل الوفاء به، لأنه يعتبر من قبيل الربا، ولكن الزيادة كلفتة وفاء للمقرض فهذا جائز، عن جابر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي عليه دين فقضاني وزادني. متفق عليه

أما الهدية فوق القرض فقد نهى النبي عنها، الا اذا كانت عادة بين المقرض والمستقرض،

فالمقرض له ما أقرضه وليس شئ فوقه، الا اذا كان مكرمة بعد السداد، كما حدث مع جابر رضي الله عنه مع النبي الكريم، والهدية اذا لم يكن متعارفا عليها بين الفرقاء فلا تقبل، كي لا تكون نوعا من الفائدة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا أقرض أحدكم قرضا فأهدي إليه أو حملة على الدابة فلا يركبها ولا يقبله الا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك. رواه ابن ماجه

أي اذا جرت عادة تبادل الهدايا بين القارض والمستقرض قبل أن يقرضه المال أو الدابة أو الثياب أو نحو ذلك، فيجوز حينئذ أخذ الهدية بعد سداد القرض والا فلا تجوز لقوله صلى الله عليه وسلم:

إذا أقرض أحدكم فلا يأخذ هدية. رواه البخاري

وأخذ بهذ الحكم الصحابة والتابعين الى يومنا هذا، ومنها ما رواه ابن أبي شيبة عن زر بن حبیش قال: اذا أقرضت قرضا وجاء صاحب القرض يحمله ومعه هدية فخذ منه قرضه ورد عليه هديته، وما روي عن ابن المنذر أنه قال: أجمع العلماء على ذلك وأجمعوا على أن المسلف اذا اشترط على المستلف زيادة أو هدية فأسلف على ذلك أن أخذ الزيادة على ذلك ربا والله أعلم.

يجوز قرض المال والحيوان والثياب والأرض اذا كانت بورا كما سيأتي، والحديث السابق يدل على أن النبي الكريم اقترض ابلا بكرة أي (قاعودا) صغيرا، فرد القرض جملا خيارا رباعيا أي أفضل من البكر، واعتبر النبي ذلك أحسن القضاء وما قام به خير، أي اذا اقترضت شيئا وقدمت للمقرض شيئا أفضل منه وقبل ذلك عن تراض بينكما فهو خير ويعتبر كرما من المستقرض، فالقرض يرد بالشئ نفسه أو مثله في القيمة أو أكثر من قيمته كما فعل النبي الكريم كما قلنا.

يجوز كتابة عقد بين الطرفين المقرض والمستقرض حفاظا على الحقوق، ويكون محددا فيه نوع القرض ومدة سداده، وقد لا يكتب في العقد يوم سداده ولكن المقرض له الحق بالمطالبة بفترة السداد، ويرى بعض العلماء أن كتابة العقد في هذه الحالة واجبة، ولأهمية القرض والدين في الاسلام أفرد الله تعالى اية طويلة في سورة البقرة وهي أطول اية في القرآن الكريم، ورب العالمين شدد على ضرورة وجود الشهود في العقد وعلى كاتب العدل الذي يكون شاهدا أكبر على عملية الدين وشروطه في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ

وَلِيَّهِ بِالْعَدْلِ ۖ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۚ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا ۚ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

البقرة 282

معاملات القرض والتجارة مهمة في دين الله الذي أوضحهما في كتابه العزيز، فالقرض يجب أن توضح شروطه ومعامله بوجود شهود الذين بدورهم لا يحق لهم أن يرفضوا الشهادة، كذلك الكاتب عليه أن يكتب كما علمه الله تعالى، أما التجارة الحاضرة فلا يجب فيها كتابة عقد لأنها ناجزة، ويعلمنا رب العباد بأن الكتابة والشهادة لا ضرر فيهما، ولكن الضرر أن لا نكتب ولا نشهد على العقود غير الناجزة، وخصوصا اذا كان المدين جاهلا بالكتابة أو صغيرا لا يدرك معنى الدين فلا بد من الكتابة وتوضيح المكتوب، هذا ولم يترك رب العالمين أمرا دون أن يوضحه لنا من أجل مصالحنا والحفاظ على حقوقنا، فاذا كان الدائن والمدين في سفر ولم يجدا كاتب عدل، فليهرن المقرض شيئا للمقرض حتى يطمئن قلبه، وان لم يجد واطمأن الطرفان فما على المقرض الا أن يسدد القرض في الموعد والزمان المتفق عليهما، ولكن لا بد من وجود شهود على عملية الاقتراض لقول تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ۚ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۚ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ البقرة 283

الدين أو القرض يبقى في ذمة الدائن وفي رقبته، لذلك يجب سداد الدين قبل الموت، فاذا مات المدين رجلا كان أو امرأة قبل سداد الدين فعلى أقرب الأقربين له أو لها سداد الدين، ولا توزع التركة الا بعد سداد الدين وتنفيذ الوصية، وفي ذلك آيات بينات كثيرة وأحاديث كثيرة أيضا منها قوله صلى الله عليه وسلم:

والذي نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي، ثم قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل في سبيل الله ما دخل الجنة حتي يقضي دينه صحيح النسائي
والمدین لا یستدین الا لحاجة، فان لم يستطع المدين سداد دينه فليصبر الدائن حتي ميسرة، فان لم يستطع فليجعل الدائن دينه صدقة في سبيل الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم:

من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه. رواه مسلم
وعن كعب بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه. رواه الترمذي

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثامن عشر

- 1- القرض والاقرض حلال في الاسلام أشار اليهما القران الكريم والسنة النبوية، ولا يقترض المقرض الا لقضاء حاجة.
 - 2- على المقرض أن يرد القرض هو أو مثله في القيمة أو أزيد عليه، كما لا تجوز الهدية فوق القرض بعد سداؤه ولا قبل سداؤه، الا اذا كانت عادة بين المقرض والمقرض والقرض كالصدقة يثاب مقدمه ان كان قرض سداد أم قرضا حسنا.
 - 3- يرى بعض الفقهاء ضرورة كتابة عقد لضمان الحقوق بوجود شهود وكاتب عدل.
 - 4- لا يجوز تعجيل دفع القرض اذا كان المقرض معسرا، وخصوصا اذا لم يكن هناك عقد يتضمن هذا الشرط، كما لا يجوز مطالبة الدائن بنصف الدين واعفائه من النصف الاخر اذا كان المدين معسرا، واذا كان المقرض معسرا يمكن للمقرض أن يجعله مقام الصدقة.
 - 5- يجوز اقراض المال والحيوان والثياب والخبز وما شابه، وسداؤه فيما بعد أو أحسن منه.
 - 8- القاعدة الفقهية في القرض كل قرض جر نفعا فهو ربا وحرام، وذلك اذا اشترط المقرض زيادة عن القرض.
 - 9- يجب التعجيل بسداد القرض قبل الموت والا أصبح ديننا على المقرض حتى يسدده أحد من أقاربه عنه وكان النبي الكريم يسدد عن كل المسلمين ديونهم أو يقضي دين المدينين لقوله: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك ديننا فعلي قضاؤه، من ترك مالا فلورثته.
- رواه البخاري

الفصل التاسع عشر

الرهن في السنة النبوية

الرهن من المعاملات التجارية المحللة شرعا، اذ قد يلجأ المسلم الى رهن بيته أو سيارته أو أرضه أو حيوان أو أي شئ ذي قيمة مقابل اقتراضه مالا أو خلافه، ولكي يضمن المقرض ماله يطلب من المستقرض أن يرهن بعضا من أملاكه مقابل القرض حتى يسدد المقرض الدين الذي عليه، وهذا مثبت في الاية الكريمة السابقة، فالرهن هو الثبوت والدوام ما دام القرض معلقا دون سداد فيبقى الرهن حبيس الراهن، فنقول مثلا المتهم مرهون بالحبس أو السجن الى حين، يقول تعالى ﴿:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَهَنَّمَ يَتَسَاءَلُونَ (40)

عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المدثر 41

أصحاب اليمين أي المتقين فاعلي الخير وهم الذين يتمتعون بالنفس الطليقة الحرة، أما غيرهم من أصحاب الخطايا والذنوب، فنفوسهم وأرواحهم تبقى حبيسة أجسادهم بما كسبوا الى حين المساءلة يوم القيامة، النفس الانسانية كلما اقترفت من الذنوب كلما ثقلت الأرواح في الأجساد وتناقل المرء عن اداء مهامه الدنيوية بالتالي فانه لا يرجى من أعماله الخير فيكون جزاؤه النار.

المعادلة في المقايضة تكون كالتالي: كل بيع أو شراء أو قرض أو رهن يسمى مقايضة، يطلب صاحب الحاجة من قريبه أو صديقه مالا أو ما يقايض به للقيام بالتزاماته ويسمى المدين أو الراهن، ويقدم هذا مقابل المال عقارا أو أرضا أو حيوانا أو خلافه لمقدم المال حتى يضمن سداد ماله ويسمى دائن أو مرتهن أما العقار أو ما شابه فيسمى الرهن أو العين المرهونة، والرهن يجب أن يكون بين الطرفين مقبوضا أي مالا مقدما مقبوضا وعقارا معلوما، أكانت عملية السلفة والرهن في حضر أم في سفر، والأصل في القرض أو السلفة أن تكتب بواسطة كاتب عدل كما أسلفنا، فان لم يوجد فرهان مقبوضة، أي تعطيني مالا أعطيك عقارا رهنا أو ما شابه الى حين سداد الدين أو السلفة أو القرض لا زيادة ولا نقصان، وما يسري على القرض يسري على مال الرهن، فاذا أعاد المقرض المال أعاد المقرض العقار أو ما شابه الى صاحبه لقوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي

أُؤْتِيَ أَمَانَتَهُ وَلْيُتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ البقرة 383

يجوز للدائن أن يستغل الرهن على أن يقوم بالنفقة عليه، فمثلا العقار يجب اصلاحه باستمرار كي يحافظ عليه من الخراب، والدابة يجب الانفاق عليها بسقاء حتى تستمر في العطاء والحياة والحركة، عن الشعبي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي الكريم:

لبن الدر يحلب بنفقته اذا كان مرهونا، والظهر يركب بنفقته اذا كان مرهونا، وعلى الذي يركب ويحلب النفقة. أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه

الرهن نوعان: مشروط وغير مشروط، اذا كان مشروطا بسداد الدين بأجل فعلى الراهن أن يفك ما رهنه بدفع المستحق عليه، والا أمر الحاكم ببيع عين الرهن وسداد الدين والباقي يعود الى صاحب الرهن، أما غير المشروط بأجل، فلا يحق بيع الرهن أو التصرف به الا بموافقة الراهن، لأن الرهن أمانة يجب الحفاظ عليها، هذا وقد نهى النبي الكريم عن التصرف بالرهن في كل الحالات، في حديث معاوية بن عبد الله بن جعفر أن رجلا رهن دارا في المدينة الى أجل مسمى فمضى الأجل فقال الذي ارتهن: منزلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **لا يغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه له غنوه وعليه غرمه** رواه الشافعي والدارقطني أي لا يمنع صاحب الملك من ملكه الا اذا اتفقا على بيع الرهن فالملك لصاحبه والغرم عليه، فاذا هلكت الماشية أو هدم البيت أو ما شابه فيتحمل المالك العواقب. الرهن لا يستغل بالتأجير أو البيع بالريح لأنه في هذه الحالة مال جر نفع فهو حرام وربا، عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **كل قرض جر نفع فهو ربا**. حديث ضعفه العلماء ولكن معناه صحيح، أي لا يجوز الحاق شئ مادي بالقرض حتى الهدية اذا لم يعتد الطرفان تبادلها في الأحوال العادية كما قلنا والرهن عمل به النبي الكريم اذ تتواتر قصة رهن النبي الكريم درعه ليهودي، لا بل أن النبي الكريم توفي ودرعه مرهونا لقول عائشة رضي الله عنها: **توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهون عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير** رواه البخاري

وفي رواية الترمذي عن ابن عباس: توفي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله. هذا وقد اثارته هذه الرواية عن السيدة عائشة رضي الله عنها تساؤلات عديدة بالرغم من أن حديثها نقله الثقة من الرواة، وهو حديث متفق عليه أخرجه النسائي وابن ماجه والالباني وابن حبان وأحمد وغيرهم، ولكن التساؤلات انصبت حول الحالة المعيشية التي كان ينعم بها النبي الكريم والتي كانت لا تحوجه الى رهن درعه، والى من؟ الى يهودي من المدينة؟ ودار الحوار والنقاش حول هاتين النقطتين وما شاع حولهما من تفرعات، ولكن المدافعين عن الرواية يقولون: ان النبي الكريم ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اليه، فخلف الرهن معان كثيرة

وأحكام أكثر، فلا ندع للعقل مساحة أوسع وأكثر مما خلف الحدث نفسه أي رهن الدرع لليهودي، وتبقى قضية مهمة لا نود الخوض فيها وهي ضرورة التأكد من الروايات التي منها الغث ومنها السمين، منها المدسوس على النبي الكريم وأهل بيته مهما كان النقل عن الثقة والفقهاء، لأن أغلبهم اتبع منهج النقل على حساب العقل والموازنة، ونحن لا ندعو إلى غلبة العقل كذلك على ما يميز الدين وأصوله بميزات الوحي الكريم، ولكننا ندعو إلى استخدام المنهج العلمي العقلي المبني على الفهم والاستنباط والنقد البناء إلى جانب النقل النزيه الخالي من النزعات والمصالح وغير ذلك ومن الروايات والأحاديث الشريفة الصحيح والمتفق عليه والذي لا تشوبه شائبة، وإغلب الظن أن الصحاح أدخل عليها بعض الروايات التي لا تمت إلى النبي وأهل بيته وأصحابه بصلة، إذ أدخلها وابتدعها أعداء الاسلام، حتى من قبل بعض رجالات المذاهب المارقة على الاسلام، والهدف هو تشويه هذا الدين العظيم وخلخلة أركانه، ولكنه والحمد لله بقي صامدا في وجه هؤلاء وغيرهم، ولكن لا بد من مراجعة النصوص باستمرار من قبل المختصين بعلم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا سيما سيرة نبينا الكريم وأحاديثه الشريفة والله أعلم.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل التاسع عشر

- 1- الرهن جائز في القرآن والسنة وحكمه كحكم القرض والسلف.
- 2- الرهن أمانة في يد المرتهن إلى سداد الدين.
- 3- لا يجوز للمرتهن أن يتصرف بالرهن إلا بموافقة الراهن (المستلف) أو إذا عجز الراهن عن السداد فللحاكم التصرف بالعقار، ويعطي صاحب المال ماله والباقي لصاحب العقار، وإذا كان بيع العقار أقل من قيمة القرض فعلى الراهن سداؤه.
- 4- الدين يجب أن يكون عليه شهود وكاتب عدل، وإذا لم يتوافر كاتب العدل فيرهن المستلف شيئا مقابل ما استلفه مقبوضا.
- 5- يجوز الرهن في الحضر وفي السفر إذا اتفق الطرفان على ذلك.
- 6- عقد الرهن يقصد به الاطمئنان إلى المال المستدان وليس للربح والاستثمار
- 7- لا يحل للمرتهن أن يؤجر أو يبيع الرهن، ويستفيد منه ماليا إلا إذا سكن العقار وحلب الناقة أو ركب الدابة شريطة النفقة على هذه الأشياء.
- 8- إذا أراد الراهن أن يسدد جزءا من المال مقابل إعادة الرهن فلا يحق له حتى يسدده كله أو يبرئ الدائن ويعيد له ملكه.

الفصل العشرون

احياء الأرض والمزارعة والاجارة في السنة النبوية

احياء الأرض ليست كالمزارعة وليست كالايجار ، فاحياؤها يعني اصلاحها واعدادها وتهيأتها للزراعة بعد البوار، أما المزارعة فهي الاستمرار في زراعة الأرض المهيئة أصلا والاعتناء بها وزراعتها دائما بالأشجار وأنواع النباتات المثمرة، فيأخذ المزارع نصيبه من ريعها حسب الاتفاق مع صاحب الأرض، اما الربع أو الثلث أو النصف.. الخ، أو ما يتفق عليه صاحب الأرض والمزارع أو الكاري من الكراء أو الاستئجار احياء الأرض يكون بزراعتها أو البناء عليها للانتفاع منها بدل تركها بوارا، وباستغلال الأرض على النحو الأمثل تزداد الثروة وبالتالي القوة التي يحتاج اليها المسلمون، وما نراه اليوم اتساع رقعة الأراضي البور غير المزروعة في طول البلاد الاسلامية وعرضها دون اصلاح ودون استهلاك ودون الاستفادة منها، وبالتالي تضيع على الأمة الثروات التي تحتاجها، اذ أن الأزمة الاوكرانية أعني حرب روسيا على أوكرانيا التي بدأت في مارس عام 2022 ميلادية أدت الى تعطيل انتاج القمح والذرة وزيت عباد الشمس الى دول العالم الثالث ومنها البلاد العربية، فأدى ذلك الى اعلان حالة الطوارئ الغذائية في كثير من البلدان، لأن روسيا وأوكرانيا يصدران أكثر من ثلاثين بالمئة من هذه المواد الأساسية للعالم ولا سيما العالم العربي، في حين أن هذا العالم (العربي) حباه الله من الثروات ومن الطقس الملائم للزراعة ومن الأرض الخصبة ما لم تتمتع به دول أخرى، وبالرغم من ذلك يوجد نقص في زراعة هذه المواد الأساسية، بالرغم من أن المساحة القابلة للزراعة في الوطن العربي حوالي 220 مليون هكتار لم يستغل منها سوى خمسة بالمئة فقط وفق احصاءات الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعي، بمعنى ضياع أكثر من تسعين بالمئة من الأرض الصالحة للزراعة ما يؤثر على الأمن الغذائي في البلاد العربية، وتبقى هذه الدول رهينة للدول الأخرى، فاذا حدثت أزمة ما في العالم يعاني المواطن العربي من اثار هذه الأزمة، لو أن هذه المساحات الزراعية توزع على المزارعين أو المستثمرين لحياتها لوفر العالم العربي مليارات الدولات وجنوا مثله من تصدير هذه الأساسيات الى العالم المال متوفر والحمد لله والأيدي العاملة متوفرة والمياه يمكن الحصول عليه بشتى الوسائل، فما بقي الا اتخاذ القرار باصلاح الأرض وحياتها للاستفادة منها، ربما يكون السبب تضيق القوانين على الناس لحرية امتلاك الأرض، أو لاحتكار الدولة الأرض لصالحها، أو هي التي تمتلك الأرض ولا توزعها على الناس

وخصوصا المحتاجين منهم، ولكن هذا لا يستقيم مع مراد الشريعة الاسلامية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أحيا أرضا ميتة فهي له. رواه أبو داود والنسائي والترمذي

وقال أيضا: **من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكله العوافي (الطير والسباع) فهو له صدقة.** رواه النسائي

هذا وقد اعتاد الناس على تحويط الأراضي البور التي تقع خارج المدن والقرى بأسوار من الحجر أو الأسلاك الشائكة من أجل استغلالها وزراعتها وتملكها اذا لم يكن لها صاحب، فهذا جائز في الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم:

من أحاط حائطاً على أرض فهي له. رواه أبو داود

والمقصود هنا ليست كل أرض، وخصوصا اذا كانت مملوكة لأحد أو كانت قريبة من المدن والعمران، والذي يقصده سيد الخلق هو الأرض البور خارج الأماكن المأهولة والأراضي التي تحتاج الى احياء.

رأى بعض العلماء أن الملكية تتم بعد موافقة الحاكم أو الدولة، وبعضهم يرى أن الأرض اذا كانت بعيدة عن العمران فلا يشترط موافقة الحاكم، ولكن لا بد أن تخضع للتنظيم من قبل الدولة خوفا من النزاعات بين الناس، أما اذا كانت قريبة من العمران فلا بد من موافقة الدولة، احياء الأرض يجب أن تكون لزراعتها أو البناء فوقها لا اهمالها وتسييجها للملكية وللاحتكار فقط فهذا لا يجوز، ولا يحق لأحد أن يسيج أرضا لهذا الهدف، واشترط المشرع أن تهيأ الأرض للزراعة أوالبناء أو لكليهما في مدة ثلاث سنوات، فاذا تجاوز المالك الجديد هذه المدة تسحب منه الأرض وتعطى لمن يستغلها لقوله صلى الله عليه وسلم:

عادي الأرض لله وللرسول ثم لكم من بعد، فمن أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لمحتجر (أي لمن يحجز الأرض دون استغلال) بعد ثلاث سنين. رواه أبو عبيدة في الأموال

عادي الأرض أي الأرض التي سكنتها أقوام غابرة ولم تستصلح بعد فنائمهم، وهي أرض بوار لا مالك لها فهي لله ولرسوله وللناس من بعده، وكان النبي الكريم يقطع من هذه الأراضي للقبائل والمسلمين لزراعتها وحيائها، فقد أقطع أرضا لقبيلة جهينة لتعمرها، فجاء قوم اخرون فعمروها، فخاصمهم الجاهليون فجاءوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون (القوم) المالك الجدد، فقال عمر: لو كانت مني أو من أبي بكر لرددتها، ولكنها قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنوات فلم يعمرها فعمرها قوم اخرون فهم أحق بها. هذا

يصدق على الأرض التي اقتطعت من الحاكم، أما إذا كانت الأرض مملوكة للناس فلا يحق لأحد أن يملكها حتى لو كانت بورا، أما إذا استصلحها أحد فعلم بعد ذلك أن لها مالك، فعلى الأخير أن يدفع للمستصلح أتعابه على استصلاحها أو يبيعه الأرض ويقبض صاحبها الثمن، وبذلك تكون للمستثمر أو المستصلح لقوله صلى الله عليه وسلم:

من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق. رواه الترمذي عن سعيد بن زيد بالرغم من أن كثيرا من العلماء ضعف الحديث إلا أننا نستفيد من اللفظ على اعتبار أن من يحيي الأرض بعد موتها فهي له، إلا أن تكون مملوكة لأحد فهو أحق بها، ويبقى الحكم الشرعي في هذه القضية والذي يقضي بملكية كل من استصلح أرضا بعيدة عن العمران بعدا تحدده الدولة، على أن لا يكون أحد مالكا لها وبعد استصلاحها وزراعتها أو البناء عليها، لا يحق لأحد حتى الدولة انتزاع الأرض منه وبيعها له مرة أخرى إذ درجت بعض البلاد على فعل ذلك، بأن جردت الناس ملكيتها وادعت أنهم بنوا أو استصلحوا أرضا حكومية بعد مرور عشرات السنين، فهذا لا يجوز شرعا إلا إذا ثبت أن هؤلاء الناس اعتدوا على أراض قريبة من العمران وضمن تنظيم الأراضي في الدولة. وإذا كان لا بد من التنظيم للدولة وضع شروط على المستثمر أو الذي يريد إحياء الأرض بعد مواتها منها:

1- تحديد المساحة المسموح للمستثمر أو المزارع للتعمير والاستصلاح، إذ لا يجوز لأحد أن يسيح أرضا بمساحة واسعة شاسعة لحسابه، وخصوصا إذا أريد منها الاحتكار وبيعها فيما بعد وعدم البناء عليها أو استصلاحها، لذا فعلى الدولة أن تحدد المساحة المسموح بها للاستثمار أو الاستصلاح.

2- تضع شروطا على كيفية الاستثمار والزراعة أو البناء وفق القوانين المعمول بها، كزراعة مصدات الرياح خوفا من زحف الرمال على المدن على سبيل المثال،، وزراعة أنواع معينة من الفواكه والخضار.. الخ، لقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنُوءٌ وَغَيْرُ صِنُوءٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَفُضِّلَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرد 4

3- ضرورة معرفة الدولة الغرض من الاستثمار، هل هو للزراعة أم للبناء (مسكن، مصانع، أو خلافة)؟ إذ أن هناك مناطق صالحة للزراعة فلا يجوز البناء فوقها، بناء على ذلك ضرورة تقسيم الأرض وفق مناسبتها للغرض للاستفادة منها.

4- يجب عدم احتجاز الأرض من أجل الاحتكار أو التجارة بها باسم الاستثمار، فهذه الأرض

لا تباع للمستثمر الا اذا كانت من أجل البيع من الدولة، ولكنها أراض بورا تحتاج الى الاحياء، فهذه لا تباع ولا يتاجر بها حتى ترتفع الأسعار وتباع، كلا ثم ألف فأنها أراض لله ولرسوله يحييها من يستحقها وتملك لمحييها ان كانت للزراعة أم للبناء، عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه العقيق أجمع قال: فلما كان زمن عمر قال لبلال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجره عن الناس، انما أقطعك لتعمل فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقي، هذا معناه أنه لا يجوز احتكار أرض الدولة لصالح شخص أو قبيلة دون اصلاحها واستصلاحها وزراعتها أو البناء عليها ما يفيد الناس ويستفيد صاحبها.

5- ضرورة الاستفادة من التعاليم الاسلامية من أجل التنمية الاقتصادية والزراعية في البلاد، لذا يجب تشجيع الشباب على الانتقال من المدن حتى القرى المكتظة الى الجبال والسهول والديان والقيعان والصحراء من أجل اعمار أراضيها واستصلاحها وزراعتها والبناء فوقها كي يكفي الوطن العربي والاسلامي من حاجاته الأساسية، بل يصدر منها الى الخارج، لأن الله تعالى حبا هذه الأمة من الخيرات والبركات ما يكفيها ويفيض عن حاجتها، فالتكامل الاقتصادي من شتى الجوانب مطلوب، وذا نفذت هذه الخطط فان الدخل الوطني يزداد، ويجد الشباب العمل الوفير ويشكل العائد مصادر دخل للأسر، بل يرتفع مستواها الاقتصادي وبالتالي العلمي والاجتماعي والثقافي، ويكون لها مكان مرموق بين الأمم، هذا وقد نجحت عديد من الدول في استصلاح الأراضي الصحراوية فلا بد من الاستمرارية والتوسع في مثل هكذا مشاريع.

6- يحق للحاكم أن يقطع الأراضي للذين يريدون اصلاحها وتملك لهم بناء على هذا الشرط، ولا تملك للمحتكرين ولا للأقارب للتقرب منهم ولتنشيت الحكم للحاكم وذريته.

7- تملك الأرض يجوز للذي خدم البلاد من الموظفين الأكفاء والجند حامي البلاد، والعاملين في قطاعات الانتاج المختلفة، لأن النبي الكريم أقطع ابا بكر وعمر أراض في المدينة لخدمتهما الجليلة في خدمة الاسلام والمسلمين، كما أقطع عديدا من الصحابة أراض كثيرة، وفوق كل هؤلاء هؤلاء يجوز اقطاع الأرض للفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل وللذين تجوز عليهم الزكاة والصدقات، فاذا ما ملكوا أرضا بورا قد يستفيدوا منها ويكفوا عن مد اليد أو الفقر اذا كانوا عفيفي النفس.

أما المزارعة فهي استصلاح أرض مزروعة والحفاظ على ما هو مزروع فيها، وحرث الأرض

وخدمتها بما يلزم الزراعة من تقليم للأشجار ورش المبيدات وتقليم الأعشاب وخلط التربة بالسماذ
اللازم ... الخ، فهذه الأعمال يقوم بها متضمن الأرض، أو ما اتفق عليه بين الطرفين المالك
والمزارع، المزارعة ليست حديثة عهد بالناس، بل كان معمولاً بها من أيام الفراعنة مروراً بالأقوام
الغابرة، وكان معمولاً بها زمن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، حيث عامل أهل خيبر بشطر
ما يخرج منها من زرع وثمر وقال:

من كانت له أرض فليزرعها فان لم يزرعها فليمنحها أخاه، فان لم يمنحها أخاه فليمسكها

وفي رواية **فان أبى فليمسك أرضه**. رواه مجموعة من الصحابة

هذا وقد نهى النبي الكريم عن كراء الأرض أو بيعها بسنوات معينة، عن جابر بن عبد الله
قال: كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث أو الربع بالماديانات، فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال: **من كانت له أرض فليزرعها، فان لم يزرعها فليمنحها أخاه، فان لم
يمنحها أخاه فليمسكها** والماديانات كلمة فارسية الأصل وتعني سيول الماء (تكون أصغر من النهر
وأكبر من الجدول) القريبة من المزارع للسقاية. وعن أبي سعيد الخدري قال: نهى النبي عن المزابنة
المحاكلة، والمزابنة هي اشتراء التمر في رؤوس النخل والمحاكلة كراء الأرض.

الكراء هو تأجير الأرض لزراعتها، أو كراء المحصول فقد نهى النبي الكريم عن تحديد قدر
معين من الأرض أو المساحة تكون غلتها لصاحب الأرض والباقي مناصفة أو بالثلث أو بالربع
وهكذا، لأن فيه غبن وغرر للمزارع، فقد ينجح محصول هنا ويفشل هناك فيقع الظلم، وبما أن
الاسلام يمنع الظلم فقد نهى النبي الكريم عنه، فمنع ما فيه الغش والغرر والجهالة لقطع النزاع
والخصومة بين الناس، وهذا مقصد من مقاصد الشريعة السمحاء، وكانت اجارة الارض زمن النبي
الكريم بأخذ نصيباً من التمر أجرة على الأرض فسأل التابعي حنضلة بن قيس الأنصاري الصحابي
رافع بن خديج رضي الله عنه عن كرائها، أي اجارتها بالذهب والفضة أي بالدينار والدرهم دون
الاجارة على شيء من الثمر، فأجاب رافع لا مانع، لأن الناس زمن النبي الكريم كانوا يكرون على
الماديانات أي يكرون النباتات والأشجار التي على جداول المياه فكان المالك يشترط ان له ما على
الماء والمزارع له ما تبقى، أي له أجود الزروع وأرودها للمستأجر، وقال رافع: كنا نكري الأرض على
ان لنا هذه ولهم (المزارعون) هذه، فربما اخرجت هذه ولم تخرج هذه، أي ربما نجحت الزراعة في
قسمنا ولم تنجح في قسم المزارع فيقع الغبن، لذلك نهى النبي عن هذا الغبن والغرر في جنس البيع
والكراء، وكان الاجار يسمى كراء، أما اذا كان الكراء بشئ معلوم بالدينار والدرهم فهذا جائز وفق
أراء كثير من العلماء، إذ رأى ابن تيمية أن منع الكراء أيام النبي الكريم محمول على صورة معينة

ان تجاوزها فهو مباح، فالكراء لعام بمعنى الاجارة أو الاستئجار كلها لها معنى واحد وهو عقد على المنافع بعوض، وهذا مشروع ككراء بيت للسكن وكراء عامل للعمل في مجال معين، وكراء سيارة ومن ضمنها كراء أرض لزراعتها دون شروط من المالك على المزارع بالشراكة في جزء والملكية في جزء بعدا عن الغبن، وفي ذلك أي الكراء قال تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص 26

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾

﴿الأنعام 165﴾

وقال أيضا:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾ الزخرف 32

وفي الحديث النبوي الشريف عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه. رواه ابن ماجه وصححه الألباني

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل

ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره. رواه البخاري

من الايات البينات الطاهرات ومن الأحاديث الشريفة، يتضح لنا أن الكراء حلال شرعا لأية مهنة أو عمل الا ما حرمه الله تعالى، كما لكل الة وعقار وما شابه ذلك، فلكل حكمه في الاسلام، لأن الانسان بحاجة الى كل هذه الأمور، فالله تعالى مقسم الأرزاق ومحدد لكل انسان رزقه فهذا طبيب وذاك مهندس معماري واخر عامل فني والاخر خباز وهذا نجار وذاك مزارع وهذا مدرس وذاك حداد وهكذا، فان الناس طبقات، كل يخدم الاخر كما في الاية السابقة، ولكن وبالرغم من أن الناس كما خلقهم الله تعالى طبقات، فانه لا فرق عند الله بين هذا وذاك في الدنيا وفي الآخرة الا بالتقوى ومخافته تعالى.

لا بد من كتابة العقد بين المالك والمستأجر أو العامل وصاحب المصلحة، فالعقد يحفظ الحقوق للطرفين ويجب أن يشتمل العقد على نوع العمل وساعات العمل والمبالغ المالية لكل ساعة أو يوم أو أسبوع أو شهر أو خلافه، فكل شيء يجب أن يشتمل عليه العقد خوفا من الغبن والظلم، ولكن هناك من الحرف والكراء ما لا يستوجب العقد ككراء حلاق لقص الشعر أو عامل يومي

لساعات محددة ولعمل معين، فهذه الأمور لا تحتاج الى عقود، لأنها محددة ويتفق الطرفان عليها قبل البدء بالعمل.

نسمع هذه الأيام كثيرا بأن صاحب العمل يطلب من العامل أو الموظف أن يعمل أكثر من طاقته، وساعات أطول دون مقابل حتى ولو بمقابل اذا لم يستطع العامل القيام به، فهذا مخالف للشرع وللأخلاق العامة ولقوانين العمل والعمال، كما أن بعض أرباب العمل يهددون العاملين لديهم بأنهم اذا لم يقوموا بهذا العمل الاضافي مجانا في أغلب الأحيان فانهم مهددون بطردهم من العمل، وهذا مخالف للشرع والدين والأخلاق والله تعالى لا يبارك بصاحب العمل، فان لم يكن في الحال فان الله تعالى يمهّل ولا يهمل، فيقتص من الظالم مهما طال الزمن، فأحيانا في صحته وأحيانا في صحة أبنائه وعائلته وأحيانا في افلاسه حيث لا ينفع الندم، فالظلم أيها الملاك ظلمات انتقوا الله في أحوالكم ومالك وعيالكم، فالله تعالى خلقنا سواسية أمامه الا الخدمات فقد سخرنا لنخدم أحدا الاخر بأمر الله تعالى، ولا يعني ذلك الاستعباد والعبودية فانهما محرمان في الاسلام.

العقد المبرم بين الطرفين العامل وصاحب العمل يجب أن يهر بالشهود، ولا يصح التعاقد مع الطفل ولا مع المعتوه أو غير الناضج لأن كلا من هؤلاء لا يدرك معنى العقد، لذلك لا يجوز السماح لهؤلاء بالعمل وخصوصا الأعمال القاسية، وهناك أمور يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وقت توقيع العقود، منها أن يكون العقار المؤجر مثلا لصاحبه وليس مشاعا بين الناس، لأنه يتطلب أخذ موافقة جميع الملاك، كذلك يجب أن تكون العين المؤجرة صالحة للزراعة بالنسبة للأرض أو السكنى بالنسبة للبيت، أو العمل بالنسبة للدابة أو الآلة أو السيارة أو ما شابه ذلك، كذلك لا يجوز الاستئجار من أجل القيام بعمل محرم شرعا كالعمل في مصانع الخمور، أو كراء فتيات للعمل المحرم، أو كراء شخص لقتل شخص اخر، فهذه الأمور من أكبر الكبائر في الاسلام. هناك من الناس من يستأجر مقرءا لقراءة القرآن على أرواح الموتى فهذا لا يجوز مطلقا لقوله صلى الله عليه وسلم: **اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه.** رواه الامام أحمد

ومن الناس من يكرى شخصا ليحج عنه وهو قادر على الحج، أو الصلاة عنه أو الاذان للصلاة بدلا منه اذا كان مكلفا بهذه الوظيفة من الأوقاف أو أية جهة مسؤولة فهذا لا يجوز شرعا، ولكن يجوز توظيف واعظ للصلاة بشكل دائم وللخطبة بالناس والصلاة بهم في الوقت نفسه، كما يجوز تعليم القرآن بأجر، وهذه الفروع من العلماء من أجازها ومنهم من لم يجزها والله أعلم.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل العشرين

- 1- احياء الأرض بعد جفافها وموتها والبناء فيها والمزراعة والتأجير وفق الضوابط الشرعية جائز في الاسلام
- 2- اقطاع الأرض من الحاكم للناس جائز شرعا وفق الضوابط الشرعية، شريطة ان لا تكون لقريب من أجل منفعة شخصية أو للتجارة أو لشراء الذمم من أجل انتخابات أو الوصول لمنصب أو جاه...الخ.
- 3- المزراعة وكراء الأرض مشروعة بقوانين الزراعة ولا يجوز الغبن والغرر والظلم.
- 4- الايجار للسكن أو المزراعة يجب أن يكون وفق شروط الايجار والاستئجار.
- 5- من أحيا أرضا بورا فهي له، شريطة أن تكون خارج المدن وخارج التنظيم، لا ينازعه فيها أحد اذا استزرعها أو بنى فيها خلال ثلاث سنوات والا سحبت منه.
- 6- الذي يحيي الأرض له أجر عظيم عند الله، حتى الطير اذا أكل منها فله عن ذلك أجر أيضا ويعتبر صدقة.
- 7- اذا ثبت أن للأرض المستصلحة لها صاحب فعلى صاحبها أن يدفع للمستصلح أتعابه أو يبيعه اياها وتكون الملكية بعد قبض الثمن.
- 8- الاستئجار يكون لمنفعة العين كاستئجار بيت، أو منفعة عمل، وفي كل الأحوال لا بد من كتابة عقد تنضح فيه كل الشروط، أهمها تحديد المنفعة ونوعها وصفتها ومدتها والمبلغ المتفق عليه والشهود وغير ذلك مما ذكرناه سابقا.
- 9- لا يجوز تأجير المشاع الا باتفاق جميع المالكين.
- 10- لا يجوز كراء شخص للصلاة أو الحج نيابة عن اخر، ولا يجوز كراء مقرئ من أجل الموتى، ولكن يجوز تعليم القران بأجر.

الفصل الحدي والعشرون

التجارة البيع والشراء في السنة النبوية

البيع والشراء هما عنوان التجارة التي أحلها الله تعالى، تتم بين البائع والمشتري وفق أصول وشروط معينة هذا وقد فرق الله تعالى بين التجارة والربي، والفرق بينهما شاسع واسع لا يلتقيان أبداً، فأول حلال والثاني محرم تحريماً قطعياً وذكرنا الأسباب، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ البقرة 275

التجارة هي تعاملات بين الأفراد وتبادل للمنافع بشتى أنواعها وأشكالها بالتراضي بين الأطراف المتعاملة الا المحرمات، وكان الناس يتبادلون البضائع التي يحتاجونها فيما بينهم أو ما يسمى المقايضة، أي بيع بضاعة ببضاعة أخرى تساويها في القيمة، وليس بالضرورة أن تكون من النوع نفسه، لأن الرسول الكريم نهى عن التعامل الذهب بالذهب والفضة بالفضة والشعير بالشعير والحنطة بالحنطة والتمر بالتمر وما شابه الا بعد بيع الأول وقبض ثمنه وشراء الثاني من جديد خوفاً من الغبن والظلم، حيث طلب من بلال رضي الله عنه أن يبيع صاعين من التمر الردي ويقبض ثمنهما، ثم يشتري صاعاً من التمر الجيد من المال الذي قبضه من البيع، وتسمى هذه تجارة حلالاً، التجارة الحلال في الاسلام تهدف الى الحفاظ على حقوق الناس ومصالحهم بالدرجة الأولى، وهي من أفضل الطرق التي يعتمد عليها الانسان لكسب العيش وجلب الرزق قال نبي العالمين لما سئل عن الكسب الحلال:

عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور. رواه البزار وصححه الحاكم

فالبيع المبرور هو البيع الذي لا كذب فيه ولا خيانة ولا شبهة ولا احتكار، البيع يجب أن يكون واضحاً من حيث النوع والسعر والكمية، والخيانة هي الغش والشبهة أي لا يباع شيء فيه شبهة حرام لقوله صلى الله عليه وسلم: ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقليل يا رسول الله، أرايت شحوم الميتة فانها تظلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: لا هو حرام، ثم قال عند ذلك: قاتل الله اليهود ان الله تعالى لما حرم عليهم شحومها جملوه، ثم باعوه فأكلوا ثمنه. متفق عليه

هذا بالنسبة للبضاعة الحلال، وماذا عن التاجر المسلم الأمين؟ التاجر الأمين يجب أن تتوافر فيه:

1- الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، الايمان بالله يعصمه عن الغش والتدليس والكذب، فالرجل المؤمن والمرأة المؤمنة اذا كانت تاجرة يمتنع كل منهما عن الظلم بشتى أشكاله وأنواعه، فهو لا يظلم الزبون ولا يغشه ولا يخدعه لأنه يعلم علم اليقين أنه سيحاسب على عمله

2- يجب أن لا تشغله تجارته عن ذكر الله تعالى واداء العبادات في وقتها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الجمعة 10

ان ما عند الله أفضل بكثير من التجارة أو اللهو، حيث ينشغل بعض الناس عنهما ويتركوا ما أمر الله تعالى من عبادات لقوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ الجمعة 11

وفضل الله الذي ذكره الله هو الجزء الحسن والرزق الواسع وذلك في قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ النور 38

ولكن الذي تلهيه تجارته عن ذكر الله سيكون من الخاسرين لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ المنافقون 9

3- تحري الحلال من البضاعة، فلا يغش بالادعاء أن هذا اللحم حلال مذبوح على الطريقة الاسلامية وهو غير ذلك، ولا يجب عليه أن يدعي أن بضاعته من الشوكولاته مثلا لا تحتوي على الخمر وهي كذلك، وما شابه من هذه الأعمال المنافية لأخلاق التجارة الحلال، ذن التجارة تكون فيما أحل الله لا فيما يغضبه ولا يرضيه، فالتجارة في الخمر والمخدرات والسلاح الذي يتوافر بين يدي الناس دون ضوابط كلها محرمة ولا يجب التعامل بها حتى لو أدى الى اتلافها، جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه قربة مملوءة خمرأ ليهديها الى النبي، فقال له صلى الله عليه وسلم: ان الله حرم الخمر، فقال الرجل: اذن أبيعها، قال: ان الذي حرم شربها حرم بيعها، قال

الرجل: اذن أكارم بها اليهود، فقال: ان الذي حرم بيعها وشربها حرم أن تكارم بها اليهود، قال الرجل: ماذا أصنع بها؟ قال: اذهب فشنها على البطحاء (أي صباها وأهرق ما فيها في الصحراء) رواه الحميدي في مسنده

4- التصدق، على التاجر الناجز الذي وفقه الله تعالى في تجارته أن يخرج زكاة تجارته، وأن يتصدق دائما لوجه الله تعالى من أرباحه التي منحها الله تعالى اياها فالصدقة بعشرة أمثالها

5- التاجر يجب أن يكون سهلا سمحا، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى. رواه البخاري

6- التاجر المسلم الحق عليه أن يلتزم مكارم الأخلاق، فالرجل الخلق هو المؤمن الملتزم بالحلال ويتعامل به والحرام ويتعد عنه، والمعاملة الحسنة هي سيدة الأخلاق والصدق والأمانة من الأخلاق، واذا ما التزم بذلك فانه يتشبه بالنبي الكريم الذي بعثه الله تعالى كي يتمم مكارم الأخلاق قال النبي الكريم:

التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء. رواه الترمذي

وقال النبي صلوات الله وسلامه عليه:

ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وبر وصق. رواه الترمذي

وقال صلوات الله وسلامه عليه في وصف التجار النزهاء:

الذين اذا حدثوا لم يكذبوا، واذا وعدوا لم يخلفوا، واذا اؤتمنوا لم يخونوا، واذا باعوا لم يمدحوا، واذا اشتروا لم يذموا، واذا كان لهم لم يعسروا واذا كان عليهم لم يماطلوا. رواه الأصبهاني والبيهقي

7- التوكل على الله، فالتاجر المسلم يتوكل على الله تعالى في بيعه وشرائه وتعامله، فاذا

كان التاجر يتمتع بالخصال الحميدة، فان توكله على الله يزيده بركة لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق 3

وقال تعالى:

﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ ۚ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ال عمران 160

وقال جل من قائل:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ النحل 99

وغيرها من الايات الكريمة التي تحث على الاتكال عى الله تعالى، عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. الصحيحان

8- التاجر الأمين والصادق لا يحلف على بضاعته صادقا أو كاذبا لقوله صلى الله عليه وسلم:

انهم يحدثون فيكذبون فيحلفون فيأثمون. رواه أحمد

وقال صلى الله عليه وسلم:

ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم المسيل ازاره والمنان فيما أعطى والمنفق سلعته بالحلف الكاذب. رواه مسلم

9- التاجر المؤمن هو الذي لا يحتكر بضاعته عن الناس وهم بحاجة اليها حتى يرتفع سعرها فيبيعها بسعر عال. قال النبي الكريم:

من دخل في شئ من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقلده بعظم من النار يوم القيامة. رواه أحمد والطبراني

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس. رواه ابن ماجه

10- التاجر الحق هو الذي يبين عيوب بضاعته ويبيعها بسعر أقل اذا كان فيها عيب، وهو الذي يقبل برد البضاعة اذا لم ترق للمشتري أو وجد فيها عيبا مستتر لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا يحل لأحد أن يبيع شيئا الا بين ما فيه، ولا يحل لأحد يعلم ذلك الا بينه. رواه أحمد

وقال صلى الله عليه وسلم:

من غشنا فليس منا. رواه الجماعة

هذا وقد وضع الاسلام قواعد أخلاقية لعملية البيع والشراء أي التجارة بشكل عام، فحرم التدليس كما حرم بيع النجش، أي أن يطلب البائع من طرف ثالث أن يرفع السعر حتى يضطر الطرف الثاني المشتري لدفع مبلغ مبالغ فيه لثمن البضاعة، كما حرم البيع على البيع، أي أن يبيع البائع بضاعته الى طرف ثالث دفع له مبلغا أعلى بعد بيعها للطرف الثاني المشتري الأول، كما حرم بيع الركبان أي يعترض المشتري البائع خارج البلدة ويخبره بأن السوق راكد أو البضاعة كاسدة،

فيشتريها بأبخس الأثمان لبييعها بأعلى الأثمان، مضيعا على صاحب البضاعة فرصته في تحقيق الربح.

كما حرم الاسلام بيع الاكراه من غير ارادة المشتري أو البائع، كما لا يباع المجهول كالمثل الشعبي الذي يقول (لا أشتري السمك في البحر) بل يجب أن تكون البضاعة معلومة ظاهرة وواضحة المعالم، وأن يكون الثمن معلوماً، ومن اداب التجارة الالتزام بالعقود، فاذا أخل أحد الطرفين ببند من بنوده تعتبر عملية البيع والشراء باطلة، كذلك من اداب التجارة أن لا يقدم المشتري على اختيار أفضل البضاعة ويترك الأقل قيمة للبائع، أو يشتري قسماً من القماش ويترك الباقي الذي لا يباع للتاجر، كما لا يجوز بيع مادة مخلوطة بمادة دون معرفة المشتري كإضافة الفضة الى الذهب بكميات كبيرة وبيعه كالذهب الخالص، ومن اداب التجارة في الاسلام عدم تبخيس بضاعة الغير، وعدم مدح بضاعة البائع دون وجه حق، كذلك عدم التطفيف في البيع أي انقاص الكيل والميزان، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، وكم من أقوام هلكوا بسبب ذلك وكان مصيرهم جهنم وبئس المصير .

التجارة اليوم نظام عالمي متمثلة بالبيع والشراء، ونقل البضائع من بلاد الى أخرى ومن قارة الى أخرى تحملها البواخر العملاقة والقطارات السريعة وتكلفتها تكون عالية، وينعكس ذلك على التجار والمستهلكين ولقد وضعت كثير من البلاد معايير ومقاييس للبضائع المستوردة خوفاً من الغش والتدليس، ومراعاة لظروف كل بلد وتباع هذه البضائع بالجملة والمفرق، يتم خلال هذه العملية تحقيق الأرباح قد تكون خيالية، وفي بعض الأحيان حسب البضاعة والأسعار، لذلك تعتبر التجارة لب الاقتصاد العالمي والمحلي أيضاً، واليوم يتم البيع والشراء من خلال المواقع الإلكترونية فسهلت التعامل بين البائع والمستهلك، وشكلت نوعاً من النشاط الاقتصادي غير المسبوق، يبلغ التعامل بهذه الطرق مليارات الدولارات يومياً عبر العالم، من هنا اختلف مفهوم التجارة وتغير شكلها، ولكن ما زالت التجارة التقليدية بالجملة والمفرق موجودة ويزداد الناس من خلال هذا النظام التقليدي البسيط مقارنة مع النظام العالمي المعقد الذي يعتمد على الانفتاح على المنتجات العالمية المتنوعة، النظام الجديد بقدر ما فيه من تنوع وتقدم في طرق التعامل، الا أنه يضر بمصالح الناس، اذ أن المولات الضخمة التي يمتلكها أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة أثرت بشكل كبير على أصحاب رؤوس الأموال البسيطة، فأغلق هؤلاء محلاتهم لأنهم أصبحوا يواجهون عمالقة التجار أو ما يسمون بالحيثان ينافسونهم على البضاعة نفسها وبأسعار أقل، فالحوت الكبير وفق هذه المعادلة ابتلع الأسماك الصغيرة، لذلك وجدنا زيادة معدلات البطالة والفقر منتشرة بين الشباب والأسر التي تعتمد على التجارة البسيطة والمشاريع الصغيرة في حياتها ومعيشتها. وهذه الفئة تمثل نسبة كبيرة بين

السكان، فهذا النظام الجديد بالرغم من فوائده الا أن مساوئه أكبر من محاسنه، لأنه قضى على الطبقة الوسطى في المجتمع، فأصبح يتكون من شريحتين اثنتين الغنى الفاحش والفقر المدقع، صحيح أن بعض المفكرين الاقتصاديين كانوا يعتقدون بنظرية السوق المفتوحة والعولمة، لأنهما تؤديان الى رفاهية المجتمعات وتحويلها الى مجتمعات مستهلكة بتوافر المواد الغذائية والملابس وغير ذلك بكميات كبيرة، وتوظف أكبر عدد من الشباب والشابات في هذه القطاعات والمولات الحديثة، الا أن هذه النظرية أدت الى عكس المطلوب فازدادت البطالة، وأصبح العاملون في هذه المجالات محدودي الدخل ولا يساعد ذلك في تحسين أوضاعهم المعيشية والحياتية، فتجد خريجي الجامعات يعملون كبائعين في هذه المحلات ومستقبلهم ضاع في زحمة مطالب الحياة الصعبة، كما أن الأسعار أصبحت ليست في تناول الجميع، غلاء فاحش لا يستفيد من أرباحها الا أصحاب رؤوس الأموال أو ما يسمون حيتان السوق، ناهيك عن الشركات العالمية التي هيمنت على أسواق العالم مثل علي بابا وأمازون وغيرها، من هنا نرى أنه لا بد من العودة الى نظم أكثر عدالة للجميع ولا يوجد هذا النظام الا في الاسلام.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الحادي والعشرين

- 1- التجارة في الاسلام حلال، وهي استجلاب البضاعة من مصادرها للبيع بالجملة أو بالمفرق مهما كان نوعها، شريطة أن لا يدخل فيها ما هو محرم بيعه أو أكله أو شربه أو محرم استعماله لأغراض اخري.
- 2- التجارة غير الربا، فان الله يحق الربا ويحل التجارة، كما أنه تعالى يحق الربا ويربي الصدقات فشتان بين الأمرين.
- 3- التجارة تتم بالتراضي بين البائع والمشتري لتبادل المنفعة، دون زيادة في السعر بعد الأجل، حتى لو كان البيع بالقسيط وهو جائز، ولكن لا زيادة اذا لم يتمكن المشتري من السداد، ففي هذه الحالة للبائع إعادة البضاعة أو جزء منها ويبيعها لسداد ماله، أما الربا فتدفع فوائده بعد الأجل بزيادات دون مقابل، ويبقى رأس مال المرابي كما هو.
- 4- التجارة تحفظ حقوق الناس وخصوصا اذا كان هناك عقود وشهود.
- 5- البيع المبرور ذلك البيع الذي يخلو من الغش والخداع والاحتكار.
- 6- التاجر الحق هو الصادق الأمين، الذي لا يحلف على بضاعته صادقا أو كاذبا.
- 7- الاتفاق بين البائع والمشتري يجب أن يكون على نوع البضاعة وسعرها ووقت تسليمها وكل

ما يتعلق قبل الشراء .

8-التجارة لا تلهي التاجر عن عبادة الله والقيام بواجباته الدينية والدنيوية.

9-لا سعر محدد في الاسلام، اذ يؤمن بالسوق المفتوحة شريطة عدم زيادة الأسعار بمضاعفتها واستغلال حاجات الناس، بل الاعتدال في الأرباح، نهى النبي عن تحديد الاسعار، ولكن في عصرنا الحالي قد لا يستطيع الموظف العادي من تلبية احتياجاته واحتياجات أسرته بسبب غلاء الأسعار وعدم مراعاة التجار أسس التجارة السليمة في الاسلام، لذلك لجأت بعض الحكومات الى تحديد أسعار بعض السلع خدمة للناس وحفاظا على حقوقهم في العيش الكريم.

10-لا يجوز بيع النجش ولا بيع الركبان ولا التبخيس في بضاعة الغير .

11- يجب أن يأخذ الزبون حقه فيما اشتراه وعدم التطفيف في الميزان والكيل.

12- يجب الالتزام بأحكام الشريعة في البيع والشراء وهذا أساس التعامل بين الناس.

الفصل الثاني والعشرين

رحمة الله الواسعة في السنة النبوية

درج بعض الأئمة في المساجد وبعض من يسمون رجال الدين، كما بعض مدعي الفقه غير المتخصصين في الشريعة، وغير المطلعين على كتاب الله وسنة نبيه الطاهرة، وغير المتعمقين فيهما جيدا على اظهار الاسلام بالقسوة الشديدة والعنف، فيركز هؤلاء على العقاب الشديد والويل والثبور وعظائم الأمور التي ستحل على المسلم بعد الموت، وأن عقاب الله تعالى شديد ولن ينجو أحد من النار التي وقودها الناس والحجارة كما يخيفون الجمهور دائما وبمنسية وغير مناسبة من عذاب القبر وأهواله، حتى يغرسوا في نفوس المؤمنين الخوف والوجل والانسحاب من الحياة الدنيا ومطالبها وضرورة الجهاد فيها للعيش الكريم. عقاب الله تعالى حق ذكره رب العالمين في أكثر من مكان في كتابه العزيز لأولئك المجرمين الذين لا يسمعون كلامه تعالى ويضربون بعرض الحائط كل ما جاءهم من الله تعالى بواسطة أنبيائه ورسله.

العقاب الشديد للكفار والمنافقين والمشركين والذين يأتون الفواحش دونما توبة أو رجوع عن غيهم وضلالهم فحذرهم الله تعالى بالعذاب الشديد حتى يتوبوا ويرتدعوا، فإذا ما فعلوا قد يغفر الله لهم وهو الغفور الرحيم. رحمة الله واسعة وسعت كل شيء إلا أن يشرك به، وهذا مثبت في القرآن والسنة النبوية في أكثر من موضع واية وحديث يقول رب العالمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: 48

لم يلحظ هؤلاء المبالغون في التبشير بالعذاب الأليم بأن المنهج القرآني منهج تيسيري، وأن القرآن الكريم نزل رحمة للعالمين وليس للمسلمين فقط، ونزل القرآن الكريم للعمل به كي يكون نبراسا وهاديا للأمم قاطبة، أولا بشيرا ثم نذيرا، وعمل بأحكامه سيد الأنام كي يكون قدوة للناس في أيامه ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها كان خلقه القرآن، وبما أن النبي الكريم كان على خلق عظيم، يعفو ويسمح، يحاسب ويعاقب، فهذا يعني أن القرآن الكريم فيه من التسامح والتبشير بمغفرة من الله تعالى فبقدر ما فيه من نذير فيه عذاب للمذنبين، هذا يعني أن الدين الاسلامي دين رحمة، ويدعو الى العودة عن المعاصي والتوبة الى الله تعالى توبة نصوحا كي يتم العفو، ويعطي المسلم الفرصة تلو الأخرى حتى يفى الى أمر الله تعالى، وإذا ما استمر المرء في غيه وضلاله حلت عليه لعنة الله تعالى واستحق العذاب الأليم. يقول تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر 53

من يقرأ سورة غافر، يدرك تماما أن مغفرة الله تعالى تسبق عقابه وعذابه يقول تعالى:

﴿حَم (1) تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ﴾ غافر 3

حملة العرش العظيم والملائكة حول ربهم يستغفرون للمؤمنين وللتوابين استغفاراً كبيراً وشاملاً وتاماً يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ غافر 9

من هذه الايات البينات نستفيد دعوة الناس الى الايمان والتوبة والعمل الصالح قبل أن نكيل لهم الاتهامات ونهددهم بالعذاب الأليم من الله تعالى وهو الذي يدعو عبده للتوبة والايمان والعمل الصالح كي يتوب عليهم

قلنا في باب الأخلاق أن النبي الكريم بعث لكي يتم مكارم الأخلاق، حيث مدحه رب العالمين بالقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم 4

وقوله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۚ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقُلُوبُ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ال عمران 159

الله سبحانه وتعالى لا يريد لرسوله ولا لأمته العسر، ولا يريد أن يرهقه بالرسالة التي لو نزلت على الجبال لخرت ساجدة لله رب العالمين لثقل حملها، ممثلة بالتوحيد والعبادات والعقائد، ولكنه خفها عليه كما خفف تطبيقها والعمل بها، والله تعالى لا يرد دعوة من يدعوه بقلب سليم لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۚ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۚ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة 186

كما لا يريد الله تعالى أن يرهق عباده الصالحين في تطبيق ما أمر به كما قلنا، لأن الدين

يسر وليس عسرا ولكن على الناس الطاعة وهذا ليس بالشئ الصعب على الناس أن يطيعوا الله تعالى ويعبدوه حق عبادته، بل هو جهاد ومجاهدة ليعلم الله الصابرين يقول تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مَلَّةً أُنْزِلَتْ عَلَيْكُمْ لِقَاكُمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِغْمَ الْمُؤْلَىٰ وَنِغْمَ النَّصِيرِ﴾ الحج 78

الجهاد في الله هو طاعته، في الآية الكريمة يدعو المسلمين والناس كافة الى الصلاة وابتاء الزكاة والاتكال عليه وحده، وإذا ما قام المسلم بذلك يكون الله تعالى مولاه أي مساعده في كل شئ وينصره على كل العقبات ويثيبه في الآخرة، اذن الاسلام دين الهداية وليس دين العقاب الشديد لأقل الاشياء واللمم من السلوك. الله سبحانه وتعالى يقدم كبائر الذنوب على صغائرها، ولو ان الله تعالى يعلم متقال ذرة من الخير ومتقال ذرة من الشر، الا أنه عادل في أحكامه وهو خير العادلين، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ النجم 32

القران الكريم طلب منا نحن المسلمون أن نكون لطفاء في الدعوة الى الله تعالى، ولا نكون غلاظ القلوب مع غير المسلمين، ندعهم الى ما في ديننا من تسامح ومغفرة للذنوب من الله تعالى اذا ما توجه هؤلاء اليه وهو الغفور الرحيم، فما بالكم بالتوجه الى المسلم ودعوته الى تقوى الله ومخافته في القول والعمل في السراء والضراء وحين اللبأس، علينا أن نتوجه اليه باللين والتبشير بالمغفرة اذا ما استقام ودعى الله بالرحمة بعد التوبة النصوح، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهُنَا وَالْهُكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت 46

الايات الكريمات التي تحت على اللين والمغفرة من الله تعالى كثير، كما أن النبي الكريم حثنا على ذلك في قوله:

يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا. رواه البخاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالقُدوة والروحة وشيئ من الدلجة. رواه البخاري

الدين الاسلامي دين سهل ميسر للعابد فهناك الفرائض والنوافل، العمل بالفرائض واجب

وبالنوافل حسب المقدرة، اذن العمل بالتسديد والمقاربة لما أوجب الله تعالى، والحذر من التشدد والزيادة المبالغ فيها في الدين لقوله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، اياكم والغلو في الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. رواه أحمد وابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم:

هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون. رواه مسلم

المتنطعون هم المتشددون في الدين، فيعملون ما يسره الله لهم كأن يصوموا وهم مرضى أو على سفر طويل شاق مضمّن، ومن الناس من ينقب عن أمور ليست من التي كلف بها تتطعا وتشدقا، فكل من شدد على نفسه وحتى على غيره في أمر قد وسع الله له فيه وفيهم فانه يدخل في هذا الحديث، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى.

الداعي الى الله تعالى من على منبر رسول الله يجب أن يقتدي به في التعامل مع آيات الله تعالى وسنة نبيه الكريم، لا يغالي ولا يبالغ ولا يخترع من عنده أقاويل وأمثال ما أتى الله بها من سلطان، وعليه أن يتحرى الروايات الضعيف منها والصحيح والمختلق والمفتعل والموضوع عن النبي وزوجاته وأصحابه، لأن التدقيق والاجتهاد في هذه الأمور واجب بل أكثر من ذلك، لأنه يبنى عليها الحق والباطل الأول من الدين والثاني ليس منه أبدا فيضل الناس ويضللون.

الداعي الى الله يجب أن يكون باحثا في علوم الدين مجتهدا لا يترجل من عنده، كما يجب أن يكون متقفا يربط الأمور الدينية بالدنيوية ولا يشطط ولا يتنطع، ولا يفسر الآيات والاحاديث دون سند وفهم عميق لمراميها ومناسباتها وسبب نزول الآية وقول الحديث، لأن سبب النزول والمناسبة أمران مهمان قد يكون الحكم الشرعي مؤقت لهذه الحادثة أو تلك، وقد يكون خاصا بالنبي الكريم، وقد يكون خاصا باللفظ عاما في المعنى والتطبيق وهكذا.

الداعية المسلم يجب أن يكون رحيمًا بالذين يخاطبهم ويكلمهم على قدر عقولهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

انا معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم. رواه أبو

الحسن التميمي

في هذا الحديث النبوي الشريف يبين نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أهمية التواضع للناس وانزالهم منازلهم واحترامهم كلا حسب وضعه العلمي والاجتماعي، وأكثر الناس

احتراما وتقديرا العلماء، كما أن النبي الكريم شرح لنا نظرية في علم النفس التربوي مفادها مراعاة الفروق الفردية بين الناس، حيث نعاملهم كلا حسب درجة ذكائه وقدرته العقلية، هذه النظرية الحديثة هي التي اعتمدها التربويون في عصرنا الحديث في التعامل مع التلاميذ، أي مراعاة الفروق العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية في التعليم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السياق نفسه:

حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أحببون أن يكذب الله ورسوله؟ رواه البخاري

الداعية المسلم يجب أن يكون لينا في الخطاب، ولا يردع المصلين أو يعنفهم، لأنني اعرف بعض الخطباء من يكيل التهم للمصلين بأنهم لا يؤدون واجباتهم الدينية من وجهة نظره، أو يهملون أبناءهم أو يدعون بناتهم وزوجاتهم دون رقابة أو غير ذلك من الاتهامات دون دليل وفي تعميم غير مقبول، لا بل انهم ينصبون من أنفسهم القضاة والحكام على أفعال الناس دون وجه حق، لذلك يجب أن يكون الداعية وخطيب المسجد حليما وداعية الى الله تعالى، من هنا نؤكد على أن الخطبة والدعوة ما هما الا عظة ودروسا تتلى على أذهان المستمعين بعيدا عن التهديد والوعيد، انما التوجيه الى عمل الخير والعمل بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه، وتوضيح نتائج هذه الأعمال التي ترضي الله تعالى والنتائج السلبية في الدنيا والاخرة التي يفضي اليها البعد عنها.

الداعية الى الله تعالى كما ذكر بعض المجتهدين هو من يظهر للناس محاسن الدين الشريفة الايجابية ويخاطب عقولهم وقلوبهم في ان واحد مع تقديمه النموذج الذي يقتدى به، فواقع الحال (كما يقال) أبلغ من كل مقال. كما أن الداعي الى الله تعالى يجب أن يتمتع بالفصاحة والبلاغة واتقان اللغة فلا يرفع المنصوب ويجر المرفوع، لأن في ذلك تشويه للغة القرآن الكريم وتغيير في المعاني، فاللغة هي الرصانة في القول للوصول الى المعنى المراد دون واسطة، أما اللغو فهو الكلام الغث الي لا يستفاد منه، فالخطيب الجيد هو الذي يتقن اللغة ولا يشوهها ويستخدم الألفاظ ويبسطها للمستمعين، ويستخدم المصطلحات والمفاهيم كل في مكانه، كما أن الخطيب يجب أن يعتاد على خفض الصوت وعدم التشنج ورفع الصوت أكثر مما ينبغي، لأن الاقناع ليس بعلو الصوت والتشنج في الحديث، وأنا أعتبر كل من يعلي صوته دون مناسبة دليل الضعف وقلة الحيلة والاقناع، بل وعدم الثقة بالنفس. الخطيب الجيد هو الذي يحضر خطبته جيدا مهورة بالدلائل والبراهين والايات والاحاديث النبوية المناسبة، ويقوم بشرحها وتبسيطها للناس ويؤبطها بحياتهم اليومية.

الدين الاسلامي هو رحمة للناس والدين الذي يعبر عن الأخلاق الحميدة بأسمى معانيها،

والقران والسنة النبوية يشتملان على الفضائل المطلوبة لبناء مجتمع سليم وصحي على مر العصور والدهور، فيحثان على صلة الرحم وبر الوالدين والرافة بالأبناء والاسرة، والتلطف مع المسلم وغير المسلم ليكون الأول قدوة حسنة للثاني، ويحثان على حقوق الزوجة وواجباتها والزوج وحقوقه وواجباته، ويتحدثان عن الطلاق الذي هو أبغض الحلال عند الله تعالى، كما يتحدثان عن الحلال والحرام في كل شيء في الحياة وعن احترام الغير واحترام الجار، ويتحدث القران الكريم والنبي الكريم عن الصلاة والصيام والحج والصدقات والزكاة وهي عبادات تمثل كمال الحياة وحسن الاخرة لقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ۖ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل 89

وهناك أحاديث نبوية شريفة تعبر عن رحمة الله الواسعة وعن مغفرته لمل الذنوب الا أن يشرك به قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء 116

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله مئة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة. صحيح الجامع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما قضى الله الخلق كتب كتابا، فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي. رواه البخاري ومسلم

وفي الحديث القدسي قال تعالى: يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة. رواه الترمذي

لولا رحمة الله التي سبقت عدله ما بقي للناس نعمة ينعمون بها، وما عاش أحد على وجه الأرض اذا ما غضب الله تعالى على عباده الظالمين، كذلك جعل للكافرين نصيبا من الدنيا ينعمون به، وما بالكلم بالمؤمنين المسلمين العابدين القانطين؟ يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ النحل 61

هناك رواية عن رحمة الله تعالى على عباده تتصل بفرعون وسيدنا موسى عليه السلام، حيث استغاث فرعون بموسى عليه السلام سبعين مرة ولم يغيثه، وادعى أنه آمن بربه ولكن موسى لم يستجب له، فخاطبه الله تعالى وكان موسى كليمة فقال: لو تاب أمامي مرة لغفرت له، فقال موسى من قال أنا ربكم الأعلى تغفر له فما بال الذي يقول سبحان ربي الأعلى كل حياته؟ هذه الرواية بغض النظر عن صحتها إنما تعبر عن مدى لطف الله تعالى بعباده، حتى الفرعون إذا ما توجه لله طالبا المغفرة قد يغفر له الله تعالى.

الإنسان بطبعه خطاء ولكن عليه أن لا يستمر في خطئه وأخطائه لأنها ستكثر وبذلك تكثر ذنوبه، وإذا ما تاب توبة نصوحا لا يعود الى ذنوبه أبدا يجد من الله المغفرة لقوله صلى الله عليه وسلم:

كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي لا يخلو الإنسان من الخطيئة إذ ما شعر بالضعف، ولكنه فطر في الوقت نفسه على القوة وفعل الخير وحب الخير، لذلك إذا غلب الخير على الشر المتولد عن الضعف فإن الإنسان ينجو برحمة الله تعالى عن طريق الدعاء والتوبة. هذا وقد كان النبي الكريم يكثر من الدعوة الى عمل الخير والبعد عن الشر، وكان يبشر فاعل الخير بأن له الأجر العظيم عند الله تعالى، وذلك كي يحث الناس الى التدافع لعمل الخير واكتساب الحسنات، وكان دائما يذكرهم بأن السيئة لها مثلها والحسنة بعشرة أمثالها، يقول في ذلك:

ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة فان هو هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبع مئة ضعف الى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يفعلها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة. رواه البخاري

ولقرب رحمة الله الى الناس روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رجلا أقبل على النبي الكريم ومعه صبي فجعل يضمه اليه، فقال النبي: أترحمه؟ فقال: نعم، قال: فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين. رواه البخاري والوادعي في صحيح المسند

وقعت امرأة في في الأسر، وكانت ترضع طفلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر على الا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بوليدها. رواه البخاري

الله تعالى قد يبدل سيئات المسلم (كلما نذكر المسلم نعني الذكر والأنثى بطبيعة الحال)

بحسنة واحدة عملها في حياته فيدخله الجنة، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، ثم يقول: ألك عذر ألك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول الله تعالى: بلى ان لك عندنا حسنة، وأنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة رواه الألباني في صحيح جامع

وكما يحاسب الله العبد على الحسنات، يحاسبه على السيئات وممارسة الظلم حتى على الحيوان عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض

رواه البخاري

كل مذنّب له عقابه بطبيعة الحال، وكل محسن له جزاؤه، هذا الامر لا يختلف عليه اثنان، حتى أنه في العهدين القديم والحديث هناك الثواب وهناك العقاب، وفي الاسلام الحنيف هناك الثواب والعقاب وهناك المغفرة من الله تعالى، واننا كبشر لا نعرف ولا ندرك حجم هذه المغفرة ووفق أي معيار؟ ولكن الذي نعرفه أن الله تعالى قريب من العبد يسمع دعاء الداعي من القلب فيستجيب له وهو الغفور الرحيم، يقول تعالى في الحديث القدسي:

أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، فان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم، فان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا، وان أتاني يمشي أتيته هرولة. رواه البخاري

هذا الحديث القدسي الشريف يوضح لنا أهمية الثقة بالله تعالى،، فاذا ما هم العبد بعمل شبيء من الخير كان الله تعالى أسرع منه لمباركة هذا العمل من كرمه وجوده وصفاته الموجودة الأزلية، ولكن كيفية تعامله تعالى مع عبده بهذه الصفات التي لا حدود لها ونحن نجهلها، ولكنها مثبتة في القرآن والسنة النبوية أن الله تعالى بصفاته وأسمائه الحسنی يرحم عبده ويغفر لهم ذنوبهم كل حسب عمله. والحديث القدسي لا يعني أن الله تعالى يمشي أو يهرول لأنها ليست من صفاته، ولكن المقصود سرعة رب العالمين في الاستجابة الى عبده اذا أتاه عبدا طائعا فان رحمته أسرع من اقبال

العبد اليه. من الأحاديث القدسية التي يرويها رب العباد عن الله تعالى يتضح لنا أن رب العباد دائم المغفرة ومغفرته وسعت كل شيء، ويؤكد لنا أنه العادل الذي لا يظلم أحدا ولو بمئقال ذرة لأن الانسان سيري عمله يوم القيامة:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة 8

في الايتين الكريمتين ميزان للحق والباطل، فالحق أحق أن يتبع، وهو عند الله عظيم يثاب صاحبه خير الثواب، أما الباطل وهو الشر فهو بغيض الى الله تعالى، وبالرغم من ذلك يغفر الله لصاحبه حتى ترجح كفة الحق عنده لأنه الغفور الرحيم. ومن الأحاديث النبوية التي رواها سيد الأنام عن ربه:

يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستشهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار الا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي تخطئوا بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم رواه مسلم

في الحديث القدسي السابق يبين لنا رب العباد الطبيعة الانسانية منذ الخلق، فالانسان يخلق عار من كسوته وجائع لا يعرف معنى الطعام، وفوق كل ذلك الانسان قد يضل طريقه اويحيد عن طريق الخير، ولكن الله تعالى يأمر هذا الانسان الضعيف باللجوء اليه يطلب منه الكساء والطعام والرزق الوفير وهو يوفره له، وكل ما يطلب يوفره الله تعالى له، الاطمئنان بدل الخوف، والاطعام بدل الجوع والكساء بدل العراء وهكذا، ولكن على الانسان السعي للحصول على ذلك، فعليه الاتكال على الله تعالى، ودعوته دائما والتمسك بعبادته لا بل سؤاله دائما الحفاظ على النعم، وقال أحد العلماء: ان الله تعالى يأمرنا باطعام الفقراء والمساكين وكسوتهم والتضرع الى الله للهداية الى الطريق المستقيم، فاذا ما واطب العبد على ذلك غفر الله تعالى ذنوبه التي ما فتئ يعملها ليل نهار. وفي حديث قدسي اخر يقول رب العباد:

يا ابن ادم، انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن ادم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن ادم، لو أنك اتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة رواه السيوطي

ماذا يريد المرء من ربه أكثر من ذلك؟ انه يعرض عليه الاستغفار والاسترحام مقابل خطاياهم فيغفر له رب العالمين، ولا يريد منه سوى طاعته وحسن عبادته ووتوحيده وأن لا يشرك به شيئا، انها هينة على الانسان أن يقوم بها وأكثر سهولة على الله أن يتقبلها ويثيب عليها، سبحانه الله عما

يصفون انه الغفور الرحيم الحليم العظيم. وفي حديث قدسي يقول تعالى:

من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب، وما تقرب لي عبدي بشيء أحب الي مما افتضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءلته رواه البخاري

الذي يعادي ويؤذي المؤمن المسلم سيكون الله تعالى عدوا له لأنه اذى من يحب الله ويقوم على عبادته وأقرب الناس الى الله تعالى من يقوم بما أمره به من الفرائض وزاد اليها النوافل، النوافل تقرب المسلم الى الله تعالى لأنه هو يريد التقرب اليه، فمن أحب الله أحبه الله تعالى، وقوله تعالى أنا سمعه وبصره ويده ورجله هي كناية عن الجوارح التي تسقط الانسان في المعاصي، فاذا ما تقرب المسلم الى الله حفظ جوارحه من السقوط وارتكاب الذنوب، وإن استمر العبد في الطلب من الله أشياء في الدنيا والاخرة لأعطاه، وإن طلب منه أن يعيذه ويبعده عما يخاف منه لأعاده وساعده على تخطي الصعاب، والمؤمن في النهاية هو انسان يخاف الموت لا من أجل الخوف ولكن يخاف مقابلة ربه بالذنوب التي ارتكبها، هنا يطمئن الله عباده الصالحين بأنه يكره مساءلته يوم القيامة من أجل أعماله الخيرة واستغفاره الدائم له تعالى.

الله تعالى مع المؤمنين في حلهم وترحالهم، وهو جل وعلا في كل مكان وزمان، ولكنه أقرب ما يكون من المؤمنين الذين يسبحون له ويدعون له ليل نهار، كما أنه يكون قريبا من حجاج بيت الله الحرام الذين ما ذهبوا الا لعبادته وحده لا شريك له، فهم منذ قدومهم الى مكة حتى مغادرتها ما يفتؤون يذكرون الله تعالى ويتضرعون له ويدعون له بأن يغفر لهم ذنوبهم، يقول صلوات الله وسلامه عليه:

خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا اله الا الله وحده لا شريك

له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر وهناك أدعية كثيرة يدعو بها المسلم رب العباد للمغفرة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين جاءا يسألانه عن أمر دينهم:

وأما وقوفك بعرفة، فإن الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني ؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنوبا

غسلها الله لك. متفق عليه

الله تعالى في كل زمان ومكان، فهو اذا ذكر ينزل الى السماء الدنيا أو ينزل في النصف من شعبان المقصود أنه يكرم عبده كما أكرموا وأكثر كما قلنا من قبل، فهذا كرم منه تعالى بأن يكون قريبا من عباده الصالحين، فالنزول هنا مجازا لأنه تعالى في كل مكان وكرسيه وسع السماوات والأرض، الله تعالى يباهي ملائكته بخلقه المؤمنين، وكأنه يقول لهم: انني خلقتهم لعبادتي فأنتم تسبحون بحمدي وهم يدعونني بالرغم من أنهم لم يروني فلهم مني الجزاء العظيم والمغفرة الواسعة. عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه أن يردهما صفرا خائبين. رواه المنذري
مرة أخرى نقول: ان الاستحياء ليس من أسماء الله، ولكنه من صفاته تعالى على ما يليق بجلالة قدره، ولا يلزم تشبيهه بحياء الله واستحيائه بصفات الانسان وصفات المخلوقات، لأنه ليس كمثله شيء، فصفة الحياء والاستحياء التي يتصف بهما العلي القدير كقوله السميع البصير، فهو يسمع ويبصر ولكن ليس كسمع وبصر الانسان، ويقول تعالى عن نفسه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ البقرة 26

أي لا يتردد ولا يتأفف من أن يضرب لكم أيها الناس في البعوضة مثلا، فمعاني الصفات الالهية ليست المعاني للصفات البشرية، فالله سبحانه ويتعالى لن يتردد في المغفرة لمن يطلب منه ذلك، ولن يرده خائبا صفر اليدين اذا ما رفع يديه الى السماء يدعو ربه ويسأله عن كل ما يريد في الدنيا والاخرة، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم وهو نبي مرسل، يرفع يديه الى السماء يدعو تعالى ويستغفره حتى يرى أصحابه بياض ابطينه من علو رفع اليدين، فكان النبي الكريم لا يستحي أيضا بأن يدعو الله ليل نهار ليغفر له وينزله الدرجة الرفيعة التي يستحقها، فالدعاء والاستغفار هما عبادة لله، وهما أقصر الطرق لارضاء الله تعالى بعد عبادته والعمل بفروضه والزيادة في العبادة بالنوافل. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يأمر الله ملائكته يوم القيامة فيقول: اذهبوا فلا تدعوا في النار أحدا في قلبه مثقال ذرة ايمان، الا أخرجتموه، قال: فلا يبقى الا من لا خير فيه. رواه البخاري

هناك من الأيام والشهور مباركة عند الله يختارها كي يقترب الله من عباده الصالحين، لا بل لحث المؤمنين على مضاعفة الجهود في عمل الطاعات في هذه الأيام والشهور المباركة، ففي فضل يومي الاثنين والخميس، فان الأعمال تعرض على الله تعالى فيهما، لقوله صلى الله عليه وسلم:

تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان

بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا (ذكرت ثلاثا) رواه مسلم
ومن الأشهر ما هو محبوب الى الله تعالى كـشهر رمضان المبارك، الذي تفتح فيه أبواب
الجنان للصائمين والعابدين وقارئ القرآن والمتصدقين وغيرهم من مقدمي الخير، وتجاب فيه
الدعوات وتغفر فيه السيئات وفي شهر رمضان أحاديث كثيرة تبين فضائله ومحاسنه، عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم
يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير
أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة. رواه البخاري ومسلم
وعن فضل الأيام وشهر رمضان المبارك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم:

الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت
الكبائر رواه مسلم

وعن فضل الوضوء والصلاة اللتين تكفران عن الذنوب، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت
كفارة لما قبله من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله. رواه مسلم
وفي فضل شهر شعبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله سيطلع ليلة النصف من شعبان على خلقه فيغفر لخلقه الا مشرك ومشاحن: يعني
قاطع الرحم. رواه أحمد وابن ماجه

وهناك أفضال للأشهر الحرم ولأيام الله المباركة يغفر فيها الله تعالى الذنوب للذين
يستغفرونه ويتوبون اليه وفي كل مناسبة يذكرنا رب العباد أنه هو الغفور الرحيم، كما يذكرنا نبيه
الكريم بأن الله دائم المغفرة لكل الذنوب اذا تاب العبد ورجع الى ربه بالأعمال الصالحة، ولكن بالرغم
من كل ذلك فالطريق واضحة المعالم لا عوج فيها، وتتمثل بالأعمال الخيرة ومصير أصحابها جنات
النعيم، والأعمال الشريرة التي لا يتوب المرء عنها فمصير صاحبها النار والعذاب الشديد، الله
سبحانه وتعالى يغفر الى من يشاء ولكنه لا يغفر أن يشرك به، ومن الناس من لا ينظر الله اليهم
يوم القيامة ولا يتوب عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم:

ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة، العاق لوالديه والمرأة المسترجلة والديوث. رواه عبد

الله بن عمر

وهناك فئات كثيرة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر.

كما أن هناك كثير من الناس المذنبين لا ينظر الله اليهم، ومن لا ينظر الله اليه لا تشملهم رحمته، كمانع الماء عن ابن السبيل، والمبايع من أجل الدنيا، والمدمن على الخمر، والمنفق ساعته بالحلف و والمنان وغيرهم كثير ممن لا يتبعون أوامر الله ونبيه الكريم، هؤلاء لا يتمتعون برحمة الله ولا غفرانه، الا اذا أراد سبحانه وتعالى، بناء على ذلك وبناء على ما تقدم، ندرك من الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية ومن قبل ذلك الايات البينات أن رحمة الله واسعة، وأن الله غفور رحيم، والمغفرة والرحمة لا تأتيان للمرء المسلم بسهولة، اذ لا بد له من العمل كي يحصل عليهما، تماما لا بد له أن يعمل لكسب رزقه، فكلما اجتهد في العمل وأعمل عقله بشكل سليم كلما حصل على الأفضل وزدادت ثروته، فالمسلم اذا ما أقام الفرائض وزادها بالنوافل وعمل الخيرات بالاضافة الى الدعوات والاستغفار كلما تقرب الى الله تعالى وتقرب الله منه، ومن يتقرب الله منه فاز فوزا عظيما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة. رواه البخاري

وعن الأغر بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

توبوا الى الله فاني أتوب اليه في كل يوم مئة مرة. حديث صحيح

هذا نبي الرحمة المبشر بالجنة، فما بالناس نحن عبيد الله تابعي التابعين الى يوم الدين؟ فيجب أن نتوب الى الله ونستغفره دائما كي نفوز برضاه تعالى، والأمر الأكثر أهمية وللغفران والفوز برضا الله والجنة هو الايمان ايمانا صادقا، الايمان بوحداية الله تعالى، فالمؤمن غير الكافر والمشرک، هذان لن ينالا رضى الله تعالى، أما المؤمن غير الكافر وغير المشرک فينال عفوه ومغفرته، فالإيمان بالقلب يجب أن يصدق العمل فالإيمان والتشدد به دون عمل يصدق لا يكفي، ثم لا بد من التوبة عن الذنوب كي يغفرها الله لعبده المؤمن من هنا تؤكد على أهمية الاعلاء من شأن الدين دائما من قبل الخطباء والوعاظ والائمة والدعاة، وان يبسروا ولا يعسروا على الناس، ويذكروا فضائل أعمال الخير وانعكاساتها على المؤمنين المسلمين في الدنيا والاخرة ويجب التركيز على مغفرة الله تعالى وعفوه ورضاه عن كل عمل خير وكل عبادة يؤديها المسلم ايمانا واحتسابا لله

تعالى.

كل عمل دنيوي لا يحتاج الى السرعة في ادائه، ولا التسرع والتسارع في الانتهاء منه وانجازه، لأن في التمهّل اتقان في العمل وفي التمهّل السلامة في الحياة، الا مرضاة الله تعالى والاعداد للاخرة فانهما يحتاجان الى السرعة والتسارع في الاداء حتى يرضى الله عن عباده الصالحين، فأمر متعلق ومرتبّط بالانسان نفسه، اذا ما أراد العفو والمغفرة فعليه الاسراع في الأعمال الصالحة والدوام المستمر عليه وعلى أداء الفرائض والنوافل، فالمعادلة هنا واضحة كل الوضوح، الايمان بالله وملأنته وكتبه ورسله وعدم الشرك به ومخافة الله تعالى، يقابل رب العالمين ذلك بالعدل والقسطاس وكل سوف يأخذ حقه يوم القيامة يقول تعالى في ذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِإِثْمِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ المؤمنون 62

الاسراع في الأعمال الصالحة في الدنيا جزاء من يقوم بها طلبا لمغفرة من الله تعالى الجنة عرضها عرض السماوات والأرض يقول تعالى في ذلك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ال عمران 133

المغفرة والعفو من الله يحتاجان العمل الدؤوب لمرضاته، فلا يرضى عن الذين تحجرت قلوبهم واذا سمعوا كلام الله أخذوه هزوا ونكصوا على أعقابهم وهم يتغامزون فيما بينه بالباطل يقول تعالى في هؤلاء:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ (64) لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي عَلَيْكُمْ فَمَا تَكْفُرُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سُمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ المؤمنون 67

هؤلاء لن ينالوا مغفرة الله تعالى جزاء ما كسبت أيديهم ونتيجة أعمالهم التي لم ترتق الى درجة رحمة الله وعفوه وغفرانه.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثاني والعشرين

- 1- الدين يسر وليس عسرا، لذلك يجب بث روح التفاؤل عند المسلمين برحمة الله وعفوه دائما.
- 2- رحمة الله واسعة وهو مطلع على كل شيء، على ما تكنه الصدور وعلى خافية الأعين، وبالرغم من ذلك يغفر الذنوب لمن يشاء الا أن يشرك به.
- 3- الرحمة تكون بعد الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والعمل بفروض الله والدعاء والاستغفار دائما.
- 4- النبي الكريم كان أكثر الناس استغفارا وطلبا للرحمة، بالرغم من أنه يقوم بما يأمره به ربه سبحانه وتعالى خير قيام، كيف لا وهو المصطفى دون خلق الله لتبليغ رسالته العظيمة.
- 5- التوبة الصادقة تقود الى مغفرة الله وعفوه ورضاه، والتوبة النصوح هي الاخلاص لله تعالى، أي يجب أن تكون التوبة بالنية لله تعالى، حبا فيه وطمعا في نيل رضاه، ثم الاقلاع عن الذنب والمعصية نهائيا والندم على ارتكابه، وإذا كان سرقة أو سطوا على أموال الناس أو أكل مال اليتيم أو تعامل بالربا أو غير ذلك، فعليه رد الحقوق الى أهلها والبعد بالتوبة والأعمال الصالحة.
- 6- هناك من الناس من يتصفون بالصفات السيئة التي لا علاج لها الا بالعودة عنها، أما اذا استمر المسلم على ما هو عليه من انحراف وسوء أخلاق وبعد عن الدين بكل عباداته، فلا رجاء له برضى الله وعفوه ومنهم من يعمل الموبقات التي تؤدي الى النار دون توبة نصوحا فلا ينظر الله اليهم.
- 7- يجب على المسلم أن يستغل الأيام والشهور والمناسبات الدينية كي يزداد نصيبه من العفو والمغفرة.
- 8- حسن الظن بالله تعالى دائما بأنه الغفور الرحيم، ولكن لا بد من الاستقامة لقوله صلى الله عليه وسلم: قل امنت بالله ثم استقم.
- 9- الخوف والوجل من عقاب الله وحسابه يوم القيامة، كما الطمع في ثوابه ومغفرته دليل المؤمن، يقول تعالى في الحديث القدسي: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ذكره الغزالي في البداية.

الفصل الثالث والعشرون

الصبر في السنة النبوية

الصبر من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد الى ربه، وقد خص الله تعالى الصابرين بالأجر العظيم دون حساب لقوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۖ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر 10

ويؤكد النبي الكريم على أهمية الصبر في قوله:

ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر. رواه البخاري

وقال أيضا:

عجا لأمر المؤمن ان أمره كله خير، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن، ان أصابته سراء شكر، فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. رواه مسلم

الصبر في الدنيا أنواع وأشكال، وله مظاهر شتى، منها ما يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالمسلم نفسه وعلاقاته مع الناس مسلم أم غير مسلم، ومنه ما يتعلق بالشدائد والأمراض، ومنها ما يتعلق بالحياة ومصاعبها، ومنها ما يتعلق بالصبر على قضاء الله وقدره، فالصبر من العبادات المرضية لله تعالى ومن الصفات الحسنة التي يتميز بها المرء عن غيره، هذا وقد وضعت دار الافتاء المصرية أربعة أنواع من الصبر:

1- صبر على البلاء وهو منع النفس عن التسخط والهلع والجزع.

2- صبر على النعم، وهو ما يقيد بها بالشكر وعدم الطغيان والتكبر بها.

3- صبر على الطاعة، وهو المحافظة عليها والنوم على ادائها.

4- صبر على المعاصي وهو كف النفس عنها.

الصبر دليل على كمال الايمان وحسن الاسلام، والصابر على واحد مما سبق أو أكثر يشعره صبره بالطمئنان والسكينة في حياته، فيفوز بمحبة الناس ورضى الله تعالى، والصبر يقى المؤمن من أمراض نفسية وجسمية وعقلية كثيرة، هذا وقد تحدث النبي عن الصبر فقال:

الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله. رواه ابن الملقن في شرح البخاري

ومن فوائد الصبر كما علمنا نبينا وحبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، النصر على

ما يصبر عليه مثل الصبر على اذى العدو، أو الصبر على البلاء، والصبر على المكاره وغير ذلك، قال ابن عباس كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي:

يا بني ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت بلى، قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك تعرف اليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق اجتمعوا على أن ينفعوك أو يضروك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن النصر في الصبر، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، ولأن مع العسر يسرا. أخرجه الترمذي

قال المفسرون في هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم، فكان عليه الصلاة والسلام يجمع المواعظ الجمة والوصايا الجامعة والحكم البالغة في الكلام القليل، وكان من هديه تربية الصغار وتعليمهم أمور دينهم من العقيدة الصحيحة وحسن التوكل على الله تعالى، وفي هذا الحديث يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس أمورا كثيرة منها:

- تقوى الله في الأوامر والنواهي، فإذا اتقيت الله حفظك من الاثام والشورور وحفظك في مالك وأهلك ودينك ودنياك.
- إذا طلبت شيئا فاطلبه من الله تعالى، تعرف عليه في الرخاء يتعرف عليك في الشدة.
- إذا استعنت فاستعن بالله يعنك، فكل شئ محفوظ لا تبدل فيه ولا تغيير.
- اعمل كل شئ لله تعالى بالشكر على نعمه واليقين والثقة بعفوه وغفرانه.
- الصبر على الشدائد التي يكرهها الانسان، فالصبر على المكاره مفتاح الفرج، وأن الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا، وفي رواية عمر مولى غفرة بن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فان استطعت أن تعمل بالرضى في اليقين فافعل، وان لم تستطع فان في الصبر على ما

تكره. أخرجه أبو نعيم في الحلية

- أول مظاهر الصبر وأهمها الصبر على العبادات وطاعات الله سبحانه وتعالى، اذ يصلي المسلم خمس صلوات في اليوم بركعاتها وسجودها وقيامها اضافة الى السنن والنوافل، والمسلم يصوم رمضان ويحج الى بيت الله الحرام اذا استطاع الى ذلك سبيلا، ويخرج زكاة أمواله وقت بلوغها الحول القمري الكامل، والتمتع بالأخلاق الحميدة والفضائل الرشيدة، وكل ما يتعلق برضا الله تعالى من العبد حتى يرضى عنه رب العالمين، وينظر اليه نظرة رضا،

ومن نظر اليه نظرة رضا فقد رحمه، وفوق كل ذلك وتلك الايمان بوحداية الله وبملائكته وكتبه ورسله، وبأن محمدا عبده ورسوله هذا وقد أشار نبي العالمين الى الصبر والحض عليه من خلال العبادات بقوله:

أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء، قولوا: اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك.
رواه الوادعي

- الصبر على الشدائد والمصائب، ومنها ضيق الحال والفقر والمرض وعدم الاستطاعة، والدين الى الناس وغير ذلك، فمن يصبر على هذه الأمور وهو مؤمن بقضاء الله وقدره، وأنه تعالى يغير من حال الى حال يثاب، وفي هذا الباب يقول أبو سعيد الخدري:
أن أناسا من الأنصار سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فاعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال:

ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعطه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر. أورده الامام النووي في باب الصبر

هناك من الأدعية الكثيرة التي يدعوها المسلم للوقاية من الشدة والكرب والاستعانة بهما بالصبر عليهما ومنها

اللهم أنت ثقتي في كل كربة، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته اليك، راغبا فيه عمن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حاجة ومنتهى كل رغبة، فلك الحمد كثيرا ولك المن فاضلا.

وفي السياق نفسه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ما من عبد تصبه مصيبة فيقول: انا لله وانا اليه راجعون، اللهم اجرني في مصيبتى، واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبتيه وأخلف له خيرا منها. رواه مسلم

وفي الضراء يكون الصبر عند الصدمة الأولى لفقد حبيب أو قريب أو نسيب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: **اتق الله واصبري**، قالت: اليك عني، فانك لم تصب بمصيبتى، ولم تعرفه، فقيل لها: انه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فأنت باب النبي فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: **انما الصبر عند الصدمة الأولى.**

متفق عليه

كم كان نبي الله رحيمًا عطوفًا على هذه المرأة لمصابها في ابنها وفق إحدى الروايات، وإنه لم يعرفها بنفسه بل عرفه لها من كان معه، وصبر رسول الله على قولها وتحملها لأنها مكلومة، ولكنه وبكل رفق قال لها **إنما الصبر عند الصدمة الأولى**، أراد أن يعرفها أن المرء يجب أن يصبر على البلاء منذ الوهلة الأولى من المصاب الجلل، ويحتسب كل شيء وكل أمره إلى الله تعالى كي يثاب عليه، وكل مصاب قابله الصبر يثاب عليه المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم:

ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، ولا هم ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها. رواه البخاري ومسلم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسي المسلمين في عزائهم ومصابهم، ويطلب منهم الصبر على البلاء على أنه ابتلاء، حتى إلى أقرب أقربائه، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه أن ابنا لها قبض (أي وافته المنية) فأرسل يقرئ السلام ويقول ان الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. رواه البخاري

وفي الحديث القدسي عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **ما لعبيدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة.** البخاري

وفي فقد الابن والصبر على فقده، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد. رواه الترمذي

الصبر على الشدائد من سمات الشكيمة والشجاعة، وخصوصا الصبر على المرض عن جابر رضي الله عنه قال: دخل رسول الله على أم السائب أو المسيب فقال: ما لك تزفزين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها فقال: لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد. رواه مسلم

من أصعب الأوقات التي يمر بها المؤمن ويجاهد فيها الصبر على الشهوات والفتن، فقد يمر المسلم بسيل من الفتن في الدين والنفس والجنس وغير ذلك، من المؤمنين من يقع فيها وهي

من أعمال الشيطان، وعلى المؤمن الحق أن يصبر ويتوب ويستغفر ربه عسى أن يغفر له خطاياه، ومن يغفر الذنوب الا الله تعالى؟ ولكن هناك من يصبر على الأذى والفتن ويحتسب كل صبره لله تعالى، فالتوابون والصابرون على أذى الناس بشتى الأشكال والألوان لهم أجرهم عند ربهم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**. رواه أبو حجر العسقلاني

فمخالطة الناس مستحبة لأنها تعرف كل امرء على من حوله، منهم المؤمن الصالح ومنهم الطالح، ولكن أغلب الناس يكونون مؤمنين مسلمين ومسالمين، فعليهم أن يتكاتفوا ويتعاضدوا لمقاومة الطالحين والمفسدين بكل الوسائل، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان**. رواه مسلم

ومن ذا الذي أؤذي في نفسه أكثر من يوسف عليه السلام، ولكنه صبر واستعصم بحبل الله المتين أذاه أخوته وأذته زوجة العزيز فلما راودته عن نفسه فأبى أن يخضع لرغباتها فنجاه الله تعالى من الإثم في قوله تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف 24

ولما رفض يوسف الخضوع لرغبات امرأة العزيز، كادت له وجمعت النسوة صويحيباتها لترينهن جماله وحسنه ولتثبت لهن سطوتها وقدرتها على إخضاعه بالقوة، ونتيجة كيدها استطاعت الزج به في السجن الى حين قال تعالى:

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ زَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ يوسف 32

ولكن الله نجاه من هذا الكيد العظيم، بعدما دعا ربه أن يصرفه عنه خوفا من الوقوع في الإثم، يقول تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يوسف 34

من هذه الايات البينات، يتبين لنا مدى أهمية الصبر على الأذى ومدى أهمية دعاء الانسان الى الله بكفه وبعده عن الشر والأشرار والذنوب والمذنبين، فالله سبحانه وتعالى يستجيب الى دعوة

الداعي المؤمن المحتسب عمله وصبره لله تعالى، وفي هذا المضمار كانت المدينة المنورة في بداية الدعوة تعج بالأذى للمسلمين المؤمنين، فكان هؤلاء بايمانهم كالذي يقبض على جمر من النار مثل أيامنا هذه تماما وأكثر من ذلك، وكما تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال:

ويل للعرب من شر قد اقترب، فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا، قليل المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر. رواه أحمد والترمذي

وفي المدينة كان الفساد يعم أرجاءها قبل أن تستقر على الايمان ونعمة الاسلام، وكان النبي الكريم يطالب المسلمين في كل مناسبة أن يصبروا على الفساد وايداء النفس حتى يأتي أمر الله تعالى فقال:

لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة. رواه مسلم

وبشر النبي الكريم كل من يتجنب الفتن والصبر عليها بالسعادة في الدنيا والاخرة، عن المقداد بن الأسود قال النبي الكريم :

ان السعيد لمن جنب الفتن، لمن جنب الفتن، لمن ابتلي فصبر فواها. رواه الألباني

كرر درء الفتن وتجنبها ثلاث مرات وقرن ذلك بالسعادة، أي أن من يبتعد عن الفتن يعيش سعيدا في دنياه وربما في اخرته اذا كان صالحا، فالدنيا مليئة بالفتن وخصوصا في ايامنا هذه، فتن في العقيدة وفتن في الشهوات وفتن في الرشاوى وغيرها في البيع والشراء، وفتن في التعاون مع أعداء الدين وهكذا، الفتن كثيرة جدا فمن يبتعد عنها يسلم ويغنم، ومن ينخرط فيها يخسر ويندم، ومن يقع في اتونها أي يعيش في بلد فيها الفتن ويصبر عليها فقد فاز فوزا عظيما على صبره وما ابتلي به

-من أنواع الصبر الصبر على العلم، فمن الناس من يهاجر من بلاده الى بلاد أخرى طلبا للعلم، ان كان علما دينيا كدراسة الشريعة وعلوم القرآن الكريم، أو علما دنيويا كدراسة الطب والألكترونيات والجراحة والهندسة والفيزياء وغير ذلك من العلوم المفيدة والمهمة التي تقيد البشرية وتعمل على تقدمها ورفيها وتدعم حضارتها. بعض العلماء يثني على تعلم العلوم الدينية ويجعل تعلمها في المرتبة الأولى من بين العلوم، ويرى هؤلاء أن هذه العلوم هي التي تقود الى مكارم الأخلاق والتعرف على آيات الله وخلقته وأحكامه وحكمته، وبالتالي معرفة الله تعالى حق المعرفة، كما يرى هؤلاء أن العمل بأحكام الله تعالى يقود العلماء الى التعرف على العلوم الأخرى الدنيوية،

وخصوصاً أن الاسلام العظيم لا يمانع أبداً في تلقي العلوم الصالحة للبشرية أياً كان مصدرها، لأن العلماء المسلمين كانوا الرواد الأوائل في هذه العلوم وهم الذين أبدعوا وأجادوا فيها، كالطب والجغرافيا والرياضيات والفلسفة وعلم الفلك والجبر والكيمياء وعلم التشريح وطب العيون وغيرها وغيرها من العلوم الدنيوية التي يحتاج اليها الناس في كل مكان من العالم، وما كان تقدمهم هذا إلا بعد إيمانهم بالله تعالى واتقانهم علوم التشريع وأحكام القرآن والسنة النبوية، فتوجهوا بعد ذلك بقلوبهم وعقولهم الى علوم التجريب والعلوم الانسانية جنباً الى جنب، فأجادوا في علوم الحديث والتفسير والتاريخ والأدب والنقد الأدبي وعلوم اللغة واللسانيات جزء منها، وما تحقيق هذه الأمور إلا بعد اتقان علوم الدين وأخلاقه المستمدة من القرآن وأخلاق النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه. وكلاهما (أي القرآن والسنة النبوية) حث على طلب العلم والتعليم والتعلم، بعكس ما يروجه ويردده الجهلاء بأن العرب عليهم تبليغ الرسالة فقط، وهم المعلمون وغيرهم عليهم أن يفكروا ويجتهدوا ويخترعوا لكي يقدموا ما يبتدعونه ويخترعونه للعرب والمسلمين كي يستهلكوا ما يصنعون وينتجون لهم، انه لعمرى لفكر متخلف يتنافى مع روح الاسلام وعقائده وأوامر الله تعالى التي تحتثنا على التفكير والابداع والابتكار والاختراع، الله سبحانه وتعالى أمر أقوام عاد وثمود بالعمل لأنهم خلفاء الله على الأرض لأعمارها بعد عبادته تعالى، ونحن ورثنا عنهم أعمالهم وحرفهم مهنهم، يقول في كتابه العزيز :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الأعراف 74

الله سبحانه وتعالى أمر قوم صالح عليه السلام بأن يتقوا الله ويعبدوه ويتعظوا مما حل بقوم عاد من قبلهم من العذاب، وفي الوقت نفسه ذكرهم رب العباد بما منحهم من أرض وقوة لبناء بيوتهم وينحتونها في الجبال علاوة على خلقه السهول الواسعة الشاسعة لمراعيهم، وغير ذلك من الحث على العمل والابداع والابتكار، ما يتنافى ودعاوى أولئك الذين يقتصر فكرهم على الدعوة الى الله فقط ويكونوا هداة دون عمل، وبعض هؤلاء المغرضين اتهموا الدين بأنه سبب تخلف الأمة، وسبب تخلف الأمة الحقيقي هو خضوع جل القيادات المسلمة للغرب والخوف منه، علاوة على جري كثير من العرب والمسلمين وراء ما يسمى بالحضارة الغربية غير العلمية، فرأيت وشاهدت بأمر عيني بل عشت المرحلة التي تخلى فيه كثير من العرب والمسلمين عن دينهم وجروا يلهثون خلف حضارة الغرب الخليعة وليست الحضارة المفيدة المنتجة، وصاروا يقلدون الأهواء والموديلات الرديئة ويتصنعون في لغتهم كلامهم بكلمات غير مفهومة لأنهم يعتقدون أنهم بدمج كلمات عربية بأفرنجية يكونون في قمة الحضارة، وتحدث النساء المقلدات المعقدات بكلمة في العربية وكلمتين تلفظهما

خطأ بالانجليزية وكلمة بالفرنسية تلفظها خطأ أيضا حتى تتكلم بلغة غير مفهومة أبدا، ويلاحظ القارئ العزيز ذلك عند مقدمات البرامج في محطات التلفزة العربية، فهن مقلدات لا تتحثن العربية الصحيحة ولا حتى الأجنبية الصحيحة فهذهن ابراز أنفسهن بأنهن مثقفات متعلمات وهن غير ذلك مطلقا، في أحاديثهن التكلف والتخلف العقلي والجهل بكل اللغات، فهن لا تعرفن لغتهن الأم ولا اللغة الثانية والثالثة، أقول ذلك لأوضح مظهرها واضحا من مظاهر التخلف الذي وصلت اليه المرأة العربية والمسلمة، ناهيك عن الرجل الذي فقد شخصيته وهويته، فأصبح يبحث عن هوية أو هويات أخرى، ولكن هذه الهويات تلفظه فأصبح خاويا من كل شيء، هذه الممارسات المتخلفة وغيرها هي التي سببت التخلف والدمار للأمة وليس الدين هو السبب، بل البعد عنه وتقليد الأجنبي دون تفكير هو الذي أوصل الأمة الى ما وصلت اليه، فالدين والاسلام الحنيف حضارة متميزة، وكما قال أحد الذين فتح الله عليهم وأعلن اسلامه قال: أغبطكم على أنكم ولدتم مسلمين وتعرفون العربية منذ نعومة أظافركم، ولكننا نحن نبذل الجهد الكبير لتعلم العربية وتعلم الاسلام. انه دين عظيم حقا أنتج حضارة متميزة أخذت مكانها المرموق بين حضارات العالم، ولكن للأسف أبناؤها يتبرؤون منها ولكنها باذن الله وبالرغم من ذلك ستبقى شامخة عظيمة، ويكفيها شرفا أن الله تعالى هو الحافظ لدينه وقرانه الى يوم الدين.

الاسلام العظيم في القران والسنة اضافة الى جهود الخلفاء الراشدين وجهود العلماء المسلمين على مر العصور حثوا على طلب العلم والبحث عنه أينما كان، فكانت العلوم التي أشرنا اليها باكورة انتاج العلماء المسلمين، كما أن الرجال الذين تكفلوا بنشر الرسالة وتحفيظ القران الكريم للناشئة، ورجال التفسير والفقه والحديث كلهم ساهموا بالحفاظ على هذا الدين القيم، لذلك على كل مسلم ومسلمة أن يتقنه في الدين لقوله صلى الله عليه وسلم:

(أو شهيدا) من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين . رواه البخاري ومسلم

وقوله صلى الله عليه وسلم:

من سلك طريقا يتلمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة . رواه مسلم

فرق نبي الأمة والعالمين بين العلم النافع والعلم غير النافع، الأول أشرنا اليه والثاني كالسحر والشعوذة وتعليم طرق الربا والربح الحرام واسغلال الناس وابتزاهم وكل ما يسئ اليهم عن جابر بن عبد الله قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:

سلوا الله علما نافعا وتعودوا بالله من علم لا ينفع . رواه الألباني في صحيح ابن ماجه

-الصبر على الألام أو الصبر على ايذاء العدو أو الصبر على فاسد وكظم الغيظ، كل هذه

الأمر تعتبر من أشد أنواع الصبر، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من كظم غيظا وهو قادر على أن ينقذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه حين الغضب. متفق عليه

نرجو من الله تعالى أن يكون قد وقفنا في لقاء الضوء على الصبر وأنواعه من خلال سنة نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، والعمل بارشاداته وتوجيهاتها واحتساب صبرنا وجهادنا في الحياة الدنيا إيمانا واحتسابا لله ومن أجل مرضاته سبحانه وتعالى

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثالث والعشرين

1- الصبر مفتاح الفرج وهو حقا يفتح الأبواب ويفرج الكروب باذن الله تعالى.

2- الصبر من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد الى ربه.

3- الصبر أنواع أولها: الصبر على الطاعات والعبادات وما أمر به الله تعالى ورسوله العمل به، وما نهى عنه الله ورسوله الابتعاد عنه واجتنابه.

4- الصبر على الشدائد والمصائب من أسمى أنواع الصبر واحتسابه لله تعالى، ومن يفعل ذلك أجره عند الله تعالى في الدنيا والآخرة.

5- الصبر على أذى الناس أفضل عند الله من الابتعاد عنهم وعدم مخالطتهم لتجنب أذاهم، لأن الإنسان اجتماعي بالطبع فلا بد من التعامل مع الآخرين كي يميز الله الخبيث من الطيب من الناس ومن السلوك فالخبيث يجب الحذر منه والدعاء له بالاصلاح والصلاح، فإذا أتى منكرا فلنغيره باليد، فان لم نستطع فباللسان وان لم نستطع فبالقلب وذلك أضعف الايمان، كما قال نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

6- الصبر على اثار الكوارث الطبيعية والانسانية مثل الصبر على ما تخلفه الزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها، أو الكوارث البشرية مثل النزاعات المستمرة بين الناس والحروب وغيرها.

7- الصبر على الأمراض التي تصيب البشر وخصوصا الخطيرة منها، ويعتبر من صبر على المرض حتى الموت شهيدا عند الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم
والشهيد في سبيل الله. رواه مسلم والخاري

8- الصبر على تلقي العلم، إذ أن التوجه لطلب العلم الى أي مكان نوع من أنواع الجهاد
والمثابرة.

9- الصبر على الظلم، على ظلم القريب أو البعيد أو العدو وكظم الغيظ من أسمى أنواع الصبر
وخصوصا اذا احتسب المسلم كل هذا وأمره الى الله تعالى.

10- الصبر على الفتن التي تواجه المسلم على شتى أنواعها أجر الصابر عند الله عظيم ومنها
فتن الجنس والمال والرشوة والأخلاق بشكل عام.

الفصل الرابع والعشرون

الأمانة في السنة النبوية

لا إيمان من لا أمانة له، الأمانة من أهم مظاهر أخلاق المسلم، فالأمانة هي المحافظة على الوديعة مهما كانت والوفاء بها، الله سبحانه وتعالى أودعنا أمانتين أمانة الروح وأمانة الجسد، فيجب الحفاظ عليهما حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، فالروح والجسد من أغلى الأمانات اذ يجب على المسلم أن يغمرهما بالايمان والطاعات دائما حتى يكونا طاهرين نقيين سليمين من كل الشوائب والأدران والخبائث لقوله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشعراء 90

النفس والجسد أمانتان جوهريتان، النفس الطاهرة النقية يزيها الله تعالى يوم القيامة، فيجب أن يكون المرء صادقا محبا للآخرين عطوفا وفيا.. الخ هذه الصفات التي تعبر عن النفس الرضية المرضية، أما الجسد فان الحفاظ عليه يكون ببعده عن الموبقات المهلكات، وادائه الفروض اللازمة ومعالجته من الأمراض الفتاكة والمعدية، اذ أن الجسد أمانة عند صاحبه، لأن الله تعالى خلقه في أحسن تقويم، فكيف يحق للمرء أن يشوه هذا الصرح الرباني العظيم بتوافه الأمور كشرب السجائر والخمر وأكل ما حرم الله تعالى...الخ؟

أمانة المال من الأمانات التي يجب الحفاظ عليها، لأنها من أغلى الأمانات، فاذا ائتمنتك أحد على ماله فمن الضروري رده اليه وقت الطلب، والأمانة على العهد كذلك، فحفظ العهود والوعود أمانات يجب اداؤها كذلك الأمان على أموال اليتيم وقد أوضحنا ذلك، ومن الأمانات الأمانة على العرض والشرف، ان كان لك أم كان لغيرك مسلما كان أو غير مسلم، والحفاظ على عرض ومال وشرف جارك من أعظم الأمانات وخصوصا اذا ائتمنتك على أهله وعياله أثناء غيابه، فعليك الحفاظ على ما أوتمنت عليه، لذلك فالأمانة والأمانات حقوق عليك أداؤها بعد الحفاظ عليها، فالأمانة من الأمن والأمان، أي أن أمانتك مهما كانت، ومهما صغرت أو كبرت في الحفظ والصون، وعرفها بعض العلماء بأنها: التعفف عما يتصرف الانسان فيه من مال وغيره وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه، ورد ما يستودع الى مودعه، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

الأَنْفَال 27

وأول من أدى الأمانة الى أصحابها نبي الله الصادق الأمين، اذ أعاد أمانة السقاية الى عثمان ابن طلحة وذلك بعد فتح مكة، حيث طلب علي بن أبي طالب من ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم، أن يجعل لبني هاشم وهم قوم النبي الكريم السقاية والحجابه فرفض النبي، ورد مفتاح السقاية لمواليها فقال لعثمان: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء. سيرة ابن هشام هذا وقد كان النبي الكريم قبل البعثة خير أمين على أموال السيدة خديجة رضي الله عنها، وكان يربحها من أموالها ضعف ما كان يربحها غيره، وكان اسمه الأمين الذي أصبح فيما بعد الأمين على تبليغ الرسالة رسالة التوحيد، ودعوة الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له، والعودة الى الدين الاسلامي الحق منذ الخليقة كما قلنا.

بعدما أصبح أميناً على تبليغ الرسالة، ازدادت قيمة الأمانة لديه لأنه أمين أصلاً، فأصبح أميناً على أموال الناس وأعراضهم وممتلكاتهم وغير ذلك من الأمانات، صحيح أنه كان يتصف بهذه الصفات قبل نزول الوحي عليه، ولكنه بعد نزوله أصبح هو المسؤول أمام الله تعالى على كل ما يتعلق بأمور الناس والعباد وعليه أن يتحمل الأمانة وتبعاتها، لأن في ادائها الثواب العظيم وفي اهمالها وتضييعها العقاب الشديد من الله تعالى، فكان النبي الكريم قدر حملها وأداها وأصبح هو المكلف، ومن بعده المسلمون مكلفون لحملها وأدائها والتبليغ بها، فالانسان هو القادر على التكليف وليس غيره، وان قصر في ذلك يكون ظلم نفسه وجهل المعنى والمغزى من تكليف الله له بالدعوة الى عبادته يقول تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

الأحزاب 72

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

عنوان الاسلام الصدق والأمانة وكل ما تحملانه هاتان الصفتان من معان عظيمة وسامية، وهما عكس الحياة والكذب وهما من أقبح الصفات وأذمهما، ولقد عبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه عن روح الاسلام في خطابه أمام النجاشي ملك الحبشة بعد أن سأله الملك عن دينه وعم يدعو اليه؟ قال جعفر

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا،

نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كنا نحن نعبده وابطأنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار.

كذلك شهد هرقل ملك الروم الذي كانت تخشاه الأمم والدول والشعوب في زمانه، شهد بصدق نبينا وحبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، كما شهد بأخلاقه وصفاته الحميدة ومنها الأمانة، اذ قال لأبي سفيان ردا على حديثه عن صفات النبي الكريم: وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عما كان يعبد اباؤكم، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد والأمانة وقال: هذه صفات النبي.

وبقي الرسول الكريم على صدقه وأمانته وخصاله الحميدة الى وفاته صلوات الله وسلامه عليه، وقبل وفاته دعا المسلمين في خطبة الوداع الى رد الأمانات الى أصحابها فقال: أيها الناس ان دماءكم وأعراضكم حرام عليكم، الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها.

وقد جعل النبي الكريم الأمانة دليل على ايمان المسلم وتمسكه بدينه وحسن خلقه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا النبي الا قال:

لا ايمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له. رواه أحمد في مسنده

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة. أخرجه أحمد وابن وهب

الأمانة أنواع كما في أي خصلة حميدة، فأمانة الدين والطاعات من أسماها، فعلى المسلم أن يحافظ على الطاعات والعبادات وعلى ما ائتمنه الله عليه ونبذ شرور الشيطان الرجيم، ومن الأمانات رد الأموال الى أصحابها ورد مال اليتيم اليه اذا بلغ الرشد، واخذ ما صرف على المال وحفظه بحقه كما قلنا من قبل كذلك لا تخون من خانك، لأن صفة الخيانة بذينة لا تليق بمسلم مؤمن مؤتمن، فالخائن لا يقد ولا يكون قدوة للآخرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك. أخرجه أبو داود والترمذي

ولأهمية أداء الأمانات الى أصحابها مهما كانت قيمتها، عبر عنها النبي صلى الله عليه

وسلم بأن اضاعتها نذير بقرب الساعة أي يوم القيامة، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا سأل النبي الكريم عن الساعة قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال كيف اضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. رواه البخاري

وعن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداه الله عنه، ومن أخذها يريد اتلافها اتلفه الله تعالى.

رواه البخاري

أمانة الرحم من أسمى وأرفع الأمانات، أي صلة الرحم، والرحم كل ذي صلة بالواصل كالأم والأب والأخ والاخت والعم والخال وابنة والأخ وابنة والاخت والقريب.. الخ، لأهمية صلة الرحم لهؤلاء يجب الحفاظ على العلاقات معهم وودهم واحترامهم وتقديرهم، ومن أساء منهم فليعف الواصل لان العفو عند المقدرة، كان النبي الكريم شديد العطف على أهله وأقاربه وأصحابه، حتى أن الله تعالى طلب من نبيه أن يغفر لأصحابه أخطاءهم (إذا أخطأوا) ويستغفر لهم في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ال

عمران 159

وفي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِئُونَ كِبَارَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ الشورى 37

وقوله تعالى:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ال عمران 134

من الايات السابقة وغيرها كثير في كتاب الله تعالى، يحث رب العالمين المسلم على العفو حتى على الغريب الذي يسئ اليه، الا في حدود قد لا يستطيع المسلم أن يتحمل الاساءة البالغة، فليجأ الى القضاء لا الى العنف واستخدام اليد الا في حالات الدفاع عن النفس أو رؤية فعل منكرو لقوله صلى الله عليه وسلم:

من رأى منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان.

صلة الرحم من الايمان، وهي التي تحافظ على تماسك الأسرة والعائلة وتلاحمها والتعاطف بين أفرادها والجفاء وعدم صلة الرحم وقطعها قد يتسبب في المنازعات والمشاحنات بين أفراد العائلة الواحدة، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنون.

وأمانة السر من الأمانات الخطيرة أيضا، أي حفظ أسرار الدولة اذا كان المسلم مؤتمنا

عليها، كما حفظ أسرار العائلة والأصدقاء اذا أئتمنه أصحابها عليها، لأن في حفظ الأسرار حفظ لوحدة الأمة وأمنها واستقرارها كذلك وحدة الأسرة وتكاتفها وسلامتها واستمرار العلاقات الأخوية بين الأصدقاء والمعارف، ولقد جعل نبي الأمة والعالمين الأمانة دليلا على ايمان المسلم وحسن خلقه، عن أنس بن مالك قال: ما خطبنا النبي الا قال: لا ايمان من لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له. رواه أحمد في مسنده

بعض من الرجال وبعض من النساء من يفضي بأسراره العاطفية مع زوجته أو زوجها بين الأصدقاء والمعارف من أجل الفكاهة والسمر، وهذا محرم في شرع الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا

النحل 91

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿

ويقول جل من قائل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال 27

عقد الزواج عهد بين الاثنين أمام الله تعالى لحفظ الحياة الزوجية التي منحها الله تعالى لعباده، فمن يخن هذا العهد يخون الله تعالى، والذي يفضح علاقاته الزوجية فهو يخون الأمانة وهو يعلم ذلك، والأمر نفسه بالنسبة للمرأة التي يجب أن تحفظ أسرارها مع زوجها كما تحفظ ماله وعرضه، هذا وقد جعل النبي الكريم افشاء الأسرار الزوجية من أعظم الخيانات يوم القيامة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها. مسلم أمانة التكليف كما قلنا من أهم الأمانات، كالحفاظ على اقام الصلاة والصيام وإيتاء الزكاة في أوقاتها، وحج بيت الله لمن استطاع اليه سبيلا، وما يتبع التكليف من الواجبات مثل بر الوالدين والاحسان الى الفقراء والمساكين وصلة الرحم واتقان العمل الاداري والمهني.. الخ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه. أخرجه أبو يعلى والطبراني

الأمانة مسؤولية عظيمة أولاها رب العباد ونبيه الكريم ومن بعده الخلفاء والتابعون أهمية كبيرة في التعامل بين الناس، حفظها حفاظ على الأمة وسلامتها ونقائها وصفائها، كذلك حفاظا على وحدتها وتكاتفها أكانت على مستوى الأسرة أم الجماعة أم الدولة، لذلك يجب على المسلم اتباع أوامر الله ورسوله في كل ما يتعلق به وبحياته وحياة عائلته ومجتمعه، عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا الأمانة إذا أودعتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم. رواه الألباني

وفي السياق نفسه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان كنتم تحبون الله أن يحببكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة وحسن الجوار. رواه الألباني في السلسلة الصحيحة

الأمانة دائما مرتبطة بالعبادات والأخلاق الحسنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة و آخر ما يبقى من دينكم الصلاة وليصلين قوم لا دين لهم، ولينزعن القرآن من بين أظهركم، قال يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال يسري على القرآن ليلا فيذهب في أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء. رواه الهيثمي في مجمع الزوائد

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهميتها أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وأخره الصلاة. أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق

وفي رواية أخرى: أول ما يرفع من الناس الأمانة و آخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه. أخرجه الطبراني

هذه هي الأمانة وأهميتها في الاسلام كدين، وللمسلم كعقيدة وإيمان بالله وبرسوله وبما أنزله عليه من آيات بينات يجب العمل بها وجوبا وليس خيارا، والأمانة تشمل ما ذكرنا وغيره كثير أيضا، يجب الحفاظ على الأمانة لأن الله تعالى ائتمنا على ما نؤتمن عليه من مال وصحة وعافية ونفس وصحبة وغيرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا تزول يوم القيامة قدم عبد حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيم أفناه، وعن جسمه فيم أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين أخذه وفيما أنفقه. أخرجه الترمذي

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الرابع والعشرين

1- أداء الأمانة واجبة، وإذا أؤتمن المسلم عليها رد الأمانة الى أصحابها، لأنها ثقيلة على أكتاف حاملها وخصوصا أمانة التكليف، وأمانة التكليف صاحبها الذي كلف أنبياءه ورسله وعبدة بها، فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يتحمل الأمانة على الأرض ويؤديها دون

سائر خلق الله تعالى، وإن لم يؤدها وهو يعلم حقها ويعلم بها فهو ظالم لنفسه وجاهل بما ستؤول إليه الأمور، وإن قام بها فانه العادل العالم بالتكاليف ومتطلباتها وهما صفتان حسنتان من صفات الانسان اذا أحسن التصرف بهما.

2- الأمانة من الايمان، فلا ايمان لمن لا أمانة له، والذي يخون الأمانة ليس مؤمنا تماما لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن.

هذا الحديث الشريف يوضح لنا أن كل أمر من الأمور التي ذكرت فيها خيانة للنفس والجسد والروح والعرض والمال والصحة العامة والمجتمع، فاذا ما تمكنت الخيانة بأي شكل من أشكالها من صاحبها فيكون غير مؤمن وقت اقترافها، ولكن اذا ما تاب واستغفر الله العلي العظيم ولم يعد اليها فان الله تواب رحيم بعباده.

3- الأمانة أنواع وأهمها أمانة المال وأمانة مال اليتيم بالخصوص، فعلى من أؤتمن عليه أن يرده الى أهله والحفاظ عليه واجب شرعي لا خيار في ذلك.

4- الأمانة في العمل، اذ يجب أن يؤدي المسلم عمله على أحسن وجه في مكان عمله ويتقنه مرضاة لوجه الله تعالى أولا.

5- الأمانة في الدين أي العمل بالتكاليف من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك مما ذكرناه.

6- أمانة الأسرار، اسرار الدولة والأسرة والأصحاب والمجتمع ككل.

7-أمانة التربية في البيت، فالأبناءمسؤولية الأب والأم لقوله صلى الله عليه وسلم:

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته.
صحيح متفق عليه

8- أمانة الجسد والصحة العامة كما ذكرنا، يسأل المسلم يوم القيامة فيم أبلاه، كذلك المال والعلم والشباب وكل ما يتعلق بالنفس الانسانية أمانة في عنق صاحبها.

9- الأمانة عمود الخيمة في الايمان كما الصلاة عمود الدين، اذا ما كسر عمود الخيمة انهارت، واذا ما حوفظ عليها تبقى قائمة لا تؤثر فيها العواصف ولا أي من المؤثرات الخارجية.

الفصل الخامس والعشرون

العدل والنهي عن الظلم في السنة النبوية

العدل من أهم الصفات الانسانية التي يتصف بها المسلم كإنسان والمسلمين كأمة، رب العالمين وصف نفسه بالحكم العدل الذي لا يظلم أحدا ولا يظلم أحدا من خلقه أبدا، رب العزة والجلال عرفنا ذلك وعرفناه من كلامه تعالى في آياته البينات التي أنزلها على عبده محمد صلوات الله وسلامه عليه، يقول في ذلك:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **ال عمران 18**

والله تعالى عادل في قوانينه وأحكامه وخلقه، وكل ما خلق فيه منافع للناس وهذا قمة العدل لقوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ **الحديد 25**

والله تعالى يحكم على عباده بالعدل نتيجة أعمالهم وأقوالهم، حتى نياتهم التي ينوونها لفعل الخير ولفعل الشر يثيب على الأولى بعشر أمثالها، ولا يعاقب على الثانية اذا لم يقدم عليها الانسان، واذا أقدم له عقاب مثلها فقط لقوله تعالى:

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍ هَـ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُم لَا يُظْلَمُونَ﴾ **الانعام 160**

ويقول تعالى:

﴿مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ **غافر 40**

وفي علمه الازلي ومغفرته الواسعة دون غيره يقول جل من قائل:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **غافر 20**

وفي سورة يونس يقول تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس 47
 الله تعالى رؤوف حلیم غفور ودود، وكل أسمائه الحسنی تدل على عدله، ولو أراد الله أن يحاسب الناس على أفعالم التي تغضبه ولا ترضيه لما أبقي أحدا على الأرض، ولكنه بحكمته تعالى وعدله يعطي عبیده الفرص لعبادته وعدم الشرك به، ولكنه في الوقت نفسه لا يريد أن يحرم الكافر نعمة الحياة يقول في ذلك:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ النحل 61

الله الواحد الأحد هو خير العادلين، وعدله مطلق لا حدود له، في الدنيا التوحيد هو أساس العدل، والعدل أساس الملك، لذلك تطبيق العدل كل متكامل في الدنيا والاخرة، فمن يعدل في الدنيا يجد عدل الله أمامه في الاخرة، لذلك طلب الله تعالى من أنبيائه ورسله تطبيق العدل في الدنيا حتى يسود السلام والطمأنينة لجميع خلقه، وإذا علم الأنبياء والناس معنى العدل وطبقوه كما يجب تكون رسالة السماء قد وصلت، يقول تعالى في ذلك:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد 25

ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ النحل 91

بين النبي والنبي والرسول والرسول يتضاهل العدل، حتى يصل الناس الى الظلم فيما بينهم، ظلم أنفسهم ببعدهم عن الدين الصحيح، يقول تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود 119

الله عادل ويريد للناس العدل فيما بينهم ولكن أكثرهم لا يريد ذلك، وبقدرته تعالى أن يجعلهم كلهم مؤمنين أو يبيقيهم على الايمان، ولكن كثيرا منهم يريد أن يضل نفسه ومن يضل فلا هادي له لا بل هم الخاسرون أيضا، رب العزة والجلال لا يريد لهم الضلالة بل الهداية، وفي قوله تعالى: **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**، يقصد به أن من أراد الضلالة يضلله الله ومن أراد الهداية يهده الله.

آخر الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه، أرسله الله تعالى كي يكون هاديا ومبشرا ونذيرا، فالذي يستجيب للبشرى جزاؤه الجنة، والذي لا يستجيب ولا يأبه بالندى يكون مصيره النار، معادلة بسيطة وسهلة لا تحتاج الى كثير تأويل وتفسير، فالله خير يريد الخير لعباده، وهو عادل يريد العدل لعباده، فالنبي الكريم عكف طيلة ثلاثة وعشرين عاما يدعو الناس الى عبادة الله، وإلى طريق الخير والسعادة في الدنيا والاخرة فمن الناس من توجه الى الخير ومنهم توجه الى الشر، فكل مسؤول عن توجهه وعمله، وهناك آيات كثيرة توضح ذلك، كما أن هناك أحكام شرعية طلب الله تعالى من نبيه الأمين على الرسالة أن يحكم بناء عليها ولا يحكم وفق أهواء الناس وخصوصا اليهود، يقول تعالى:

﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ المائدة 48

فالعادل مفهومه واسع وشامل بدءا من العدل بين الزوجات اذا كان الرجل متزوجا من أكثر من واحدة، لقوله صلى الله عليه وسلم:

إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل. أخرجه

الترمذي والحاكم

كذلك العدل بين الأبناء، قال النبي الكريم:

اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. رواه البخاري

والعدل في اعطاء كل ذي حق حقه لقول سلمان الفارسي لأبي الدرداء بعدما اخى النبي

بينهما:

ان لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، وان لأهلك عليك حقا، وأعط كل ذي حق حقه،

فقال النبي صدق سلمان. رواه البخاري

العدل بابه واسع، فالعدل يشمل كل نواحي الحياة، العدل في الارث والميراث وتوزيعه كما أمر الله تعالى، والعدل في المعاملات التجارية والعدل في العمل واتقانه، كل هذه المجالات يجب فيها العدل، كذلك القاضي يجب أن يحكم بين الناس بالعدل، والمعلم يجب أن يعدل بين تلاميذه ويعطيهم كل حقوقهم في التعليم، والطبيب يجب أن يكون عادلا في التعامل مع مرضاه، والمزارع يجب أن يكون عادلا في التعامل مع صاحب الأرض، ولا يغبنه ولا يغشه والعكس صحيح، والتاجر يجب أن يكون عادلا مع زبائنه فلا يغش ولا يطفف الميزان، ولا يحتكر البضاعة ولا يبيع بالنجش ولا بالمضاربة على بضائع الغير والتعرض لها ويجب أن يلتزم بقواعد التجارة النزيهة، وهكذا فان كل أنسان مسؤول عن عمله ومسؤول عن العدل في مجاله، فالمسؤولية كما في الحديث السابق هي في

تطبيق العدالة والمساواة بين الناس في كل مجال من مجالات الحياة، ومراعاة حقوق الله وحقوق الناس، وفي العدل قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع وعلى الطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكأرهننا، وعلى أن لا ننزع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان المقسطين (العادلين) عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمان عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا. رواه مسلم

العدل ليس خاصا بالقاضي فقط، بل كل من يجب أن يكون عادلا، لأن في العدل أساس للاستقرار والسلم الاجتماعي، ولكن هناك من تقع عليهم المسؤولية أكثر من غيرهم كالحاكم والعالم والقاضي، هؤلاء هم قادة الأمة اذا صلحوا صلح المجتمع واذا فسدوا فسد المجتمع. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

سبعة يظلمهم الله تعالى بظلمه يوم لا ظل الا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال: اني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. متفق عليه

في هذا الحديث الشريف تحدث نبينا الكريم عن الخصال السبع التي يتميز بها المسلم، وهي من الخصال الحميدة التي يكون جزاؤها الجنة، لا بل أرفع من ذلك يكون أصحابها تحت ظل الله تعالى وفي رعايته وعنايته، يوم لا يجد الانسان مفرا من لهيب الشمس الحارق يوم القيامة وقبل البعث، فيجد هؤلاء المأوى وهو ظل الله تعالى حيث لا يتأثرون بما يتأثر به غيرهم، وهؤلاء هم الحاكم العادل الذي يحكم بين الناس بالعدل ولا يتحيز ولا يميز بين الناس، والعابد لله منذ الصغر الى أن يشب على التقوى ومخافة الله تعالى والذي يتعلق قلبه في المساجد، أي يصلي دائما في المسجد ويعشق ذكر الله تعالى فيها، ثم حب المسلم أخيه المسلم في الله تعالى، لا لمصلحة أو منفعة، بل لأن كلا منهما صالح متق ورع يحب بعضهم بعضا في حب الله تعالى، واذا أخفق أحدهما أو زل أو أخطأ واستمر في خطئه وغيه وبعده عن الله تعالى ويفترقان كل في طريقه من أجل حب أحدهما لله وتعلقه به، والآخر ابتعد عن الله وبالتالي توسعت الهوة بين الصديقين وافترقا، ثم الذي راودته امرأة ذات حسب ونسب وجمال عن نفسه فقال: اني أخاف الله ولم يقترب من هذه المعصية الكبرى، ثم الحث على بذل المال في سبيل الله، والأفضل أن يكون سرا لا أحد يعلم ما

يقدمه المحسن ولمن، ولكن يجوز الجهر بالصدقة دون تظاهر أو رياء أو منة من المتصدق. لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 274

والذي تفيض عيناه من الدمع اذا ما ذكر الله تعالى في خلوته، هؤلاء السبعة محظوظون يوم القيامة، كل مسلم مؤمن بالله تعالى يتمنى أن يحظى بهذه المنزلة العظيمة، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

القاضي العدل من أهم الناس في المجتمع لأنه يكون قدوة لغيره، وينظر اليه الناس نظرة احترام وتقدير ويضربون به المثل في عدله، لذلك يترك أثرا طيبا في مجتمعه ويقتبس الناس منه اسس العدل بطريقة غير مباشرة، ويسمي أهل التربية والتعليم وأنا والحمد لله منهم هذا الأمر بالمنهج الكامن، أي المنهج الخفي الذي يتعلم منه الناس دون معلم، بل من الممارسات التي يشاهدونها ويحسون بها، فاذا كانت خيرا يكون مردودها الخير على الناس، خصوصا الأطفال الذين يكتسبون خبراتهم ومفاهيمهم من خلال الاحتكاك بأفراد المجتمع على شتى مللهم ونحلهم وسلوكياتهم. أما اذا كان القاضي أو الحاكم فاسدا فان الله تعالى يغضب عليه وجعل الشيطان وليه ولن يفلح أبدا، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله مع القاضي ما لم يجر، فان جار برئ الله منه وألزمه الشيطان. رواه عبد الله بن أبي أوفى

فاذا كان العدل اعطاء كل ذي حق حقه بلا بخس ولا ظلم ولا افراط ولا تفريط، فان الظلم هو ضد العدل وهو الجور والحيث، كما وصف النبي الكريم القاضي غير العادل وهو الذي يجر في حكمه، أي الذي يظلم ولا يعطي كل ذي حق حقه، فقد يكون جاهلا بالأحكام وقد يكون منحازا لفريق دون فريق أو لشخص دون اخر، أو يكون والعياذ به مرتش يقبل الرشاوى لاصدار الأحكام الظالمة التي لا تحفظ للناس حقوقهم ولا يحكم بما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز، وقد ذكر الله تعالى الظلم في كتابه العزيز في كثير من المعاني والمواقف، ففي بعض الايات البيّنات يصف الفحشاء والمنكر والبغي بالظلم، وفي بعضها الخر يصف خسران الميزان بالظلم، وفي مواضع أخرى يصف التعاون على الاثم والعدوان بالظلم، فباب الظلم واسع وعريض مثل باب العدل، وهما في كفتي ميزان اذا رجحت كفة مالت الأخرى، فكلما قل العدل زاد الظلم، لذلك حث نبينا الكريم على التصدي للظلم حتى يسود العدل في قوله صلى الله عليه وسلم:

ان الناس اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله تعالى بعذاب منه.

رواه أبو داود والترمذي والنسائي

وحذرنا الله تعالى من الظلم، لأن الظالم أول من يسلب عليه العذاب في الدنيا قبل الآخرة ولو تأخر، فالله تعالى يمهّل ولا يهمل، لقوله صلى الله عليه وسلم:

يكون في آخر أمتي خسف ومسح وقذف فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: اذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر (المغنيات والموسيقى الخليفة وشرب الخمر وكلها من المفاسد والظلم). رواه الترمذي وصححه الألباني

الله هو العادل وحرّم على نفسه الظلم، لذلك على عباده أن لا يمارسوا الظلم في حياتهم لا على أنفسهم ولا على غيرهم، يقول النبي الكريم في الحديث القدسي الشريف:

يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلّم ضالّ الا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلّم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلّم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني وان تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر، يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكُم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه. أخرجه مسلم

هذا الحديث القدسي الشريف شامل كامل يظهر قدرة الله وجلاله فهو الهادي والمطعم والكاسي وغافر الذنوب لمذنبني النهار والليل، لا أحد يضر الله ولا أحد ينفعه من الجن والانس، ولكن قدرته أكبر من أن تدرك فاذا لبي لكل الناس مطالبهم، ولكل الجن كذلك مطالبهم لن ينقص ذلك من ملك الله شيئاً، ولن يزيد هؤلاء من ملكه شيئاً، لأنه هو الخالق المبدع مالك الملك لا ينازعه في ملكه أحد وهو على كل شيء قدير وهو مالك الملك يؤتي ملكه لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء، بيده الخير دائماً وأبداً، وهو الغني الحميد يحب العدل ويكره الظلم الذي حرّمه على نفسه كما حرّمه على عباده.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الخامس والعشرين

- 1- العدل أساس الملك وأساس الحكم، الله سبحانه وتعالى عادل حث أنبياءه ورسله على أن يعدلوا وأن يعلموا الناس ويحثوهم على العدل والمساواة من خلال العمل بذلك، لأن الناس تتبع القدوة دائماً وأبداً والحكم بما أنزل الله عليهم من أحكام.
- 2- العدل عكس الظلم، فإذا كان العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، فالظلم هو تجريد أصحاب الحق من حقوقهم والجور في الأحكام بين الناس.
- 3- العدل والظلم يكونان بين متخاصمين، كما يكونا بين الزوج والزوجة والأخ وأخيه والأب وأبنيه أو أبنائه.
- 4- العدل والظلم يطالان كل مناحي الحياة وكل الناس لا فرق بين أحد منهم، كذلك يقع من كل الناس القاضي من المعلم، الطبيب، الحاكم، شرطي المرور، المهندس، العالم، العامل والمزارع... الخ.
- 5- كل هؤلاء أولى الناس بالعدل، فإذا ما عدلوا صلح المجتمع وإذا ما فسدوا فسد المجتمع.

الفصل السادس والعشرون

الارث والميراث في السنة النبوية

خصص الله تعالى للارث والميراث جزءاً من سورة النساء، وضح فيها حقوق الورثة بعد قضاء المتوفى ان كان أباً أم زوجاً أم أخاً أم زوجة أم أمّاً، وهكذا لم يترك أحداً من عصبه المتوفى إلا ذكر نصيبه رقماً أو نسبة. سورة النساء فيها من الأحكام الشرعية ما توضح كثيراً من العلاقات الاجتماعية كالزواج والطلاق ورد أموال اليتامى اليهم اذا ما بلغوا سن الرشد، وكثيراً من الأحكام التي تهم المسلم في حياته وبعد مماته كنظام الارث الذي لا يوجد مثيل له في الشرائع السابقة، ما يضيفي على الاسلام فضلاً كبيراً على البشرية قاطبة، لأنها توجهت الى النظام الاسلامي للاستشراف منه وأخذ قوانينه لتطبيقها في بلاد غير بلاد المسلمين لأن هذا النظام محكم بعناية ودقة وعادل في القسمة بين أقارب المتوفى. أحكام الميراث ذكرت في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية بين قصيرة وطويلة، أفردنا اليها فصلاً كاملاً في كتابنا (الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية).

نظام الارث في الاسلام ليس كالارث في النظم الدنيوية الأخرى، فهو نظام دقيق فرضه الله تعالى على المسلمين وقد يأخذه للعمل به غير المسلمين أيضاً كما ذكرنا، على اعتبار أن الله تعالى رب العالمين والاسلام دين العالمين أيضاً، فهناك من أهل الكتاب في العالم العربي والاسلامي من يطلب من القاضي المسلم أن يوزع التركة حسب الشريعة الاسلامية، اذ لا يوجد مثل هذا النظام في الكتب الأخرى، دقيق وملزم ومعجز من معجزات القرآن الكريم أيضاً.

نظام الميراث نظام ثابت له أحكامه المعلومة منذ أن نزلت الايات البيّنات على نور الهدى الى اليوم، دقيق وثابت ومعلوم وملزم غير قابل للزيادة والنقصان مثلما يحاول بعض المغرضين والجهلة والعلمانيين واللا دينيين والمتأسلمون ومن يسمون أنفسهم بالليبراليين أن يغيروا ويبدلوا في أحكام الله تعالى العليم الخبير بادعائهم أن القرآن الكريم لا يعطي الأنثى حقها كالذكر، وما شابه ذلك من أمثال هذه التخرصات العمياء أو تخرصات الذي لا يرى الا بنصف عين. هؤلاء لا يفهمون الاسلام والأحكام الشرعية في الاسلام، اذ هي من عند الله الذي خلق الانسان ومنهم هؤلاء وهو أدري بأنفسهم منه أنفسهم، لا يستطيع كائن من كان أن يحل محل الله تعالى في أحكامه وعدله كما ذكرنا في الحديث القدسي السابق.

حق المرأة في الاسلام ونظامه وأحكامه مصان وقدرها مرفوع في الوقت الذي كانت فيه المرأة

مهانة في كل الأنظمة في العالم، وما زالت هي في القمة في الاسلام على مستوى النظم العالمية الحديثة، اذا ما نحينا جانبا العادات والتقاليد البالية التي علقت بالتعامل مع المرأة، ونحينا جانبا بعض الممارسات الخاطئة بحق المرأة المسلمة في بعض المجتمعات وعالجنا هذه الجوانب بكل حكمة وروبو وفق ما شرعه الله تعالى، فان المرأة في الاسلام لها حقوق وعليها واجبات ما لا نجده في القوانين الوضعية في كثير من دول العالم، فكل اهانة للمرأة وانتقاص من حقها ليس من الاسلام، وكل غبن لها وأكل حقوقها ليس من الاسلام، وكل معاملة سيئة لها مخالفة لأحكام الزواج والطلاق والامساك بالمعروف أو التسريح باحسان ليس من الاسلام، نقول ان كل ما يسئ الى المرأة يجب عدم الصاقله بالأحكام الإسلامية والشرعية الإسلامية السمحاء، بل يجب رده الى من يعامل المرأة بهذه المعاملة ، أو رده الى قوانين البلاد المعمول بها التي قد تفسر الأحكام بطريقة مخالفة لقصد الشرع منها أو خلاف ذلك، ولكن اتهام القرآن والسنة النبوية الشريفة وما تضمنته وتضمنته من أحكام عادلة قيمة ليس الهدف منه الا احداث البلبلة والفوضى والطعن غير النزيه وغير العادل، أو على أقل تقدير الجهل وعدم معرفة الدين وأحكامه.

رسولنا الكريم طبق أحكام الارث والميراث كما أنزله الله تعالى ليكون قدوة للمسلمين الى يوم الدين، آيات الارث والميراث من الفرائض ليس للمرء علاقة بسنها بل بالعمل بها كما أقرها الله تعالى في كتابه الكريم تبدأ الآيات البيّنات بأقارب ألتوفى والارث شراكة بين الورثة حسب القرب والبعد، فهو لم يفرق بين أفراد العائلة الواحدة ذكرًا أم أنثى، الا اذا كان هناك مانع مثل قتل الوارث للمورث أو الاسلام والكفر بين الطرفين.

نزلت آيات الميراث على نبينا الكريم بعدما اشتكت امرأة سعد بن الربيع عم ابنتها اللتين استشهد والدهما في يوم أحد، فجاءت النبي تشتكى الرجل بأنه سطى على أموالهما بعد استشهاد والدهما ولم يترك لهما شيئاً، فقال الرسول المريم أنذاك: **يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ**، دليل على أن النبي الكريم لا يفتي في أمر كهذا من عنده اذ ينتظر الوحي لقوله تعالى: ﴿

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ المائدة 99

الله تعالى يضطلع على أمور الناس أولاً بأول والى ما تؤول اليه الأمور ولا يتركهم دون أحكام تنظم حياتهم والنبي الكريم كما قلنا لا يدري كيف يتصرف في مثل هذه الحالات، لأنه لو قضى بشئ لم يقره الله تعالى لكان في ضيق وحر، والله تعالى لا يريد للمصطفى أن يصار الى مثل هذه الحالات فنزلت آية المواريث في قوله تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا

تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَحْدَةً فَلَهَا النَّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ، وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ، وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ، أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

النساء 11

بعد نزول هذه الآية الكريمة استدعى النبي صلى الله عليه وسلم عم البنيتين وقال له: أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك. هذا تطبيق عملي للارث والميراث مارسه النبي الكريم وطلب من الناس العمل به لأنه فريضة من الله وأمر الهي لا يمكن تجاوزه أو الانتقاص منه، ومن يتجاوزه يعتبر تطاولا على ارادة الله تعالى وأحكامه، ومن يتطاول على أحكامه وصفه الله مرة بالكافر وأخرى بالمنافق وثالثة بالفاسق، وهذا النوع من الناس لا تشملهم رحمة الله تعالى، فمن الناس من يحرم ابنته من الميراث أو ابنه من زوجة أخرى أو أخته أو أمه وهكذا، ومن الناس من يشترط على ابنته أن تتنازل عن حقها في الارث فيحرمها أو يجرمهن أن كن أكثر من واحدة، هذا محرم في دين الله تعالى ومن الناس من يحرم أخوانه من الارث ان كانوا قصرا أو صغارا، ومن الناس من يطلق زوجته قبل وفاته خوفا من أن تنال ثمنها، ونحن نسمع قصصا غريبة كل الغريبة لا يراعي أصحابها الا ولا ذمة ولا يخافون الله، بل انهم لا يعترفون بأحكام الله تعالى أولئك مثواهم النار وبئس المصير.

أحكام الله تعالى في الارث والميراث أحكام أزلية لا يحوها الزمن الا اذا محى الله تعالى الأرض من الوجود حينها لن يكون هناك ارث ولا ميراث لأن الملك يومئذ لله تعالى، وما دامت الأرض وما دام العقار والملك يتداوله الناس فيما بينهم ما دام نظام الارث الالهي معمولاً به، لا أحد يستطيع تغييره أو تبدليه تحت أي دعوى كانت، فلا يحاول المغرضون والمتطاولون التباهي بأنهم يستطيعون تغيير أحكام الله وهم أذكى من أن تطبق عليهم هذه الأحكام، نقول لهم بالقلم الملأ أنكم عبيد الله وستبقون كذلك مهما علا شأنكم، فانكم زائلون والى الله تعالى مرجعكم ويبقى الله تعالى الحي القيوم، من يتطاول على أحكام الله لا يجب عليه أن يدعي العلم أو الذكاء فهذا ذكاء مصطنع، وعليه أن يتساءل من الذي خلق له الدماغ ليفكر به؟ ومن الذي يهديه الى فعل أي شيء فيه الخير الا الله تعالى؟ أين هم الذين تطاولوا على أحكام الله تعالى من قبلكم؟ ذهبوا الى ربهم ولن يعودوا الا يوم الحساب والله وحده أعلم بهم، سيبقى هؤلاء المغرضون يتساءلون ولن يجدوا جوابا الا ما أقره والله تعالى وشرعه.

نظام الارث والميراث الالهي جذب انتباه العلماء المسلمين وغير المسلمين واثار اعجابهم،

فقد أدلى رئيس أساقفة بريطانيا بتصريح قال فيه: ان بلاده بحاجة لكثير من القوانين الاسلامية للعمل بها ومنها نظام الميراث، كما صرح أحد أساقفة الولايات المتحدة بأن كليات الحقوق في ولايته تدرس نظام الارث والميراث في ثمانية مجلدات ألفها كبار المختصين ولكنها لم تف بالغرض المطلوب، وبعد قراءته القران الكريم لفتت انتباهه ايات الميراث فقال: صفحة ونصف في بضع ايات فيه عالج القران الكريم قضية الارث والميراث وهذه الايات القليلة أعطت كل ذي حق حقه ولم تنكر حق أحد من أقارب المتوفى، وقال: انه من المستحيل أن يكون هذا النظام الدقيق من تأليف محمد وخصوصا في ذلك الوقت، وبعد تعمقه في قراءة القران أعلن اسلامه وقال: حقا ان هذا الدين هو الدين القيم دين ادم وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومن تبعهم الى يوم الدين.

نظام الميراث في القران الكريم ركز على العصب، أي على من ينتمي بصلة قرابة جنسية مباشرة للمتوفى كالابن والابنة ومن ينتمي للعصبة (التعصيب) كالأب والجد وابن الابن والأخوة لأب والأعمام وبنينهم، أما بنت الزوجة أو ابنها من غير المورث (تارك الميراث) فلا يحق لهما الارث، كذلك الابن بالتبني لا يرث لأنهم ليسوا من عصب المورث (تارك الميراث) فلا يحق لهما الارث، والتعصيب، كذلك الكافر ولو كان ينتمي للتعصيب لا يرث حتى أباه أو أمه أو أي قريب له. ويمتد هذا النظام في درجة القرابة من الأقرب الى الأبعد أو ما سفل كما يقول العلماء، أي أن الابن والابنة لا يعصبهما (يجبهما) أحد من الاقرباء، ولكن الابن يعصب الابنة في النصب أي له ضعف ما لها، كذلك الابن يعصب ابن الابن وابنة الابن، أي الابن أولى بالارث، وابن الابن يعصب ابنة الابن في النسبة أيضا، ولكن اذا تفرد الوارث ولم يكن له معصب يأخذ نصيب من كان له معصب، أي اذا تفردت الابنة بالارث ولم يكن لها أخ شقيق فتأخذ نصف التركة، والبنتان أو أكثر تأخذان الثلثين اذا لم يكن لهن معصب (هذا رد بليغ على من يتهم النظام بالتحيز لصالح الذكر على حساب الأنثى) فالأنثى هنا ترث نصف ما ترك أبوها ونصف ما تركت أمها أو الثلثين اذا كن اثنتين أو أكثر، كذلك ابنة الابن ترث النصف أي نصف ما ترك لها جدها اذا لم يكن لها معصب وترث هي واختها الثلثين بالشروط اللازمة أو السدس بالشروط اللازمة، أي اذا ورثت البنت الأب وله ابنة ابن يكون لها السدس وللم الباقي بعد ثمن الأم، أبناء وبنات البنت لا يرثون لأنهم ليسوا من عصب المتوفى ولكنهم من الأرحام، وان سفل في القرابة كابن الابن يرث اذا لم يكن أحد سبقة ويعصبه.

ترث ابنة الابن تارة بالفرض وتارة بالتعصيب بخلاف الابن الذي لا يرث الا بالتعصيب، ابنة الابن اذا كان معها ابن الابن فيرثان بالتعصيب، وترث بالفرض أي تأخذ النصف اذا لا يوجد من

يجبها، وتأخذ الثلثين بالفرض اذا كانت لها أخت أو أكثر وعدم وجود وارث، وترث الثلث مع البنت الواحدة كما ذكرنا، والقاعدة العامة: التقدر يلغي التعصيب وكل ذلك مفصل في قوانين الارث والميراث (علم المواريث) بشكل علم الذكر أولى بالميراث لأنه مرتبط بالأب أو الأم بأعلى درجات القرابة، عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه:

أَلْحَقُوا الْفَرَايضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوَّلَى رَجُلٍ ذَكَرَ. متفق عليه

وفي نصيب من يجب بعد العصب أوصى النبي الكريم بأن يراعى حقه أيضا كالعمة مثلا، وهي أقرب الى الأب، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ان النبي الكريم قضى للبنت وابنة الابن ولأخت المتوفى فقال:

للابنة النصف (اذا لم يكن لها أخوة) وابنة ابنه السدس تكملة الثلثين كما لو أن هناك أختان، وما بقي للأخت. (بالطبع بعد ثمن الأم اذا كانت على قيد الحياة) رواه البخاري

كذلك حكم النبي الكريم للجد اذا لم يكن الابن وابن الابن او ابنة الابن، عن عفران بن الحصين قال: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ان ابن ابني مات، فما لي من ميراثه؟ فقال: **لك السدس** فلما ولى دعاه فقال: **لك سدس آخر**، فلما ولى دعاه فقال: **ان السدس الثاني طعمة.** رواه أحمد والأربعة

وعن ابن بريدة عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للجددة السدس اذا لم يكن دونها أم أي لم يكن للأبناء أم على قيد الحياة. رواه أبو داود والنسائي

الرسول الكريم ورث الخال وهو من جهة الأم وهو من الأرحام اذا لم يوجد وارث لقوله صلى الله عليه وسلم الخال وارث من لا وارث له. أخرجه أحمد، وفي رواية أخرى: الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له. رواه أحمد والأربعة، قال العلماء: ان النبي صلى الله عليه وسلم ورث ذوي الأرحام لقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾

الأنفال 75

نفهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم طبق علم الفرائض الذي فرضه الله تعالى على عباده، وألزمهم بالحكم بها ولم يفرط في شيء منه، فالمواريث عصبه وفرض كلها فروض، فما كان مقدرا في القرآن الكريم بنسبة معينة تسمى فرضا، وما كان غير مقدر يسمى تعصيبا وكلاهما مفصل في علم المواريث، الذي هو من أعظم العلوم لأن المسلمين يحتاجونه في حياتهم واستكمالهم بعد مماتهم.

مما ذكر يتضح لنا أن النبي الكريم أشار الى كل الورثة أكانوا من الفروض أم من

التعصيب، بل انه ذكر الموالاة أيضا، كابن العبد المعتقد يكون له نصيب اذا لم يحجبه أحد من الورثة، والحديث حول هذا الموضوع يرجع فيه الى ذوي الاختصاص وهو أمر مستحب.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السادس والعشرين

1- علم المواريث يشمل الأثر والميراث والمورث لا يستغني عنه المسلم في حياته، ويستكمل بعد مماته لذلك يجب التمسك بالفرائض التي فرضها الله على عباده والعمل بها.

2- ما كان مقدرا أي ذكرت نسبته في القرآن الكريم سمي فرضا، وما لم يقدر نسبته سمي تعصيبا.

3- المواريث عصبه وفرضها كلها فروض من الله تعالى.

4- تقسم المواريث على أهل الفرائض أولا ويبدأ بهم وهم: أهل النصف وأهل الثمن وأهل الربع وأهل الثلث وأهل الثلثين وأهل السدس وهم موضحون في كتاب الله تعالى، وهذه الحصص لا تستوفى الا بعد عدم وجود معصب.

5- الأقرب الى المتوفى هو الأحق بالفرض فالابن أولى من ابن الابن، والأخ أولى من ابن الأخ والعم أولى من ابن العم وأولى من الخال وبقية الأرحام البعيدين عن عصب المتوفى والذكر أولى بشكل عام.

6- التقديم اما أن يكون بالجهة مثل الأب مقدم على الأخ والأخ مقدم على العم من جهة المتوفى، أو بالدرجة كالعم مقدم على ابنه، والأخ مقدم على ابنه والابن على ابن الابن والمعتق على ابن المعتق، أو بالقوة كالشقيق مقدم على ابن الأب (غير الشقيق) وأبنائهم والأعمام وأبنائهم، وهكذا لقوله صلى الله عليه وسلم: أقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله، فما أبقت الفرائض فهو لأولى رجل ذكر. متفق عليه

7- لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر مسلما.

8- هناك من الأحكام التي تتعلق بالموالاة والنسب يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وفق أحكام الشريعة الاسلامية وعلم المواريث وعلم الفرائض.

9- هناك أحكام شرعية تتعلق بالجد والجدة والخال والعم والعمة والخالة والأخ غير الشقيق والأخت غير الشقيقة ذلك كله مفصل في قوانين الارث والميراث.

والله المستعان

الفصل السابع والعشرون

الاسلام دين السلام في السنة النبوية

الهدف من الشرائع والأحكام الالهية يصب في النهاية لمصلحة المجتمع وأمنه وسلامته، وكانت الشرائع السماوية قبل الاسلام تمثل الواقع المعاش للأقوام التي جاءت بها الأنبياء والرسل، وكلها دعت الى التوحيد والتمسك بأحكام الله، وان فعلوا ذلك ساد السلام والوئام والطمأنينة بين بني البشر، والله تعالى يريد لخلق السعادة في حياتهم لا الشقاء والتعب والنصب، وكانت رسالة الاسلام وهي رسالة السلام أخر الرسالات السماوية التي نزلت على سيد الأنام لكل الناس ولكل البشرية من أجل اسعادها وبث الطمأنينة في نفوسها ولم تكن رسالة انية تتعلق بالوقت الذي نزلت فيه، أو بالقوم الذين نزلت بينهم كما في الرسالات السابقة وهذا ما يميزها عن غيرها، اذ أنها عامة للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان، لذلك استحققت لقب ديانة السلام والوئام بين بني البشر، اذا ما اتبعوا تعاليمه وأحكامه التي هي تعاليم الله تعالى وأحكامه، وكما قلنا أن هذه الأحكام والتعاليم لم تأت من أجل التضيق على الناس أو ارهاقهم بما لا يطيقون، بل للتوسيع عليهم ولتخليصهم من الخرافات والشعوذات والتخلف الذي كانوا يعيشون فيه، من عبادة للأصنام وممارسة كل الموبقات، وحتى يومنا هذا هناك من يعبد الفأر ومن يعبد البقرة ويقتل أقداءها ويرتمي تحتها تقديسا وعبادة لها، وهناك من يعبد الفرج والشيطان والنار وغير ذلك من الترهات السخيفة التي لا تجد لها أصل ولا فصل ولا معنى، وإذا قارنت (ولا يوجد وجه مقارنة) بين هذه الترهات وبين عبادة الله الواحد الذي أمدنا بقوانينه وعلمه من أجل منفعتنا ومصالحتنا الدينية والدنيوية ستجد الفارق الكبير، ولكن لو فكر الانسان قليلا ماذا يقدم الفأر له؟ وماذا تقدم البقرة والشيطان وغير ذلك له؟ لن يجد جوابا مقنعا، ولكن الله تعالى بعظمته وقدرته أعطانا الشيء الكثير الذي لا يمكن احصاؤه لقوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النحل 18

وكما قلنا ان الله تعالى لا يريد للانسان الشقاء أبدا بل العيش في النعيم الذي وهبه اياه، ولا نعم به الا اذا امن بوحدايته وامن به كاله واحد لم يكن له كفوا أحد، خالق السموات والأرض وما بينهما، يقول تعالى:

﴿طه (1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى (3) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمُوتِ الْآلَى (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿ طه 6

الله سبحانه وتعالى أوضح لنا في كتابه العزيز أنه خلق الجن والانس من أجل عبادته وذلك بالعمل بفرائضه وسننه تعالى، والعمل من أجل البناء والاصلاح واعمار الأرض لأنه أي الانسان هو خليفته في الأرض لقوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
الذاريات 58

كذلك أوضح لنا في كتابه الكريم أنه خلقنا من أجل أن نتعارف بيننا نحن بنو البشر، ونتألف ونتزوج كي نخلف أجيالا سعيدة مؤمنة بربها الذي هو خالقها وخالق كل الكون، وهو بالمقابل لا يريد منا شيئا غير عبادته والهدى بهديه لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجَاءِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الانسان 9
ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
الحجرات 13

اذن التقوى هو المعيار الذي يقاس به قرب الانسان من ربه أو بعده عنه وليس شيئا اخر، وفي هذه الآية الكريمة يوضح لنا سبحانه وتعالى أن البشرية كلها جنس واحد لا فرق بين أي منها عند الله، وهذه البشرية هي مجموعة من القبائل والعشائر التي تكون الشعوب المختلفة في أصقاع الأرض، انما خلقها لكي يتعارف بعضها الى بعض فيتزواجي من بعضهم البعض ليسود السلام والوئام فيما بينها على دين الله تعالى، وليس المقصود في السلام والوئام أمة تعيش على الكفر وأخرى تعيش على عبادة الحيوان أو الأصنام أو الحيوان لا بل القصد هو الحياة في وئام وسلام على دين التوحيد وهو دين الاسلام دين السلام

الله سبحانه وتعالى أمرنا كمسلمين بنشر السلام وافشائه في العالم، حتى يكون أقوى عادة يكتسبها الانسان في حياته واقترب هذا الطلب من الفريضة، اذ أن أي طلب من الله يطلبه من عباده يرتقي الى درجة الفرض لذلك افشاء السلام فرض على المسلم، لأنه اذا أمرنا بفعل شيء أو نهانا عنه فما لنا الا الطاعة والتذلل لأمره، وفيما يتعلق بالسلام قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾

النور 27

وقال جل من قائل:

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ النور 61

دائما وأبدا يذكرنا رب العزة والجلال بتحية السلام في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

النساء 86

ويكفي أن اسما من أسماء الله الحسنى هو السلام، فإذا كان اسمه السلام أي الداعي الى الخير والعدل والأحسان دائما، فماذا عساه يوجه عبيده الا للسلام ومن أجل السلام، يقول تعالى عن نفسه:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر 23

جاءت السنة النبوية كي تؤكد على معاني السلام في الإسلام، قال النبي الكريم: ان السلام اسم من أسماء الله وضعه الله في الأرض فأفشوه فيكم فان الرجل اذا سلم على القوم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم، فان لم يردوا عليه فهو خير منهم وأطيب. رواه الألباني

وقال النبي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه:

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض. رواه البخاري

نبينا الكريم بعث من أجل سلام البشرية، كما أنه بعث كي يعلمنا الانسانية وكيف يساعد بعضنا بعضا، لأن السلام ونشره له اليات لتنفيذه وتطبيقه، يقول صلوات الله وسلامه عليه: أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام. رواه الترمذي

السلام كما قلنا هو الوئام والطمأنينة والسكينة التي تعم الأسرة فالمجتمع ثم العالم أجمع، المسلم يطرح السلام على جميع الناس مسلمهم وغير مسلمهم كي يتستوعب هؤلاء ما معنى أن يطرح عليهم السلام، فيقول المسلم: السلام عليكم، معناه غير ما سبق أن تحل بركة الله ونعمائه عليكم وأنتم في أحسن حال وأهدأ بال ماذا يريد عبد الله أكثر من ذلك في دنياه؟ فالسلام هو شعار الاسلام، مهما حاول المغرضون وأعداؤه أن يلصقوا به ما لا يتصف به، وكل الدلائل والبراهين تشير الى أن الاسلام دين السلام والطمأنينة، ويلمس المسلم ذلك في صلاته وخشوعه وصيامه وقيامه لعبادة الله الواحد الأحد، السلام شعور نفسي داخلي لا يشعر به الا المؤمن بالله تعالى، فالسلام لا يفرض على النفس البشرية ولا على الناس مهما كانت نحلهم وملهم، فالسلام يدخل بهدوء الى

الجسم حتى يستشعره ومن ثم يبعثه الى النفس فترتاح وتشعر بالطمأنينة من هنا نقول انه مطمئن ويعيش في سعادة وهناء

الاسلام يدعو الى السلام لا الى انكاء الحروب والاقত্তال كما تفعل كثير من الدول في عصرنا الحالي فالدولة المسلمة تقف دائما مع وقف القتال وافشاء السلام، تماما كما تفعل تركيا الان بخصوص الحرب الروسية الأوكرانية التي ذهب ضحيتها مئات الالاف من الأرواح البرئية، فتقف تركيا المسلمة موقف المصلح بين الطرفين، ولكن انظر بالمقابل الى اسرائيل التي تقتل الأطفال والنساء والشيوخ والأبرياء من الفلسطينيين كل يوم، وتهدم بيوتهم وتدمر ممتلكاتهم وتصادر أراضيهم وتسرقها منهم بالباطل، ولكن العالم الذي يدعي أنه مع السلام ويرعى الأمن ويحافظ على حقوق الانسان في العالم يقف ساكنا أمام هذه الجرائم لأن ما يقوم بها يهود حلفاؤهم، هذا ويحدث هذا الأمر في كثير من بقع العالم ولا سيما مع المسلمين في الهند وكشمير والصين وبورما وبعض الدول الأوروبية والافريقية، اذا كان الأمر يتعلق بالمسلمين وحقوقهم المشروعة فلا تقف الدول غير المسلمة موقف المنصف لهذه الحقوق لأنها بكل بساطة تعادي الاسلام بشكل أم باخر، في حين أن الاسلام والمسلمون مسالمون ينشدون السلام لكل الناس أينما كانوا، وانما الخلاف يكمن في ان الاسلام والمسلمون يدعون الى عبادة الله تعالى لا شريك له ومن ثم العمل الصالح للبشرية جمعاء، ولكن المصالح في عصرنا وفي كثير من الأحيان تطغى على استخدام العقل والتدبر في خلق الله تعالى، فالدعوة الى السلام مقرونة بالدعوة الى عبادة الله الواحد الأحد في الاسلام، فلا سلام دائما بدون ايمان، العالم اليوم يتصارع من أجل لا شيء، الا من أجل الحرب واكتساب أراض وأموال ومصالح نفعية مادية فقط، لذلك فان الحروب لا طائل من ورائها، وقد يقول قائل وهذا التساؤل مطروح: اذا كان الهدف هو افشاء السلام لماذا حارب المسلمون في أنحاء العالم؟ الجواب بسيط للغاية، كان العالم يسوده الظلم والعنف وهيمنة الدول القوية على الدول الضعيفة تماما كما يحدث في زماننا هذا، كانت امبراطوريات الروم والفرس تهددان دول الجوار وتحتلها وتقتل وتسرق وتهب وتدمر دون حساب أو عقاب أو رادع، تماما كما يحدث في أيامنا هذه مع الدول العظمى القوية التي تقوم بالشئ نفسه، أقول العالم كان ظالما للشعوب لا تردعه قوانين وضعية أو الهية، فالفساد والهيمنة والقوة هي المسيطرة، والأهم من ذلك أن هذه الحروب ليست ذات هدف الا السيطرة والهيمنة والقوة كما قلنا، لذلك كانت هذه الامبراطوريات على قوتها وعظمتها لا تملك برنامجا اصلاحيا للناس بل برنامج القوة، فهي كانت تعيش حياة جاهلية خالية من الايمان، وكانت القبائل العربية كذلك تعيش في جاهلية وصفها عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه لامبراطور الحبشة:

كانوا غير مؤمنين الا بالأصنام وعبادتها وكانوا يقتلون البنات بعد الولادة ولم يكونوا يصلون الرحم وكانوا قطاع طرق تغير القبائل على بعضها البعض وغير ذلك من الصفات الجاهلية، وليست الجاهلية تعنى عدم وجود ثقافة أو جهل بالقراءة والكتابة، بل كان العرب فيهم الشعراء والأدباء والنقاد، وفيهم النخوة والشجاعة وكل الصفات الحميدة الى جانب الصفات القبيحة، ولكن بالرغم من ذلك كانت الجاهلية تعمهم، وكانوا بعيدين عن عبادة الله تعالى، بل كانت صفاتهم الرديئة تغطي على الحميدة، فجاء الاسلام كي يعيدهم الى جادة الصواب، كذلك أراد الله تعالى للمسلمين أن يتوجهوا الى العالم الضال آنذاك والذي لا يفهم الا لغة استعمال القوة للهيمنة ونهب الثروات، أراد الله لهم أن يحاربوا الظلم والفساد والقتل من أجل القتل، وفوق كل ذلك نشر كلمة الله لتكون هي العليا، فالاسلام دين الهداية والعدل والمساواة هذا ما أراده الله تعالى للعالم أن يكون، ولكن النبي وأصحابه الكرام واجهوا العنت والصلف من الأعداء، بل كان هؤلاء الأعداء على استعداد للقتال لوقف زحف رسالة الاسلام، فتصدى النبي وأصحابه ومن ثم جيشه لهم، وبعد استتباب الأمن وانتشار الاسلام في جزيرة العرب تأهبت الدول الكبرى آنذاك للتصدي للدعوة الجديدة فكانت الفتوحات الاسلامية التي لم تكن من أجل ضم أراض جديد (صحيح ان المحصلة كانت كذلك، ولكن ذلك لم يكن الهف الأسمى) ولم تكن الحروب من أجل أطماع دنيوية، بل كانت من أجل نشر الاسلام كرسالة الهية ومبادئه وقوانينه العادلة التي لا تفرق بين شعب وآخر أو أمة وأخرى أو جنس بشري وآخر، فالناس سواسية في الايمان كأسنان المشط لا فرق لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى.

العرب المسلمون لما جاءوا الى الأمم الأخرى فاتحين لم يتخذوا القتل والارهاب والسطو المسلح وسرقة أموال الناس بالباطل شعارا لهم، كما فعلت الدول الأوروبية واسرائيل في عصرنا الحالي، بل اتخذوا شعار السواسية والعدل والاحسان، وعدم قتل الأطفال والنساء والشيخ والعابدين في معابدهم، وأمروا أن لا يقطعوا شجرة ولا يبقروا شاة ولا بيعوا ولا يحرقوا مزارع الناس، وهكذا أتوا الى بلاد لا يعرفونها كي ينشروا العدل والقسطاس بين أهلها، لذلك رحبت الشعوب بهم في مصر واسيا وافريقيا وفي كل أرض حلوا بها، هذا هو الفرق بين الامبراطوريات العظمى وبين الاسلام دين الحب والسلام.

المسلمون في البلاد المفتوحة أمامهم لم يتدخلوا في شؤون الشعوب الأخرى ولم يجبروهم على الاسلام، بل حافظوا على عادات وتقاليد ولغات هذه الشعوب، والا لم تكن ترى اللغات البربرية والكلدانية والأشورية والكردية والنوبية وغيرها في عصرنا الحالي يتحدث بها أصحابها، المسلمون

عاملوا أهل البلاد الجديدة على الاسلام بالحسنى الا من يتعرض لهم بسوء، وبالتدرج دخلت الأقوام في الاسلام دون اكرام لشعورهم بأن هذا الأمر مختلف كل الاختلاف عن الديانات والمعتقدات التي كانوا يؤمنون بها، فوجدوا فيه عبادة الله وحده لا شريك له، ووجدوا الصدق في التعامل والمعتقدات السليمة والعدل بين الناس والحاكم عادل في البلاد، لا يفرق بين الناس ويحكم بما أنزل الله تعالى، المسلمون استفادوا من ثقافات البلاد الأخرى ولغاتهم واعتبروه تراثا ثقافيا يجب الاعطاء به والمحافظة عليه لا بل والاستفادة منه، لذلك كون المسلمون حضارة متنوعة جميلة سميت **بالحضارة العربية الاسلامية** وتميزت عن غيرها بالتنوع والثراء نتيجة لاعتنائهم بثقافات الغير وإذا ما قارنت بين ما فعله العرب في البلاد المفتوحة كالأندلس مثلا وبين ما قام به الاسبان على سبيل المثال لا الحصر بالثقافة العربية الاسلامية فيها بعد طرد العرب والمسلمين منها، لتجد الفرق الشاسع الواسع من حيث نشر المسيحية بالقتل والارهاب عن طريق محاكم التفتيش سيئة الذكر، وتحويل المساجد الى اصطبلات وامكن لهو ومسارح وكنائس، هذا علاوة على قتل من يثبت بقاءه على دينه بعد تعذيبه بالسياط والحرق وغير ذلك من أدوات التعذيب، اذا ما قارنا الحضارة العربية الاسلامية بغيرها نجد أنها كانت مثالا للحضارات العلمية العريقة المتقدمة والراقية، وأهم ما في الأمر أن المسلمين لم يسفكوا دماء الأبرياء المدنيين في البلاد المفتوحة كالرومان والفرس الذين كانوا يحرقون المدن والقرى بمن فيها من الناس، كذلك فعل الصليبيون والتتار والمغول في بلاد الاسلام لما وطأتها سنايك خيولهم، عاثوا في الأرض فسادا وقتلوا الملايين من المسلمين الأبرياء وحرقوا المدن والقرى وانتهكوا أعراض الناس، لم يفرقوا بين طفل رضيع ولا صغير ولا امرأة ولا شيخا، ودمروا البيوت على رؤوس أصحابها وحرقوها ودمروا المساجد والمزارع ولم يبقوا شجرا ولا حجرا الا أدوه، هذه هي حضارة غير المسلم لما يدخل أراضي المسلمين، حتى اذا دخلوا بلاد غير المسلمين، فأمرىكا خير شاهد على ما اقترفه الغربيون من جرائم ضد أهالي البلاد الأصليين، وهؤلاء الاسبان والبرتغاليون ارتكبوا أفظع الجرائم في حق أبناء وقبائل أمريكا اللاتينية.

تعالوا الى العصر الحديث عصر الحضارة الغربية والتقدم، ماذا فعل الصرب والكروات المسيحيون في البوسنة والهرسك؟ دمروها وقتلوا أهلها ودمروا المكتبات والمساجد وقتلوا الأبرياء في الشوارع، وجمعوا ثمانية الاف رجل وطفل وقتلوه تحت أعين القوات الهولندية التابعة للأمم المتحدة، حيث تواطأت هذه القوات ضد المسلمين، فانسحبت بعد شرب الأنخاب مع القوات الصربية وهي تعلم أن مذبحة ضد المسلمين تدبر من قبل الصرب، وفعلت قامت القوات الصربية بتواطئ مع الهولنديين أصحاب ملتهم بقتل هؤلاء الأبرياء بدم بارد على مرأى ومسمع من العالم الذي يسمى

نفسه ديمقراطيا وعادلا وتقدّميا وأكثر من ذلك حرا.

وقبل ذلك كان الاستعمار الغربي للمنطقة العربية، فقد أوغلت إيطاليا في دماء المسلمين في ليبيا وإريتريا والصومال وألبانيا وغيرها من البلاد التي احتلتها، كذلك فرنسا التي مارست أقصى أنواع الظلم والقتل في حق المسلمين في الجزائر ومالي وتشاد وغيرها من البلاد الإسلامية التي احتلتها، بل إنها دبّرت المجازر الجماعية وأسرت جثث الشهداء المسلمين واخذتها إلى فرنسا لتضعها في المتحف الطبيعي في استخفاف لحرمة الموتى، وهكذا الحال مع كل القوى الاستعمارية الغربية في بلاد العرب والمسلمين، مارسوا شتى أنواع القتل والتعذيب والتدمير، وكأنه انتقام من حركة التاريخ التي طوت صفحاتهم لتأتي صفحات الإسلام البيضاء وتسود العالم في ذلك الوقت وفي كل وقت، وفي عصرنا الحالي رأينا وعشنا الدمار الأمريكي الغربي لأفغانستان وليبيا والعراق وسوريا، وكأنها حرب عالمية ثالثة خفية على العرب والمسلمين خاضها الغرب بحجج واهية ضعيفة لا أساس لها من الصحة، باعتراف مقترفي جرائم القتل والدمار الأمريكيين والبريطانيين وغيرهم الذين قتلوا أكثر من مليون مسلم في سنوات قليلة، وكأنهم مرة أخرى يشفون غليلهم من سنوات الهزائم التي منوا بها عبر التاريخ. الحروب التي أشعلتها أمريكا والدول الغربية في العالم الإسلامي خلفت ماس لا حصر لها وعلى جميع المستويات في الوقت الذي تدعي فيه هذه الدول رعايتها للأمن والسلام الدوليين، والمساواة والعدالة بين الشعوب، من هذه الماسي الهروب من البلاد العربية والمسلمة المنكوبة جماعات جماعات، وكانت أغلب وجهات اللجوء إلى الدول العربية المجاورة وتركيا وأوروبا، ففي الوقت الذي استقبلت الدول اللاجئين، أغلقت بعض الدول الأوروبية حدودها أمامه، فلقى هؤلاء العنت والمشقة في الوصول إلى دول تدعي الحضارة لحمايتهم، فأغلقت اليونان وبولندا وغيرها من الدول الحدود في وجه اللاجئين، واليونان لم تكتف بذلك، بل وضعت قوات حماية الحدود والمرتزة الملتصين لردع اللاجئين وطردهم من على الحدود، ومن يرفض العودة كان مصيره القتل أو التعذيب في السجون اليونانية، وقتل وأغرق في البحر عمدا مئات من الأبرياء أطفالا ونساء وشيوخا، حيث اختفت آثارهم واختفت معهم آثار الجرائم التي ارتكبت بحقهم في بلاد من المفروض أن تكون موئلا للحرية والديمقراطية، ولكن هذه الشعارات لا تطبق على العرب ولا على المسلمين للأسف، هذه الجرائم التي ارتكبت على الأرض اليونانية وغيرها من الدول الأوروبية كانت بعلم الاتحاد الأوروبي كم أقر بذلك مسؤولون يونانيون.

كذلك في العصر الحديث نرى اجرام دولة الصهاينة في فلسطين من قتل ونهب وسرقة بيوت وأراض وتدمير بعضها وتهجير السكان الأصليين الفلسطينيين وحرق الأشجار المثمرة امعانا

في الايذاء على مرأى ومسمع من العالم الحر، علاوة على ذلك فان اليهود ما فتئوا يندسون مساجد المسلمين وخصوصا المسجد الأقصى المبارك في القدس والحرم الابراهيمي الشريف في الخليل بشكل يومي، ولبدءا أخلاقهم يعلم اليهود والصهاينة على الأخص أطفالهم الشتائم الوقحة ضد النبي الكريم وضد العرب والمسلمين، فيرددون هذه الشتائم في كل مناسبة، كذلك أخذوا يشتمون السيد المسيح عليه السلام وأمه البتول مريم العذراء عليها السلام في وقاحة منقطعة النظير تصدر من أطفال وشباب وشابات اليهود، أما في الهند والصين فحدث ولا حرج، فقد ساهم المسلمون في هذين البلدين الكبيرين مساهمة كبيرة في بنائهما وتطورهما، وما كان من التجمع الحاكم الذي يدعي أنه ديمقراطي في الهند بزعامة حزب جاناتا بهارتا الهندوسي وزعيمه نارندرا مودي الا أن أعلن اضطهاده للمسلمين الذين يفوق عددهم مئتي مليون نسمة، وسمح لأعدائه الهندوس التعدي على المسلمين وقتلهم وحرق بيوتهم وتدمير مساجدهم في عملية عنصرية مقيتة، أما الصين فقد وضع قادتها الشيوعيون أكثر من مليون مسلم صيني في معسكرات شبه اعتقال لغسل أدمغتهم ودعوتهم للتخلي عن دينهم بحجج واهية، ما مر ذكره غيض من فيض الجرائم التي ارتكبتها الغرب والشرق واليهود في حق المسلمين، فالاسلام كدين سماوي واجه ايديولوجيات وضعية ممثلة بالصليبية والصهيونية والشيوعية والعلمانية والمجوسية والهندوكية وغيرها، وكل هذه الايديولوجيات تحارب الاسلام وتتضافر جهودها معا لتحقيق أهدافها بالقضاء على الاسلام، ظنا منهم أن مهمتهم سهلة المنال، ولا يدري أصحاب هذه الايديولوجيات (لا نقصد الشعوب المسالمة) بأن الاسلام دين وعقيدة متغلغلان في الصدور، وأن الله تعالى تعهد بحفظ دينه الى يوم القيامة، وإذا قارنا أحداث التاريخ نجد كم كان المسلمون كرماء ولطفاء وانسانيين في التعامل مع أعدائهم ومع الناس العاديين، وكيف عاش أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الديانات وغير المتدينين في كنف المسلمين وبالمقابل كيف عاش المسلمون في كنف الدول الاستعمارية ومنها اسرائيل بالطبع لنجد الفرق الشاسع والواسع بل لا وجه للمقارنة البتة، العرب والمسلمون حافظوا على الأرواح والممتلكات والعقائد والكنائس انطلاقا من مبادئ دينهم الحنيف، وانعكاسا لما دعا اليه من الوئام والسلام والعدالة والمساواة بين الناس وقد طبق ذلك كليا على أرض الواقع، في حين يعلن الغرب عن المبادئ الانسانية السامية ويطبق عكسها على أرض الواقع فشتان بين الأمرين.

كانت ممارسات الغرب المتوحش مخزية في السلم وفي الحروب، بينما كان العرب والمسلمون في قمة التحضر في التعامل مع الأمم التي دخلها الاسلام، فلم يقتلوا مدنيا ولم يسبوا النساء ولم يقتلوا ذمياً ولا مسالما، فكانت أخلاقهم في الحروب مثالا يحتذى في الأخلاق والفروسية

والإقدام واحترام قوانين الحرب والسلم، وما الرسائل التي كان يوجهها الرؤساء المسلمون الى قادتهم خير دليل على ما ذهبنا اليه بدءاً برسالة محمد النبي الأمي الأمين الى ملوك عصره والى قادته العسكريين يطلب منهم أن لا يقتلوا طفلاً ولا امرأة ولا كهلاً أو راهب متعبد في صومعته ولا يبقروا شاة ولا يحرقوا شجرة... الخ، وسار على هديه الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عنهم والقادة المسلمون فكانت رسائلهم بلسماً يداوي الجراح، بدءاً برسائل عمر بن الخطاب الى قادته وقادة الأقاليم الإسلامية، والعهد العُمري التي كانت كتاباً لأهل إيلياء (القدس) عندما فتحها عام 638 ميلادية خير شاهد على ما نقول، مروراً بعهد صلاح الدين الأيوبي بعد استعادة القدس من أيدي الصليبيين عام 1187 ميلادية، ورسالة محمد الفاتح الى أهل القسطنطينية بعد فتحها وهزيمة البيزنطيين عام 1453 ميلادية، كلها رسائل عهود ومواثيق تمسك بها وبنودها المسلمون بعد الفتح فلم يؤذوا ذمياً ولا مسالماً كما قلنا وأكدنا مراراً وتكراراً على ذلك عملاً بقول النبي الكريم:

من اذى ذمياً فقد اذاني المحدث ابن القيم

عمل المسلمون بهذا الحديث، فكان وما زال دم الذمي محرماً في الاسلام لأنه في ذمة المسلمين وعهدهم وهذا ليس عيباً أو منقصة في حق الذمي غير المسلم، بل هو مجال فخر واعتزاز لكل من الطرفين فالاسلام لم يظلم ولم يحرم أحداً من حقوقه، قوانينه مثال يحتذى بها، حتى لتكون مرشحة لأن تكون قوانين عملية للأمم المتحدة، وهو أي الاسلام دين سلام وهو مبدأ اسلامي صادق، وافشاء السلام أمر من الله تعالى ونيبه الكريم، لذا يجب الالتزام به بل والعمل به أيضاً، وهذا الأمر وعد وعهد من الله تعالى ونيبه والمسلمين للأمم العالم أجمع، فالسلام يكون ابتداءً من المسلم للمسلم، لأن المرء يجب أن يبدأ بنفسه في تطبيق مبادئه لقوله صلى الله عليه وسلم:

والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.
عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم

هذه دعوة من النبي الكريم لأمته ثلاثة شروط لدخول الجنة، أولاها الايمان بالله رباً وبمحمد نبياً والعمل بما يؤمن به القلب ليصدق العمل، ثم ارساء المحبة في القلوب ونشرها بين الناس، ولا يتأتى ذلك الا بافشاء السلام والأمن والاطمئنان في النفوس، وافشاء السلام دليل المحبة لقوله صلى الله عليه وسلم:

أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام. رواه البخاري
وللمسلم حق على أخيه المسلم، أولى هذه الحقوق طرح السلام عليه، وللسلام أعراف أشبه بالقانون أي يسلم القوي دائماً على الضعيف، والواقف يسلم على القاعد، والماشي يسلم على الواقف،

والراكب يسلم على المترجل، وهكذا ينصف الاسلام الناس، ولقد حدد النبي الكريم ست واجبات على المسلم أن يؤديها نحو أخيه المسلم في قوله:

حق المسلم على المسلم ست: اذا لقيته فسلم عليه، واذا دعاك فأجبه، فاذا استنصحك فانصح له، واذا عطس فحمد الله فشمته،(الدعاء له بالرحمة) واذا مرض فعده، واذا مات فاتبعه.
رواه مسلم

السلام يجب أن يكون لله تعالى ومن أجل الله لنشر المحبة بين الناس، لا لمصلحة انية مستعجلة، ولا لغاية مبتذلة لقوله صلى الله عليه وسلم:

ان من اشتراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه الا للمعرفة، وفي رواية أخرى: ان بين يدي الساعة تسليم الخاصة.
رواه الألباني عن ابن مسعود رضي الله عنهما

السلام هو شعار الاسلام كما قلنا، وهو تحية المسلمين بين أنفسهم ولغيرهم، كما أنها تحية الملائكة وأهل الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لما خلق الله ادم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فحمد الله بأذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا ادم اذهب الى اولئك الملائكة فقل: السلام عليكم، قالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم رجع الى ربه فقال: ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم.** أخرجه الترمذي والبخاري وابن خزيمة

منذ خلق ادم عليه السلام والسلام شعار الناس بينهم، ويعتقد غير المسلم أن طرح السلام خاص بالمسلمين فلا يردون السلام على من طرحه نكايه بالمسلمين أو على أقل تقدير نكايه بطارح السلام، والحقيقة غير ذلك، السلام فرضه الله تعالى على ادم وذريته من بعده وهم نحن بنو البشر على الأرض، وتحية نبينا صلى الله عليه وسلم السلام الذي يؤكد على العلاقات بين الناس ويعيد المودة والمحبة بعد انقطاع لقوله صلى الله عليه وسلم: **لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.** رواه البخاري

وافشاء السلام بين الناس يذهب الضغينة والحقد، والسلام هنا يعني طرح السلام على الناس فيما بينهم واشاعة الأمن والاطمئنان في نفوسهم، من حيث التكافل الاجتماعي والتضامن والأمن الاجتماعي والجماعي هذا هو السلام الذي يدعو اليه الاسلام العظيم عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

دب اليكم داء الأثم قبلكم: الحسد والبغضاء وهي الحالقة، أما انى أقول لكم: تحلق الشعر

ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تتحابون به أفشوا السلام بينكم.

رواه الترمذي

السلام يوقف العداوة والبغضاء وقت الحرب، فاذا طرح أحد المتخاصمين السلام على عدوه، فعلى الأخير أن يوقف القتال بعدما يتأكد أنها ليست الخدعة، ويرد السلام على خصمه ربما يكون ذلك فيه حقن للدماء والمنازعات، وهل أروع وأعظم من هكذا حكم في الاسلام أن توقف القتال مع من يطرح عليك السلام؟ لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

النساء 94

طرح السلام كفارة للمسلم عن خطاياه، لقوله صلى الله عليه وسلم:

ان المؤمن اذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر

رواه البخاري في صحيح الترغيب

ورق الشجر.

السلام تطرحه على من تعرف وعلى من لا تعرف، كما يجوز طرح السلام على غير المسلم، كي يشعر بالأمان في دار الاسلام وفي بلاد الاغتراب اذا كان غريبا، فالسلام كلام جميل يدخل القلب اذا لم تكن هناك ضغينة معينة، ولكن اذا ما قرر الضاغن أن يترك ضغينته وكرهه جانبا فيكون السلام سلاما على قلبه، ويعرف أن السلام ثقافة المسلم وأخلاقه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الاسلام خير؟ قال:

تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف.

رواه البخاري

من اداب السلام في الاسلام رده الى صاحبه أو أحسن منه، لقوله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

النساء 86

السلام أمر الهي بدأ بادم عليه السلام كما قلنا، مرورا بكل الأنبياء والرسل وأتباعهم، ويؤكد رب العباد على محمد وأتباعه الى يوم الدين على أن يفشوا السلام فيما بينهم، كذلك طرح السلام سنة محمدية نقدت بها

طرح السلام كما قلنا له قواعده وأصوله، منها طرحه في وقته وزمانه ومكانه، فلا يجوز طرح السلام في أماكن التغوط، ولا يرفع الصوت بالسلام والناس نيام أو مستغرقين في الصلاة، وهكذا لطرح السلام أوقاته كذلك كان النبي الكريم يكره القعود في مجالس على الطرقات، ولكنه سمح

لأصحابه بذلك بشروط الاداب العامة، عن أبي سعيد الخضري قال: نهى رسول الله أصحابه عن الجلوس في الطرقات فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال:

إذا أبيتم الا المجلس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا: ما حق الطريق يا رسول الله؟ قال غض

البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رواه البخاري

أحاديث نبينا وسننه كلها تصب في مصلحة الناس، وكلها قابلة للتطبيق لأنه طبقها بنفسه، وكيف لا وهو المختار المصطفى من رب العالمين لتبليغ أعظم رسالة في الكون؟ وكل سننه صلى الله عليه وسلم عظات وحكم تمثل أخلاق الاسلام، فاذاتمعنا في الحديث السابق نلاحظ أن نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه نهى المسلمين عن النظر الى النساء والتعليق عليهن (معاكستن) في الطريق، كما حثهم على كف الأذى بكل أنواعه وأشكاله، ورد السلام على من يطرحه أو أحسن منه، حتى يكون عادة حسنة يعتاد عليها الناس ويكون رمزا من رموز الاسلام، والدعوة الى فعل الخير ونبذ الشرور والمنكرات بأنواعها وأشكالها، وكف الأذى عن الناس عن أراضيهم وأنفسهم ومالههم وسمعتهم، يا لروعة النصائح والعظات التي تخرج من فم النبي الحبيب، التي تعبر عن الأخلاق الحميدة والخصال الطيبة وصفات المجتمع المسلم الذي يختلف عن غيره بالتقوى ومخافة الله تعالى وهي أسمى الخصال والصفات

بعد استتباب الأمن وانتشار الاسلام بالاقناع حيناً وردع العدو حيناً آخر، أصبح دين أمم كثيرة بالاعتقاد وبعد سيطرة الاعلام المرئي والمسموع ووسائل التواصل الاجتماعي، يمكننا القول: ان التواصل بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين الأمم الأخرى أصبح أكثر سهولة ويسراً، كما أصبحت مهمة المسلمين في ابلاغ رسالة الاسلام أكثر إلحاحاً، لأنها رسالة الايمان بالله وحده لا شريك له، ورسالة السلام العالمي، ويجب ابلاغ الناس بالاسلام بالقُدوة الحسنة واللين واللفظ لا بالعنف والاكراه، يقول عز وجل:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة 256

وكم من الناس دخلوا الاسلام لما رأوا في المسلمين من صدق وإخلاص وتقان في الدين ومن الأخلاق الحسنة والسيرة الطيبة والمعاملة بالحسنى وطيب خاطر. الاسلام دين عبادات وتقوى ومخافة الله تعالى ودين مودة وترحم ورحمة وتعاون وإيثار وإنكار للذات، كما أنه دين علو وحضارة وتقدم وإبداع، وهو دين يدعو الى اعمال العقل والحواس لاكتشاف المجهول والحقائق الغامضة التي لم تكتشف بعد، ما عدا ما وراء الطبيعة لأن علمه عند الله تعالى، لذلك يدخل الاسلام في أيماننا هذه

من له عقل يفكر به ويكتشف بنفسه أن الاسلام دين الحق، فيسلم لله ذنوا العقول النيرة من الفلاسفة والعلماء ورجال الدين من غير المسلمين والناس العاديين الذين يقرأون القرآن ويتدبرون ألفاظه ومعانيه، فيدركون على الفور أنه أنزل من لدن عليم خبير رحيم بعباده فيعلنون اسلامهم.

الاسلام دين السلام والمحبة لا يكره أحدا على دخوله الا بالحسنى، فانه واضح جلي لكل ذي بصيرة وعقل نير، فمن يهده الله تعالى الى الاسلام فقد نجا من النار وريح الدنيا والاخرة، ومن لم يهتد يظل قلبه ضيق حرجا كمن يصعد الى السماء فيصيبه ضيق التنفس ولا يبرأ منه الا اذا نزل الى الأرض، كذلك غير المؤمن بالاسلام فانه يبقى حرجا ضيق الأفق والبصر والبصيرة لا يبرأ الا بدخوله الاسلام وممارسة شعائره وعباداته التي طلبها الله منه وابتعد عما نهاه عنه.

الاسلام العظيم لم يحدد علاقة المسلمين بغيرهم من الأقوام والناس، الا بما حرم الله تعالى على المسلم القيام به، ولكن من أجل احلال السلام والأمن والطمأنينة بين الأمم قاطبة أحل الله تعالى التعامل مع كل بني البشر، عل وعسى أن يهدي الله بهم (المسلمين) من يهد الله وينتشر الاسلام، كما يحدث في أيامنا هذه حيث يدخل الاسلام الاف من غير المسلمين بعد قراءتهم القرآن الكريم ورؤية ممارسات المسلمين الحسنة التي تتسق والقطرة الانسانية الطبيعية.

في بلاد الاسلام لغير المسلم ما للمسلم من حقوق وواجبات، الا ما يخص المسلمين من عبادات وزكاة ونظم الارث والميراث والزواج والطلاق والقوانين والأحكام الشرعية الأخرى وغيرذلك، الاسلام وسع على غير المسلم في بلاد الاسلام ما ضيقه على المسلم، فالمسلم لا يأكل لحد الخنزير ولا يشرب الخمر ولا يلعب الميسر ولا يمارسه، ولكن غير المسلم يمارس ذلك الا ما يخالف قانون البلاد فيحاسب غير المسلم على ذلك، وكرامة غير المسلم مصانة وحقوقه محفوظة، فالاسلام مشتق من السلام فلا يشق على المسلم وغير المسلم الا بما يراه الشرع والحاكم فكلهما أمام القانون سواء، ويكفي بالاسلام من سمعة طيبة بأنه لا يفرق بين انسان واخر من حيث اللون أو العرق أو الجنس أو الدين، وكل هؤلاء أمام القانون سواء لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى.
رواه أحمد في مسنده

هذا الحديث الشريف يبين لنا حضارة الاسلام وحضارة نبي الاسلام الذي سبق بها كل أمم الأرض، اذ أن العالم لم يستفد من عنصريته وتقريبه بين الناس من حيث اللون والجنس واللغة والدين الا في النصف الثاني من القرن العشرين، بعدما أنشأت أول منظمة لحقوق الانسان في أمريكا عام 1978 ثم في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2006 ميلادية، وهذا يوضح لنا كم هو

الاسلام عظيم يسبق كل الأمم في الحضارة الانسانية، وما زال الغرب بالرغم من انشائه منظمات حقوق الانسان يفرق بين الناس حسب ما ذكر، ودليل ذلك ما يمارسه الأمريكيون البيض ضد مواطنيهم السود لأنهم يختلفون معهم في لون البشرة، والبيض أصولهم أوروبية، أما السود فأصولهم اما افريقية أو من جزر الكاريبي أو ملونين من الهند والعرب والصين وغير ذلك، والتفرقة بين الناس على أساس الدين والعقيدة ما زالت موجودة في المجتمعات الغربية، ودليل ذلك ما يتعرض له المسلمون خاصة من اضطهاد في بعض المجتمعات الاوروبية، وبعد اندلاع الحرب الروسية ضد اوكرانيا هاجر عديد من الأوكرانيين الى أوروبا فخرجت أصوات تقول: يجب علينا الاعتناء بهؤلاء اللاجئين، هم أوروبيون مثلنا وليسوا أفغانا أو عراقيين أو سوريين.. وهاجر أغلبهم الى بولندا التي أعلن رئيسها بأن بلاده لن تقبل لاجئاً واحداً مسلماً، وهكذا يفرقون بين الأوروبي وغيره في حين أن رسول البشرية وضع الأسود بلال على قدم المساواة مع سادة قريش قبل أكثر من ألف وأربعمئة عام، فكيف نقارن بين الموقفين؟.

الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم أمرا المسلمين بالتعامل مع غير المسلمين بالحسنى، ويكفي العالم كي يقتنع ويؤمن بنظرية السلام قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوَكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ المائدة 3

وان دعا الله تعالى الى القتال فانما دعا المسلمين للقتال دفاعا عن النفس لا الاعتداء على الاخرين في قوله

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝﴾ البقرة 190

نشر السلام والوئام وعدم الاعتداء والعُدوان على الغير هما أساس تعايش المسلمين مع غيرهم من الشعوب وهذا ما سعى اليه المسلمون عبر تاريخهم الطويل، في حين أن العالم بدأ بتقهم هذه الحقائق حديثاً وبالرغم من ذلك فانه لم يصل بعد الى ما توصل اليه الاسلام والمسلمون قبل مئات السنين.

اذا ما قارنا بين القوانين الالهية والقوانين الوضعية الانسانية نجد الفرق الشاسع والبولن الواسع بين الأمرين فالقوانين الالهية من رب العالمين لا يعتريها الخلل ولا الخطأ، والقوانين الالهية كلها وضعها الله تعالى لمصلحة الانسان على مر الدهور والعصور، تصلح لكل زمان ومكان، ليس فيها ما يضر الانسان بل كلها لمنفعته، والقوانين الالهية لا ظلم فيها لأحد فالكل سواسية أمام الله تعالى، والقوانين الالهية وضعها رب العزة والجلال لينتفع بها الانسان في دنياه واخرته، أي عمله يستفيد منه

في الدنيا فان كان خيرا يرى نتائج عمله وجزاؤه الجنة باذن ربه.

القوانين الوضعية الانسانية من اجتهاد الناس المختصين كل في مجاله وقد يعترئها الخطأ، بدليل أنها تتغير وتتبدل في كل منلوبة، القوانين الوضعية ليست كلها في صالح الناس ولمنفعتهم بل منها ما يضرهم كقوانين الربا والجنس التي تصدر عن مؤتمرات عالمية كمؤتمر بكين ونيروبي وغيرهما، كذلك القوانين التي يضعها البنك الدولي أغلبها توضع لغير مصلحة الشعوب، وهناك الاف القوانين التي لا تصلح لكل زمان ومكان وفي القوانين الانسانية قد تظلم فئة من الناس وتتصف فئة، لذلك لا تتسم بالعدالة، وهناك من القوانين التي لا يعمل بها الا اذا كانت لمصلحة هذه الدولة أو تلك، مثل قوانين حقوق الانسان تطبق لصالح الأقوياء فقط ولكن الضعفاء لا تنطبق عليهم هذه القوانين، لذلك استخدام أكثر من لغة لتفسير هذه القوانين أو ما يسمى الكيل بمكيالين ليس فيه عدالة لكل الناس، وهكذا نجد أن القوانين الالهية يعتمد عليها أم القوانين الوضعية فلا أحد يثق بها وخصوصا اذا كانت غير منصفة للجميع.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السابع والعشرين

- 1- السلام اسم من أسماء الله الحسنى وضعه على الأرض كي يسود السلام والوئام أرجاءها.
 - 2- السلام مبدأ أساسي من مبادئ الاسلام للحفاظ على أمن وطمأنينة المجتمعات وساعاتها ورهايتها.
 - 3- يبدأ المسلم أخاه المسلم حتى غير المسلم بالسلام، كي يسود السلام وتسود المودة بين الناس حتى اذا اختلفت مللهم وعقائدهم وألوانهم وجنسهم.
 - 4- افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة وصلة الأرحام كلها طرق تؤدي الى الجنة ومبادئ أساسية في الإسلام.
 - 5- رد السلام على من يلقيه بمثله أو أحسن منه.
 - 6- افشاء السلام ونشره في العالم جزء من الايمان وأقرب الناس الى الله من يبدأ الناس بالسلام.
 - 7- السلام تحية الأمة الاسلامية وأمان لأهل النمة في بلاد الإسلام.
 - 8- السلام والأمان توأمان لا ينفصلان.
 - 9- تحية أهل الجنة السلام لقوله تعالى:
- ﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يونس 10

- 10- تحية الملائكة للمؤمنين يوم القيامة السلام.
- 11- لغة أهل الجنة يوم القيامة السلام ولا يتحدثون الا بها.
- 12- السلام يقوي الروابط بين الناس مهما كانت نحلهم ومذاهبهم وألوانهم.
- 13- السلام عنصر مساواة بين الناس فالغني يطرح السلام على الفقير والقوي يطرح السلام على الضعيف وهكذا يتساوى الناس بطرح السلام وإفشائه بين الناس.
- 14- السلام جزء من أخلاق الاسلام فمن تخلق بأخلاق الاسلام عليه بالدعوة الى السلام وممارسته ونشره.

الفصل الثامن والعشرون

الجيرة واحترامها في السنة النبوية

الجار أهم من الدار أو الجار قبل الدار هكذا يقولون في المثل الشعبي، لأن الجار هو الأقرب الى الجار من القريب أو الأهل اذا كان الانسان يسكن بعيدا عنهم، والمقصود بالأهل هنا الأب والأخ والأقارب وليس الزوج أو الزوجة لأنهم الأهل الذين يسكنون معا دائما، أولى الاسلام أهمية كبيرة للجار لتلك الأهمية في القرب، كما أولاه الحب والاحترام والتقدير، الجار في الاسلام ثلاثة أنواع، الجار الأجنبي الذي لا تعرفه ولا يعرفك وغير المسلم، فله حق الجار والجوار من احترام وتقدير والحفاظ عليه وعلى أسرته والامان على نفسه وعياله وعرضه وماله، فهو في ذمة جاره المسلم يبعده عن الأذى والخطر وعن كل ما يسيئ له ويسوؤه والنوع الثاني الجار المسلم وله حقان حق الجار وحق الاسلام، والجار القريب بالنسب أو بالمصاهرة فله ثلاثة حقوق حق الجيرة وحق الاسلام وحق القرابة كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء 36

وفي السنة النبوية روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقا، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم.

الجار بأنواعه الثلاثة يستحق البر والاحسان، روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قولها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. رواه البخاري وأحمد في مسنده لهذه الدرجة وضع النبي الكريم الجار في منزلة القريب حتى ظن أن جبريل سيضعه من ضمن الورثة، وفي حديث اخر وضع احترام الجار والاحسان اليه مع الاسلام، أي المسلم الحق هو

الذي يحسن الى جاره في قوله:

أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً. رواه الترمذي وابن ماجه

احترام الجار وبره واجب أمرنا الله تعالى ونبيه الكريم بهما، وهما من الايمان أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم:

والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه. وفي رواية مسلم: **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.** أي شره وظلمه وأذاه.

وفي السياق نفسه قال النبي الكريم:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره. رواه البخاري ومسلم وفي رواية فلا يؤذي جاره ولقد شدد النبي الكريم على أن احترام الجار من الايمان في كثير من الأحاديث النبوية، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه. أخرجه البخاري ومسلم وقال أيضا:

ما امن بي من بات شعبانا وجاره جائع وهو يعلم به. رواه البخاري

الجار هو الذي يجاورك في السكن، أو من تسكن عنده أو يسكن عندك، وبعض العلماء من يرى أن من يجير غيره فهو جار، والحال هذه مع المستجير الذي يطلب الأمن والحماية ويعطيه من طلب منه ذلك ما أراد فهو جار، والجار قد يكون في المتجر أو المصنع أو الأرض أو جار المسجد أي المحيطين بالمسجد جيران أو أي مكان يطول به الجوار، والجوار نفسه يطول وتقوى أواصره حسب المودة والرضي بين الجار وجاره، اذ ليس شرطاً أن يكون سابع جار هو جار، اذ أن هذا ليس حديثاً عن النبي الكريم، فالمودة والمحبة هما اللتان تحددان الجيرة الحسنة من غيرها، والحديث الصحيح أن رجلاً جاء الى النبي الكريم يشكو له جاره فأمره أن ينادي على باب المسجد: **ألا أن أربعين جاراً، أي أن الجار الذي يحدك من أربع جهات، وقيل: ان العدد أربعين أن من يحدك لأربعين بيتاً، وقال هؤلاء: ان البيوت كانت متلاصقة وفي أزقة مترابطة، لذلك كان مفهوم الجيرة أوسع من أيامنا هذه التي تبعد المساكن عن بعضها بعضاً مسافات ولكن الذي يحدد الجيرة في هذه الحالة الجيران أنفسهم، ربما يعتبر شخص سكان العمارة المقابلة جيراناً بينما لا يعتبرهم آخر، ولكن من المتعارف عليه أن سكان العمارة الواحدة بشققها الكثيرة جيران، ولكن مفهوم الجيرة في المثال المضروب العشرة والمعاملة الحسنة والترابط والمودة، فإذا ما توافرت هذه الأمور كان الجار ولو بعد جاراً. الجار كالأخ في المنزل، يتساويان وليس في منزلة العصب بالطبع، وإذا كانت العلاقات بين**

الجار وجاره طيبة فانه يكون بمنزلة الأخ، وقد يكون الجار مفيدا لجاره القريب أكثر من أخيه البعيد، أذ رب أخ لك لم تلده أمك، وربما يكون هذا الأخ الذي لم تلده أمك جارك أو صديقك أو قريبك حتى ولو من بعيد، والجار قد يكون مكنم سعادة الأنسان، كما قد يكون مكنم شقائه اذا كان الجار شقيا أو أبنائه أو احد أبنائه أو احدى بناته أو زوجته، فالجار السيئ يكون فأل شؤم على جاره أو جيرانه، من هنا قال الناس الجار قبل الدار، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ثلاث خصال من سعادة المرء، الجار الصالح، والمركب الهنيئ والمسكن الواسع. رواه أحمد

وفي حديث اخر عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أربع من السعادة، المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيئ، وأربع من الشقاوة الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء. رواه ابن حبان وأحمد وصححه الألباني

صححه الألباني يعني أنه قام بدراسة الحديث متنا وسندا ووصل باجتهاده الى صحة الحديث أو ضعفه وقد يكون الحديث صحيحا فيؤكد الألباني على صحته بعد دراسته أو يؤكد على ضعفه كذلك.

وضع النبي الكريم الجار موضع التكريم والاحترام، واعتبر احترامه جزءا من الايمان لقوله صلى الله عليه وسلم:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. صحيح مسلم
وللعلاقة الوثيقة بين اكرام الجار والايمان روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسا وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب. رواه الترمذي وأحمد والطبراني في الأوسط

نلاحظ من الحديث السابق أنه درس في الأخلاق العامة درج رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليمها للناس في كل مناسبة، فربط بين الحفاظ على المحارم وحرمتها بالعبادة، والرضى بما قسم الله تعالى بالغنى والاحسان الى الجار بالايمان، وحب الخير للناس بالاسلام، ونصيحة أخيرة بالبعد عن الضحك لأنه يميت القلب، وفي هذا القول ما ثبت علميا بأن كثرة الضحك يضعف القلب ولا

يساعد على تقويته.

وهكذا فاننا مع كل حديث نبوي ومن كل فعل أو تقرير نتعلم من نبينا الكريم دروسا في الأخلاق والايمان والحياة، لن يجدها المرء وخصوصا المسلم عند غير رسول الله، لأنه المعلم الأول والمرشد والموجه لنا في سلوكنا وعباداتنا، ولا تجد هذه الأخلاقيات عند أحد غيره حتى عند من قبله من الفلاسفة وعلماء الأخلاق ولا من بعده، لذلك فان نبينا الكريم يعتبر مدرسة متكاملة شاملة لم تسبقها مدرسة قبله، ولن تجد مدرسة بعده بهذه الشمولية، لذلك ولأمور أخرى كثيرة أيضا هو خير البشرية والمصطفى من الله تعالى ليكون وبالفعل كان هاديا ومبشرا ونذيرا.

الحفاظ على الجار والحفاظ على سمعته وعدم اذائه بدنيا أو لفظيا أو تجريحا أو اهانة بأي شكل من الأشكال بل وكف الأذى عنه وعن أسرته واجبات مفروضة على المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ان فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقته وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها قال: **هي في النار**، قال: يا رسول الله فان فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقته وصلاتها وانها تتصدق بالأنوار من الاقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: **هي في الجنة**. (الأنوار من الاقط يعني قطع من لبن الأغنام) رواه الألباني في صحيح الترغيب

الجار القريب الى باب دارك هو الأولى بالجيرة ثم البعيد فالأبعد وهكذا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي؟ قال: **الى أقربهما منك بابا**. رواه البخاري

الجار مهما كان دينه أو لغته أو جنسه أو لونه له لما للجار المسلم من الحقوق، حتى الهدايا والصدقات عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أنه ذبح شاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

هل أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ ثلاث مرات. رواه أبو داود والترمذي وأحمد

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك. رواه مسلم وأحمد

في بلادنا العربية والاسلامية ما زال الجيران يودون بعضهم بعضا، ويقدمون الطعام لبعضهم بعضا في المناسبات الدينية وغيرها من المناسبات، وذلك اقتداء بنبي الأمة والعالمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. الجيرة الحسنة تقود الى الجنة، والجيرة السيئة تقود الى النار، وخير الناس وأفضلهم يوم القيامة خيرهم لجاره ولصاحبه لقوله صلى الله عليه وسلم:

خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره. رواه أحمد

الايمان والعقيدة تحكمان سلوك المسلم بفطرته النقية الصافية، ويهدف المسلم في النهاية الى أن تكون سيرته الذاتية وسمعته طيبة بين الناس تتناسب والايمان والعقيدة المتمثلة بالاسلام السمع، وبالتالي تصل أعماله وترفع الى الله تعالى لتلقى القبول باذنه، ومن هذا السلوك تعامله مع جاره ومع أقاربه ومع أصدقائه فإذا حمده هؤلاء تكون سمعته طيبة حسنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره، فقال له: **اذهب فاصبر**، فجاءه مرتين أو ثلاثا، فقال: **اذهب واطرح متاعك في الطريق**، فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه (يلعنون الجار السيئ) فعل الله به وفعل وفعل ومأشابه هذه اللعنات، فجاء اليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئا تكرهه، وفي رواية، ارجع فوالله لا أؤذيك أبدا. رواه البخاري وأبو داود وابن حبان

هذه حكمة النبي الكريم، ولو استدعى الجار وتحدث معه لاختلق للنبي الكريم الأعذار لايذائه جاره، ولكي يتفادى النبي ذلك جعل الناس هم الحكم بين المشتكي وبين جاره، فكان حكمهم قاس على الجار السيئ ما حدى به الى الاعتذار لجاره بعد أن أدرك فداحة عمله وسلوكه السيئ مع جاره. من هنا يتضح لنا أن جزءا من سمعة الرجل تأتي من سمعته مع جاره وعلاقته به، فإذا انتشر خبر ايذاء الجار للجار فانه يناله عدم الرضى وسخط الناس عليه كما في الرواية السابقة، وايذاء الجار يقع في مناح منها:

- 1- التعرض له في دخوله وخروجه من بيته.
- 2- ايذائه في أهله وعياله بالشتم أو الضرب أو الالهانة أو كلها معا.
- 3- ايذائه بالتلصص عليه وعلى بيته وحرماته.
- 4- معايشة زوجة جاره بالحرام، وهذا النوع من الزنى لهو من أكبر الكبائر، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله ندا وهو خلقك**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **أن تزني حليلة جارك**. رواه البخاري ومسلم وفي السياق نفسه روى المقداد بن الأسود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: **ماذا تقولون في الزنا؟** قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**، وقال: **ما تقولون في السرقة؟** قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق جاره**. رواه البخاري وأحمد

وفي باب أذى الجار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
يحب الله عز وجل ثلاثاً، ومنهم رجل له جار سوء فهو يؤذيه ويصبر على أذاه فيكفيه الله
إياه بتحول أو موت. وفي رواية حتى يفرق بينهما موت أو ظعن. رواه البخاري والبيهقي
5- سرقة جاره، أي سرقة أمواله ومقتنياته فهي من الكبائر أيضاً كما جاء في الحديث
السابق.

6- اصدار أصوات بشكل منتظم تزعج الجار وأهله من غناء وموسيقى ورقص وغير ذلك
بطرق غير مألوفة وهذا محرم وخصوصاً في أوقات القيلولة والنوم.
7- اجراء اصلاحات وهدم وبناء في أوقات النوم.
8-تربية الحيوانات في البيت وخصوصاً تلك التي تصدر روائح كريهة أو تصدر أصواتاً
مزعجة.

9- القاء القمامة والمخلفات أمام بيت الجار أو في حديقته أو في ساحة بيته.
10- افشاء أسرار الجار ونشر القصص والروايات المغلوطة أو الكاذبة حوله وحول أسرته
وعياله، وهذا من أكبر الكبائر، ويعتبر من قبيل قذف المحصنات الغافلات أو قذف الجار باوصاف
وأنواع غير حقيقية ودون وجه حق.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثامن والعشرين

- 1- الاضرار بالجار من الكبائر التي لا تغتفر، والذي يؤذي جاره ليس مؤمناً وهو يؤذيه،
كالسارق حين يسرق والزاني حين يزني... وهكذا
- 2- الجار منزلته كبيرة عند جاره، وهو بمنزلة الأخ لأخيه، ومن كثرة ما أوصى به جبريل عليه
السلام بالجار ظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيجعله من الورثة لجاره.
- 3- الجار ثلاثة مراتب الجار الغريب غير المسلم وله حق الجيرة، والجار المسلم له حقان
والجار المسلم القريب وله ثلاثة حقوق.
- 4- الجيرة الحسنة جزء من الايمان، فقد جمع بينهما النبي الكريم في أكثر من حديث.
- 5-العبادات واجبة على المسلم، ولكن اذا صاحب العبادات اىذاء للجار فان كفة الايذاء ترجح
على العبادات، وعقاب المؤذي النار كما أسلفنا، ولكن حسن الجوار يؤدي الى الجنة.
- 6- سمعة الرجل من علاقته بجاره وجيرانه، فاذا كانت حسنة وطيبة فان سمعته بالتالي تكون
طيبة، واذا كانت سيئة تكون سمعته بالتالي سيئة.

- 7- يجب تجديد اللقاءات بين الجيران باستمرار لتجديد التعارف والتألف بينهم.
- 8- الجار هو الذي يحدثك في البيت أو المتجر أو المصنع أو الأرض أو المسجد... الخ.
- 9- يجب الحفاظ على الجار ولو جار كما يقول المثل، لأنه اذا ظلمك مرة فانه قد يعود الى رشده وتستقيم الأمور معه وتعود الى مجاريها، لذلك يجب الحفاظ عليه وعلى ماله وعرضه وأسراره.

الفصل التاسع والعشرون

اقامة الحدود في السنة النبوية

اقامة الحدود في الاسلام هي عقوبات محددة ومقدرة، وهي حق من حقوق الله تعالى على عباده وعلى المسؤولين القائمين على شؤون البلاد خاصة، الهدف منها اصلاح المجتمع وردع من تسول له نفسه ارتكاب الموبقات والمحظورات والممنوعات، ولكل منها عقوبته المحددة ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وبعضها حددها رسوله النبي الأمي الأمين وعمل بها كي يكون قدوة للمسلمين من بعده، لذلك لا بد من اقامتها والعمل بها من أجل انشاء مجتمع سليم معافى من كل الأمراض والأدران الاجتماعية.

قد يسأل سائل: لماذا فرضت علينا العقوبات على السلوك الشائن وبهذه القسوة؟ الجواب على هذا التساؤل يكون بضرب الأمثلة على مجتمع منحرف وآخر معتدل ونظيف، فإذا قيل لنا ان هناك مجتمعاً تنتشر فيه الرذيلة من الزنا والفساد المالي والأخلاقي والربا والسرقة والرشاوى.... الخ، وهناك مجتمع سليم معافى من كل هذه الافات، أي المجتمعين نحب أن نعيش فيه؟ وأي المجتمعين نحب أن ينشأ فيه أطفالنا ويتربوا؟ بالطبع الجواب المجتمع الثاني، وإذا جاء مصلح أو مصلحون الى المجتمع الأول يريدون تعليم الناس فيه وحثهم على عمل الخير والبعد عن الفساد وتنظيفه من الافات التي يعاني منها، هل من حق أفراد هذا المجتمع أن يحاربوا ويقاوموا هذا المصلح أو هؤلاء المصلحين؟ أم يجب عليهم أن يستقبلوهم ويحسنوا وفادتهم ويكرمونه لا بل يشكروهم على حسن صنيعهم؟ بالطبع الجواب الشافي والوافي هو استقبال هؤلاء واحترامهم وشكرهم، لذلك نحن المسلمون ندين بالشكر والعرفان للأنبياء والمرسلين الذين جاءوا هدى ورحمة للناس كي يخرجونهم من الظلمات الى النور، وعلى رأسهم سيد الخلق أجمعين المصطفى محمد بن عبد الله.

كان العرب قبل الاسلام يعبدون غير الله تعالى، يعبدون أصناماً يصنعونها بأنفسهم ويمارسون الرذائل بأنواعها، وكانوا غارقين في المفاسد والملذات والضلال، لم يكن العرب وحدهم بهذه الصفات، بل كانت الامبراطوريات من حولهم يمارسون الأشياء نفسها، لذلك حارب النبي الكريم وأصحابه من بعده تلك الامبراطوريات من أجل اعلاء كلمة الله ومحاربة الفساد في الأرض.

الاسلام جاء من أجل تهذيب النفوس وتطهيرها من الأمراض والأدران، كما تطهير الأجسام والأبدان وتوجيه القلوب والعقول الى الله تعالى، فكانت آيات القرآن الكريم التي وضحت الفضائل

ومعانيها ومراميها ومبانيها كما وضحت العبادات والعقائد ومكارم الأخلاق، وبالمقابل اشتملت آيات الله البينات على مفساد المجتمع وما فيها من خلل وانحلال وضلال، فوعد الله تعالى من يسير على طريق الهدى والنور بالجنة، وتوعد من يستمر السير على طريق الضلال بالعذاب الأليم إلا التائبون فإنه ثواب غفور رحيم بعباده، ومن ضمن سلوك الضلال ما يستحق إقامة الحد على فاعله في الدنيا وعقابه أشد في الآخرة كالزنى والسرقه وقذف المحصنات الغافلات وشرب الخمر والكذب وغير ذلك.

العرب كما قلنا كانت قبائل شتى متنازعة فيما بينها يحكمها قانون القوة والعصبية القبلية، وكان العرب لا يتقيدون بقانون معين إلا ما يتعلق بالمصالح الاقتصادية والحياة الدنيا ومباهجها، أما ما يتعلق بالعبادات والعقائد السليمة، لم تكن في اعتبارهم، إذ أنهم تركوا دين آبائهم وأجدادهم القائم على التوحيد، واتبعوا ديناً جديداً قائماً على الشرك بالله وممارسة شتى أنواع الرذائل، وكانت خطبة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي ملك الحبشة خير تعبير عن حياة العرب قبل الإسلام إذ قال:

أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفاحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج من استطاع إليه سبيلاً، فصدقناه وأماناً به واتبعناه على ما جاء به فعبداً لله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرماً ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جورك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

هذه الخطبة وما تلاها من ذكر فضائل ومآثر عيسى بن مريم وامه عليهما السلام أمام النجاشي أثلجت صدره، ورفعت من شأن الوفد الإسلامي الذي لجأ إليه خوفاً من بطش أعداء الإسلام من قريش والقبائل الأخرى، وكان النبي الكريم قد أوعز إلى بعض المسلمين المضطهدين في بلادهم بالهجرة إلى الحبشة لأن فيها ملكاً لا يظلم في بلاده أحد وخصوصاً الغرباء، هذه الخطبة فيها من المفارقات الغريبة والمقارنات البديعة بين ما كان عليه القوم وما أصبحوا عليه بعد البعثة

النبوية الشريفة، ما أثر في نفس النجاشي وأمر بأن يبقى المسلمون على أرض بلاده وفي حمايته، يتعبدون ويعيشون كما يشاءون في أمان وسلام، تماما كما يدعو اليه الاسلام العظيم من تسامح وتحاب وتلاحم بين الأمم والشعوب، كما ذكر الله تعالى في كتابه المجيد.

اعترف النجاشي بأن ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به المسيح عليه السلام انما هما من مشكاة واحدة، أي من أصل واحد ومنبع واحد وهو الله رب العالمين، لذلك فان الأحكام الشرعية التي جاء بها الاسلام من خلال القرآن والسنة النبوية، انما كانت قبل ذلك في الكتب السماوية التوراة والانجيل، وما أنزل على ابراهيم واسحق ويعقوب وكل الأنبياء والرسل الذين سبقوا رسالة الاسلام المحمدية وجاء النبي الكريم كي يحيي ما نسيه الناس أو تناسوه خلال السنين، كما أنه جاء كي ينبه الناس كافة الى مكارم الأخلاق التي جاء بها من سبقه من الأنبياء والرسل، لا بل ليتم هذه المكارم على أحسن وجه لقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة 3

وقال نبينا وحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم:

انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

هذه من أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم النبيين وبعثه الى الجن والانس فلا حلال الا ما أحله ولا حرام الا ما حرمه ولا دين الا ما شرعه، وكل شيء جاء به هو حق وصدق لا كذب فيه ولا رياء، ولا خلاف ولا تناقض أو تعارض أو تضاد بين آيات الله البينات لقوله تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الأنعام 115

الله سبحانه وتعالى لا يريد الا الخير للانسان فهو غير متناقض مع نفسه، ولا يأمر بشيء ثم يأمر بنقيضه حاشا الله عما يصفون، ولكن لكل زمان دولة ورجال، ولكل زمان ومكان قوانينه وأحكامه، فما يتناسب مع قوم قبل ألف عام لا يتناسب مع غيرهم بعد ذلك، وهذا ينطبق على الشرائع والأوامر والنواهي، ولكن الأحكام التي تتعلق بالكبائر والحدود فانها في شرع الله واحدة، وان اختلفت في الطرح واللغة، فعقوبة الزنى في شريعة موسى عليه السلام هي الموت، وينطبق على الرجل والمرأة، بينما عقوبة الزنى للمحصن هي الرجم كما جاء في سفر التثنية من الآيات 17-22، أما ما يقال عن عفو سيدنا عيسى عليه السلام عن المرأة الزانية بقوله:

من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر، فانه لم يأت أبدا في أناجيل الكتب اليونانية

القديمة، من هنا نؤكد أن عقوبات الكبائر واحدة في كل الكتب السماوية ولا نقول في كل الأديان لأن الدين عند الله الاسلام. فحدود الله معروفة وقد حذرنا رب العالمين والنبيون ونبي الاسلام من الاقتراب منها، والذي يقترب منها ويقتربها له عذاب في الدنيا والاخرة، والحد في اللغة هو الفصل بين شيئين، والحد هو المنع، وحد السيف هو الجهة القاطعة المانعة منه، أي لا يجوز تجاوز هذا الحد والاعتداء عليه لأنه القاطع بلا رحمة، فنقول ان المرأة حدثت على زوجها، أي امتنعت عن الزينة والتبرج والخروج أمام الناس لفترة الحداد، من هنا نفهم حدود الله التي نمتنع عن عملها والاقتراب منها والعمل بها، أي هي بالمعنى المفهوم ممنوعة على الانسان أن يمارسها مسلما كان أو غير مسلم، لأن كلا منهما انسان مخلوق يجب عليه طاعة الله تعالى، فاذا أنكر الطاعة أنكر وجود الله تعالى، ومن ينكر وجود الله كافر أو ملحد فله العقاب في الدنيا والاخرة هو من الخاسرين لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف 180

لا يحق لمخلوق ان ينكر على الله تعالى قوله أو أمره أو ما نهى عنه، وكما قلنا فان الأحكام الشرعية تنزلت على أنبياء الله للعمل بها، ولكن القرآن الكريم جاء بالقول الفصل بخصوصها لقوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَآخُذْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة 48

لم تات الأحكام الشرعية من أجل تعاسة الناس وشقائهم، بل جاءت من أجل سعادتهم ومن أجل أن يعيشوا حياتهم باطمئنان وسكينة، فالمذنب يعاقب على ذنبه الا اذا تاب وأصلح، فان الله تعالى يبذل سيئاته حسنات والمحسن يجازى على احسانه ويضاعف له باذن الله، لذلك على الناس عامة طاعة الله ورسوله لقوله تعالى

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

الحشر 7

يوجهنا رب العزة والجلال الى أهمية اتباع النبي عليه الصلاة والسلام لأن كما ما يأتي به هو منه تعالى ومن يخالف ما يؤمر به يعذبه الله كل حسب ذنبه، وقبل أن يضع لنا العقاب كان لا بد من التنبيه أيضا للأمور التي يجب تجنبها حتى لا يكون للانسان حجة بعد ذلك، فقد نهى عن شرب

الخمير قبل أداء الصلاة كي يكون هذا النهي مقدمة للتحريم فقال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝﴾

النساء 43

كم من الأحكام الشرعية جاء في هذه الآية الكريمة؟ تحريم شرب الخمير قبل الصلاة، كذلك تحريم الصلاة في الجنابة حتى الاغتسال منها وتطهير البدن والثوب قبل الاقدام على الصلاة، والتيمم ان لم يجد المسلم ماء للاستحمام أو الوضوء، وشرح لنا كيفية التيمم حتى نؤدي فروض الله تعالى، هذه الأحكام كما نلاحظ كلها لصالح المسلم، من نظافة وطهارة، والابتعاد عن النجس والسكر وفقدان العقل حتى يعلم المصلي ماذا يقول في صلاته وبم يدعو ربه، وهكذا نجد أن هذه الاحكام فيها السعادة والحياة الطيبة اذا ما اتبعها المسلم حتى غير المسلم، حيث سيجد فيها مثلما يجده المسلم في حياته، وربما تكون فاتحة خير له كي يدخل في دين الله تعالى دين الحق.

ومن المحرمات التي نهانا رب العالمين عنها الابتعاد عن أكل مال اليتيم كما ذكرنا في الفصول السابقة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلَفْ نَفْسًا وَلَا نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ الأنعام 52

هذه الآية الكريمة تشتمل على عدة أحكام أيضا، وكلها تصب في صالح الناس، أكان الوكيل على أموال اليتيم وواجب الحفاظ عليه وعدم التفريط به الا بحقه، أم كان لصالح اليتيم نفسه الذي يجب عليه أن يهتم بماله بنفسه بعد بلوغه سن الرشد ويكون راشدا على استعمال واستغلال أمواله، كذلك حثنا رب العزة والجلال على الوفاء بالكيل والميزان، كما الوفاء بالعهود والوعود التي نقطعها على أنفسنا، وأن نحكم بالعدل والقسطاس بين الناس، حتى لو كان الغريم ذا قربي للحاكم، فعليه أن يضع العدل نصب عينيه قبل القرابة والنسب.

نهى الله سبحانه وتعالى عبده عن الاقدام على الفواحش ما ظهر منها وما بطن، كالزنى وشرب الخمير وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، والسرقة والكذب والربا وأكل مل اليتيم وعقوق الوالدين... الخ، ولكل مما سبق وغيره درجات في الاثم، حيث طلب الله تعالى من نبيه الكريم أن يبين للناس بعضا من هذه الممنوعات والمنكرات والفواحش في قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ أَنْ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا

أُولَٰئِكَ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ الأنعام

ومن الفواحش التي نهى الله تعالى الاقتراب منها وحرمها هي الزنى في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلٌ ﴾ الاسراء 32

في السورة نفسها يحذر رب العزة والجلال الناس من قتل الأولاد خشية الفقر والعوز، وذكر أنه هو الرزاق العليم بكل شيء، كما حذرهم من قتل النفس التي حرم الله الا بالحق وعدم الاقتراب من مال اليتيم والعدل في الميزان والكيل، وكثير من الأوامر والنواهي التي يجب الالتزام بها. تلك حدود الله تعالى وغيرها لا يجب الاقتراب منها، ومن يطع الله تعالى كما أمر يعيش سعيدا ويمت عزيزا وهو مكرم عند الله تعالى، أما من يتجاوزها فان له حياة تعيسة ضنكا، وعذابا من الله يوم القيامة بما يستحق لقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ يَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ۖ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ النساء 14

أما من لم يطع الله فعذابه في الآخرة عظيم، أما في الدنيا فعقابه شديد كي يكون عبرة لغيره، وقد سبق العقاب تحديد الأثم في الايات السابقة، ومن ثم التحذير بالعقاب الشديد، وبعد ذلك حل العقاب لمن لم يرتدع، ففي عقوبة الزنى الجلد لغير المتزوج وغير المتزوجة لقوله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور 2

يرى بعض العلماء أن هذه الآية الكريمة وتطبيق النبي الكريم لها نسخت الآية 15 من سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفُحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾

النساء 15

أما عقاب السرقة فهو قطع يد السارق وفق القواعد الاسلامية المعمول بها، كالتحذير أولا والتنبيه لمخاطر السرقة، والعفو بداية عن الأعمال الصغيرة ثم القصاص فيما بعد، وذلك ما يتماشى وقوانين البلاد المعمول بها، شريطة أن تلتزم هذه البلاد بشرع الله، وأن لا تنتهون في تطبيق ما يشرعه يقول الله تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة 39

وكما كتب الله على بني اسرائيل القصاص في القتل والفساد في الأرض في قوله تعالى:
﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ﴾ المائدة 32

كما كتب الله ذلك على بني اسرائيل كتبه على الذين من بعدهم، وهم من الذين يقولون نحن مسلمون بالسنتهم وهم يفسدون في الأرض، هؤلاء لهم عذاب أليم كحد من حدود الحرابة في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة 33

أما حد قذف المحصنات الغافلات، فقد ذكر الله تعالى أن عقاب القاذف الجلد وعدم قبول شهادة له أبداً، لا في المحاكم ولا في الدوائر الحكومية الأخرى، عقاباً له على ما اقترفه لسانه من قول الزور وانتهاك لحرمان الناس يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِإِثْبَاتٍ لَهُمْ جَلْدٌ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور 4

والفاسق عند الله جزاؤه جهنم وبئس المصير، وفي قذف المحصنات الغافلات اثم كبير، ويتطبق ذلك على اتهام السيدة عائشة رضي الله عنها بالاثم من قبل أناس جهلة لا يعرفون حقوق الله وحقوق الناس وخصوصاً عرض النبي الكريم، حيث برأها الله تعالى في السورة المباركة من الإلية 11-21 ويختم براءتها بقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور 23

ودائماً باب التوبة مفتوح أمام العصاة، ولا يغلقه رب العالمين أبداً عسى أن يغفر للمذنب خطياه، يقول رب العزة والجلال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور 5

اعتبر بعض العلماء أن التوبة يجب أن تكون قبل الاعتراف بالاثم أو الاعتراف بارتكاب الجريمة، فاذا ما أقر الفاعل بفعله واعترف باقتربها فيجب اقامة الحد عليه، ولكن اذا لم يضبط

بالجرم أو لم يعترف أو لم يشتك منه الناس، وعدم وجود شهود فلا يقام عليه الحد وعليه التوبة الى الله تعالى، وبعد أن ذكر رب العالمين الحكم على المفسد في الأرض في سورة التوبة اذا ما اعترف بذنبه أو ضبط متلبسا أو أقام عليه الشهود الحجة، ذكر التوبة اذا لم يثبت على الجاني أيا من ذلك في قوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة 34

وفي سورة النور التي كلها نور من الله تعالى، أحكام كثيرة عمل نبي الله تعالى على شرحها وتفسيرها وتوضيحها للمسلمين، كما العمل بها دون توان أو تقاعس منه صلوات الله وسلامه عليه، ليس الأحكام في سورة النور فقط، ولكن الأحكام التي جاءت في كل سور القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة 67

النبي الكريم أمر أن يبلغ كل ما أنزل اليه وتطبيق الأحكام الشرعية كما أنزلت، وهذا الأمر ليس منوطا بالنبي فقط بل لكل حاكم مسلم يأتي من بعده عليه مسؤولية تطبيق الشرع الحنيف، ومن الحدود الواجبة العقاب حد اللواط وهو قتل الفاعل والمفعول به لقوله صلى الله عليه وسلم:

من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة حديث ضعيف بالرغم من اخراجه من أكثر من محدث

وفي حد شرب الخمر جلد الشارب ولو بالاعتراف مرة واحدة أربعين جلدة الي ثمانين، ويثبت حد الخمر بثبوت شربه من غير اكراه سواء قل أم كثر وبشهادة الذكور، وأقام النبي الكريم الحد على شارب الخمر أربعين جلدة ومن بعده أصحابه الكرام حتى وصل الحد الى ثمانين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شريطة أن يكون المتهم بالغاً عاقلاً غير مكره على الشرب وانتفاء الشبهة. أما حد الردة فهو القتل، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من بدل دينه فاقتلوه ولا تعذبوه بعذاب الله. رواه البخاري

وقوله صلى الله عليه وسلم: **لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث، الثيب الزاني، والنفس**

بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري

حد القتل العمد القتل، من قتل مسلماً عامداً متعمداً فجزاؤه القتل، لأن القتل العمد من الكبائر، فكما قتل البرئ بلا رحمة يقتل القاتل بلا رحمة كذلك الا اذا عفا أهل القتل، ولكن تبقى كفارة القتل وهي التوبة أولاً ثم عتق رقبة، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ولكن تبقى أيضاً عقوبة الآخرة من الله تعالى لقوله:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

عَظِيمًا﴾ النساء 93

حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق، ولكن القتل الخطأ فكفارته عتق رقبة ودية تسلم الى أهله أم من ينوب عنهم لقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۖ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

النساء 92

هذه الاية الكريمة وضحت بالتفصيل حد القتل، فالقتل العمد له أحكامه، والقتل غير العمد له أحكامه أيضا كذلك قتل المؤمن من قبيلة تناصب قبيلة القاتل العدا، والقبيلة التي بين قبيلة القاتل وهذه القبيلة عهد وميثاق واتفاقات، لكل منها حكمه العادل من الله تعالى وهو القائل في نهاية الاية الكريمة وكان الله عليما حكيما. وحد البغي في الأرض القتل أيضا لقول الله تعالى:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات 9

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك:

انه ستكون بعدي هنات وهنات (الفتن والأمر الحادثة) فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان.

رواه مسلم

أوضحنا سابقا أن الله تعالى يحذر الناس من ارتكاب الجرائم السابقة ولا يحذر المسلم فقط، لأن هذه الجرائم هي ضد الإنسانية وضد الانسان، فما يؤذي المسلم في دياره يؤذي الآخرين في بلادهم، فالأمر ليس مقتصر على المسلم والمسلمين، فالنصيحة بعدم ارتكاب هذه الجرائم عامة للبشرية جميعا، وبالرغم من أن الدول الغربية لا تولي هذه الأمور بالا بالظاهر، الا أنها تعاني الأمرين من هذه الجرائم المتمثلة بالزنى واللواط الذي شرعوه في مجتمعاتهم، والافراط في شرب الخمرالذي يسبب لهم المشاكل الكفيرة، والربا في البنوك والشركات وغير ذلك.

هذه المنكرات والموبقات نهى الله تعالى عنها، ولكن بعض الناس لا يضعها في الاعتبار، ومنهم بعض من يدعي انتمائه للإسلام، هذا النوع من الناس يمارس الموبقات عن عمد وسبق الاصرار والترصد، فهو لا يعتبر شرب الخمر محرما، ولا الزنى ولا الربا ولا شيئا من هذا القبيل،

وذلك بسبب غياب الايمان من جهة وغياب القصاص والعقاب من جهة أخرى، ففي هذه المجتمعات غير المبالية بأحكام الله تعالى نجد الفساد ينتشر فيها والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية أيضا، ما يعجز الخبراء عن ايجاد حلول لها الا باجتثاث أسباب هذه المشكلات من جذورها، وردع كل من يرتكبها بما حدده الله تعالى ونبيه الكريم من عقوبات حتى ينعم المجتمع بالأمان والسلام الدائمين.

لم يتهاون النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بتطبيق شرع الله تعالى على كل مقترف لللاثم والعدوان وتنفيذ أوامر الله تعالى في القصاص ممن يرتكب الكبيرة، فالحاكم العادل هو الذي يطبق شرع الله وعدله على الأرض، وليس لأحد الحق في أن يطبق حدود الله غير الحاكم وفق القانون المعمول به في البلاد والمفروض أن يكون مشتقا من الشرع الإسلامي.

حد الزنى كما قلنا الجلد أمام مجموعة من الناس ليشهدوا عذاب الزاني أو الزانية أو كليهما، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم.** رواه مسلم أفاد الحديث الشريف أن عقاب الزاني البكر مائة جلدة ان كان ذكرا أم أنثى، أما عقاب الزاني المحصن أو الزانية المحصنة فالجلد ثم الرجم حتى الموت، وقد طبق النبي الكريم ذلك على ماعز بن مالك الذي اعترف بجريمة الزنى، والمرأة الغامدية التي اعترفت هي الأخرى بممارسة الزنى. هذا وقد كان لبعض العلماء رأي في قضية رجم الزاني المحصن، وأخذت مساحة من الجدل بين المسلمين وغير المسلمين ممن يترصدون للإسلام والمسلمين، منهم من أقر الرجم ومنهم من لم يقره، من لم يقره قال ان هذا الحكم لم يأت فيه نص صريح في القرآن الكريم، وتساءل كيف يقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم حدا ليس منصوصا عليه في القرآن الكريم؟ وشككوا في حدوث عمليات الرجم تلك، ولكن بعضا اخر ذكر بأن اية الرجم رفعت من سورة الأحزاب في القرآن الكريم ولكنها كانت موجودة، وقالوا انها رفعت نسا ولكنها بقيت حكما، وقال الذين أكدوا وجود الآية ما نصها:

والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأها وحفظها، وغيره من الصحابة أقرروا بوجودها، وقال عمر بن الخطاب في ذلك:

ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل اليه اية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله

ما وجدنا آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل (الحمل) أو الاعتراف. رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي

وقضية الرجم تعني نسخ السنة للآية الكريمة السابقة، حيث يرى بعض العلماء أن السنة لا تنسخ الآية، في حين يرى بعض آخر أن القرآن والسنة ينسخ كلاهما الآخر لأن النبي الكريم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى إليه، ولا يقوم بفعل شيء كإقامة الحدود دون إذن من الله تعالى وهذا رأي الشنقيطي وآخرون لذلك فإن تطبيق حد الرجم من النبي الكريم نسخ الآيات التي لم تذكر الرجم في متنها. ومن خلال تتبعنا لمؤيدي وجود الآية التي قيل إن الرسول كره أن تكتب في المصحف الشريف، لاحظنا أن المعارضين على وجودها أصلاً ينكرون حد الرجم أيضاً بالرغم من ثبوت إقامة النبي الكريم الحد على ماعز والغامدية وغيرهما لذلك أخذت هذه القضية منحى قابلاً للنقاش والجدال، من جهة لا يمكن إنكار فعل قام به النبي الكريم والفعل جزء من سنته صلوات الله وسلامه عليه، ولكن بالنسبة للآية قال بعض العلماء القدامى والمحدثين إنها آية مزعومة لا أساس لها، ولو كانت نزلت على النبي لما تخرج عن الأمر بكتابتها لأنه لا يوجد ما يمنع ذلك، وكانت حجتهم بعدم وجودها ما يلي:

1- اللغة التي جاءت بها الآية المزعومة (حسب رأيهم) لا تتناسب ولغة القرآن الكريم وبلاغته، إذ لم يذكر القرآن الكريم كلمة شيخ أو شبيخة في آياته البينات، كما لا توجد كلمة البتة في القرآن كله ولو كانت معادة، فنقرأ في كتاب مبین، سلطان مبین، شهاب مبین، قرآن مبین... الخ، كذلك نقرأ: إن الله غفور رحيم كثيراً.

2- المعروف بالزاني الذي يرمم هو المحصن، وذكر الله تعالى المحصنات أي المتزوجات، فلم يذكر الله تعالى الشيخ المحصن والشيخة المحصنة حتى يرمما بتهمة الزنى، إذ أن الشيخوخة ليست شرطاً لإقامة الحدود، لأن ماعز كان شاباً والغامدية كانت شابة فأقيم عليهما الحد لأنهما كانا محصنين، ولكن الآية المزعومة ذكرت الشيخ والشيخة ولم تذكر الاحصان من هنا كانت صياغة الآية ركيكة لا تتناسب ولغة القرآن الكريم.

3- قيل إن نزول سورة الأحزاب كان في المدينة بين السنة الثانية والخامسة للهجرة، بعد نزول سورة آل عمران، وقبل نزول سورة الممتحنة، أما سورة النساء فطال نزولها سنة سبع للهجرة وبعد سورة الممتحنة ففي سورة النساء لا يذكر في آية الفاحشة الجلد أو الرجم، ولكن ذكر الجلد في سورة النور، كما ذكرت الملاعة إذا لم يوجد شهود في السورة نفسها، والنور

مدنية نزلت منجمة من السنة الثانية للهجرة الى السابعة للهجرة، ولم يذكر فيها الرجم بالرغم من أنها اشتملت على حد الزنى والقذف والملاعنة.

4- لو كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة 286 اية وهي الان 73 اية أي رفع منها 213 اية لصدقنا من يقول ان في القرآن تحريف، وحذف الصحابة منه ايات كثيرة، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر 9

5- الذين يعترضون على وجود اية الرجم يستدلون في رأيهم على موقع الاية من الأحزاب وأين مكانها من الاسورة؟ وتساءلوا لماذا رفعت ما دامت أنزلت على النبي الكريم الذي لم يتحرج بدوره على كتابة ايات بينات تلومه في بعض المواضع، كما لم يحذف سورة المسد التي بقيت ملتصقة بعمه وزوجته الى مماته صلى الله عليه وسلم؟ وتساءل هؤلاء لماذا رفعت الايات الاخريات؟ ربما كانت تشتمل على أحكام أراد الله لها أن تطبق على الأرض فلماذا رفعت؟ ومن رفعها؟ وكيف رفعت؟ أسئلة لم يجب عنها ذوا الاختصاص

6- قال المعترضون، ان القرآن لا يثبت الا بالتواتر وما لم يتواتر لا يكون قرانا ولا تجوز تلاوته
7- احتج المعترضون على ذكر الاية بثلاثة عشر معنى عند أهل السنة وأكثر من عشر معان عند الشيعة فقالوا: لا يوجد في القرآن الكريم اية واحدة اختلف فيها الرواة الا هذه

8- الادعاء بوجود اية الرجم يتناقض مع أقوال بعض صحابة رسول الله وأقربهم اليه على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية قالوا وأجمعوا على أنه لم يترك لهم الا بما هو بين دفتي القرآن الكريم، وقال على: ما عندنا الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة التي كانت بين يديه

9- القرآن الكريم متماسك الحلقات شامل كامل لا تسقط منه اية الا واختل ميزان البلاغة والفصاحة والبيان والبديع فيه لقوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل 89

وقال جل وعلا:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام 38

وقال تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الأنعام 92

اي أن الله تعالى أنزل القرآن كله هدى للناس ونذيرا لهم أيضا، ولو كانت اية الرجم حقيقة

لما تخرج النبي عن ذكرها باعتبارها نذير للعصاة والزناة

10- يستدل المعارضون لوجود اية الرجم، وبالتالي حدوث عملية الرجم (تطيف حد الزنى بالزاني المحسن) بطبيعة النبي الكريم بأنه أرسل للناس رحمة لقوله عن نفسه: أنا نبي الرحمة، وفي صحيح مسلم: اني لم أبعث لعانا وإنما بُعثت رحمة، فالعقاب بالرجم (من وجهة نظر المحتجين) ما هو الا تناقضاً مع الرحمة وقالوا: ان هناك حوادث كثيرة مشابهة في حياة النبي لم يأمر بها الا بالجلد، وكان صلى الله عليه وسلم يدرأ الحدود بالشبهات، ويبتعد ما أمكن عن حد الرجم، وما طلبه من ماعز والغامدية الاستغفار والتراجع عن الاعتراف الا دليلاً على ذلك. ناهيك عن أن النبي الكريم أشار الى القتل الرحيم اذا كان لا بد منه لقوله:

اذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وقال أيضاً: لا قود الا بالسيف دليل على عدم وجود عملية قتل بالرجم (أي لا قتل الا بالسيف).

11- القران الكريم لم يشر الى الرجم الا للنجوم التي هي رجوما للشياطين.

12- عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: انه جلد شراحة يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، وقال أجلدها بكتاب الله وأرجمها بقول رسول الله: الثيب بالثيب جلد مائة والرجم... الخ.

واستدل المعارضون بعدم وجود اية الرجم بقول علي كرم الله وجهه بأن الرجم سنة من سنن النبي وليس تطبيقاً لحكم في اية مزعومة حسب رأيهم.

13- المعارضون على الرجم يستدلون بقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء 107

والرحمة في جزء منها التخفيف عن المؤمنين حملهم، والتخفيف عما لقيه اليهود من عنت من الأحكام القاسية التي كانوا يستحقونها ومنها الرجم لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف 157

من هذه الاية الكريمة يتضح لنا أن الرسول الكريم بعث ليخفف عن الناس كثيرا من الأحكام القاسية التي كانت مفروضة على اليهود والنصارى (ويضع عنهم اصرهم والأغلال)، وكانت سورة

النور مثلا ابتدأها الله تعالى بقوله:

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور 1

اذن هي سورة آياتها مفروضة لا تتسخ بايات أخرى وهي بينة واضحة لتطبيقها في الحياة، ثم استأنف القرآن الكريم بعرض الايات البينات بجلد الزاني والزانية وجلد الذين يرمون المحصنات الغافلات دون احضار شهود أربعة، كذلك بين الله تعالى حد الملاعة للذين يرمون أزواجهم دون شهود أيضا، كلها ايات بينات لم يذكر فيها الرجم ولو تلميحاً.

من العلماء المحدثين من وقف موقفاً وسطاً من حد الزنى للثيب وهو الرجم، ومنهم القرضاوي وأبو زهرة والترابي ومصطفى محمود وغيرهم، حيث قالوا بأن الرجم شريعة اليهود أقرها النبي الكريم وعمل بها ثم ألغيت بعد نزول سورة النور، وأضاف القرضاوي الى ذلك قوله تعالى:

﴿فَإِذَا أَحْصَيْتَ إِحْصَانًا فَاعْلَمْ أَنَّ فِيهَا نِفَاقًا لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ النساء 25

فالأمة المتروجة المحصنة في هذه الآية عليها ما على الحرة نصف العذاب أي خمسين جلدة، العذاب هنا هو الجلد وليس الرجم، لأن الرجم ليس له نصف، والموت ليس له نصف الموت، لذلك فان حد الرجم من وجهة نظر المحتجين عليه لا وجود له في الأحكام.

14- استدلل المعترضون على عدم وجود اية الرجم وحد الرجم نفسه بتضعيف العلامة عبد العزيز بن باز الحديث خذو عني، خذو عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر ... الخ وقال: ان هذا الحديث عن داوود بن علي الظاهري وهو غاية في الضعف.

15- احتج المعترضون على الرجم للمحصن واستبعاد التوبة بحديث النبي الكريم للسيدة عائشة رضي الله عنها بعد اتهامها بالاثم مع صفوان بن المعطل السلمي والتي سميت بالافك، وبرأها رب العالمين من السماوات العلا وهي نفسها التي روت هذا الحديث: أما بعد يا عائشة، فانه بلغني عنك كذا وكذا، فان كنت بريئة فيبرؤك الله، وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه. رواه البخاري

لا يمكن للرسول الكريم أن يتساهل في تهمة كهذه ويكتفي بالتوبة، اذا كان لا بد من اقامة الحد حتى على زوجته، وهو القائل: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، لذلك هناك مخارج شرعية للمتهمين بالفاحشة اذا ارتكبت، وهي التوبة الى الله تعالى بعد اقامة الحد وهو الجلد وليس الرجم.

عرضنا رأي المعترضين على وجود اية الرجم وعلى الرجم كحد من الحدود، وكان لا بد من

عرض المؤيدين لحد الرجم وأدلتهم على ذلك:

1- أمر النبي الكريم برجم ماعز والغامدية لاعترافهما بالزنى وهما محصنين.

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن زيد بن خالد قالوا: ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أنشدك الله الا قضيت لي بكتاب الله؟ وقال الخصم الاخر وهو أقره منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل: قال: ان ابني كان عسيفاً (أجيراً) على هذا فزنى بامرأته، واني أخبرتك أن على ابني الرجم فافتديت منه بمئة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مئة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ترد عليك، وعلى ابنك جلد مئة وتغريب عام وأعد يا أنس (أنس بن مالك) الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها، قال: فعدا عليها فاعترفت، فأمر بها النبي فرجمت.

3- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ان يهوداً أتوا النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة منهم قد زنيا، فقال النبي: ما تجدون في كتابكم؟ فقال (اليهودي) تسخم وجوههما ويخزيان، قال النبي: كذبتم ان فيه الرجم، فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين؟ فجاءوا بقارئ لهم فقرأ حتى اذا انتهى الى موضع منها وضع يده عليه، فقيل له: ارفع يدك، فرفع يده فاذا هي تلوح، فقال أو قالوا: يا محمد ان فيها الرجم ولكننا كنا نتكأتمه بيننا فأمر بهما النبي فرجمهما. رواه أحمد ومسلم

عقوبة الرجم لم تكن وليدة الاسلام، فقد كان بنو اسرائيل يرمون المرتد والزاني المحصن. من ترجمة كتاب الحياة حول قتل المرتد نقرأ: بل حتما تقتله، كن أول قاتليه، ثم يعقبك بقية الشعب 9 أرحمه بالحجارة حتى يموت، لأنه سعى أن يضلك عن الرب الالهك الذي أخرجك من ديار مصر من نير العبودية

الاصحاح 13 اية 9-10

وفي جريمة الزنى نقرأ: ولكن ان ثبتت صحة التهمة ولم تكن الفتاة عذراء حقا 20 يؤتى بالفتاة الى بيت أبيها ويرجمها رجال من بيتها بالحجارة حتى تموت لأنها ارتكبت قباحة في إسرائيل، وزنت في بيت أبيها، وبذلك تستأصلون الشر من بينكم 21 وإذا ضبطتم رجلاً مضطجعاً مع امرأة متزوجة تقتلونهما كليهما فتنزعون الشر من وسطكم 22 وإذا التقى رجل بفتاة مخطوبة لرجل اخر في المدينة وضاجعها 23 فأخرجوهما كليهما الى ساحة بوابة تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا لأن تلك الفتاة لم تستغت وهي في المدينة، والرجل لأنه اعتدى على خطيبة الرجل الأخر فتستأصلون الشر من بينكم 24 ولكن اذا التقى ذلك الرجل بالفتاة المخطوبة في

الحقل وأمسكها وضاجعها يرمم الرجل وحده ويموت، وأما الفتاة فلا ترجم لأنها لم ترتكب خطيئة جزاؤها الموت 25 بل تكون كرجل هاجمه آخر وقتله 26 الاصحاح 22

ويبقى حد الرجم الذي نفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده، وما نفذه أصحابه رضوان الله عليهم من بعده، وما نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علامات على الطريق، تحتاج الى توضيح أكثر في صحة حد الرجم للزاني المحصن والله أعلم.

في حد شرب الخمر، وبعد تحريمه نهائياً في عام الحديبية سنة ست للهجرة، وبعد نزول سورة المائدة اية 6 عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تطبيق حد شرب الخمر على الشارب، ومن بعده أصحابه رضي الله عنهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ان النبي أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين جلدة، ولم يكتف أصحاب النبي الكريم بجلد شارب الخمر أربعين جلدة، بل جعلوا حد شارب الخمر ثمانين جلدة، هكذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا سيق لهما شارب خمر ولو كان غير مسلم وغير حر، اذ لا يشترط في اقامة الحد الاسلام والحرية، لأن النبي الكريم أقام الحدود على غير المسلمين، فالقانون واحد لا يميز بين هذا وذاك، واذا حصل ذلك فانه يحدث ارباكاً في الدولة التي تتشد العدل والقسطاس بين الرعية الواحدة (المواطنين).

أما في حد القذف، فقد أكد النبي الكريم على أن قذف المحصنات الغافلات من الكبائر، ومن المهلكات التي يجب على المسلم لا بل على غير المسلم أيضاً أن يتجنبه، وقد يطبق حد الزنى على المقذوف اذا ثبت ادعاء القاذف، لذلك كان تحريم قذف المؤمنات الغافلات في آيات القذف في سورة النور 4-5 كذلك في السورة نفسها 33-35، وتنفيذاً لأمر الله تعالى بجلد من روج لقصة الافك التي تناولت السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها وبرأها رب العرش العظيم من السماوات العلا في سورة النور من الآية 11-19 والاية 23-24، وقام النبي الكريم بجلد من روج للافك وهم ثلاثة مسطح ابن أثالة وهو من أقرباء سيدنا أبي بكر الصديق وكان الصحابي الجليل ينفق عليه، وحسان بن ثابت وهو من الصحابة وشاعر النبي كذلك، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوجة النبي، ولكنه لم يقم الحد على رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان رأس الحربة في قصة الافك، لأن عذابه يوم القيامة سيكون أعظم من اقامة الحد عليه، والثلاثة كما قلنا من الصحابة والقرابة وجاء اتهمهم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۚ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

النور 11

في حد الردة، ذكرنا سابقا بأن حد الردة لم يكن سابقة اسلامية أي لم تكن وليدة الاسلام الذي جده نبي الاسلام محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، بل كان حدا من الحدود التي يعاقب بها بنو اسرائيل من يرتد عن دين موسى عليه السلام، هذا وقد طبق النبي الكريم حد القتل في أم مروان التي ارتدت عن الدين الحنيف، أمر النبي الكريم بأن يعرض عليها الاسلام، فان تابت عفي عنها، وان لم تتب يقام عليها الحد، فلم تتب فأقيم عليها الحد. أخرجه الدار قطني والبيهقي وقيل اسناد ضعيف

هناك شروط لاقامة الحد على المرتد عن دين الله، منها البلوغ والعقل والاستتابة لمدة ثلاثة أيام، وتشمل الندم والعودة الى ممارسة شعائر الدين، والعزم على ان لا يعود الى الردة عن دين الله تعالى.

الحرابة هي قطع الطريق على الناس بالسلاح ودون السلاح والفساد في الأرض، هناك من الناس السيئئ الذين يمتنون سرقة الناس بالقوة، وقد يستعملون السلاح لتحقيق أغراضهم، وقد يقتلون ضحاياهم ويستولون على أموالهم وحاجياتهم، أو يسلبونهم ما عندهم ويتركونهم أحرارا، وللحد من هذا الأمر أو لقطع دابر المجرمين، حدد الشرع الحنيف أحكاما لكلا الأمرين، أكان من يقوم بالحرابة من المسلمين أو من غير المسلمين ما داموا في أرض الاسلام. والحرابة تعتبر جريمة كبرى نزلت فيها الايات البينات في القرآن الكريم (المائدة 33) وقال النبي الكريم:

من حمل علينا السلاح لیس منا، ومن غشنا فلیس منا. أخرجه مسلم عن ابن عمر
وقد طبق النبي الكريم حد الحرابة في العرنيين، وهم نفر من عرينة جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم وقد هزلت أجسامهم وسقمت من الأمراض، فأعلنوا اسلامهم أمام النبي، ونصحهم بالذهاب الى لقاح له (النياق الحلوب) فتعقب بفيفاء الخبر من وراء الحمى فيها مولى يرعى ابل الصداقات يسمى يسارا، فقال لهم اذهبوا واشربوا من لبن (حليب) الابل حتى تصح أبدانكم، فذهبوا، وبعد أن صحت أجسامهم قتلوا يسارا وسرقوا الابل وذهبوا بها وارتدوا عن الاسلام، فبعث وراءهم النبي، فما ارتفع النهار حتى جئ بهم فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وألقى بهم في الحرة (مكان في المدينة) حتى ماتوا، وقبل اصدار الحكم عليهم نزلت الآية الكريمة فيهم:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
المائدة 34

باب التوبة عند الله مفتوح، اذ أن الذي يضبط متلبسا بجرم أو اعترف به أو شهد عليه شهود

فلا بد من اقامة حد الله عليه، أما اذا فعل فعلته ولم يفصح عنها، أو أحدا لم يخبر بها وتاب عن فعلته، فلا يقام عليه الحد لأنه لم يتهم بالتهمة التي اقترفها كما في الآية الكريمة.

حد السرقة عقوبة محددة في الشرع الاسلامي، والسرقة هي أخذ المال خفية من حرز غيره، ولا يكون للشارق فيه ملك أو شبه ملك، والسرقة نصابها ربع دينار ذهباً فما فوق، ولا يحد غير المكلف والجاهل بأحكام الشرع، كما لا يحد سارق شئ محرم كالخمر، كما لا يحد مغتصب المال علناً والمختلس والغشاش لأن السرقة في هذه الحالات لا تستخرج من حرزها، ولكن فاعلها يعزر بالضرب أو الجلد أو ما يراه القاضي من حكم شديد. لقوله صلى الله عليه وسلم:

ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع. رواه أصحاب السنن والترمذي والحاكم

فالخائن هو الذي يأخذ المال ويظهر النصح لصاحبه، فأخذ المال هنا بالحيلة الظاهرة، والمنتهب هو الذي يأخذ المال غصباً مع المجاهرة والاعتماد على القوة، وقد تكون قوة معنوية كوصوله الى مراكز القوة في البلاد وتحالفه معها على سبيل المثال، والمختلس هو الذي يخطف المال جهراً ويهرب به، هؤلاء عقابهم التعزير لا قطع اليد كما قلنا. وفسر الفقهاء سبب عدم قطع يد السارق في الحالات السابقة لأنهم لا يقومون بما يقدم عليه السارق الذي ينتهك حرمان البيوت والمحال ويكسر الأقفال ويسرق المحترز من المال خلسة.

أقام النبي الكريم الحد على سارق المال وسارق الثمار المعلقة والشاة في المرعى، ففي الصورة الأولى أسقط قطع اليد عن سارق الثمر والكثير (جمار النخل) اذا أصاب شيئاً منها وهو محتاج اليه للأكل، ومن خرج منه بشئ فعلياً غرامة مثلية والعقوبة، ومن سرق منه شيئاً في جريته (الجرن) فعلياً القطع اذا بلغت قيمة المسروق النصاب.

وفي الصورة الثانية، قضى في الشاة التي تؤخذ من مرتعها بثمانها مضاعفا وضرب نكال (ضرباً يكون فيه عبرة لغيره) وقضى فيما يؤخذ من عضنه (أي جزءاً منه) بالقطع اذا بلغ النصاب الذي يقطع فيه سارقه. رواه أحمد وانسائي والحاكم

والسرقة التي نتحدث عنها هي السرقة الصغرى، أما السرقة الكبرى هي المال أو البضاعة وغيرها، التي تؤخذ على سبيل المغالبة وتسمى الحراية التي تحدثنا عنها ولها عقابها. وفي حد السرقة أقام النبي الكريم الحد على امرأة مخزومية كانت تستعير المتاع ولا تردده لأصحابه وفتأت أسامة بن زيد النبي يسترحمه فقال له النبي: يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عو وجل، فقام النبي وخطب الناس:

انما هلك من قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه،

والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها. رواه البخاري

خلاصة الأمر أن حدود الله يجب أن تطبق وتقام على كل من يقترب اثماً وذنبا يستحق العقاب عليه، لأنها عادلة من أجل الحفاظ على المجتمع وسلامته، وفي العقاب زجر وردع للارهاب بأنواعه وأشكاله، وللفساد بأشكاله وأنواعه، شريطة أن لا تشوب الجريمة الشبهات، فإذا شاب الحد شبهة فيجب درء العقاب، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم:

ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم، فان كان له مخرج فخلوا سبيله، لأن الامام لأن يخطئ في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة. رواه الترمذي

هذا يدل دلالة قاطعة على حدة الاسلام في مواقف معينة وتسامحه في مواقف أخرى، اقامة الحد من أجل مصلحة الفرد والجماعة والمجتمع وسلامته وصحته، ومن أجل حفظ أموال الناس وممتلكاتهم، ويكون العقاب على مستوى الجريمة للردع، أي اذا جلد شارب الخمر أو الزاني وقطعت يد السارق سيخلو المجتمع من الخطايا والرزايا وتقل الجريمة بل تنعدم، ففي اخر الاحصاءات في الولايات المتحدة أثبتت انحسار جرائم القتل والسرقة وتعاطي المخدرات في الولايات التي تطبق عقاب القتل للقاتل والعقاب الشديد القاسي لمرتكبي الجرائم الأخرى، في حين ترتفع في الولايات التي لا توجد فيها قوانين رادعة، ما يثبت أن العقاب يجب أن يكون بحجم الجريمة. كذلك في البلاد الاسلامية، فان احصاءات الأمم المتحدة أشارت الى ظالة نسبة الجريمة بأنواعها فيها، لأن المسلمين يتبعون أوامر ربهم وسنة نبيهم، ويعملون بما أمرهم به الله تعالى ورسوله الكريم، وابتعدون عما نهاهم عنه ونهاهم عنه رسولنا ونبينا المصطفى صلواته الله وسلامه عليه الحد لا يقام الا اذا ثبتت الجريمة على مرتكبها أو اعترافه الصريح بها كما قلنا، أما اذا لم ينكشف أمره فعليه بالستر أي يستر نفسه ويتوب الى الله تعالى، فاذا بليتم فاستتروا خير نصيحة توجه الى المبتلى بالاثم أو المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم:

يا أيها الناس، قد ان لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فان من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله. رواه الامام مالك في الموطأ وقال أيضا:

تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب. أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل التاسع والعشرين

- 1- إقامة الحدود التي نكرها الله تعالى في آياته البينات واجبة الإقامة وهي مستحقة في كل زمان ومكان.
- 2- إقامة الحدود التي أقرها النبي الكريم وهي واجبة التطبيق في كل زمان ومكان.
- 3- عقوبة الزاني الجلد والنفي لغير المحصن وغير المحصنة، والجلد والرجم للمحصن والمحصنة.
- 4- إذا ما أقر القاضي بجلد المحصن فيجلد قبل رجمه، كما فعل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حديثه المذكور.
- 5- حد اللواط القتل رجما للفاعل والمفعول به، أما السحاق لدى النساء ففيه التعزير كما يراه القاضي، أما الجلد أو الضرب أو غير ذلك.
- 6- حد القذف ثمانين جلدة ولا تقبل شهادته أو شهادتها أبدا، إلا إذا أتى بأربعة شهداء ينفون صفة القذف عنه.
- 7- عقوبة الردة القتل لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- 8- عقوبة السرقة قطع اليد من الرسغ إذا ثبت على السارق سرقة المالك المحترز عليه، وغير ذلك مما ذكرناه في البحث عقوبته التعزير كما يراه القاضي.
- 9- عقوبة الحرابة القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من الأرض، أو ما يراه الحاكم فهو مخير بين أن يقيم كامل الحد أو ينوع حسب الجريمة.
- 10- لا حد بالشبهات، فإذا ما تطرق الشك إلى الفعل أو الفاعل فيسقط الحد، لأن الحد عقوبة من العقوبات التي توقع ضررا في جسد الجاني وسمعته ولا يحل استباحة حرمة أحد أو إيلاؤه إلا بالحق.
- 11- لا شفاعاة في إقامة الحدود، إذ يحرم أن يشفع أحد أو أن يعمل على تعطيل حد من حدود الله تعالى وكان موقف النبي الكريم من زيد والمخزومية خير شاهد على ذلك.
- 12- الحاكم هو الذي يقيم الحدود إذا بلغه ما اقترفه الجاني، وفي حالات يصح أن يقيم السيد الحد على مملوكه، وبما أنه لا يوجد سيد ومملوك في زماننا، فإن للحاكم أو القاضي الحق في إقامة الحدود.
- 13- حد شارب الخمر أربعون جلدة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض الصحابة أقرها ثمانين جلدة كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- 14- لا حد لفعل بالأكراه أو عدم العلم بالشرع، أو إذا كان مقترف الذنب صغيرا غرا، ويطبق الحد على المسلم وغير المسلم البالغ العاقل ما دام الأخير في ديار الإسلام، كذلك على الحر والعبد والكافر والمرتد فكلهم أمام الحدود سواء.

الفصل الثلاثون

صلة الرحم في السنة النبوية

ذوو الأرحام المعروفون ليسوا هم الذين يرثون، فالمعروفون هم: الأم والأب والأخوة والأخوات وأبناؤهم وبناتهم، والعمات والخالات وأبناؤهم وبناتهم، والأعمام والأخوال وبناتهم وأبناؤهم، والأخوة غير الأشقاء والأخوات غير الشقيقات، هؤلاء هم ذوو الأرحام الذين يجب التواصل معهم، أما في نظام الارث والميراث فان ذوي الأرحام هم كل قريب ليس بذي فرض ولا عصبه، واختلف العلماء في توريثهم. وصلة الرحم في الاسلام مبدأ أساسي أشار اليها القرآن الكريم في أكثر من موضع، فمنهم المحارم ومنهم غير المحارم لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِذَا الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
الأنفال 75

كما أكد عليها النبي الكريم في قوله عن أنس بن مالك:
من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه. رواه البخاري في

صحيحه

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من سره أن يمد الله في عمره ويوسع له رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتبك الله وليصل رحمه. وهناك رواية تقول: من سره أن يمد الله في عمره ويوسع له رزقه فليبر والديه وليصل رحمه. رواه البزار والحاكم
وقوله صلى الله عليه وسلم:

يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام. رواه أحمد والترمذي ومحمد بن ماجة

بعض الاراء يقول: ان صلة الأرحام في الاصطلاح الشرعي يطلق على من تجمع بينهم قرابة ويحرم النكاح فيما بينهم، أما اذا كانوا من غير المحارم فلا يعتبروا من فئة صلة الرحم، كابناء وبنات العم وأبناء وبنات الخال، هؤلاء من وجهة هذه النظرة لا يعتبرون من الأرحام
صلة الرحم ليست الزيارة فحسب، بل تقديم يد المساعدة للمحتاج منهم وهم أولى من الفقير الغريب، ولقد جعل الله تعالى ذوي القربى مقدمين على الفقراء والمساكين وغيرهم في قوله تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال 41

من الآية الكريمة نفهم أن الأقربين أولى بالمعروف، والمقصود في الآية الغنائم المادية، وينطبق هذا الأمر على تقديم المساعدات المادية أو المعنوية للأقرباء، وخصوصا الذين يقعون تحت مسمى الأرحام، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها. رواه البخاري
صلة الأرحام صدقات، والصلة الواحدة صدقة، وثوابها مضاعف عند الله تعالى، عن سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة. رواه الألباني
صلة الرحم واجبة على المسلم وعلى كل مسلم ومسلمة، لأنها تقرب بين الأقارب، لذلك أطلق عليهم أقارب لقربهم من بعضهم بعضا أكثر من غيرهم من الناس، وتزيد الألفة والمودة والمحبة فيما بينهم، فان أحق الناس بالرعاية والاهتمام هم الأقارب ولا سيما الأرحام منهم، وأبناءؤهم أولى بعضهم ببعض، فاذا فرح أحدهم عمت الفرحة على الجميع لفرحه، وإذا حزن أحدهم طغى الحزن على الجميع لحزنه، والعائلة جزء من المجتمع الكبير، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى
صحيح متفق عليه

هذا ما ينطبق على المجتمع المسلم الكبير، فما بالكم بمجتمع الأهل والأقارب وذوي الأرحام؟ انهم أولى بالتلاحم والتراحم والمودة فيما بينهم، لأنه اذا ما شعرت هذه المجتمعات الصغيرة بالخير العميم قياسا بالمجتمع الكبير، فان هذا الأخير يعمه الخير والسعادة والسلام والاطمئنان كتحصيل حاصل، ولنا نحن المسلمين في رسول الله أسوة حسنة، كما قال ربنا عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب 21

والنبي الكريم هو قدوتنا ومثلنا الأعلى لأنه هو المثال الانساني والكمال الانساني، والمسلم يتبع في حياته الأكمل والأفضل، ومن أكمل وأفضل من نبي البشرية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؟ كان قبل البعثة وبعدھا يصل الرحم ويوصي به، وكان صلوات الله وسلامه عليه يفخر بقومه

وبأهله، ويساعد المحتاج منهم وقت الحاجة، فبعدما نزل عليه الوحي في غار حراء لأول مرة، جاء الى السيدة خديجة رضي الله عنها مرتعدا ومرتعبا من هول المفاجأة بجبريل عليه السلام، طمأنته زوجته وهونت من روعه واستبشرت له بالخير العميم، وبشرته بالنبوة فقالت له:

أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل (التعب) وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ولما ذهبت به الى ورقة بن نوفل كبير الأخبار وابن عمها قال له:

أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وإنك نبي مرسل، وإنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، وإن يدركني ذلك لأجاهدن معك. فلما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني. الراوي عمرو بن شريحيل والمحدث ابن حجر

الشئ بالشئ يذكر، فقد تتبأ راهب في الموصل لورقة حينما ذهب اليه يسأله عن الدين بظهور محمد فقال له راهب الموصل: ارجع فانه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك، ومات ورقة بعد البعثة النبوية بقليل وقبل أن يعاود الوحي الى محمد صلوات الله وسلامه عليه مرة أخرى، ويقال انه أصيب بالعمى قبل وفاته ما ينفي صلة ورقة بالقران الكريم، ولم يكن يوما وحيا للنبي الكريم، ولا ملقنا له أبدا كما يزعم أعداء الاسلام

على كل حال، هذه أخلاق نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كما أقرتها السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها. وبقي حال النبي كما هو وأفضل باستمرار نزول الوحي عليه، لأنه كان يعلمه في كل مرة أشياء جديدة لم يكن يعرفها أو يعلمها، وكان يعلمه أحيانا وهو بين الناس، ولم يكونوا يعلمون أنه جبريل عليه السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا للناس إذ اتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الايمان؟ قال: **الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر**، قال: يا رسول الله ما الاسلام؟ قال: **الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**، قال: يا رسول الله ما الاحسان؟ قال: **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**، وسأخبرك عن أشراتها إذا ولدت الأمة ربتها، فذاك من أشراتها وإذا كان الحفاة العرا رؤوس الناس فذاك من أشراتها. خمس لا يعلمهن الا الله، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: **ان الله عنده علم الساعة وينزل المطر ويعلم ما في الارحام**، ثم انصرف الرجل، فقال: **ردوا علي فاخذوا ليردوا فلم يروا شيئا**، فقال: هذا

جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الايمان.

كما أن هناك أموراً تتعلق بمفاتيح الغيب لم يعلمها النبي حتى مماته صلوات الله وسلامه عليه لقوله: ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت. رواه البخاري

وقد يقول قائل: الانسان اليوم يعلم متى يسقط المطر، ويعلم ما في الأرحام من ذكر أو أنثى بواسطة الأشعة وغيرها من أدوات العلم، وهذا ما يتناقض مع الحديث الشريف، نقول: انه لا تناقض أبداً فالله تعالى عنده مفاتيح الغيب كلها، ويدري قبل نزول المطر لأي جهة تذهب الرياح لأنه يسيرها كيف يشاء فالانسان يتنبأ بحدوث المطر بالعلم ولكنه لا يدري بعلم الغيب الأزلي، كذلك ما في الأرحام يعلمها خالقها قبل تكوينها ما يعجز عنه العلم الحديث، وكم من مرة يتنبأ الأطباء بما في الرحم ذكر ويخرج انثى باذن الله وكم من مرة يجرب الأطباء حفظ الحيوان المنوي لزراعته ويفشلون الا ما شاء الله تعالى؟

وعودة الى صلة الرحم والنبي الكريم، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يربط بين الفضائل بعضها ببعض كي يعلم الناس أن الفضائل مترابطة وأنها من الايمان الكامل، فلا يكون الايمان كاملاً الا اذا راعى المسلم كل جوانبه، فمثلاً لا يجوز له أن يصلى ويكذب، أو يصوم ويتحائل على الناس بالغش والخداع، أو يدعي الأمانة والاستقامة وهو يأكل مال الناس بالباطل، وهكذا الأمثلة كثيرة من الحياة التي نعيشها، لذلك كان النبي الكريم حريصاً كل الحرص على أن يثبت في أذهان الناس أصول الدين وزواياه المنيرة والمضيئة كي تكتمل الصورة أمام المسلم، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه.

ربط النبي الكريم الايمان بالله واليوم الآخر بصلة الرحم، ونحن نعلم أن الايمان بالله واليوم الآخر له متطلبات كثيرة حتى نثبت بها حقاً أننا نؤمن بالله واليوم الآخر من عبادات ومعاملات واخلاق وغيرها كثير كل هذه الأمور لا تستقيم عند الله تعالى اذا لم يصل المسلم رحمه ويقطعه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الرحم شجنة (وصلة أو اتصال الغصن الكبير بالغصن الكبير) فمن وصلها وصلته، ومن

قطعها قطعه رواه البخاري

أي أن صلة الرحم مرتبطة بتلاحم المجتمع بعضه ببعض، واذا حللنا هذه الصورة كم نجد فيها من معاني؟ انها كثيرة وكثيرة جداً وكلها مرتبطة بصلة الرحم، كما أن صلة الرحم متصلة بصلة

العبد بالله تعالى ، فمن وصل رحمه كانت صلته بالله تعالى قوية، وينظر اليه الله نظرة رضا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائد من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك. رواه مسلم

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله. رواه مسلم
فاذا نظر الله نظرة رضى للعبد دخل الجنة، فلا ينظر الله تعالى الى العبد الا اذا امن بوحديته ولم يشرك به أحدا، وأقام الصلاة وأدى الزكاة وأعطى ما لله من حقوق وما للناس من حقوق، ومنها بر الوالدين وصلة الرحم، عن أبي أيوب الأنصاري قال: ان رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بفعل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له؟ ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، ذرها، قال: كأنه كان على راحلته. رواه البخاري

بالضرورة فان قاطع الرحم يأخذ جزاؤه حسب اثمه يوم القيامة، ولكنه لا يدخل الجنة حسب الحديث النبوي: لا يدخل الجنة قاطع، قال ابن ابي عمر قال سفيان: يعني قاطع رحم. رواه مسلم
عن جببر بن مطعم

وقال العلماء انه يدخل الجنة بعد التطهر من الذنب بعقاب يتناسب مع الذنب، ولكن بعضهم أشار الى أن غضب الله شديد لا يستهان به بالنسبة لقاطع الرحم، لقوله تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿

محمد 23

جعل الله تعالى قاطع الرحم كالمفسد في الأرض، والأخير عقابه في الدنيا شديد علاوة على عقابه في الآخرة ولكن قاطع الرحم لا يوجد من يعاقبه في الدنيا، ولكن ذنبه عظيم وعقابه في الآخرة شديد، عن نفع بن الحارث الثقفي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما من ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخله في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم. رواه الترمذي

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

الرد 25

مرة أخرى نقرأ في آيات القرآن الكريم ارتباط قطيعة الرحم بالفساد في الأرض، ما يعني فداحة وشناعة هذا التوجه من عبد الله نحو أهله ورحمه، فالله تعالى لن يرضى عن ذلك أبداً، والذين يقطعون الرحم هم ملعونون من الله ومن يلعنه يحرم عليه الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ان رجلاً أتى رسول الله فقال: يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن اليهم ويسئون الي، وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لأن كنت كما قلت فكأنما تسقهم المل (الرماد الحامي) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم

ما دمت على ذلك. رواه مسلم

صلة الرحم من الأمور المهمة التي يجب على المسلم وضعها بالاعتبار دائماً، فلا يقطع رحمه ولا يجفيه مهما كانت الأسباب والمسببات، فان في صلة الرحم رحمة، وفيها يؤجر المسلم ولا يهجر من الله تعالى ولكنه يهجر ويحل عليه غضب الله تعالى اذا ما هفا وجفا، ولكن الله تعالى اذا ما نظر لواصل الرحم نظرة رضا فانه يعفو ويغفر.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الثلاثين

- 1- صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية ومن كبائر الأمور.
- 2- الرحم الذي يجب وصله هو الرحم المحرم والرحم من ذوي الميراث والأقارب بالنسب والصهر.
- 3- صلة الرحم تقود الى الجنة وقطيعتها تقود الى النار.
- 4- صلة الرحم توسع الرزق وتبعد سوء والشر عن واصله.
- 5- صلة الرحم كالصدقة، فاذا تصدق المحسن فله أجرها، واذا وصل الرحم له أجران الصدقة والوصل والله يضاعف لمن يشاء.
- 6- قطع الرحم بمنزلة الفساد في الأرض، وقاطع الرحم كالمفسد في الأرض وله عقابه يوم القيامة.
- 7- صلة الرحم بمنزلة العبادات كالصيام والصلاة الخ.
- 8- صلة الرحم من الايمان.
- 9- اذا اساء لك رحمك فاستمر في وصله فان الله تعالى يكون ظهيراً ونصيراً لك.
- 10- ليس الواصل بالمكافئ، بل بالمساعد حين الشدة والمساندة دائماً ووصل من قطعك.

الفصل الحادي والثلاثون

النظافة والملبس النظيف والطاهر في السنة النبوية

اهتم الاسلام اهتماما شديدا بالنظافة، والنظافة المقصود بها طهارة ونقاء الثوب والمكان والجسد، فالنظافة والطهارة من أساسيات تعاليم الاسلام الحنيف الذي حث عليهما في آيات بينات، وفي سنة نبي الله قولا وعملا، بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر اللباس الطاهر من الأدناس مع خلق ادم عليه السلام، وشبهه رب العالمين مخافة الله تعالى من قبل عبيده باللباس الطاهر النظيف الذي يلف الجسد، وقال انه جهز لادم وحواء اللباس اللائق بهما كي يسترا عوراتهما ولم يذكر نوع اللباس ولكنه أضاف اليه الريش الناعم، وفي البلاغة القرآنية التي تربط بين الأشياء المتناظرة جعل تقوى الله عز وجل من أفضل وأسمى ما يلبس المؤمن في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأعراف 26

اللباس هنا هو الزي المصنوع من جلود الحيوان ومن الشجر والريش وما شابه ذلك، وبعد ذلك تطور الى ما نراه اليوم، والمظهر الذي تحدثنا عنه ذكره الله تعالى بأنه يوارى عورات الانسان، اذن هو ستر للعورات منذ الخليفة، وكأنه يقول ان التقوى ومخافة الله تعالى هي ستر للانسان يوم القيامة، من هنا تتكامل شخصية الانسان المؤمن بالله تعالى في تكامل الملبس وتكامل الايمان، فكلهما ضروري لحفظ الانسان وستره في الدنيا وحفظه وستره في الآخرة.

وبما أن اللباس في الدنيا نعمة من نعم الله تعالى، فان التقوى نعمة أيضا توجب شكر الله تعالى دائما عليها فالأولى نعمة ظاهرة والثانية هي الايمان الباطني يصدق العمل الخارجي، الأولى زينة المظهر والثانية زينة المخبر التي تنهى النفس الأمارة بالسوء، والايمان القوي يحول دون ممارسة السوء، وكلا الملبسين من آيات الله تعالى الواضحة التي تذكر الله وفضله بالضرورة، اذ أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده بما يرضيه، لا بما يغضبه من لباس فاضح غير ساتر للعورات والأجساد، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده في المأكل والمشرب والملبس والعبادات، وكلها نعم وبالشكر الدائم تدوم النعم، فالزينة تكون في المناسبات السعيدة، والعبادات جزء من المناسبات الجميلة التي تشعر المؤمن بالتقوى في الحياة، فالزينة الممثلة باللباس الجميل النظيف والعطر ذي الرائحة الذكية مع العبادات، وهي تمثل قمة الكمال الانساني على الأرض لذلك يقول جل من قائل:

﴿يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب

المسرفين﴾ الأعراف 31

الله سبحانه وتعالى يعلمنا أسلوب حياتنا ويضع أحكامه في أقصر العبارات وأدقها في الايات المحكمات، ففي الآية السابقة يحدثنا رب العزة والجلال على التطيب ولبس أجمل الثياب في الدنيا، وخصوصا أثناء الصلاة للوقوف بين يديه في أجمل صورة، والنعيم المقيم متكامل فاللباس والطعام والشراب الطيب والايمان بالله كلها تشعر المؤمن بالسعادة والهناء والطمأنينة شريطة عدم الاسراف حتى في العبادات، اذ لا يجب أن يسرف المرء حيث يعطي كل ذي حق حقه كما ذكرنا في الفصول السابقة، فالاسراف في الشئ لا يزيد من قيمته ولا من فائدته لأن المسرفين اخوان الشياطين، يضعون أموالهم فيما لا يلزم والأحق التصديق به لله لأن الصدقات يذهب السيئات، ويستعيد المتصدق من أمواله ويدخرها عند الله تعالى ويجني منها أضعافا مضاعفة.

نلاحظ في أفراننا ومسرراتنا في مجتمعاتنا اقامة الولائم بطعام ولحوم لاطعام الأهل والأصدقاء تكفي قرى ومدنا بأكملها، والقائم على الوليمة ينفق الأموال الطائلة كي يظهر بمظهر الكريم المعطاء، حتى أن الفائض من الطعام يطعم سكان قرية صغرت أم كبرت، وأغلب الناس من يلقي بها في الحاويات أو الصحراء والعياذ بالله العظيم، فينال صاحب الأمر العذاب بدل الثواب، ولكن بعض الناس من يرسل بقية الطعام الى الجمعيات الانسانية مثل دور الأيتام ودور العجزة والمعوقين وما شابه، فهذا أمر جميل يثاب صاحب المعروف على معروفه، ولكن يبقى التصديق بالطعام أو المال على من يتضور من المسلمين جوعا وعطشا في الصحارى والقرى الفقيرة العربية والاسلامية أفضل بكثير من الاسراف في الطعام والولائم، حيث نشاهد بشكل يومي تقريبا عبر وسائل الاعلام حياتهم البائسة في حال يرثى لها من الفقر والجوع والعطش والمرض، فهؤلاء أولى من التفاخر ومראה الناس بالغنى والتبذير، وهذا لا يمنع من اقامة الولائم في المناسبات، ولكن بمقدار ما يحتاج اليه مقيم هذه الولائم لا أكثر لقوله صلى الله عليه وسلم:

كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة (مباهاة وتفاجر) رواه البخاري

لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده لقوله صلى الله عليه وسلم:

ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده رواه الترمذي

ولا يعني ذلك أن يتصرف المرء وفق غناه من حيث الاسراف في الطعام والاسراف في

الملبس، لقوله صلى الله عليه وسلم:

من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق

حتى يخيره من اي حل الايمان شاء .

أخرجه الترمذي

والغاية من الحديث التواضع من غير ابتذال، أي الانفاق دون تبذير والتواضع دون تقتير، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رث الثياب فقال له:

ألك مال؟ قال: نعم، قال: من أي مال؟ قال: قد أتاني الله من الابل والغنم والخيول والرقيق، قال: فإذا أتاك الله مالا فليز أثّر نعمة الله عليك وكرامته. أخرجه أبو داود والنسائي

نعم الله تعالى كثيرة لا يمكن احصاءها، فعلى المسلم حتى غير المسلم أن يتدبر هذه النعم التي لولاهما عاش الانسان على وجه الأرض بالطريقة الحضارية التي نلسمها ونعايشها لحظة بلحظة وساعة بساعة يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النحل 18

لذلك يجب أن نمتنع بهذه النعم ونظهرها للعيان ولا نخفيها لأنها محللة لنا، والمقصود بالنعم كل شيء أحله الله تعالى وكل شيء خلقه للاستفادة منه كأشعة الشمس، والأكسجين والهيدروجين، والمطر والسيول والكواكب والقمر ومنتجات الأرض والفصول الأربع... الخ، كلها نعم لا نستطيع احصاءها مهما حاولنا كلها نعم يجب أن نراعيها ونحافظ عليها ونستغلها لقوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف 32

فالزينة المباحة من ملابس ومأكول ومشرب كلها محللة الا المحرم منها، ويرتبط بالمحلل نظافته، فالملبس النظيف يعبر عن صاحبه، كما يجب أن يكون طاهرا من كل دنس من أجل طهارة لابسها أولا، ومن أجل اقامة الشعائر بطهارة لقوله تعالى لنبيه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

المدثر 7

بمناسبة ذكر هذه الاية الكريمة وقوله تعالى والرجز فاهجر، سمعت أحد المغرضين المشركين يقول: ان نبيكم كان يعبد الأصنام فنهاه الله عنها وعن عبادتها، لأن الرجز هي الأصنام فاهجر أي ابتعد عنها ونقول ان نبينا الكريم لم يعبد صنما قط، لأن أول شيء عمله بعد فتح مكة توجهه الى الكعبة الشريفة وحطم الأصنام التي كانت بداخلها كما فعل جده ابراهيم الخليل عليه السلام، وقول الله تعالى فاهجر أي ابتعد عنها لأنها رجس من أعمال الشيطان، فنهى المرء عن عمل شيء لا يعني أنه فعله أو أنه يهمل بعمله، فالأصنام موجودة كما وجود الشر، فإذا قلت لابنك اياك والشر أو اياك وشرب الخمر، لا يعني ذلك أن ابنك يشرب الخمر وأنت تريد ابعاده عنه، بل تريد أن تنبئه أن يستمر بالابتعاد عن الشر والابتعاد عن شرب الخمر وهذا ما يقصده رب العالمين،

ويقول لنبية الكريم استمر بالابتعاد عن الأصنام وأهجرها تماما لأن عبادتها رجس من أعمال الشيطان، والنبى الكريم يدرك هذا الأمر تماما، ورسالته التي أوكله رب العالمين لنشرها انما تحت على عبادة الله وحده لا شريك له ومحاربة عبادة الأصنام هي لب هذه الدعوة، فكيف لنبى الله والحالة هذه أن يعبد الأصنام؟ وكما قلنا ان أول ما قام به النبى الكريم بعد فتح مكة المكرمة هو تحطيم الأصنام حتى أصغر صنم فيها، حتى يبقىها طاهرة من كل دنس، وكما تركها ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل طاهرة من الرجس والأصنام بأمر من الله تعالى، كدليل على قدسية نظافة وطهارة المكان في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة 125

لبس الثوب الجميل الحسن التنظيف الطاهر من سمات المسلم، وهو يعبر عن صاحبه الذي يجب أن يكون نظيفا وطاهرا أيضا، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر فقال رجل: ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: ان الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس. رواه مسلم

وكان النبى الكريم قد نهى عن لبس العباءة الطويلة التي تجر على الأرض لأنها نوع من الكبر والخيلاء كما نهى الرجال عن لبس الذهب للسبب نفسه، فكان رجالات قريش يلبسون المذيل من اللباس ويلبسون الذهب كي يميزوا أنفسهم عن بقية الناس، والاسلام ألغى التمييز الطبقي والعنصري والتمييز على أساس اللون أو اللغة.. الخ، وكان الاسلام سباقا في هذا الأمر قبل اعلان ابراهيم لنكون ذلك بألف وأربعمئة عام، لذلك قال النبى الكريم: لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر، فقال رجل: ان الرجل يحب... الخ، فرد عليه النبى الكريم ان الله جميل يحب الجمال، أي يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ولكنه لا يحب المتكبرين ان كان التكبر باللباس أم بالمباهاة والتفاخر والمراءاة... الخ قال نبينا الكريم في ذلك:

ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتم ولا تشبهوا باليهود. رواه الترمذي

اللباس في الاسلام ثلاثة أنواع: ما هو محلل وما هو مندوب وما هو محرم، المحلل من اللباس ما يقي الانسان من البرد والحر وما يستدفع به الضرر، ولا يكون مدعاة لكشف العورة أو

مصنوعا من شئى محرم كجلد الخنزير وخلافه، أما المندوب فهو الثوب الجميل الذي لا فحش فيه ولا تفحش (كما تلبس بعض النساء اليوم اللباس شبه العاري والرجال المحزق والملزق) فهذا حرام شرعا لا نقاش في ذلك. الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان ينصح أصحابه بلبس أجمل ما عندهم، وخصوصا اذا حلوا ضيوفا على أقوام غيرهم، ولكنه في الوقت نفسه حذر من اللباس غير المحتشم أكان للنساء أم للرجال على حد سواء، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

انكم قادمون على اخوانكم فأصلحوا رجالكم، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس (علامة مميزة) فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش.
رواه أبو داود

النبي الكريم كان هو نفسه يختار عباءته اذا ما هم للذهاب لزيارة أحد قريب أو بعيد، وكان صلوات الله وسلامه عليه يغير لباسه في كل مناسبة، ويختار الأفضل لكل منها، دليل تحضره وامتلاكه الذوق الرفيع والفطرة السليمة، لذلك كان يطلب من أصحابه التميز عن الأقوام الأخرى، لأنهم يمثلون الاسلام الحضاري بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، فعلاوة على التميز بالايمان والتقوى يدعم ذلك التميز باللباس الجميل النظيف الذي يجب أن يكون لا قبيل له ولا مثل له بين القبائل، وهذا الأمر يساهم مساهمة فاعلة في نشر الاسلام بين الناس ولا سيما قبائل العرب، الذين يرون في المسلمين قدوة لهم ويدخلون في الاسلام أفواجا، لا نقول ان اللباس هو السبب في دخول الاسلام، ولكن المسلمين يجب أن يكونوا قدوة حتى في لباسهم المميز بالجمال والطهارة والنظافة، ما دعى النبي الكريم بالقول: **كأنكم شامة بين الناس**، أي كأنكم العلامة المميزة السوداء على الجسم الأبيض، وهذا قمة التشبيه من النبي الكريم، فالشامة السوداء أو البنية على الجسم الأبيض تعطيه جمالا وجاذبية وتميزا انسانا عن الآخر، من هنا كان حرص النبي الكريم على اعطاء الصورة الحسنة عن المسلم بين الناس، وهذا مبدأ اسلامي يجب أن يطبق في كل الأحوال والمناسبات والأوقات، وما ينطبق على الفرد ينطبق على الجماعة والمجتمع بشكل عام، فالنظافة والملبس الحسن من ميزات الفرد المسلم والمجتمع المسلم، وكان النبي الكريم يولى نظافة المكان كنظافة الانسان اهتماما كبيرا أي نظافة المدينة والقرية بشوارعها وأزقتها وحاراتها، لكن ما نلاحظه اليوم أن بعضا من بلاد المسلمين لا تولي النظافة اهتماما، فترى الأوساخ والقاذورات ملقاة في الشوارع والأزقة، كما ترى عدم الاهتمام بالنظام والنظافة كذلك، ما يتسبب في انتشار الأمراض وكثرة الحوادث والفوضى التي نلاحظها حتى في بعض عواصم البلاد الاسلامية، حقيقة ان هذه المناظر والعادات غير الحسنة ليست من الاسلام في شئى، فهي غريبة عن ديننا الحنيف بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان. لا يدري هؤلاء الذين يلقون القاذورات في شوارع بلادهم أنهم يخالفون مبدأ أساسيا

من مبادئ الاسلام وهو الحفاظ على نظافة الجسم والثياب والمكان كما الحفاظ على نظافة وطهارة المياه التي نشربه ونغتسل بها. الله تعالى أمرنا بالنظافة والاغتسال والوضوء دائما حفاظا على صحتنا العامة ونظافتنا، علاوة على أن هذه الامور من الايمان والاسلام، وكان المسلمون في العصور الغابرة يلون هذه الأمور وهذه الجوانب اهتماما بالغاً، حيث كانت المدن الاسلامية من أنظف وأنظم مدن العالم، بغداد، دمشق، القدس الشريف، القاهرة، القيروان، طليطلة، اشبيلية والزهاء في الأندلس وغيرها وغيرها كثير، كانت هذه المدن منارة للعالم أجمع يضرب بها المثل في بلاد الغرب بجمالها ونظامها ونظافتها، ولكن اليوم نرى في بعضها عكس ذلك، المسلم بطبيعته نظيف يتطهر من الجنابة، ويتوضأ للصلاة اذا استوجب الوضوء، ويغتسل بالمناسبات الدينية، وكل المناسبات التي تستدعي ذلك، والمرأة كذلك تغتسل وتتطهر من الحيض والنفاس، وتتوضأ للصلاة وتغتسل في المناسبات الدينية وكل مناسبة تستدعي الغسل، وهكذا فان ديننا الحنيف يدعونا الى النظافة والتطهر من الاوساخ دائما كالتطهر من الاثام، وما نراه اليوم في بعض مدننا العربية والاسلامية ومن سلوك بعضنا عكس ذلك وليس من الاسلام في شيء، بل هو شاذ عن القاعدة العامة التي دعانا رب العالمين ونبهه الأمي الأمين لتطبيقها.

مؤرخ مسلم (أغلب الظن أنه ابن بطوطة) سار مع أجنبي في شوارع الزهاء وكانت من أجمل المدن في الأندلس، التي حرقت وانهارت بسبب ضعف الخلافة الاسلامية وانتشار مرض العنصرية البغيضة في صفوف المسلمين عربهم وبربرهم (كما يذكر التاريخ)، كان الأجنبي كلما سار خطوات يبدي اعجابه بالمدينة من حيث مبانيها الفخمة وشوارعها النظيفة وميادينها الواسعة، كما كان يبدي اعجابه بالبنى التحتية للمدينة حيث تجري المياه في انابيب الى البيوت، حتى تدفئة البيوت تتم من خلال صهاريج توقد من تحتها النار، ثم يسير البخار في أنابيب فخارية داخل المنازل، هكذا كان اعجابه بمفاتيح المدينة كبيرا، وكان هذا الأجنبي كلما رأى رجلا يلبس هنادا نظيفا ويسير على الرصيف يسأل المؤرخ المسلم أهذا هو الخليفة؟ فيجاب لا هذا من عامة الناس، وكلما يرى امرأة مستورة تلبس لباسا جميلة مزركشا أنيقا يسأل أهذه الأميرة؟ فيقال: لا انها من عامة الناس، فيتعجب هذا الرجل من عظمة البناء والنظام ونظافة أهل المدينة ورفيهم وحضارتهم، حتى أتيا الى دار الخليفة، فوجده الرجل يجلس على بساط متواضع وأمامه نسخة من القرآن الكريم، فسأل عن سبب بساطة الخليفة وما الذي أمامه؟ ف قيل له: أن الخليفة يجب أن يكون أكثر تواضعا ليكون قدوة حسنة لأفراد شعبه، ووجود القرآن أمامه ليكون هو القانون الذي يرجع اليه الخليفة في أحكامه فقال الأجنبي: حقا انني أرى المدينة الفاضلة حقيقة لا خيالا. هذا هو الاسلام العظيم الذي غرس في

قلوب المسلمين وعقولهم حب النظافة وحب النظام، وكانوا حقا قدوة لغيرهم من الشعوب في ذلك الزمان وتلك الأوقات. الاسلام العظيم بمبادئه وقوانينه العادلة لم يترك شيئا الا زانه ووزنه وطبقه، حتى كانت الأمة الاسلامية من أرقى الأمم ومن أنظفها ومن أنظمها وأغناها، لأنها كانت تطبق قواعد الاسلام وقوانينه وتطبق أحكامه التي أنزلها رب العالمين على سيد الخلق أجمعين سيدنا ومولانا وحبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فكان النبي الكريم يلوم كل من يهمل في ثيابه أو نظافته أو نظافة بيته، ولا يطبق ما يؤمر به، عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب دون (أي رث لا قيمة له) فقال النبي: **ألك مال؟** قال: نعم، قال: **من أي مال؟** قال: قد أتاني الله من الأبل والغنم والخيل والرقيق، قال: **فاذا أتاك الله مالا فليثر نعمته عليك وكرامته.** رواه أبو داود

ترى المسلمين يتمنطقون بأحلى الثياب وأزهاها أيام الجمع، وأيام الأعياد والمناسبات الجميلة كالأفراح والحفلات المتنوعة، ويتعطرون بأجمل العطور وأبهاها لأنها من سنن النبي الكريم، ولأنه كان يطبق الأمر على نفسه قبل أن يأمر أصحابه وأتباعه به، وكان يكره أن يذهب المسلم الى المسجد بملابس العمل أو ملابس البيت، وكان دائما يوجه المسلمين باختيار أجمل ما عندهم قبل التوجه الى المسجد، ولما رأى أحد المسلمين يتوجه الى صلاة الجمعة بلباس العمل قال مستكبرا: **ما على أحدكم ان وجد (كان بوسعه) أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته.**

رواه أبو داود

أي لا تذهب أيها المسلم الى الصلاة في المسجد بلباس العمل أو لباس البيت، أو اللباس الذي تذهب به الى التسوق أو لأغراض أخرى يومية، بل عليك أن تغيره وتلبس غيره أكثر نظافة، وفي الوقت الذي دعا فيه الاسلام الى لبس النظيف والطاهر من الثياب، والذي يقي الانسان من البرد والحواظهار النعمة، فانه دعى كذلك الى لباس التقوى وهو مخافة الله تعالى هي خير لباس، بعض العلماء قال: انه الحياء والحياء من الايمان، وبعضهم قال: انه العمل الصالح، ونقول: هو كل شيء يقرب المسلم من الله تعالى يعتبر لباس التقوى، وفي هذه الحالة مخافة الله في اللباس المحتشم الذي يعبر عن الفضيلة الأخلاقية والعفاف وستر العورة، كما حث الاسلام على التزين باللباس الساتر للجسد غير الشفاف، ولا الضيق الذي يبرز المفاتن ولا سيما عند المرأة، كذلك حث على الاقتصاد في اللباس وعدم الاسراف، كما نرى هذه الأيام من انفاق الاف الدنانير على لباس واحد الغرض منه مراعاة الناس والزينة الزائدة والمفخرة والخيلاء، وكل هذه الأمور مكروهة في الدين، بل ان بعضها يقع في الحرام، وخصوصا اذا كان الهدف الترفع عن الناس والظهور بمظهر التفوق

في المال أو الجاه أو الولد، وقد عبر الله تعالى عن ذلك بنصائح لقمان لابنه بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكٌ كَانَ سَيْئًا عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الاسراء 38

وودت أن أستحضر للقارئ العزيز نصائح لقمان لابنه كما وردت في سورة لقمان للذكرى عليها تنفع المؤمنين وهذا مانبغيه من بحثنا وهو الفائدة والعمل بما استفاده المسلم من كتاب الله تعالى يقول رب العالمين:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوُلْدِيهِ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جُهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ۖ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

لقمان 19

هذه نصائح لقمان لابنه، ولم يذكرها له لسماعها من أبيه فقط بل للعمل بها، لأن العمل بها مرضاة لله تعالى لا بل يشعر المسلم بالسعادة الدنيوية إذا ما عمل بها، ويطمئن بالله وتطمئن نفسه إذا ما سار على هذا النهج العظيم الذي رسمه الله تعالى للقمان وقدره له للعمل به ولتبليغه لابنه، من هنا واجب المسلم أن يبلغ رسالة نبينا الكريم لغيره ومنها هذه العظات النيرة الجميلة، وكما نلاحظ ان من ضمن النصائح: أن لا يتواضع المسلم لغير الله تعالى، أي لا يضعف في قراراته أمام الناس ولا يصغر خده لهم، أي لا يمكنهم منه ومن ايمانه، والصورة المقابلة: ان لا يمشي في الأرض مختالا فخورا متكبرا على الناس، ومن ضمن ذلك اللباس الفاخر الذي يقصد منه التعالى والتفاخر والكبر، لأن هذه الأمور لا يحبها الله تعالى لبني ادم على الأرض، وما لم يرض به الله لا يجب الاقتراب منه أو العمل به. من هنا حذر النبي الكريم الرجال من لبس الذهب والحريز لانهما من لباس التفاخر ومن لباس المرأة، كذلك نهى عن لبس الثوب الذي يجرد خلف الرجل، لأنها مظاهر خادعة لا تليق بالرجل، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تلبسوا الحريز فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة. رواه البخاري

وعن حذيفة قال: نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في انية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه، وقال: هو لهم (لغير المسلمين) في الدنيا ولنا في الآخرة رواه البخاري

هناك روايات تقول: ان النبي الكريم لبس الديباج والحرير لفترة، ولكن ما لبث أن نزعهما وقال: لا ينبغي هذا للمتقين. رواه البخاري ومسلم

هذه الرواية وما جاء بعدها من الحديث الشريف يدلنا على أن النبي الكريم ما هو الا بشر مثنا، ولم يخطئ في لباسه، واستغنى عنه بعدما (أو ربما) أبلغه جبريل عليه السلام بأن هذا اللباس ليس لائقا، فامتنل لأمر الله تعالى عن طريق الوحي فأقلع فوراً، وأردف ذلك بقوله: لا ينبغي هذا للمتقين، فقد يتصرف المسلم منا تصرفاً لا يرضي الله تعالى عن عدم معرفة بالحكم الشرعي، ولكن لا ضير أبداً في الإقلاع عن هذا العمل حال معرفتنا بعدم صحته، فنحن نتعلم من نبينا الكريم أساليب الحياة وما يجب أن يكون وما لا يجب ولكن تكملة للموضوع أقر النبي الكريم ومن بعده أصحابه البررة الكرام أنه لا ضير في القليل من الحرير في اللباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير الا موضع اصبعين أو ثلاثة أو أربعة. رواه مسلم وأصحاب السنن

أما الذهب فهو حرام على الرجال حلال للنساء، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أحل الذهب والحرير للأنثى من أمتي وحرم على ذكورها. رواه أحمد والنسائي والترمذي هذا وقد كان وما يزال في أحاديث النبي الكريم عظات ودروس أخلاقية قلما نجدها في غيره صلى الله عليه وسلم، عن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض وإجابة الداعي ونصر المظلوم وإبرار القسم أو المقسم ورد السلام وتشميت العاطس، ونهانا عن شرب بالفضة وخاتم الذهب والحرير والديباج والثوب الذي سداه ولحمته (طول الخيط والنسيج) من حرير، والقسي (ثياب من كتان مخلوط بحرير) والاستبرق (غليظ الديباج) والمثيرة الحمراء (غطاء للسر من الحرير). متفق عليه

جاء هذا الحديث الشريف بروايات مختلفة ولكن كلها تتفق في المعنى، ولا استعمال الذهب وغيره في حالات أقرها العلماء كاستعماله لتلييس الأسنان للحاجة والضرورة، أي إذا كان لا بد من الذهب للعلاج فلا مانع ولكن الناس كانوا يستخدمون الذهب لعدم وجود البدائل من مواد مستحدثة أفضل من الذهب، لذلك لا داعي لاستخدام الذهب لتلييس الأسنان إذا وجد البديل.

لباس الرجل المسلم يختلف عن لباس المرأة المسلمة، لأن الرجل له زي خاص يختلف عن زي المرأة كي يتميز عنها وتتميز عنه، الأول يدل على الرجولة والثاني يدل على الأنوثة، دون تكلف وتصنع واجهاد وخلاعة من الرجل والمرأة على حد سواء، لذلك يجب أن يكون لباس الرجل محتشما يغطي العورة ولا يبرزها كذلك لباس المرأة يكون فضفاضا محتشما لا يبرز المفاتن ولا يظهرها، بناء عليه لا يجوز تشبه الرجال بالنساء في الملبس والسلوك الظاهر والحديث، ولا تتشبه المرأة بالرجل في الملبس والسلوك الظاهر والحديث قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال. رواه البخاري وقوله صلى الله عليه وسلم:

لعن الله المخنثين (الذين يتكسرون الكلام كالنساء) رواه البخاري

حرم لباس الذهب والحريز لما فيهما من كبر وخيلاء وتكبر على الناس كما قلنا، لذلك كل ثياب يقصد بلبسه الشهرة أو التكبر والعجرفة حتى الذي يجر ذيله كالعباءات الطويلة وذكرنا ذلك سابقا، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة. أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي

وقال صلى الله عليه وسلم:

لا ينظر الله الى من في ثوبه خيلاء (أي الكبر والبطر). رواه البخاري ومسلم

لذلك ننصح المسلم والمسلمة كي يصح اسلامهما، أن يراعي في لباسهما الستر ومروضة الله تعالى قبل كل شيء، ويلتزم بأوامر الله تعالى وما نهى عنه وما نهى عنه نبيه الكريم أيضا، لأن المسلم والمسلمة خلفاء الله في الأرض من حيث التقيد بأحكام الاسلام والعمل بها، ولأنهما مكلفان بذلك والله أعلم.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الحادي والثلاثين

- 1- النظافة من الايمان في الاسلام، وهي مبدأ أساسي من مبادئه.
- 2- النظافة تشمل كل ما يتعلق بالمسلم وما حوله في البيئة التي يعيش فيها.
- 3- النظافة تشمل نظافة الثوب والجسم والمكان وطهارة كل منها، فالنظافة دون الطهارة تكون في الشيء ناقصة ولا بد من الكمال في هذا الأمر.
- 4- اللباس هو كل ما يقي الانسان من البرد والحر وما يستر عورته.

- 5- اللباس يجب أن يكون جميلا مميزا للمسلم، وأن يعبر عن نعم الله على عبده.
- 6- اللباس الساتر للرجل الذي يغطي ما بين السرة والركبة، والمرأة كل جسمها ما عدا كفيها ووجهها لقوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أثناء زيارتها لأختها عائشة رضي الله عنهما:
- يا أسماء لم يصلح أن يرى منها (من المرأة بعد أن يثبت المحيض عندها) الا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه.**
- سنن أبي داود
- وهناك شروط للباس الرجل ولباس المرأة، فلباس الرجل يجب أن يكون مميزا عن لباس المرأة ويعبر عن الرجولة، كما يجب أن لا يكون فضفاضاً، والمعنى أن لا يكون من أجل المباهاة والشهرة والتفاخر، ولا يكون شبيها بلباس النساء، ولباس المرأة يجب أن يكون واسعاً يغطي جسم المرأة ولا يكون ضيقاً يبرز المفاتن، ولا يكون من أجل المفاخرة والشهرة والاعتلاء على الناس.
- 7- تحريم لبس الذهب والحريير والديباج على الرجال، وتحليلها للنساء من غير ترف ولا اسراف وخیلاء وكبر
- 8- حث الاسلام على النظافة دائماً، بدليل الأستنجاء والوضوء للصلاة، والاستحمام في كل مناسبة تستوجب النظافة.

الفصل الثاني والثلاثون

الحفاظ على البيئة وحقوق الانسان في السنة النبوية

الاسلام دين كامل متكامل يأخذ في الاعتبار كل مناحي الحياة، فهو حريص على الحياة والتمتع بمباهجها ونعيمها، كما أنه دين يدعو الى فعل الخير في الدنيا من أجل مرضاة الله تعالى والفوز بالجنة، فالاسلام يوازن بين مطالب الفرد في الدنيا ومطالبه في الآخرة، كما أنه يدعو الى الحفاظ على ما خلق الله تعالى وعدم تشويهه، لأن كل ما خلق الله جميل ويفسد بين يدي الانسان كما قال جان جاك روسو في كتابه التربوي اميل

ولقد سبق سيد البشرية محمد بن عبد الله روسو وكل فلاسفة عصره ومن أتى قبله وبعده، اذ نقل عن الوحي الأمين قول الله تعالى:

﴿وَأَيُّهَا لَّهُمُ الْآرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس 35

ومن هدي الله تعالى الذي هداه اليه دعوته صلى الله عليه وسلم المؤمنين للحفاظ على البيئة وزرع الأشجار لا خلعه وتدميرها وذلك في قوله الكريم: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة. رواه البخاري

والحفاظ على البيئة عند النبي الكريم عملية دائمة أزلية، وليس عملاً انياً وقتياً في زمن معين، أو مكان معين، بل يشمل الاهتمام بالبيئة كل الكون في كل زمان ومكان لقوله صلى الله عليه وسلم: ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة (نخلة صغيرة) فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل. رواه أحمد

وفي احياء الأرض، تحدثنا سابقاً عن اهتمام النبي ومن بعده صحابته وأتباعه باحياء الأرض الميتة وتوزيعها على من يزرعها وويعتني بها، وأن تؤخذ من صاحبها اذا أهملها ثلاث سنوات أو أكثر، كما تحدث نبينا الكريم عن اماطة الأذى عن الطريق بقوله:

عرضت علي أعمال أمتي حسننها وسيئها، فوجدت من محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت من مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن. رواه البخاري

عن تلوث البيئة نهى النبي الكريم عن المساهمة بالتلوث، ففي زمنه لم تكن هناك سيارات ولا

طائرات ولا مصانع تلوث البيئة، بل كان هناك الابار والمزارع والمياه ونحو ذلك، ولو كانت هذه الوسائل الملوثة الحديثة في عهده لكان أول من يحاربها ويناهضها بدليل حرصه على ما حوله في قوله:

اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل. رواه أبو داوود

فالبراز في موارد المياه أو بين المزروعات يسبب الأمراض الفتاكة، أما قارعة الطريق فهي الممر الذي يسير عليه الناس ويسلكونه، لذلك يجب أن يكون نظيفا طاهرا حتى لا يؤدي المارة، ولا ينجس ثيابهم وأجسامهم والظل لا تطاله أشعة الشمس، لذلك فإن البراز يجلب الذباب والبعوض والحشرات الضارة والفيروسات والبكتيريا التي تضر الانسان وتؤذيه وتسبب الأمراض الفتاكة كالملاريا والكوليرا وغيرها كثير، أين نرى ونقرأ هذه النصائح الا من عند نبي الانسانية وقبل ألف وأربعمئة وثلاثة وأربعين عاما من زمننا هذا.

مما سبق يتبين لنا أن الاسلام لا يقتصر على العبادات المفروضة والنوافل فقط، بل انه دين كامل متكامل كما قلنا، فكل ما يقوم به المسلم من أعمال خير وأعمال بر وتقوى ترضي الله تعالى يعتبر نوعا من العبادة كذلك كل ما يتصف به المسلم من صفات حسنة وأخلاق حميدة تعتبر عبادة مصداقا لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج 77

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات 56

فالانسان المؤمن بالله تعالى وخصوصا المسلم، يكون في عبادة دائمة لله تعالى طوال حياته وفي جميع تصرفاته، وقد يعتقد بعض الناس أن معنى الآية هي العبادات فقط، أو استمرار العبد بالركوع والسجود طوال حياته، وهذا ما نهى عنه النبي الكريم حينما جاءه قوم قالوا له: ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل، قال: من يكفيه طعامه وشرابه؟ قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: **كلكم خير منه**. روي هذا الحديث بعدة روايات تدل على المعنى نفسه، فالعمل الصالح مهما كان يعتبر في الاسلام عبادة، وكل عمل في الدنيا الهدف منه افادة الفرد والمجتمع وتوجيهه الى الأفضل يعتبر عبادة لقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ يُبْذَلُكَ

أُمرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام 163

وعودة الى اهتمام الاسلام بالبيئة، فقد حثنا ربنا سبحانه وتعالى على أن نكرم بيئتنا التي نعيش فيها ونتفكر في خلقها وتكوينها، وكلما أدركنا درجة الابداع والاتقان في خلقها، كلما احترمتها

وحافظنا عليها يقول رب العزة والجلال: ﴿وَمَا ذَرَأْنَا فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَلْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النحل 18

كما أمرنا الله تعالى بالحفاظ على البيئة أمرنا ونهانا عن الفساد في الأرض، والفساد يعني كل شيء سيئ يقوم به الانسان لخراب الأرض من تقطيع للأشجار وبث الغازات السامة في الهواء والسماء، وقطع للأرزاق والقاء القنابل القاتلة على الأبرياء، والربا والزنى والسرقة وممارسة كل الموبقات يقول تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ البقرة 206

يحذرنا رب العزة والجلال من المكابرة والمعاندة، وعدم الاهتمام بأوامره ونواهيه يقول جل من

قائل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة 12

فالافساد في الأرض له أبعاد كثيرة، فالقتل العمد افساد في الأرض، والكذب والزنى والربا وقطع الطرق والغش في التجارة وما يتعلق بها افساد في الأرض، والحاكم غير العادل وما يترتب على ذلك من مظالم... الخ كل هذه الأمور وغيرها كثير فساد في الأرض، ومن الفساد والافساد أيضا تشويه البيئة وقطع الأشجار الحرجية، والقاء النفايات في الشوارع واتلاف المزروعات وهدم البيوت وخرابها، وهدم الآثار التاريخية... الخ، وإذا أردنا أن نحصي أعمال الفساد في الأرض لا تكفيها صفحات هذا البحث، ولقد حذرنا رب العزة والجلال أن من يسعى في الأرض فسادا مصيره النار والعياذ بالله، فهذا التحذير الرباني ليس مزاحا، بل ان الله تعالى لا يأمرنا الا لتنفيذ ما نؤمر به يقول تعالى:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (13) وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ الطارق 17

الله سبحانه وتعالى يتحدث عن اعجاز خلقه من رفع السماوات بلا عمد، والنجم الثاقب الذي أذهل العالم اليوم باعجازه، كما يتحدث عن خلق الانسان واعادة خلقه وقتما يشاء، ويتحدث عن

طبقات السماء والجاذبية والزلازل والبراكين، كلها في سورة قصيرة واحدة تبين اعجاز القرآن الكريم، وفي السورة تحذير من رب العالمين بضرورة تصديق ما تحدث عنه على أنه حقيقة، لا يجب على الانسان أن يستهين بكلام الله تعالى الذي يحاسب ابن ادم على عمله حسابا دقيقا وهذا معنى وأكد كيدا، إذ أن كيد الله ليس ككيد الانسان فالانسان ظالم لنفسه ويخدعها بعدم ايمانه، ولكن الله عادل يحاسب المرء على حسن عمله وعلى سوءه أيضا، فهو العدل المطلق العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وفي السورة اشارات الى البيئة البعيدة الممثلة بطبقات الأرض التي يجب الحفاظ على توازنها وخصوصا طبقة الأوزون، والبيئة القريبة وهي خلق الانسان من نطفة الرجل وبويضة المرأة، هنا طلب الله منا أن نتفكر في خلق الانسان ونشأته التي يجب أن تكون في مرضاته سبحانه وتعالى.

الحفاظ على البيئة جزء من فعل الخير، فالحفاظ على الأشجار الحرجية والنباتات البرية والطيور بأنواعها والحيوانات في الغابات والسهول والوادي والبراري، كلها جوانب مهمة في الحفاظ على البيئة التي يجب أن نرعاها وندافع عنها في كل زمان ومكان من العالم وفي كل المحافل الدولية، لا بل تعليمها لأطفالنا وأبنائنا في المدارس والمساجد والمعاهد والنوادي والمنتديات ومن خلال الاعلام المرئي والمسموع، وكل وسيلة يتواصل بها المرء للحصول على المعلومات التي تهم البيئة والحفاظ عليها.

كل هذه المؤسسات الاجتماعية وغيرها لها دور كبير في توعية النشئ والناس عامة بضرورة الحفاظ على البيئة بكل أشكالها وألوانها وأطرافها، وعلى المسلم الحق والملتزم أن يعمل بما يطلب منه، لا أن يعاند ويكابر وخصوصا فيما يتعلق بالنظافة العامة والنظام في البلاد، ولكننا نلاحظ وللأسف الشديد هناك من لا يراعي هذين الأمرين ولا يولييهما اهتماما، فنرى من يلقي قمامة بيته الى الشارع العام أو الزقاق أو الساحة أمام البيت، فلا يلتزم بالقانون والنظام ونظافة الحي والمجتمع والبلاد بشكل عام، فنرى في بعض الأحيان المدينة بأكملها غارقة في القمامة القميئة المنظر، والتي بالضرورة تجلب الحشرات الضارة وتسبب في الأمراض الخطيرة، وهذا يتنافى وروح الاسلام العظيم الممثل بنبيه الكريم الذي قال:

ان الله نظيف يحب النظافة. أخرجه الترمذي واخرون، وضعفه البخاري واخرون، ولكننا نأخذ بظاهر الحديث أن الله تعالى يحب النظافة، وما يحبه الله يحبه عبد الله بالضرورة.

اماطة الأذى عن الطريق من أعمال الخير، وهي شعبة من شعب الايمان لقوله صلى الله عليه وسلم: الايمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا اله الا الله، وأدناها اماطة الأذى عن

الطريق. رواه البخاري ومسلم

كما أنها من أعمال الصدقات التي يجازى بها المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم:

اماطة الأذى عن الطريق صدقة. رواه البخاري ومسلم

وفي السياق نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت محاسن أعمالها الأذى يماط عن

الطريق. رواه مسلم

اماطة الأذى عن الطريق تشمل كل مل يتعلق بالنظافة العامة، من جمع للنفايات ووضعها في أماكنها المخصصة لذلك والاستفادة منها، حيث يظهر الشارع والحياة في المدينة بمظهر حضاري يليق بمدينة إسلامية، ويليق بالمسلمين الذين كانوا قادة العالم المتحضر في جميع المجالات، وكانت مدنهم عنواناً للحضارة الإسلامية من حيث العمران والتخطيط والنظام والنظافة، وكان المسلمون يتمسكون بنظام اجتماعي سليم، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أنتفع به، قال:

أعزل الأذى عن طريق المسلمين. رواه مسلم

وفي باب اماطة الأذى عن الطريق أيضاً، حدث النبي الكريم أصحابه فقال:

لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس.

رواه مسلم

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث الناس على استغلال الأرض وحرثها وزراعتها وعدم إهمالها ومنع الحجر على الأرض (أي إهمالها وعدم زراعتها ومنع الآخرين من استغلالها)، كما الحفاظ على المياه وعدم التبذير في صرفها ولو كان المرء على نهر جار وقال في ذلك:

ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة. رواه مسلم

وفي منع الإسراف في الموارد الطبيعية ومنها الماء، مر النبي صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يتوضأ فقال: **ما هذا السرف؟** فقال سعد: أفي الوضوء إسراف؟ قال: **نعم وإن كنت على نهر جار.** رواه ابن ماجه

هذا الحديث الشريف أخذت به شركة مياه كندية تروج للاقتصاد في استخدام المياه وخصوصاً في الأوقات الصعبة التي تشح فيها المياه في البلاد، بأن ألصقت الحديث الشريف مطبوعاً على قوارير المياه.

وفي الحفاظ على البيئة وحقوق الانسان عند النبي الكريم يبرزان في وصيته لأسامة بن زيد حينما أرسله لتأديب ملك الروم في بلاد الشام في السنة الحادية عشرة للهجرة لتجروءه على المسلمين، وكان أسامة لا يبلغ من العمر أكثر من الثامنة عشرة فقال له: لا تقطعوا شجرة، ولا تقتلوا امرأة ولا صبيا ولا وليدا، ولا شيخا كبيرا، ولا تقتلوا مريضا ولا تهدموا معبدا ولا تخربوا بناء عامرا.

كذلك أوصى النبي الكريم بمعاملة الأسرى معاملة حسنة، قبل أن تأتي منظمات حقوق الانسان بقوانينها التي لا تتقيد بها الدول حتى الكبرى منها، فأطلق النبي الكريم أسرى بدر، كما أطلق سراح كبار خصومه ومن كان يتجراً عليه، مثل سهيل بن عمرو الذي كان يخطب بالناس ويحرض المشركين على النبي الكريم كذلك عزيز بن عمير وثمامة بن أثال من زعماء بني حنيفة وكان هذا جاء الى المدينة لقتل النبي، وبعد أسره قال لأصحابه: أحسنوا أساره واجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوه اليه، ثم أطلق سراحه بعد ثلاثة أيام، ثم قدم الى المسجد فأعلن اسلامه. هكذا كان النبي الكريم يعامل الأسرى ويعامل الناس في الحرب والسلم، وتبعه أصحابه على النهج نفسه، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قادته في فتح بلاد الشام والعراق وغيرها بأن يلتزموا بما التزموا به أيام النبي الكريم، فلا يجبروا أحدا على الاسلام بعد دفع الجزية، ولا يقطعوا شجرة ولا يقتلوا طفلا أو امرأة أو شيخا.. الخ، وكانت هذه الرسائل وأشباهاها للقادة خالد بن الوليد وعياض بن غنيم والمثنى بن حارثة والقعقاع بن عمرو وعدي بن حاتم الطائي وعاصم بن عمرو التميمي والزبير بن بدر وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص لفتح الشام وغيرهم كثيرون، أوصاهم بتقوى الله تعالى قبل كل شيء، فكان له ولهم فتح بلاد الشام والعراق. ولو قارنا بين ما تقوم به الدول الغربية ضد المسلمين، وما قام به المسلمون وقت الفتوحات لتجد البون الشاسع والفرق الواسع بين الأمرين، المسلمون يمنعون قتل المدنيين وهدم المباني والصوامع والرفق بالنساء والأسرى، أما الغربيون واسرائيل، فان أول ما يستهدفونه هم المدنيون من قتل وارهاب وتشريد وتنكيل، ثم تدمير المباني وأحيانا فوق رؤوس أهلها، ثم تدمير المساجد وإذا لم يدمروها فانهم يستخدمونها لأمر منحنطة مثلهم تماما،... الخ هذه المخازي الغربية واليهودية لا تعبر عن مروءة ولا عن أخلاق ولا عن فروسية الحرب. اقرأوا ما كتب أبو بكر الصديق لأسامة بن زيد وجنوده أثناء توجهه الى بلاد الشام وما فيها من حكم ومواعظ انسانية تطال الطبيعة وحقوق الانسان

يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني، لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة وسوف تمر بآقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا

أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بانية فيها ألوان طعام، فإن أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فافخقوهم بالسيف خففاً اندفعوا باسم الله.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما دخل القدس الشريف فاتحاً فتحاً سلمياً دون حرب، كان من ضمن اتفاقه مع صفرينيوس بطريرك القدس: لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها شيئاً، ولا من خيرها ولا من صلبانها ولا من شيئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، وقد أعطى الأمان لأهل القدس ومنح لهم حريتهم الدينية.

وكانت رسائل الخلفاء المسلمين لقادتهم لا تقل أهمية عن الرسائل السابقة، بل كانت المعاهدات مع الأعداء مليئة بالمواد التي تحترم فيها حقوق الإنسان على نطاق واسع ومنها العهدة العمرية التي وقعها عمر بن الخطاب لصفرينيوس عام 636 ميلادية الموافق ربيع الأول 16 هجرية، والعهدة الصلاحية التي وقعها صلاح الدين الأيوبي لباليان بن ابلين بعد هزيمة الأخير في القدس واستسلامه لصلاح الدين عام 1187 ميلادية، كذلك عهدة محمد الفاتح بعدما سقطت القسطنطينية، فعاهد أهلها كما عاهد جده عمر بن الخطاب وجده صلاح الدين الأيوبي الأعداء على الحفاظ على أموالهم ومعتقداتهم وبيوتهم وأعمالهم عام 1453 ميلادية، وإذا نظرنا إلى الفارق التاريخي نراه فارقاً كبيراً بين كل حدث وآخر، ولكن الرسالة الإسلامية الحضارية واحدة لأنها نابعة من العقيدة الإسلامية التي تحث على الخير والبناء وإقامة أوثق الصلات بالشعوب ومع الشعوب الأخرى، وإعطاء فكرة حقيقية عن الإسلام المتحضر بكل معنى الكلمة التي تحملها الحضارة، بعكس ما يحمله العدو من ضغائن وأحقاد، ويتلخص هذا الحقد الصليبي بما قام به ريتشارد الملقب زورا وبهتانا بقلب الأسد وملك فرنسا فيليب في حملتهم الصليبية الثالثة على عكا، وكان هدفها استعادة القدس، ولكن بعد المفاوضات والوصول إلى ترك المدينة لأهلها قام ريتشارد بإعدام ستة آلاف أسير مسلم كانوا في الحامية، وهذا جزء من أطلق سراحهم في القدس وأعطاهم الأمان، هكذا هم أعداء الإسلام يتكلمون بالمسلمين متى تحكموا، ولكن المسلمين كلما تمكنوا كلما زاد التسامح واحترام حقوق الإنسان عندهم

وقد كان للرفق بالحيوان نصيب من الاهتمام في الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم:

دخلت امرأة النار في هرة، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.

متفق عليه

وقصص النبي الكريم في الاهتمام بالحيوان كثيرة نذكر منها ما روي عنه صلى الله عليه وسلم، أن مر جيشه بجوار كلبة وضعت جراءها حديثا، فأمر حارثة بن سراقة أن يبقى حارسا عليها وعلى جرائها الى أن يمر بقية الجيش، وقد غير النبي الكريم مسار الجيش حتى لا يعكر صفو حياتها مع جرائها. وكان العرب يؤذون الحيوان وقت وضع علامات على أجسامها للتعرف عليها، فنهاهم النبي عن فعل ذلك، كما أنه نهاهم عن وضعها موضع الرماية للتدريب على القتال، وكانوا يستخدمونها كمنابر للخطابة ويسوؤون معاملتها فقال في ذلك:

اياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله تعالى انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم. رواه أبو داود في السنن

ولرفقه صلى الله عليه وسلم نهى الناس عن صيد العصافير والطيور وقت فراخها، وتقريقها عن أعشاشها وأخذ بيضها حفاظا منه على روح الطير والحيوان بشكل عام، كما أنه صلى الله عليه وسلم كانت له قطة اسمها معزة، وكان يعزها كثيرا، ثابته أن نامت على طرف عباته صلى الله عليه وسلم فقص مكان نومها خوفا من ازعاجها وهي نائمة، وتبعه أصحابه في الاعتناء بالحيوان ورعايته، وهذا أبو هريرة الذي سمي بهذا الاسم لرعايته للقطط ولحبه الشديد لها.

وما قيل عن النبي الكريم أنه أمر بقتل الكلاب في الشوارع غير صحيح البتة، بل أمر عليه السلام برعايتها ووضعها في أماكن خاصة لهذا الغرض، ولكنه أمر بقتل الكلاب المسعورة والتي تؤذي الناس وتعقرهم وهي الكلاب السوداء وعليها علامات بيضاء فوق عيونها، وهي مميزة بين الكلاب، وقتلها ليس بسبب لونها أو علاماتها الفارقة، بل بسبب شرستها وتهديدها لسلامة الناس وأمنهم.

التعليم حق من حقوق الناس ذكرنا أم انشئ في الاسلام، اذ أن أول سورة نزلت على النبي الأمي الأمين اقرأ التي تحت على القراءة والتي هي مفتاح العلم، كما أن للنبي الكريم الفضل في تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، بعدما طلب من كل طليق من أسرى بدر المتمكن منهم من القراء والكتابة بتعليم عشرة أطفال من المسلمين، ومن بعد ذلك فتحت الكتاتيب لتعليم كل الأطفال المبادئ الأساسية في اللغة وتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ الحساب والعلوم البسيطة لهم. ويظهر ذلك جليا في كلام الله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

وفي باب العلم والتأديب، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع. رواه الترمذي

أما بالنسبة لتعليم الفتاة والمرأة، فقد أولى نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هذا الموضوع اهتماما بالغاً، إذ كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تعلم نساء المسلمين أمور دينهن، وتفسر لهن ما غمض من قضايا ومشاكل النساء بعد استشارة النبي الكريم، ولكن يجب التنويه بأن الحديث: **خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء**، يعني السيدة عائشة رضي الله عنها حديث غير صحيح، أما النبي نفسه فقد خصص يوماً لتعليم النساء أمور دينهن، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، جاءت امرأة إلى النبي الكريم فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: **اجتمعن في يوم كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله فعلمهن مما علمه الله ثم قال:**

ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابا من النار، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله أو اثنتين؟ قال: **فأعادهما مرتين ثم قال واثنين ثلاث مرات.** متفق عليه

تعليم الفتيات والنساء واجب ديني وأخلاقي في الاسلام، فحرمانهن من هذه النعمة ليس من الاسلام في شيء بل هو محرم شرعاً، لأن في ذلك مخالفة لسنة من سنن النبي الكريم، ومن يقل بأن تعليم الفتاة حرام فقد وقع في الخطيئة، ولكن يجب الحرص كل الحرص على الفتاة أو المرأة التي تذهب للتعليم من غوائل الطرق والتستر قبل الذهاب إلى المدرسة أو دور العلم أيًا كان نوعها، ولكن التعليم يبقى واجباً على الفتى والفتاة والرجل والمرأة على حد سواء.

الاسلام أعطى المرأة حقها تماماً، وإذا ما قورنت بمكانتها في الدول الأخرى المجاورة للجزيرة العربية في ذلك الوقت وبمكانتها زمن الجاهلية قبل الاسلام، لنجد الفرق الواسع والشاسع، إذ أن المرأة في الاسلام معززة مكرمة لها حقوقها وعليها واجباتها. الانسان كفرد والناس كجماعة لهما أهمية بالغة في الاسلام، وحقوق الانسان مصانة غير مهانة الا في ظل حاكم غير عادل.

الاهتمام بالصحة العامة من الأمور الأكثر أهمية في الدين الحنيف، إذ أنه حريص على صحة الفرد والجماعة، وما الأمر بالوضوء خمس مرات إذا أمكن إلا جزءاً من الصحة والحفاظ عليها، كذلك الغسل في المناسبات المتنوعة كما ذكرنا سابقاً إنما هو للحفاظ على نظافة الجسم والروح وطهارتهما، وقد اهتم الاسلام بالضرورات الخمس: **النفس والنسل والعقل والمال**، فهذه الأمور دعى الاسلام العظيم للحفاظ عليها فالنفس يجب أن تكون راضية مرضية، وتنمية النفس

الأمانة بالخير ضرورة بالغة، ومحاربة النفس الأمانة بالسوء واجبة، والنسل يجب أن يكون من نطف نظيفة لا عن طريق الزنى وارتكاب المحرمات، أما العقل فهو زينة المرء اذا استخدم للخير والعمل الجاد والتفكير النير العلمي فقد أفاد واستفاد، أما اذا استخدم لغير ذلك فقد هلك وأهلك من معه، والمال مهم على أن ينفق في سبيل الخير أيضا ويجمع بالطريق الحلال.

الصحة في الاسلام تعني الحفاظ على سلامة الانسان من الأمراض المزمنة والمعدية، والتعرف على أسبابها وعلاجها والوقاية منها، كذلك سلامة المسلم من الأمراض النفسية ومن الخرافات والشعوذات التي تؤثر على دينه ومعتقداته السليمة والتي قد توصله الى الشرك بالله، ومن العلماء من أقر وجود أمراض نفسية قد تؤدي الى معتقدات باطلة فاسدة يجب الاحتراز منها.

الصحة نعمة من نعم الله تعالى على الانسان لا يدرك أهميتها الا المريض، وقد يحسد صحيح الجسم والبنية على صحته وعافيته من قبل أعدائه أو من قبل المعروفين بالحسد لقوله تعالى:

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الفلق 5

ويقول رسول البشرية صلى الله عليه وسلم:

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ. رواه البخاري

الغبين هنا يعني الاستغلال الأمثل للشيء، فعلى الانسان الذي يتمتع بالصحة ولديه الفراغ استغلالهما في الخير وعبادة الله تعالى، والعمل المفيد من تجارة واجتهاد وتعليم وتعلم، فانها نعم من نعم الله تعالى يجب استغلالها كي يتمكن من العيش الكريم في الدنيا، والاجابة عن الاسئلة التي ستوجه اليه في الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا تزول يوم القيامة قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما

أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين أخذه وفيما أنفق. رواه الترمذي وابن حبان

هذا وقد نهى الاسلام عن التقاعس عن العمل حتى التفرغ تماما للعبادة اذا كان المسلم بحاجة الى أن يعمل وقد وافق النبي الكريم سلمان الفارسي مقولته لأبي الدرداء الذي كان يصوم النهار ويقوم الليل وليس له في الدنيا حاجة، كما قالت زوجته التي اشتكت له سلمان، فقال له سلمان: ان لربك عليك حقا، وان لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فلما ذكر

ذلك للنبي قال: صدق سلمان. رواه البخاري

نلاحظ أن الاسلام بمبادئه وأحكامه غطى جميع جوانب الشخصية الانسانية العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية، ولم يترك بابا الا طرقه واستغرق فيه وأعطاه حقه، فالاسلام كل في واحد وواحد في كل، أي هو استوعب كل شيء، وكل شيء مستوعب فيه، وهذا ما عجز عنه العلماء

والفلاسفة على مر العصور والدهور، أي لا تجد العلم كله في كتاب واحد، ولا موضوعات فلسفية (الاسلام ليس فلسفة) عند فيلسوف واحد، ولكن تجد في الاسلام كل الموضوعات التي تهم الانسان، ومنها الانسان نفسه من حيث خلقه ومراحل خلقه، وسلوكه وما يجب أن يكون عليه، وما المحرم عليه والمحلل له.... الخ، هذا موضوع واحد من عشرات الموضوعات التي عالجها الاسلام وعجز عنها المختصون في كثير من الأحيان، ومنها حقوق الانسان على سبيل المثال لا الحصر.

الأحكام الشرعية من الفصل الثاني والثلاثين

- 1- حث الاسلام على الحفاظ على الطبيعة والبيئة بكل أجزائها.
- 2- حث الاسلام على اتباع النظام، والحفاظ على النظافة العامة كمكونين أساسيين من مكونات النظام البيئي على الأرض.
- 3- امانة الأذى عن الطريق طريق الى الجنة ومن علامات الايمان.
- 4- حرم الاسلام الاعتداء على موارد الطبيعة من أشجار وأنهار وطيور وحيوان.
- 5- شجع الاسلام على زراعة الأشجار وعدم قطعها دون سبب وشروط تضعها الدولة المسؤولة.
- 6- منع الاسلام التبول على الطرقات أو موارد المياه لأن في ذلك ضرر للناس، وليس من مظاهر الحضارة الانسانية، لأن القاعدة الفقهية تقول: لا ضرر ولا ضرار.
- 7- حذر الاسلام من الاسراف في الموارد الطبيعية والمائية بشكل خاص.
- 8- الرفق بالحيوان والطيور وكل متحرك على الأرض الا المؤذي منها مبدأ من المبادئ السامية في الاسلام حيث كان المسلمون يخصصون بيتا للحيوانات السائبة والمريضة والمتركة في خان خاص بها لعلاجها والاعتناء بها.
- 9- يجب اتباع كل القوانين الدولية التي تساهم في تخفيف التلوث على الأرض والمساهمة في هذه القوانين وتطبيقها.
- 10- الاسلام يعترف بحقوق الانسان التي تتماشى والطبيعة الانسانية الخيرة، ولكنه ينبذ التطرف وتشجيع المحرمات وتحييد ما جاء في كتاب الله من أحكام وخصوصا أحكام الميراث والزكاة وغيرها التي يدعو اليها بعض الناس، أو تخرج بها بعض الاتفاقات كاتفاقية سيداو عام 1975 ميلادية التي وقعت عليها عشرون دولة عربية، وبعض المؤتمرات كمؤتمر بكين عام 1995 ميلادية وما شابهه لتشجيع الرزنى والحرية الزائدة التي تتمر البلاد والأوطان، وما عدا ذلك فان الاسلام والمسلمين دائما الى جانب الخير للعالم من تعليم وصحة ومساعدات انسانية ومساندة وقت الحاجة الخ.

الفصل الثالث والثلاثون

الوقف والهبة في السنة النبوية

الوقف نوع من أنواع الصدقات الجارية التي يتقرب بها المسلم لله تعالى إذا اقترن عمله بنية صادقة لقوله صلى الله عليه وسلم:

انقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

رواه البخاري

وأخرج ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره أو ولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحق به بعد موته.

النبي الكريم هو قدوة المسلمين على مر الدهور والعصور، فدائما ما يبدأ النبي الكريم بفعل الخير بنفسه فأوقف أرضا كان يملكها في سبيل الله، عن عمرو بن الحارث بن المطلق قال:

ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بغلته وسلاحه وأرضا تركها صدقة.

رواه البخاري

الوقف هو الحبس لغة، أي تحبس المال أو الصدقة وتنفقها في سبيل الله، فقد يكون الوقفا مالا أو عقارا أو أرضا تكتبه لمن تشاء من الأهل والأقارب، ويكون هذا وقفا أهليا أو أسريا، وقد تكتبه للفقراء والمساكين والمحتاجين، أو لمشروع خيري كمدرسة أو مستوصف أو مسجد.. الخ ويسمى هذا وقفا خيريا.

الوقف له فوائد جمّة، إذ يذهب ريعه للفقراء والمحتاجين، أو تستفيد منه جهة معينة كمدرسة لتعليم النشئ أو لمستشفى لمعالجة المرضى أو لدور الرعاية الصحية أو العقلية ودور المعوقين وغيرها، وللأوقاف ميزانية من عوائد العقارات الموقوفة من أصحابها تتفق منها عما ذكر، إذن العائد من الأوقاف يكون نفعا للناس وللمجتمع، ولا يشترط في الوقف الإيجاب والقبول من الموقوف له، بل يكون لإيجاب الواقف لعين الموقوف وحبسه من أجل المنفعة التي يحددها الموقوف (المالك للشيء)

الوقف لا يجب أن يرتبط بشرط، أي إذا حصلت على وظيفة كذا سأوقف هذا العقار لكذا، فهذا لا يصح إذ أن الوقف لوجه الله تعالى، ويكون عملا مؤكدا لا رجعة فيه كتابة أم لفظا أو

بكليهما، كما يجب أن يكون الموقوف معلوما ليس مجهولا، وأن لا يكون من المحرمات كإيقاف مصنع للخمر أو حظائر خنازير والموقوف يجب أن يكون لجهة لا ينقطع نفعها لتكون صدقة جارية كالمدرسة والمستشفى والانفاق على الأيتام وذوي الإعاقة وغيرهم مما تجوز عليهم الصدقات.

الموقف (أي مقدم الوقف) عليه أن يختار الجهة التي يريد إيقاف ماله أو عقاره إليه، كما يجوز له أن ينتفع من ريع الموقوف في حياته، وبعد مماته يذهب الريع إلى المستحقين الذين حددهم الموقف. لا يصح للموقف أن يوقف شيئا ما دام هو مدينا، إذ لا يصح الوقف من مدين حتى يسدد دينه، وما دام مريضا من مرض لا يرجى شفاؤه أو مرض الموت وهو مدين، أما إذا لم يكن المريض مدينا ومات جرى الوقف مجرى الوصية فيجب إنفاذها بعد الموت وتخرج من الأثر. هذا وقد حددت الأمانة العامة للأوقاف في مصر عشرة شروط للأوقاف نذكرها هنا:

1- الاعطاء، المراد هنا أن يؤثر الواقف بعض المستحقين برّيع أو غلة الوقف كلها أو بعضها لمدة معينة أو بصورة دائمة

2- الحرمان، والمراد منه منع الغلة عن بعض المستحقين مدة معينة أو بصورة دائمة

3- الإدخال، المراد به جعل من ليس مستحقا في الوقف مستحقا فيه، بمعنى إدخال غير الموقوف عليه وجعله من أهل الوقف فيكون بذلك مستحقا

4- الزيادة، وهي تعديل في أنصبة ومرتببات المستحقين في الوقف بالزيادة، بمعنى تفضيل بعض الموقوف عليهم على الباقيين بشيء يميزهم به حين توزيع الغلة، أو الزيادة في نصيب أحد الموقوف عليهم على الدوام وهو ما يستلزم النقصان إذا كان ما أراده على باقي المستحقين

5- الإخراج، وهو جعل ما كان مستحقا في الوقف غير مستحق، بمعنى إخراج الموقوف عليه من الوقف فيكون بعدها من غير أهل الوقف مدة معينة أو بصورة دائمة

6- النقصان، وهو تعديل من أنصبة ومرتببات المستحقين في الوقف بالنقصان، بمعنى أن ينقص من نصيب أحد الموقوفين عليهم أو بعضهم بأن يعطيه أقل مما أعطى غيره إذا لم تكن الأنصبة معينة، وهو ما يستلزم الزيادة إذا كان ما نقصه عائد على باقي المستحقين

7- التغيير، وهذا الشرط يشمل الشروط السابقة ويتناولها جميعها، فيعتبر إجمالا بعد التفضيل، فالشروط السابقة نوع من التغيير، لذلك إذا شرط الواقف لنفسه حق التغيير كان له الحق في الشروط السابقة، كما له أن يغير في مصارف الوقف بطريقة أخرى، فله أن يجعل المصارف مرتببات بدل أن تكون حصصا.

8- التبديل، المقصود به التبديل في العين الموقوفة، وذلك يشمل أمرين هما: التبديل في منفعة

الموقوف كأن يجعل الأرض الزراعية كمساكن مثلاً، كما يشمل مقايضة عين بعين
9- الابدال والاستبدال، والمراد هنا بالابدال اخراج العين الموقوفة عن جهة وقفها، في مقابلة
بدل من النقود والأعيان بمعنى بيع العين الموقوفة. والمراد بالاستبدال أخذ البدل ليكون
وقفاً مكان العين التي كانت وقفاً، بمعنى آخر شراء عين أخرى تكون وقفاً بدلها، وإذا ما
ذكر أحدهما وحده فإنه يراد به معنى يشملهما وهو بيع العين الموقوفة وشراء أخرى تكون
وقفاً بدلها. وتجاوز مخالفة الواقف في أحوال معينة، كما أن هناك شروطاً للرجوع عن
الوقف والمشاركة فيه وتعيين الجهة المسؤولة عنه وغير ذلك يرجع إليها لذوي
الاختصاص.

وهناك أمثلة للوقف أيام النبي صلى الله عليه وسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه لما
قدم الرسول إلى المدينة وأمر ببناء المسجد قال: يا بني النجار، تأمنوني بحائطكم هذا؟ أي أريد أن
أدفع ثمن بستانكم فقالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى، فأخذ النبي فبناه مسجداً. رواه
البخاري والترمذي والنسائي

وقصة بئر رومة معروفة، إذ كانت لرجل من بني غفار، وكان يبيع منها القرية بمد، والمد
هو أكثر من نصف كيلو غرام من القمح أو خلافة، فقال له النبي: تبيعنيها بعين في الجنة؟ فقال: يا
رسول الله ليس لي ولعالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاشتراها بخمسة
وثلثين ألف درهم، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتجعل لي ما جعلت له؟ (عين في
الجنة) قال: نعم، قال: قد جعلتها للمسلمين.

الوقف يجوز للأقارب، وذلك كما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر
أنصاري مالاً في المدينة، وكان أحب أمواله إليه بريحاء (بستان فيه نخل قرب المسجد النبوي
الشريف) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بريحاء ليشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية
الكريمة: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
ال عمران 92

ذهب أبو طلحة إلى النبي الكريم وقال له: إن البرحاء أحب أموالي إلي، وإنها صدقة لله
أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال النبي: بخ (يقصد بها الإعجاب
والتفخيم لعمله) ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، واني أرى أن تجعلها في
الأقربين فقسماً أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

الصدقة أو الهبة أو الوقف أو الهدية دائمة النفع يجب أن تكون دائمة الانتفاع بها، أي لا

يجوز أن توقف شيئاً لفترة محدودة كأن تقول هذا البيت لك ما دمت أنت حياً، فإذا مات الموهوب له عاد الملك الى صاحبه، هذا ما نهى عنه النبي الكريم، عن عروة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أ عمر عمرى (أهدى هدية) فهي له ولعقبه يرثها من يرثه من عقبه من بعده.
متفق عليه

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من أ عمر عمرى له ولعقبه فإنها للذي أعطيها، لا ترجع الى الذي أعطاها، لأنه أعطى عطاء وقعت فيه المورارث.
رواه مسلم

ولكن بعض المذاهب الاسلامية ترى ان العمرى اذا كانت مشروطة فتعود الى صاحبها، أما اذا لم تكن مشروطة فالأصل التأييد أي هي عطيا أبدية يرثها ورثة المعطى له، وهذا تفسير حديث النبي الكريم، عن جابر قال: جعل الأنصار يعمرن المهاجرين، أي يعطونهم من أموالهم وعقاراتهم ليسكنوا فيها، فقال النبي أمسكوا عليكم أموالكم ولا تفسدوها، فإنه من أ عمر عمرى فهي للذي أ عمرها حيا وميتا ولعقبه. رواه مسلم

بعض العلماء فسر ذلك بثلاثة أوجه: اذا قال الواهب بصريح العبارة هي لك ولعقبك فالعطيا دائمة مؤبدة واذا قال الواهب هي لك ما عشت، فاذا مت رجعت الي فهذه عارية مؤقتة وهي صحيحة، فاذا مات رجعت الى الذي أعطى، وبه قال أكثر العلماء، وثالث الأمور أن يقول: أ عمرتكها فإنها له ولعقبه، وهذا ما أفتى به العلماء.

العطية أو الهدية تقرب القلوب وتصفى النفوس وتزيد الترابط والتواد والتراحم بين الناس وهي سنة حسنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر (الحقد) ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرس شاة
(حافرشاة)
متفق عليه

يجوز للمسلم أن يوقف أي شئ يملكه مثل فرسه ودرعه وسيفه، كما فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد احتبس أدرعه وأعتاده في سبيل الله، ولكن لا يجوز وقف المادة الهالكة كالطعام والورود، والحيوانات كالكلاب والخنازير، ولا أي شئ محرم في الاسلام، والدواء والنقود، وفي النقود اراء منها من يقول: اذا ردها المنفق عليه بعد الاستفادة منها كقرض وتعطى لغيره جائز، وفي هذا الباب اراء، كما لا يجوز الوقف الذي يراد به الضرر للورثة لحديث النبي الكريم:

لا ضرر ولا ضرار. وهناك اراء متباينة بخصوص الوقف في مرض الموت، والوقف للأغنياء

ولأهل الذمة وغير ذلك (الرجوع الى المصادر المتخصصة)

أما الهبة، فانها العطية من شخص الى خر، أكان مالا أم عقارا أم غير ذلك بلا عوض، أي لا يطلب الهادي من المهدي اليه مقابل الهبة التي هي عقد تملك حتى لو كانت بدون كتابة، أما اذا كان التملك في الحياة فقط كانت اعاره، كذلك اذا استردت الهبة بعد وقت ولم تملك للموهوب له كانت اعاره، أما اذا تملكها الموهوب له بعد الوفاة كانت وصية

والهبة والهدية من سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله: تهادوا تحابوا. رواه البخاري
وقد قبل النبي الكريم الهدية من مقوقس مصر ومن قيصر ملك الروم وكسرى ملك فارس،
عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كان الرسول الكريم يقبل الهدية ويثيب عليها.** رواه البخاري
الهدية لا ترد الى صاحبها ولو كانت بسيطة، لأنها تعبر عن المودة والمحبة وليس الأمر بالثمن والكثرة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لو أهدي الي كراع لقبلت، ولو دعيت لأجبت. رواه أحمد والترمذي

كما يجوز قبول الهدية من غير المسلم كما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويجوز اهداء غير المسلم لأن في ذلك تعبيراً عن التالف والترابط بين أفراد المجتمع الواحد، واعطاء صورة حسنة عن الاسلام والمسلمين بأنهم ليسوا متزمتين وبعيدون عن العنصرية وهذا حق.
الهدية ليست كالصدقة فانها تعطى لمن يشاء الهادي، فهي تعطى للفقير وللغني وللمسلم ولغير المسلم كما ذكرنا، الهدية لا تجوز لكل ما يملك الانسان وخصوصا اذا كان له أولاد وأحفاد، كما لا يجوز تفضيل أحد الأبناء على غيره في الهبة، لما يسبب ذلك من بذر بذور الشقاق وقطع الأرحام، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

سوا بين أولادكم في العطية، ولو كنت فضلت أحدا لفضلت النساء. أخرجه الطبراني

والبيهقي

شروط الهبة كشروط الوقف في بعض النواحي، مثلا لا تجوز الهبة لشيء محرم في الاسلام، كما أنها تعاقد لفظي بين الواهب والموهوب له، وفي الهبة تجوز المادة المستهلكة كالطعام والورود والنقود وغير ذلك الا المحرمات بالطبع، ولا ترد الهبة الى صاحبها كالهدية، بل يجب أن يشكر صاحبها لقوله صلى الله عليه وسلم: **من لم يشكر الناس لم يشكر الله.**

رواه الترمذي وأحمد

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من أعطى عطاء فوجد (أي سعة من المال) فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فان من أثنى

فقد شكر ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوب زور. رواه أبو داود والترمذي

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صنع اليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء. رواه الترمذي
اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت،
وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فانك تقضي ولا يقضى عليك، انه لا يذل من واليت، ولا يعز من
عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أعطيت، نستغفرك
اللهم من جميع الذنوب والخطايا ونتوب اليك يا أرحم الراحمين.

الأحكام المستفادة من الفصل الثالث والثلاثين

1- الوقف هو الحبس، أي حبس المادة الموقوفة لاستخدامها من قبل جهة أخرى وصرف منافعه في
سبيل الله.

2- الوقف اما أن يكون أهليا أي موقوفا الى الأقارب والأحفاد، واما أن يكون خيريا ينفق للمنفعة
العامة

كالمساجد ودور الأيتام ودور الرعاية والمدارس وغير ذلك اذا كانت مبنى، أما اذا كانت مؤجرة
فيذهب ريعها لما تقدم وغيرها من المنافع العامة.

3- الوقف هو صدقة جارية ينتفع بها المسلم بعد موته.

4- الوقف يكون لكل ما يملكه صاحبه الا المستهلك والمحرم.

5- الوقف يكون بالفعل كبناء مسجد أو مدرسة أو مستشفى، أو بالقول كأن يقول: أوقفت المبنى
كذا من أجل كذا، أو حبست أرضي أو بيتي من أجل شئ لوجه الله تعالى، أو يوقف ما
يريد بعد موته وهذا جائز.

6- الوقف لا يرد، ولكن هناك شروط للتعديل والتغيير، وتغيير من يستحق الوقف وما الى ذلك
كما ذكرنا.

7- الواقف يجب أن يكون مالكا للعقار أو الشئ الموقوف، ومؤهلا للوقف من العقل والبلوغ
والحرية والاختيار وما الى ذلك.

8- لا يجوز بيع أو هبة الموقوف ولا التصرف فيه بأي شئ يزيل وقفه.

9- الوقف يجوز على الأولاد دخل في ذلك أولاد الأولاد ما تناسلوا.

- 10- يجوز الوقف الى أهل الذمة ولكن ليس للكنائس أو بيعة أو أماكن محظورة أو محرمة في الإسلام.
- 11- يجوز الوقف المطلق كأن يقول الموقوف: هذا بيتي وقف فتتسلمه الجهة المختصة كوزارة الأوقاف مثلا ويكون وقفا أبديا.
- 12- لا يجوز الوقف لأكثر من ثلث الملك الا برضى الورثة.
- 13- يحرم على الواقف أن يوقف شيئا يضر به الورثة اذا كان دخلا وحيدا لهم مثلا، أو لا يجوز وقف النبات المثمر الذي يعيش من ورائه الورثة وأبناءؤهم الخ.
- 14- يجوز أكل العامل على الوقف من مال الوقف بالقدر الذي يشرعه القانون أو القدر المتعارف عليه.
- 15- الهبة هي التبرع والتفضل على الغير سواء أكان مالا أو غيره بغرض التملك بلا عوض.
- 16- الهبة كالوقف تماما لا يجوز في شيء محرم، ولا ترد الى صاحبها.
- 17- الهبة والهدية يجب أن تكونا معروفتان ولا يصح هبة أو عطية في شيء مجهول، ولكنهما كالوقف فلا يجوز هبة الهواء ولا السمك في الماء ولا المساجد ولا الزوايا وما شابه ذلك.
- 18- لا يجوز الهبة بكل المال، كما لا تجوز بأكثر من الثلث اذا كان هناك ورثة واذا وقعت الهبة لوريث فيجب أن تكون للورثة جميعا.

الفصل الرابع والثلاثون

معاملة غير المسلم في السنة النبوية الشريفة

لطالما عامل النبي الكريم أعداءه وأعداء الدين الاسلامي بالحنى، كيف لا؟ وهو الذي مدحه رب العالمين من السماوات العلا بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم 4 وقوله صلى الله عليه وسلم: **انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**، فالأخلاق هي كل ما يقوم به المرء من أقوال وأفعال تتم عن الخير، وهي مجموعة قيم تمثل الخير الذي يتسبب في سعادة الناس ورفاهيتهم، فالخير عكس الشر الذي يرسخ العادات والسلوكيات المذمومة وهي ليست من القيم، لأن القيم من القيمة والقيمة تمثل شيئاً له ثمن مادي أو معنوي خير ملموس، فالشر لا قيمة له، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليرسخ القيم النبيلة والعادات والسجايا الحميدة في عقول وأنفس وقلوب الناس أجمعين وليس لفئة منهم وذلك بعد الايمان بالله وحده لا شريك له في الملك والحكم، والعمل بما يؤمر به المؤمن من الله تعالى ومن نبيه الكريم، ويتعد عما نهاه عنه الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم، هنا تكمن التقوى وهي مخافة الله تعالى، ومن الذي يبشر بالتقوى؟ انه من أرسل هدى وبشرى للعالمين محمد النبي الأمين، هو الذي يعلم الناس التقى وعمل الخير والبعد عن الشر، من هذا المنطلق كان رسول الله يعامل كل الناس بالحنى وان لم يكونوا مسلمين، فمن أجل جذبهم الى الاسلام وسماحته وعدله، ووفقا لطبيعة النبي السمحة كان يعامل غير المسلمين والمسلمين خاصة باللين والعطف والرحمة لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ال عمران 159 وفي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة 128

أما معاملة غير المسلم فكانت بالعدل والقسطاس والرحمة والشفقة، ولم يكن النبي قاسيا مع غير المسلم أبدا اذا كان مسالما غير مناكف ولا متحرفا لقتال عملا بقوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

المتحنة 8

الاية الكريمة واضحة كل الوضوح، تدل على ضرورة معاملة الجار غير المسلم وابن البلد غير المسلم في معاملات الدنيا كالمسلم لا فرق، نقول معاملات الدنيا فقط لأن غير المسلم لا تنطبق عليه أحكام الزكاة مثلا بل أحكام الجزية، ولا تنطبق عليه أحكام الميراث الا اذا طلب ذلك من القاضي وهكذا. هذا ديدن نبينا الكريم وسلوكه معهم، ولكن القسوة كانت مع من أساء الى النبي من قريش وغيرهم من الكفار والمنافقين في بداية البعثة، الذين اذوه وعذبوه واذاوا أصحابه وعذبوهم الى درجة التعذيب الجسدي والشتم والقذف ونقض ونكران المعاهدات والاتفاقات اذا ما مال الميزان لصالحهم، الى درجة أن بعضهم قتل مبعوثي النبي اليهم وهكذا كانت سلوكيات النبي وأصحابه كلها دفاعا عن الدين، ودفاعا عن الدعوة الى الله تعالى، ومن ثم دفاعا عن النفس والمال والعرض، من هنا كانت أوامر الله تعالى لنبيه والمؤمنين برسالته لمقاتلة هؤلاء الكفار حتى يؤمنوا ويكفوا شرورهم، وكان القتال واجبا في غير اعتداء أو عدوان على الغير وعلى حقوقهم وممتلكاتهم، انها استراتيجية واضحة المعالم منذ أن أمر الله تعالى نبيه الكريم بالبداية بنشر الدعوة في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

الحجر 94

أي التوجه نحو تبليغ رسالة الله تعالى وعدم مجاملة الكفار والمنافقين في شئ، ولاظهار الدين لجميع الناس دون استثناء، لاقامة الحجة عليهم ولمواجهتهم اذا ما تصدوا لهذه الدعوة ولو بالحرب عليهم، وفي الوقت الذي كانت فيه الامبراطوريات تهاجم المدن والقرى وتقتل وتتهب أموال الناس، وتحرق مدنهم وقراهم وتسبي نساءهم، وترغمهم على دفع الأتاوات والضرائب الباهظة دون شرط الحماية،، كان المسلمون اقتداء بنبيهم الكريم يرسلون الرسل الى المدن والقرى والبيوادي للتبشير بالاسلام، ثم يتقدمون الى المواقع ويحمون المدنيين والاطفال والنساء وكبار السن، ثم يخيرون الناس بين الدخول في الاسلام او دفع الجزية مقابل الزكاة التي يدفعها المسلمون أو الهجرة، فاذا ما قورن هذا الاجراء بما كان يقوم به الفرس والروم حتى العرب فيما بينهم نلاحظ عنصر الانسانية وأخلاق الحرب والسلم هي السائدة، ما يشكل تحولا حضاريا لم يشهده العالم في ذلك الوقت، وبذلك قدم الاسلام نموذجا فريدا في عصره.

سار المسلمون على هذا النهج في فتوحاتهم ومواجهاتهم مع الأعداء، جيشا مقابل جيش، والمدنيون من غير المسلمين كانوا دائما في أمان وسلام، اقتداء بنبي الاسلام الذي كان دائم الحفاظ على دم غير المسلم ممثلة بقوله صلى الله عليه وسلم:

الا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة.

رواه الألباني في صحيح ابي داود

وقال صلى الله عليه وسلم: من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما. رواه البخاري

لم يكن هذه الأحاديث النبوية الشريفة مجرد كلام، بل كانت استراتيجية أقوال وأفعال سار عليها المسلمون الى يومنا هذا، وكل ما يقال غير ذلك فهو غير صحيح البتة، اذ ان نبي العالمين لم يكن يتصرف لغرض شخصي، أو يتبع هواه، بل كان وحيا يوحى اليه، وتكون الأفعال على الأرض مناسبة للدعوة الصريحة والواضحة والتي هدفها نشر العدل والمساواة بين الناس، بعد الدعوة الى الله تعالى وإقامة شرائعة وأحكامه.

بعد أن استقر المقام بالنبي الكريم في المدينة المنورة، أصبحت تضم المهاجرين والأنصار، وكلاهما الى جانب اليهود، فلم يفرض النبي ولا المسلمون أنفسهم الاسلام على اليهود، ولم يطالبوهم بترك دينهم، بل تعاملوا معهم كمواطنين، لا بل حال وصول النبي الكريم المدينة أصدر وثيقة المدينة وهي بمثابة دستور ينظم العلاقات بين سكانها ومنهم اليهود، وهذه الوثيقة تحمل أهمية تاريخية ودستورية ملزمة. ركزت هذه الوثيقة على وحدة المسلمين بحيث يعين بعضهم بعضا في السراء والضراء، ويدافعون عن الدين في كل مكان وزمان، بل ويدافعون عن المظلوم، ولا يناصرون محدثا في الدين، ويرجع المسلمون خلافاتهم الى الله ورسوله عملا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء 59

أما بخصوص العلاقة مع اليهود، فقد حددتها الوثيقة بالتعامل أثناء السلم وأثناء الحرب، ففي السلم لهم دينهم وعقيدتهم وهم أمة مع المؤمنين، وهم يتكفلون بنفقتهم والمسلمون يتكفلون بنفقتهم، ولا تجاوز الا مع من ظلم وأفسد منهم، ولا يخرجون من المدينة الا باذن من النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحرب ينفقون مع المسلمين وينصرونهم في حال الهجوم على المدينة ويلبون في حال الصلح مع الأعداء، اليهود خالفوا ونقضوا المعاهدة بوقوفهم مع أعداء الاسلام، وخصوصا بني قنيقاع وأفسدوا وظلموا كثيرا، وتبعهم بنو النضير الذي أمرهم النبي بمغادرة المدينة بعد أن دبروا له المكيدة وصلت الى حد قتله غيلة، وبعد حصارهم خمسة عشر يوما أجلاوا عن المدينة بجزيرة أعمالهم، وليس ظلما من المسلمين والنبي الكريم.

هكذا كانت علاقة النبي الكريم مع غير المسلمين، علاقة ملؤها التسامح والمودة الى أن نكت اليهود بوعودهم، وتحالفوا مع قريش ضد النبي شخصيا وضد المسلمين، ما أدى الى اجتثاثهم من المدينة بعد موقعة خيبر التي انتصر فيها المسلمون عليهم، ولكن تبقى الاستراتيجية العامة

للسياسة الاسلامية التي تمسك بها الخلفاء الراشدون والخلفاء المسلمون على مدى التاريخ أسوة بنبيهم الكريم وهي: عدم التعرض لأصحاب الديانات السماوية بسوء، وعدم ابارهم على الدخول في الاسلام، أو ترك أديانهم أو التعرض لأماكنهم المقدسة ومعابدهم، وفي رسائل النبي وأصحابه الى قادتهم العسكريين خير دليل عل ما ذهبنا اليه.

لم يكن النبي الكريم الا هاديا ومبشرا ونذيرا، فكان يهتدي بالقران الكريم، اذ أمره رب العالمين بعد أن استقر الحال به في المدينة وأسس دولة الاسلام، بأن لا يجبر الناس على الاسلام بعد ظهور الحق وازهاق الباطل وبعد أن اتضح للناس معنى الاسلام وعظمته وفوائده الانتماء اليه والتمسك به، وظهر ذلك جليا في قوله تعالى لنبيه الكريم: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس 99

وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 256

أي أن الحق واضح بين والباطل واضح بين، وكلاهما في الميزان، فمن أراد سعادته في الدنيا والاخرة يتبع الهدى من ربه ويتبع نبي العالمين لأنه المؤتمن على رسالة ربه، ومن أراد البقاء والعيش في الظلام والضلال فله ذلك، لأن النبي الكريم لا يستطيع ان يجبر الناس على الدخول في الاسلام لقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ القصص 56

هذه الايات البينات وغيرها دليل قاطع مانع على أن الاسلام لم ينتشر بالسيف كما يدعي أعداء الاسلام، كما أن المسلمين على مر تاريخهم لم يهينوا أهل الكتاب ولم يتسلطوا عليهم، بدليل عملي ملموس أن كل ذي عقيدة وكل ذي لغة حافظ على عقيدته، لا بل على لغته وعاداته وتقاليده وثقافته تحت ظل الدولة الاسلامية الى يومنا هذا، ما يدل دلالة قاطعة مانعة على أن العرب والمسلمين لم يتعرضوا لذوي الديانات الأخرى بسوء، ولم يتعرضوا لأماكن عباداتهم بسوء، ولم يتعرضوا لثقافات الشعوب الأخرى التي دخلت الاسلام والتي لم تدخل في الاسلام بسوء أيضا مثلما فعل أصحاب الديانات الأخرى بالمساجد والمكتبات السلامية وكل معلم اسلامي في البلاد الاسلامية التي احتلوها عنوة.

سار المسلمون هلى هدي قرانهم ونبيهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فهو لم يستطع أن يخرج كلمة التوحيد من فم عمه ابو طالب وهو يحتضر، بالرغم من رجاء النبي له بأن يخرجها كي يشفع له بها يوم القيامة، عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبو طالب الوفاة جاءه رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي وأبو جهل، فقال له: يا عم، قل لا اله الا الله، كلمة أحاج بها عند الله، فقال له أبو جهل: أترغب عن ملة عبد المطلب (جد النبي)؟ فأعاد عليه النبي فأعاد أبو جهل، واخر ما قاله أنه على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا اله الا الله وهو والد على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعم النبي الذي تربى في أحضانه، فقال النبي الكريم: لأستغفر لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى قوله:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾

التوبة 114

لم تكن الدعوة الى الله تعالى بالعنف ولا بالقوة بل بالاقناع والحسنى، ولم يكن الاسلام يشذ عن هذه القاعدة بالدليل من كتاب الله عز وجل، ونحن نتساءل هنا: هل تخرصات أعداء الاسلام عن الاسلام أقرب الى التصديق؟ أم كلام الله تعالى هو الأقرب والأدق والأصدق؟ من بديهيات القول: أن كلام الله هو الأصدق قليلا، بناء عليه فان الاسلام انتشر بالقوة الحسنة والمنطق المقبول للقلوب والعقول، ودخل الناس في الاسلام أفواجا نتيجة ما لمسوه من العدل والقسطاس والايمان من خلال قراءتهم للقران، وتعاملهم مع المسلمين بسلوكياتهم وأخلاقهم الحميدة، فالقران الكريم هو دستور المسلمين فمن يخالف هذا الدستور ويخالف سنة نبي الله فهو ليس من المسلمين بل هو عالة عليهم. كان النبي الكريم يتعامل مع أهل الكتاب معاملة انسانية في البيع والشراء، ولم يقطعهم دونما سبب وجيه ولم يحظر عليهم التجارة والمعاملات اليومية، وكان باستطاعته ذلك لأن له اليد العليا آنذاك، لا بل انه كان يتسامح مع من أرادوا ايذاءه كاليهودية التي أرادت قتله صلى الله عليه وسلم بالسسم، فعفى عنها بالرغم من أن بعض أصحابه استأذنه بقتلها جراء جريمتها البشعة، ولكنه رفض ذلك وعفى عنها، وكان النبي الكريم يعود مرضاهم، فقد عاد صيبا يهوديا أثناء مرضه كان يعمل عنده، وكان نتيجة هذا العمل الانساني أن أسلم هذا الفتى بعد أن نصحه أبوه باتباع أبي عبد الله كما قال له أبوه. وقال النبي:

الحمد لله الذي أنقذه من النار. رواه البخاري عن أنس بن مالك

ومن انسانيته عليه السلام أنه وقف أثناء مرور جنازة يهدي من أمامه، عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة فقاما، فقبل لهما: انهما من أهل الأرض، فقالا: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام، فقبل: انه يهودي فقال: أليست نفسا؟ رواه مسلم

هذه أخلاق نبينا وحبیبنا المصطفى صلوات الله وسلامه علیه، وهذه هي سریرته ورحمته بالناس فقیرهم وغنیهم، صغیرهم وكبیرهم، المؤمن منهم وغير المؤمن، رجالهم ونسائهم، وكان النبی الكريم یمتلك الحلم وسعة الصدر والرؤیا النافذة المستقبلیة، لأنه فی تعامله بالحسنى مع الناس كافة یفسح المجال لهم بالدخول فی الاسلام لامتزاجه والعیش معه ومع دقائقه وتفاصيله، فیرى المقدم علیه الفروق الشاسعة والواسعة بین الاسلام والشرك والكفر بالله والعیاذ به، من حیث العبادات والسلوك العام، من أخلاق وقيم واحترام ونخوة وكل معاني الشرف والمبادئ القویمة التي تصل الى درجة الكمال. بطبیعة الحال فان المعاهدات والمواثیق بین المسلمين وغيرهم دائما ما یحافظ علیها ویرعاها المسلمون، وغالبا ما ینكث بالعهود والمواثیق غیرهم ولا سیمای اليهود، لقوله تعالى فیهم:

﴿أَوْكَلْنَا عَهْدًا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة 100

یستنكر رب العزة والجلال مواقفهم من المعاهدات والمواثیق المبرمة معهم، اذ أنهم لا یبالون بما وقعت أیدیهم، لأنهم یعتقدون وما زالوا على حالهم هذه أنهم شعب الله المختار الذي لا یملي أحد علیهم معاهدة ولا میثاقا، حتى مواثیق الأمم المتحدة التي اجمع العالم علیها لا یحترمونها ولا یبالون بها. واذا أردنا أن نتأكد من ذلك، نرجع الى المعاهدات والاتفاقات بین العرب واسرائیل كي ندرك فداحة الأمر مع الأعداء الذين لا یحفظون عهدا ولا وعدا ولا میثاقا، فهم دائمو النكث بها دون الأخذ بالاعتبار نتائجها الوحیمة على الأمن والسلم الدولیین، لأن هذین الأمرین لا یعنیانهم.

المسلمون الذين یتخذون من نبیهم الكريم أسوة وقدوة لا یمسکون بالخروج على أوامر الله تعالى، ولا على أوامر نبيه الكريم، فیلعمون حق العلم أن الله أعدل العادلین فیتبعون أحكامه وشرائعه، وأن نبيه انما یوحى الیه، ومن تلك الأحكام والشرائع الرأفة بالمسالمین من أصحاب الدیانات الأخرى والمعتقدات الأخرى، كما الرحمة بهم وبرهم، ولكن فی الوقت نفسه عدم السماح لمن أراد منهم ایذاء المسلمین القیام بذلك بل رده ومحاربته، یقول تعالى فی كتابه العزیز:

﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الممتحنة 9

هذا أمر من الله تعالى ینص على معاملة غیر المسلمین معاملة حسنة اذا لم یمیدوا العداوة والبغضاء للمسلمین، وأكثر من ذلك، فان الله تعالى أمر نبيه الكريم اذا ما أراد القصاص من أعداء الدین فلا یقتص الا بقدر معلوم لا یتجاوز الذنب والجرم اللذین أقدم علیهما العدو، ففي استشهاد عمه حمزة والتتکیل به على أرض معركة أحد خیر مثال على ذلك، اذ هم النبی وأصحابه أن یعاقبوا

الجنة في معركة مقبلة والانتقام من قتلته، ولكن الله تعالى أراد أن يخفف من غضبه صلى الله عليه وسلم، ويذكره انما بعث هاديا ومبشرا كما بعث نذيرا، وطلب منه أن يعاقب قتلة عمه بالمثل وليس بالانتقام، لأن من شيم الأنبياء الصبر على المكاره وليس الانتقام، كذلك العفو عند المقدرة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ النحل 126

أهل الكتاب في ذمة المسلمين أي في عهدهم ورعايتهم يحمونهم بكل ما يملكون، ولهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات نفسها لا فرق أبدا، وفي الذمة أي تحت الحماية والرعاية، ولا يعني ذلك الانتقاص من حقوقهم وأوضاعهم الانسانية والقانونية كما يدعي أعداء الاسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولأهل الذمة في دار الاسلام حق الحماية من كل عدوان خارجي ومن كل ظلم داخلي. رواه أحمد في مسنده

وقال نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

من اذا ذميا فقد اذاني، ومن اذاني فقد اذى الله. رواه الخطيب باسناد حسن

والقاعدة الفهية في الاسلام، أن لا فرق بين عربي على أعجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى، فالمعاملة الانسانية الدنيوية واحدة والناس فيها سواسية كأسنان المشط، ولكن بالنسبة للعلاقة مع الله تعالى فالأمر مختلف، إذ أن الله تعالى يحاسب المرء وفق معتقداته وإيمانه من عدمه، ويتمثل ذلك بدرجة تقوى الله تعالى والعمل على طاعته وطاعة نبيه.

هذا القانون الانساني لم يوجد في أي قانون وضعي ولم يكن يوجد في الشرائع السابقة، بل هو سابقة اسلامية حضارية في دولة الاسلام، كما يصلح في دول غير اسلامية، إذ أن المعيار الانساني هو المساواة بين بني البشر، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ولا بين أبيضهم وأسودهم وهكذا، فالمعيار الالهي هو تقوى الله تعالى بكل أبعاده، فالمساواة تتجاوز العرق والجنس واللون والأصل والفصل، والعدل في الاسلام هو أساس الملك، فالعدل النساني على الأرض بما يرضي الله تعالى والعدل الالهي في السماء يحكم به رب العباد.

وكما قلنا فان النبي الكريم كان يمتلك بعد النظر والحصافة ما لم يمتلكهما غيره حتى صحابته الكرام، ومن هذه الحقيقة الناصعة البياض كان تعامله مع نصارى نجران معاملة خاصة، لأنه كان يدرك بحصافته وبعد نظره بأنه سيخرج من أصلاهم من يوحد الله ويدخل الاسلام، وكانوا في عهده لهم جوار الله وذمة رسوله والحفاظ على أموالهم وأعراضهم ومعابدهم وشعائهم على أن يراعوا مشاعر المسلمين، لذلك فان ميزان الاسلام هو ميزان العدل والمساواة في الحقوق والواجبات،

فلا غلو في الدين ولا عنف ولا اعتداء، بل كل المودة والتسامح والحب لكل من يعيش بين ظهراني المسلمين ومعهم، ونود أن نطرح قضية مهمة في هذا المجال وهي: ما منزلة المسلم في هذه الأيام في بلاده غير المسلمة؟ في الوقت الذي تبني فيه بعض الدول العربية وخصوصا الخليجية الكنائس والمعابد الهندوكية على أراضيها بدعوى التسامح الديني، حيث تتكلف هذه الدول التكاليف الباهظة في بناء هذه الأماكن، أقول في الوقت نفسه، تهدم هذه الدول المساجد في بلادها، وتهدد المسلمين بالثبور وعظائم الأمور، بل ان بعض قادتهم وخصوصا في الهند يهدد المسلمين بالقتل والابادة على رؤوس الأشهاد، وبالرغم من هذه القسوة والخروج عن المبادئ الأخلاقية ومبادئ الأمم المتحدة تستقبل الدول العربية الغنية رعايا هذه الدول من غير المؤمنين بالله وعبداء البقر والغنم وتهدى لهم فرص العمل وتمد دولهم بالمال والنفط وكأن شيئا لا يحدث الأخوانهم المسلمين، فالواجب هنا ممارسة أساليب الضغط على هذه الدول ونحن نكلها، كي يكفوا عن غيهم وضلالهم، وفي الوقت نفسه تكون هذه المواقف بمثابة نصرة للمسلمين في هذه البلاد، قال تعالى:

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلِيَتْ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ

يس 27 ﴿

والله من وراء القصد..

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الرابع والثلاثون

- 1- النبي الكريم هو قدوة المسلمين في كل ما يتعلق بالدين والأخلاق الحميدة، ومنها مراعاة غير المسلمين والحفاظ على حياتهم وكل ما يتعلق بهم.
- 2- الاسلام دين التسامح وحسن معاملة غير المسلم.
- 3- الاسلام يحفظ لغير المسلم حقوقه ودينه ومعتقداته.
- 4- المسلمون وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة على دينهم وروح التسامح مع غير المسلمين.
- 5- المسلمون ملتزمون بالقوانين الالهية وقواعد الدين التي تسمى بالقواعد الفقهية المشتقة من القرآن والسنة النبوية المطهرة نذكر منها:

- البر والاحسان لغير المسلم ما دام ملتزما بالقواعد والقوانين المعمول بها في بلاد الاسلام.
- لا ظلم لمعاهد أو دمي في بلاد الاسلام، وله الرعاية والحماية وكل الحقوق الواجبة والمتبعة.
- التعامل مع غير المسلم في كل أمور الحياة الا مع ما حرم الله تعالى.
- التسامح والعفو عند المقدرة للمسلم وغير المسلم على حد سواء.

- الحرية الدينية وحرية المعتقد مصنونة وغير مهانة للجميع في الدولة المسلمة الواحدة.
- المسالمة والمصالحة الدائمة بين أفراد المجتمع على شتى انتماءاتهم وتوجهاتهم.
- الضرب بيد من حديد على الخارجين على القانون والذين يحاربون الدين مهما كانت انتماءاتهم وعقائدهم.

الفصل الخامس والثلاثون

الاعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة

الاعجاز العلمي هو اخبار القرآن الكريم ونبيه الكريم من خلال سنته المطهرة من أقوال وأفعال وتقارير بحقيقة علمية، أكانت تتعلق بالكون وخلقه أم تتعلق بالإنسان وخلقه وحياته أيضا، أثبتها العلم التجريبي الحديث، وثبت عدم ادراكها بالوسائل البشرية المتواضعة جدا في زمن النبي الكريم. الحقائق العلمية ذكرها القرآن الكريم قبل أكثر من ألف وأربعمئة عام، ولم يكن بمقدور النبي ولا أصحابه ولا العلماء في عصره من عرب وعجم وروم وغيرهم ادراكها أو معرفتها أو التحدث عنها لأنها مبهمة غير معروفة لديهم. لذلك فان هذه العلوم والمعارف والتي ثبت بالدليل العلمي صحتها لا يمكن ذكرها واقول بها الا أن تكون منزلة من الله تعالى لا كعلوم كاملة (أي لا قوانين ولا نظريات) يشتمل عليها القرآن الكريم كالمتب المدرسية أو الجامعية) بل كلفتات كونية خلقية تثير اهتمام القارئ والسامع بخلق الله تعالى لليمان به وبقدرته تعالى على خلق وابداع هذا الكون الواسع وخلق الإنسان وتركيبته كذلك الحيوان والطيور والنبات وكل ما خلق الله تعالى في الكون.

لقد تطرقنا في كتابنا الأحكام الشرعيو من كتاب رب البرية الى بعض من الاعجاز العلمي والتاريخي واللغوي في القرآن الكريم، ونود هنا عرض بعض الاعجاز العلمي في سنة نبي البشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه المكمل والمتممة والمصدقة لما جاء في القرآن العظيم. وقبل التطرق الى هذا الموضوع أود الإشارة الى ما يردده المغرضون أعداء الدين الاسلامي وأعداء القرآن الكريم بل وأعداء نبينا صلوات الله وسلامه عليه وهم أكثر منذ بدء الدعوة الى الله تعالى، ولم يثبت ولو في حالة واحدة صدق دعاوهم، كما لم يثبت بأن كان لهم هذا التأثير الكبير على مسيرة الاسلام التي بدأت منذ أكثر من ألف وأربعمئة عام. هذه الآراء المشككة في الاسلام ومبادئه تطل برأسها من كل البلاد ولكن أخطرها ما يصدر عن عرب مسلمين بالاسم طبعا، أقول أخطرها ولا أقصد بأن هؤلاء سيكون لهم تأثير مدمر على الاسلام والمسلمين، بل هم فقاعات ما تلبث أن تتفجر بنفسها ولا تأثير كبير لها، لأن الاسلام محصن بأفكاره النيرة الأبدية الأزلية وقوانينه وقواعده الثابتة المتغيرة في الوقت نفسه بما يتفق والعلم والقيم المتغيرة على مر الدهور والعصور الا القيم الأخلاقية الاسلامية التي يتمسك بها المسلمون. يقول هؤلاء الأعداء: ان الدين هو سبب تخلف الأمم، ويطالبون بفصل الدين عنة العلم، وكانوا قبلا يدعون الى فصل الدين عن الدولة، فلما فشلت مساعيهم وثبت أن الدين قد

يكون عامل تقدم وتطور للأمم كما حصل في تركيا العلمانية وأندونيسيا وماليزيا، والان يحدث في دول عربية كثيفة خليجية وغيرها التي لم تتخل عن دينها وأنها في طور النمو المتسارع والذي لا حدود له أقول لما فشل هؤلاء بالترويج لنظريتهم البالية، قالوا: بضرورة فصل الدين عن العلم، وادعوا أن المسلمين يجتزون الماضي فقط بابرار الاعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، ابرازهم (أي المسلمين) هذا الاعجاز دليل عجزهم عن مسايرة وملاحقة التطورات العلمية المتسارعة في العالم، وقال هؤلاء المغرضون الفاشلون: ان طرح الاعجاز العلمي في القرآن والسنة من قبل العلماء المسلمين انما يدخل في مسار العجز النفسي لأن ما جاء في القرآن والسنة ثابت والعالم بتقدمه وتطوره متحرك متغير وكل يوم في شأن جديد، أما المسلمون فانهم عاجزون عن تقديم ما يفيد البشرية، هذه ادعاءات بلا أدلة قطعية بالقطع، هؤلاء لم يقوموا بعملية احصائية بسيطة بالعلماء المسلمين في كل مجالات الحياء بدئل بعلم الذرة في الهند وباكستان وايران والغرب مروراً بمؤسسة ناسا الفضائية والطب المتقدم والاكتشافات الموهولة التي يساهم فيها المسلمون في هذا المجال في كل أنحاء العالم كذلك في شتى العلوم والمجالات، وجل هؤلاء العلماء يصلون ويصومون ويحجون بيت الله تعالى ويزكون عن أموالهم، وفوق كل هذا وذاك هم يؤمنون بالله الواحد الأحد وبالنبیین والرسول وعلى رأسهم نبي لبشرية جمعاء محمد صلوات الله وسلامه عليه.

نقول ان الابداعات في ظل الايمان كثيرة ولكن هؤلاء الذين عميت بصائرهم لا يرونها، لأن أحدا منهم لم يبدع في شيء ولم نسمع أن أحدا من أعداء الدين الاسلامي من العرب ومن المسلمين بالسم بالطبع أبدع في علم من العلوم، بل انهم يقدمون للنشء الذي سيخزيهم بابداعاته المشرقة الدائمة حوارات وأفكار بالية لطالما تغنى بها الفاشلون.

يقولون: ان القرآن بسوره واياته ثابت والعالم متغير (نعم نحن براغماتيون في هذه الناحية وليس بالمفهوم المادي للبراغماتية، ونقر ونعترف بأن العالم متغير ومتطور بشكل دائم) ولكننا نؤمن بأن العالم متغير متطور لأن الله تعالى علمنا ذلك، وهناك آيات كثيرة تثبت ما ذهبنا اليه يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيِّدُونَ﴾ الذاريات 48 بمعنى استمرارية الابداع وعدم توقف ساعة الخلق، وبالتالي التطور والتقدم على الأرض، والايات البينات التي توضح سير الأمم الغابرة ما هي دليل على استمرارية الحياة وتطورها من جيل الى جيل، والمهم في الموضوع أن العالم متطور بدءاً من نظريات ومفاهيم ثابتة الله تعالى خلق المكونات كلها، ولكن الانسان امتشفها واستفاد منها مثلاً، الله تعالى خلق الماء من عنصرين الاوكسجين والهيدروجين، نتيجة الأبحاث العلمية استطاع الانسان فصل العنصرين والاستفادة من

كل منهما، فالماء عناصره ثابتة من خلق الله تعالى، ولكن الاستفادة منها متنوعة لقوله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**، هذه حقيقة ثابتة، نعم ثابتة بثبات الكون، اذن كيف يمكن لنا القول: ان الفاظ القرآن ثابتة ولكن العلم متطور؟ لا يمكننا قول ذلك، فالتطور بدأ من ثبات القاعدة، العناصر موجودة منذ أن خلق الله الأرض والكون، ولكن الخبرات الانسانية المنطلقة من القانون أو القاعدة تراكمية وبالتالي التطور الانساني مستمر وعماده الاستنباط الذي ذكر في القرآن الكريم أكثر من مرة في دليل على تشجيع الله تعالى عباده على استنباط الأحكام والقواعد واسس العلم.

الثبات في التكوين والعناصر ليس نقصا فيها بل هو عنصر قوة لأنها الأصل في الابتكار والعلوم الحديثة، فالحديد منزل من السما وهذا ثابت علميا، وفيه منافع للناس وهذا ثابت علميا، وتطور العلم ابتداء من هذه المفاهيم. اذن الثبات في العناصر هو الأصل والأساس في الاختراعات والابتكارات، فالنظريات الفيزيائية والرياضية ثابتة ما لم يثبت عكسها، ومنها تبنى النظريات العلمية وهذا ما نسميه الخبرات التراكمية، على سبيل المثال لالاحصر العلماء ما زالوا يستخدمون الخوارزميات في تطوير علوم الكمبيوتر نسبة الى العالم المسلم أبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (وتعتبر هذه هدية المسلمين الى الحضارة الرقمية) كما أن العلماء ما زالوا يستخدمون اللوغرتمات في الحسابات الفلكية بالرغم من أن جون ثابير الاسكتلندي مكتشف هذا العلم المهم عام 1550 ميلادية، العلماء ما زالوا يستنيرون بهذا العلم في حساباتهم الفلكية والفضائية، وهناك الاف النظريات العلمية الثابتة ككثبات ايات القرآن الكريم لفظا ما زال العلماء يعملون بها وعلى أساسها اذن النظريات العلمية تبقى ثابتة ومناورة للعلماء الى أن تأتي نظريات تدحضها وتحل محلها، فالنظريات العلمية والقواعد اللغوية والاعجاز العلمي واللغوي والتاريخي كلها ثابته لم تدحضها نظريات أخرى مخالفة، فهي بالتالي حقائق لا مجال للشك فيها أبدا.

من هنا يمكن القول: ان ما جاء به القرآن الكريم ونيي الله وهو نبي البشرية جمعاء مفاهيم ونظريات أزلية ثابتة لم يخترعها النبي الكريم من عنده أو من بنات أفكاره، لأنه لا يمكنه بأدواته وأدوات الناس في تلك الفترة قادرة على اكتشاف المجهول، وهي فوق ادراك العلماء في عصره وبعد عصره، لذلك فان ألفاظ القرآن الكريم ثابتة لفظا، متحركة متطورة معنى كمثل الماء والحديد والنجم الثاقب والجوار الخنس وخلق الانسان ابتداء بالطين اللازب والنطفة والعلة والعظم واللحم والانشاء انسانا اخر وغير ذلك من معجزات القرآن الكريم.

ولنضرب مثلا لذلك: حدثنا القرآن الكريم أن الجسم الانساني لا يمكن له الاحتفاظ بالماء الذي هو أساس الحياة، والا لاكان هناك عرضا مرضيا في الجسم يسعي الأطباء الى علاجه، يقول

تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾

الحجر 22

أثبت العلم الحديث أن الكبد والكلى والقلب وجزء من المخ لا يستطيعون الاحتفاظ بالماء طويلا ويطردهونه بطرق مختلفة، عن طريق البول أو العرق أو البراز أو التنفس أو بواسطتهم جميعا، وإذا استعصى الأمر ذلك تجمع الماء في الجسم وأصبح ظاهرة مرضية كما قلنا تتطلب العلاج، ففي هذه الآية الكريمة أكثر من اعجاز علمي عبر عنه بألفاظ ثابتة ثبات الحياة على الأرض، فالرياح موجودة وصي الأصل في تغيير المناخ على وجه الأرض وهي لواقح لبعض النباتات، وهي ثابتة كظاهرة ولكنها متغيرة في الاستخدام، فهي تستخدم الآن لتكوين وتوليد الطاقة الكهربائية، وانزال المطر الاصطناعي الذي لن يكون كالمطر الطبيعي بالطبع، والماء أزلي الاستخدام والاستعمال، وهو ظاهرة كونية ثابتة، ولكن استخدام الماء متغير، وقال الله تعالى: فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ أي أعدناه لكم وللحيوان وللنبات للسقيا وللشراب والحياة، والدلالة العلمية هنا قوله تعالى: وما أنتم له بخازنين، وكان المعنى القريب الذي فسرهُ العلماء، أن الإنسان لا يستطيع اختزان كل الماء النازل من السماء بالسود والابار وغير ذلك، والله تعالى هو القادر وحده على خزن الماء في باطن الأرض ويخرجه كيف شاء ومتى شاء عن طريق الأنهار والينابيع والداول وغير ذلك، واستدل علماء ذلك العصر بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾

المؤمنون 18

هذا تفسير صحيح واستدلالاته مفهومة، وألفاظ القرآن ثابتة، ولكن العلم الحديث في الطب أدرك حقيقة أن أعضاء الإنسان لا تستطيع الاحتفاظ بالماء، ففي علم وظائف الأعضاء قاعدة تقول: بطرد الماء من الجسم إذا ما زاد عن الحاجة، ولا يستطيع الحيوان ولا النبات كذلك الاحتفاظ به لأن إخراجهم جزء من دورة الحياة والمخاطب هنا هو الإنسان كما أشرنا إلى ذلك، بدليل أن اللفظ ثابت ولكن القاعدة والقانون الإلهيين لا يمكن حجرهما بالثبات، بل هما الأساس في تفسير العلم وبنى عليهما جزء من علم وظائف الأعضاء، وما يتعلق بوظائف الكبد والكلى والقلب والمخ وغير ذلك، من الآية الكريمة نستشف أن العلاقة وثيقة بين القرآن الكريم الذي هو أساس الدين الإسلامي وبين العلم لا انفصام بينهما، إذ ليس بالضرورة أن يرجع الطبيب المختص في أمراض القلب إلى آيات القرآن الكريم كي يكتشف المرض أو يعالجه، كما أنه ليس بالضرورة لعالم الفلك، أو الذي يخطط للسفر إلى المريخ أن يرجع إلى القرآن الكريم كي يدلّه على اختراع المركبة الفضائية، لأن هذه الأمور من شئون الدنيا التي أشار إليها نبينا صلوات الله وسلامه عليه بعدما مرّ يقوم يؤبرون النخيل

فقال لهم: ان كان شيئا من أمر دنياكم فشأنكم وإن كان من أمر دينكم فإلي صحيح ابن ماجة
يعني أن أمور الدنيا من شأن الانسان، أما شؤون الدين فهي من أمر النبي ومن تبعه الى
يوم الدين، من جهة أخرى القرآن الكريم ليس كتاب فيزياء أو رياضيات تتبع قوانينه الفيزيائية أو
الرياضية أو نحو ذلك، بل ان ذكر الاعجاز فيه لهو تذكرة لبني آدم بأن هذا القرآن من الله يجب أن
يتبع أحكامه المذكورة فيه وما يستكملها نبيه الكريم، وفي الوقت نفسه لا تتناقض بين القرآن والعلم
بتاتا، وجاءت السنة النبوية الشريفة كي تؤكد على ما جاء به القرآن الكريم، ولنضرب بذلك مثلا
على الاعجاز القرآني والنبوي في ان، قال الله تعالى في محكم آياته البينات: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ سُلْطَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
(14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون 16

الانسان خلق من طين لازب، فاذا ما توفاه الله تعالى تحول الى العناصر الأساسية فالتى
خلق منها هي التربة بدلها أنه خلق من طين وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم بكل علمية وثبات، ثم
أراد الله تعالى أن يخلق الانسان من نطفة كي تكون سنته الأبدية، ولارغم من أنه خلق الحيوان من
ماء وله في خلقه شؤون، الا أنه أراد بحكمته أن يخلق الحيوان كذلك وكثير من اشكال الأسماك
والحيوانات الدقيقة، وفي الانسان أراد له أن يكمن في قرار قوي متين بعد أن يلتحم بالبويضة لقوله
تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ
(7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ الطارق 9

فما جاء في الايتين الكريمتين حق، بني ما جاء فيهما على العلم الثابت عند الله تعالى،
فالألفظ ثابتة والقاعد والقوانين الالهية ثابتة، تدفع العلماء الى التفكير والتدبر فيهما واستنباط العلوم
الفرعية في علم الأجنة وعلم الحياة منهما، ههنا يمكن القول ان الله تعالى لم يقيد العلماء بالبحث
عما وراء الألفاظ، بل انه شجع على العلم في آيات كثيفة لا مجال لذكرها الان، ولكنها تذكرة لكل
ذي عقل وبصر وبصيرة، اذ لا مجال للقول ان الاسلام والدين والقران سبب التخلف العلمي، فالأمر
واضح كل الوضوح لا لبس ولا غموض فيه أن الدين الاسلامي خصوصا هو حاضنة العلم
والعلماء، ويسعد المسلمون كما يرضى الله تعالى قبل ذلك عن العلم والعلماء.

ما جاء في الآية السابقة قمة الاعجاز العلمي في قوله تعالى: ثم أنشأناه خلقا اخر فتبارك
الله أحسن الخالقين، فكان الخلق الأول في الرحم بكل تفاصيله، والخلق الاخر بعد خروج الجنين

الى الحياة، اذ كان يتنفس من خلال الحبل السري، فالقلب ضعيف والثتان اخر ما يتشكل من الأعضاء غير قادرتين على امتصاص الهواء وأخذ الاوكسجين واطلاق ثاني أكسيد الكربون، فبعد قطع الحبل السري تأخذ الأعضاء وظائفها بأمر الله فيخلق الطفل من جديد وهذا تفسير علماء الأجنة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

هذه الايات الكريمت أفاظها ثابتة، ولكن حقائقها أزلية لا تبديل لسنة الله، فهؤلاء المستكبرون على كلام الله تعالى لن يجنوا الا الندم والحسرة لقوله تعالى:

﴿ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ ﴾ فاطر 43

المهم في هذا الحديث، أن كلام الله تعالى ثابت وقوانينه ثابتة تسير كل زمان ومكان، وهذا سر الاعجاز القراني، ولكن الحقائق العلمية المنبثقة من هذه القوانين متغيرة بتغير الاكتشافات والاختراعات، وكما قلنا ان السنة النبوية تسير ما جاء في القرآن الكريم وتؤكد عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي او سعيد، فو الذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه البخاري ومسلم

من الحديث الشريف يتبين لنا أن الجنين يمكث في بطن أمه مئة وعشرين يوما أي أربعة أشهر حتى يتشكل كإنسان كامل الهيئة، وقبل ذلك أي بعد اثنتين وأربعين ليلة من تشكل النطفة يبعث الله ملكا يبيت في الجنين الروح لذلك منع العلماء الاحضاض قبل هذه الفترة وبعدها خصوصا، لأن الروح بثت في الجنين، يقول النبي الكريم: اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة يبعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وعظامها وجلدها ولحمها رواه مسلم

أثبتت أبحاث علم الأجنة صدق ما قاله نبي البشرية بالتفصيل ومن يرد الاستزادة عليه الرجوع الى علم الاختصاص ليتأكد من ذلك، في المجال نفسه، كانت قریش لا تؤمن بالنبي، ولا بما جاء به، فيدفعون باليهود لتحدي النبي، فجاءه يهودي فقال: سأسأله عن شيء لا يجيب عليه الا نبي فقال له: يا محمد مم خلق الانسان؟ قال: يا يهودي، من كل نطفة الرجل ومن نطفة

المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفته غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم، فقام اليهودي فقال: هك! كان يقول من قبلك.

أثبت علم الأجنة أن الانسان يخلق من جزء من الماء المنوي ينجو نحو خمسمئة منها وليس كلها، ويلقح واحد منها فقط البويضة، وثار جدال طويل عبر العصور عن كيفية خلق الجنين، فبعض علماء القرن الثاني عشر رأى أن الانسان يخلق من دم الحيض حتى اكتشاف بويضة الأنثى، وقالوا: ان الانسان يخلق منها حتى اكتشاف دور الحيوان المنوي في التلقيح، ولكن نبي البشرية أدرك! لك ببضعة قرون وقال:

ليس من كل الماء يكون الولد، اذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء فلا عليكم الا

تعزلوا. رواه مسلم

علم متكامل تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم، في العصر الحديث اذا أراد الله تعالى أن يخلق جنينا فلا مانع يمنعه من ذلك، حتى لو استحدثت المرأة كل موانع الحمل، فكثيرا ما نسمع من النساء أن الحمل كان غلطة في الحساب أو تخطى موانع الحمل، ولكن الله تعالى أراد ذلك، صدق نبينا الكريم الذي لا ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى اليه، فمعرفة المسبقة قبل اكتشاف الحيوان المنوي الذي يلقي البويضة بأن ماء الرجل لا ينجو كله بل بعضه وواحد منه فقط يلقي البويضة دليل على أن السنة النبوية مكملة لما جاي في القران الكريم ومتممة له، يقول الله تعالى في محكم آياته البينات: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الطلاق 12

يؤكد النبي الكريم على وجود سبع أرضين مثل الأرض ولكن لا يعرف كنههن ولا أين تقع كل منهن، فيتنزل الأمر بينهن، يقول علماء طبقات الأرض انها مكونة من سبع طبقات كل منها تمثل حقبة جيولوجية أو تشكيلا مكونا لها، وبعض اخر من العلماء يقول ان هناك أرضين أخريات في الكون تشبه أرضنا يتنزل اليها جبريل بالحق كالأرض تماما: ولكن الذي يهمننا هو تأكيده صلى الله عليه وسلم على وجود هذه الأرضين بقوله عن عاقبة الظلم: **من أخذ شيئا من الأرض بغير حق خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين.** رواه أحمد في مسنده

وقال أيضا:

من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين. أخرجه البخاري

وفي الاعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم:

ما من عام بمطر من عام ولكن الله يصرفه أو يصرفه حيث يشاء ثم قرا ولقد صرفناه

بينهم. رواه الحاكم والبيهقي

يقول الله تعالى عن الماء وكيف يصرفه كما يشاء:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الفرقان 50

ثبت بالعلم أن الماء الذي يتبخر هو نفسه الذي يتنزل من السماء ويصرفه الله تعالى كيفما شاء، أي أن مجموع ما يتبخر على سطح الأرض يعادل كمية هطول الأمطار السنوية فوقها، فإذا زاد سقوط المطر في مكان ما نقص في مكان آخر وهكذا يقول تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾

المؤمنون 18

ثبت بالدليل القاطع أن سنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه تطابق ما جاء في القرآن الكريم، فكلاهما معجزة من رب العالمين، وفي مكان آخر يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

الحديد 25

لقد ثبت بما لم يدع مجالاً للشك بأن الحديد تنزل من السماء تباعاً عن طريق النيازك والمذنبات التي ضربت الأرض قبل ملايين السنين واستمر الأمر كذلك لملايين السنين أيضاً إلى أن من الله تعالى على الناس باستقرار الكرة الأرضية كما هي عليه الآن. وللحديد فوائد ومنافع أهمها حفظ الغلاف الجوي وغلافها الغازي والميئي، إذ لولا الحديد وعوامل أخرى كثيرة لاختل توازن الأرض، والحديد يمثل مادة حيوية في دم الإنسان وهو جزء من المادة الحمراء في الدم، كما هو جزء من المادة الخضراء في النبات، كذلك يصنع منه كل ما له علاقة بالحديد كأدوات الزراعة والحراثة والسيارات والطائرات والغواصات وغير ذلك كثير، إذن الحديد مادة أساسية وعنصر مهم من عناصر الحياة على الأرض، ولتأكيد النبي الكريم على ما جاء في الكتاب العظيم قوله: إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح. أخرجه السيوطي وآخرون

هناك عشرات من الأحاديث النبوية التي تعبر عن الإعجاز في كل المجالات الفلك والطب والعلاقات الإنسانية والعبادات وغيرها، ونبوءاته بعودة خصوبة جزيرة العرب لا تخطئها عين، ودعوته باستخدام السواك قبل كل صلاة لها ما يبررها علمياً وطيباً، كذلك حرصه على صحة المؤمنين وسلامة أبنائهم بأحاديث الوقاية من الأمراض، كلها تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى حباه نعمة العلم والنبوة لأنه بحق لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل الخامس والثلاثين

- 1- القرآن الكريم كتاب هداية لمن أراد الهداية وليس كتاب علم كالفيزياء والرياضيات وغيرها.
- 2- الاعجاز العلمي في القرآن الكريم حقائق لا جدال فيها.
- 3- جاءت السنة النبوية الشريفة تأكيد على ما جاء في القرآن الكريم، ففي مجال العلوم والعبادات والعلاقات الانسانية وغيرها لم يتحدث النبي الكريم كيفما اتفق، ولكن الله تعالى يرشده الى الصواب ويوحى اليه ما يقول، والا تعارضت السنة والقران الكريم وهذا ما لم يحدث.
- 4- تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن كل الأمور التي تهم الناس بالعلم الرشيد، وكان المسلمون وغيرهم في عهده يصدقونه ولم يحتجوا يوما على ما قال أو عمل أو أقر.
- 5- تثبت بلدليل العلمي القاطع أن ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من اعجاز صحيح لا لبس فيه ولا شبهة، والا لواجهت هذه الاعجازات نقدا شديدا من أعداء الاسلام والقران ونبي الرحمة.
- 6- لم تأت نظريات جديدة تدحض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وتلغيها، بل بالعكس أقرتها وصاقت على صحتها.

الفصل السادس والثلاثون

الحسد في السنة النبوية

الحسد هو تعبير عن عدم قبول أو تقبل شخص عمل أو انجاز شخص آخر ويتمنى زواله والرغبة الشديدة في عدم رؤيته أو أثره (غالبا ما يكون ايجابيا) على هذا الشخص. الحسد اما أن يكون تعبيراً لفظياً بأن يعبر الحاسد بالكلام الواضح والمفهوم عن عدم رضاه وامتناعه من هذا العمل أو الانجاز أو النعمة التي ظهرت على المحسود، واما أن يكون تعبيراً داخلياً لا يصرح به الحاسد، اذن الحسد هو تعبير عاطفي سلبي يعبر به صاحبه عن عدم الرضى أو القبول أو الرضى أو كلهم مجتمعين عن شيء مميز تمتع به المحسود، ويتمنى الحاسد زواله وعدم رؤيته أو الاحساس به، فالحسد مظهر من المظاهر السلبية التي تطفئ على سلوك اتجاه شخص آخر أو اتجاه مجموعة معينة من الناس أو اتجاه شيء مادي أو معنوي له قيمة ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا النوع من الحسد الذي طلب الله تعالى في الآية الكريمة الاستعاذة بالله منه في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الفلق 5

الشر الذي يأتي من خلقه تعالى لا يعني أن كل الخلق يتميز بالشر ومصدر الشر، ولكن بعض ما خلق من الانس والجن والحيوان حتى الطير والنبات منه ما يأتي منه الشر، وقال تعالى: **من شر حاسد اذا حسد**، يعني هنا الفرد الحاسد وليس الجماعة، اذ أن الانسان يحسد أخاه الانسان على صحته أو على ماله أو على مستواه المعيشي، أو على تعليم أبنائه أو على أخلاقه ودينه وما شابه ذلك، فالحسد هنا فردي أي من شخص الى آخر، أو من شخص واحد الى جماعة، اذ قد يحسد فرد جماعة من الناس على ما أعطاهم الله من نعيمه بالمعنى الواسع للنعمة. وهناك حسد الجماعة للجماعة، كجماعة المنافقين والكفار والمشركين الذين يحسدون المؤمنين المسلمين على ما اتاهم الله تعالى من الايمان، وهؤلاء لا يعطون المؤمنين شيئاً مما يملكون حسداً من أنفسهم وبخلاف وشحا وخصوصاً محمداً عليه السلام وأتباع محمد، وبما أن هؤلاء اذا ملكوا المال أو الجاه فانهم في داخلهم خواء ايماني يملكه المسلمون، وهو أفضل من الدنيا وما فيها، لذلك هم موضع حسد من هؤلاء الكافرين ومن لف لفهم، يحسدون محمداً على ما اتاه الله من الايات البينات، كما يحسدونه على التقاف أصحابه حوله والدفاع عنه، كما يحسدونه على الانتصارات الباهرة على أعدائه نصراً

من الله تعالى الذي هو معه دائما، وهذا الحسد بأنواعه لم يكن وليد بداية الرسالة المحمدية، بل كان هؤلاء أنفسهم يحسدون الأنبياء وأتباعهم قبل محمد وأتباعه، فهذا حسد جماعة ضد جماعة لقوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ النساء 54

المقصود بالناس في الايتين الكريمتين هم المسلمون أتباع سيد الخلق أجمعين محمد عليه الصلاة والسلام ولكي يعم الحسد كل المؤمنين ذكر الله تعالى ابراهيم الخليل عليه السلام واله الكرام وأتباعه الذي أنزل عليهم التوراة والانجيل والقران، فاذا كان الكفار ومن لف لفهم امتلكوا بعض المال والجاه والسلطان، فان ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأتباعهم منحهم الله تعالى الايمان والحكم و جعل منهم أمة عظيمة كما وعدهم. وحسد الكفار ضد المؤمنين لم يكن حسدا نفسيا داخليا فحسب، بل انهم يودون لو ينقلب المسلمون عن دينهم الى كفار كم كانوا من عبادة الأصنام وارتكاب الموبقات على أنواعها ويؤتون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهؤلاء الى يومنا هذا يودون لو يتحول المسلمون الى عصاة لربهم، لذلك نلاحظ على هؤلاء الكفار ومن خلال مؤتمراتهم (مؤامراتهم) الدولية ادخال قوانين ومفاهيم جديدة لالغاء الدين وتعليمه في المدارس والجامعات، واصدار قوانين تحالف الشرع الاسلامي وخصوصا فيما يتعلق بالارث والميراث ووضع المرأة في المجتمع والبيت والعمل وما شابه ذلك، كل هذه الأمور المقصود منها انحراف الناس عن دينهم الذي ارتضاه الله تعالى لهم قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة 109

أخذ حسد الكافرين للمؤمنين أوجها مختلفة عبر التاريخ، في بداية البعثة النبوية المطهرة، دهعى اليهود أتباعهم بأن يتظاهروا بالتمسك بالاسلام خلال النهار، ويدعوه خلال الليل، أي لا يعملون به ظنا منهم أن ذلك سيسبب البلبلة والاضطراب لدى المسلمين فيتركون دينهم، وبطبيعة الحال ما بين ايمان النهار وكفر الليل يستخدم هؤلاء المكر والحيل الكثيرة لصد المسلمين عن دينهم، ولكن الله تعالى أحبط أعمالهم كما أحبط ويحبط أعمال مكرهم عبر التاريخ قال تعالى:

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
ال عمران 72

من أنواع الحسد حسد العين اذ ينظر المرء الى الشيء نظرة حسد فيتأثر هذا الشيء سلبا

نتيجة النظر بعين الحسد، ومن هذا الحسد النوع المؤذي بسبب حالة نفسية تعترى الحاسد وتتمنى لموضوع الحسد الزوال، وهناك حالات كثيرة يمر بها الانسان من الحاسدين عن عمد واستقصاء، كأن يحسد الحاسد مزرعة مثمرة، أو يحسد حيوانا ألفيا مفيدا كبقرة حلوب أو نعجة سمينة أو شجرة باسقة أو ما شابه ذلك، وهذا النوع من حسد العين يتحقق في الغالب بسبب عدم القول باسم الله وما شاء الله حول موضوع الحسد، أو أن الحاسد يقصد الحسد عمدا كما قلنا، ولكن بعض أنواع حسد العين ليس مقصودا، ولكن الحاسد لا يذكر الله أثناء ابداء اعجابه لموضوع الحسد أو أنه لا يقصد الحسد بل الاعجاب بالشيء ولكنه أصابه بعينه.

قد لا يصدق بعض الناس حسد العين، ولكنه واقع وذكر في القرآن الكريم، حيث كان الكفار وبعض أهل الكتاب ينظرون الى النبي الكريم كشخص له مهابة وينظرون اليه كنبى أوتي من الله ما لم يأتوه، كذلك كانوا ينظرون الى أصحابه وأتباعه نظرة حسد وغيره لأنهم لم يفلحوا في المواجهة المباشرة معهم فلجأوا الى أسلوب الحقد الدفين المتمثل بنظرات الكره والحسد قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾

القلم 51

الحسد بأنواعه موجود بين الناس ولو حاول بعضهم انكاره وعدم تصديقه وهو حقيقة واقعة بالدليل والبرهان العمليين، الحسد ذكر في القرآن الكريم في أكثر من اية كما ذكرنا كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة وفي الحسد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافرا ثم سدّد وقارب ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمعان في قلب عبد الايمان والحسد. رواه الألباني في صحيح الجامع هناك فرق بين الحسد والاعتباط أو الغبطة، فالأصل في المعنى السعادة والسرور، فالغبطة أو الاعتباط ليس معناهما الحسد بل السعادة للمغتبط، فالغابط يسعد اذا ما رأى النعمة على غيره ويتمنى لنفسه أن يحصل على الشيء نفسه كالحصول على المال والنجاح في العمل أو الدراسة ونيل أعلى الدرجات العلمية أو الرزق بالولد أو امتلاك مزرعة أو سيارة فاخرة الخ. في هذا النوع من الغبطة عبر النبي الكريم عنه بالحسد، ولكنّه ليس بالمفهوم الذي ذكرناه للحسد، بل قصد النبي الكريم به الغبطة حين قال:

لا حسد الا في اثنين: رجل أتاه الله ما لا فلسطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه حكمة فهو يقضي بها ويعلمها. عن ابن مسعود رضي الله عنه، متفق عليه.

فالغبطة في الحديث هنا للمال الذي ينفق في سبيل الله أو في وجوه البر والاحسان على أنواعهما، وليس على الشر والفساد وتضييعه على الشهوات، كذلك غبط العالم الذي لا يبخل بعلمه وحكمته بل انه يطبقهما ويعمل بهما وينقلهما الى الآخرين للاستفادة منهما، ولا سيما الحدود والأحطام الشرعية. وفي الغبطة قال:

رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل واناء النهار ورجل يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل
رواه البخاري ومسلم

نهى النبي الكريم عن الحسد بأنواعه السلبية واعتبره من المحرمات، ان كان من فرد لفرد أو من جماعة أو من جماعة لجماعة في قوله صلى الله عليه وسلم:

اياكم والحسد، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. رواه أبو داود في السنن
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا تبأغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.** رواه البخاري ومسلم

وفي حسد العين الذي نهى عنه النبي الكريم قال سهل بن حنيف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **اذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبركه فان العين حق.**
رواه النسائي والحاكم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين فإذا اسغسلتم فاغسلوا.** رواه مسلم والنووي
الحديث الشريف يبين لنا أن المرء لا يستطيع أن يغير ما قدره الله تعالى، ولو لم يكن القدر لكانت العين هي الأسبق بالحسد والعياذ بالله. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **كان النبي الكريم يتعوذ من الجان ثم أعين الانس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك.** رواه ابن ماجة والترمذي

والحسد بالعين حق كما قال النبي الكريم، وقد تؤدي الى هلاك المحسود، روي أن عامر بن ربيعة مر بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لبط به فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: أدرك سهلا صريعا قال: من تتهمون به؟ قالوا: عامر بن ربيعة قال: **علام يقتل أحدكم أخاه؟** اذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة ثم دعا بماء فأر عامرا أن يتوضا فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين وركبتيه وداخله ازره وأمره ان يصب عليه، قال سفيان: قال معمر عن الزهري: وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه حسبته قال وأمره فحسا منه

حسوات فأمره فراح مع الركب. أخرجه ابن ماجه والبيهقي

حديث شامل لما حصل بين الصحابيين الجليلين عامر بن ربيعة الذي حسد سهل بن حنيف اثناء استحمامه حيث عاتبه النبي على فعله، وقام بعلاج سهل بأن أمر عامرا بالتوضؤ وشبه الغسل وصب الماء على سهيل الذي استمر في المسير مع الركب. هذا وقد نصح النبي الكريم بالعلاج بالرقية الشرعية للمحسود أو للمريض لقوله صلى الله عليه وسلم: لا رقية الا من عين أو حمية. ومن الأدعية ما رقي به جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث: أتاني جبريل فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم، قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين حاسد باسم الله أرقيك والله يشفيك. رواه الترمذي

الغيرة مظهر من مظاهر الانفعال النفسي الداخلي نحو شخص اخر يهم الغيور، أو نحو الدين والعقيدة فالغيرة غالبا ما تكون ايجابية من جانب الرجل أو المرأة، وهي نوع من أنواع الحماية، فالرجل يغار على زوجته من بروز شخص منافس، كذلك المرأة تغار على زوجها من بروز امرأة منافسة، لذلك تجد كل منهما يحوط على الآخر ويبعده عن مواطن الشبهات التي يعتقد كا منهما أنها موطن الخطر بالنسبة له ولكن هناك من أنواع الغيرة السلبية التي قد تؤدي الى الملل أو حتى الانفصال بين الزوجين، وخصوصا اذا زادت الغيرة عن حدها من أي من الطرفين. الغيرة في الأطفال منتشرة وطبيعية، اذ يغار الطفل من قرينه اذا حصل على شيء وهو لم يحصل عليه فيدب الخناق والعراك، وهنا يأتي دور الأبوين لمعالجة الأمر، وقد تكون الغيرة بين الشباب والشابات أيضا، ومن أنواعها غيرة الشاب اذا حصل صديقه على فتاة جميلة من أجل الزواج والعكس صحيح أيضا، ومن أنواع الغيرة السلبية غيرة الحماة من كنائنها اعتقادا منها أنهن خطفن أبناءها وحرمنها منهم، كذلك غيرة الكنائن من بناء حميهن وهكذا. اذن موضوع الغيرة موضوع معقد وشائك ولكن يمكن معالجة الأمر اذا حدث بالحكمة والموعظة الحسنة. من أنواع الغيرة نوع لا بد من ممارسته والدفاع عنه وهو الغيرة على الدين والعقيدة، فكان أكثر ما يغضب النبي الكريم التطاول على الدين أو التطاول على حرمان الله تعالى، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يؤتى اليه حتى ينتهك من حرمان الله فينتقم لله. كذلك كان النبي الكريم يغار على زوجته، فلا يسمح لأحد أن يقترب من حجراتهن، وكن هن كذلك. الغيرة على الشيء لا يعني الحسد والغبطة فانه مفهوم مختلف تماما، فالغيرة اذا كانت في مكانها فانها ظاهرة صحية، أما اذا كانت في غير محلها فانها ظاهرة سلبية، كمن يغار على زوجته من ابنها أو ابن أخيها مثلا، فهذا لا يجوز مطلقا، أما اذا رأى أو أحس بخلل ما في العلاقة فعليه اتخاذ التدابير

اللازمة التي تعالج هذا الخلل أو ذاك والله أعلم.

الأحكام الشرعية المستفادة من الفصل السادس والثلاثين

- 1- الحسد موجود بين الناس لا أحد يستطيع انكاره حيث ورد ذكره في القرآن الكريم وجاء في السنة النبوية الشريفة.
- 2- يأتي الحسد من شخص لآخر ومن شخص لمجموعة، كما يأتي من جماعة لجماعة.
- 3- الحسد يتناول كل شيء مميز عند الفرد أو الجماعة، ويناله بسوء حيث يتمنى الحاسد زواله من هذا الفرد أو تلك الجماعة.
- 4- الحسد بالعين وارد حيث يكون منها المقصود ومنها غير المقصود، لذلك يجب ذكر الله حين الاعجاب والقل باسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله وما شاء الله.
- 5- الحسد غير الاعجاب والغبطة، الأول فية المضرة والثاني فيه المسرة، أي أن يتمنى الغابط بالحصول ما حصل عليه المغبوط من النعم بأشكالها.
- 6- الحسد محرم في الاسلام ونهى النبي الكريم عنه في كل الأحوال.
- 7- علاج الحسد بالرقية الشرعية كما رقى جبريل عليه السلام سيد الأنام.
- 8- الغيرة تختلف عن الحسد والاعتباط فهي واجبة اتجاه الزوج والزوجة، وكل ما يتعلق بالدين وأحكامه ولكن الغيرة اذا لم تكن في مكانها ووقتها فانها تكون غيرة سلبية قد تؤدي الى عواقب ليست مستحبة.

الفصل السابع والثلاثون

القران الكريم: سوره واياته في السنة النبوية

القران الكريم كتاب الله تعالى، أنزله على عبده ونبيه ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه هدى ورحمة للعالمين، وهو كتاب لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤمن بما جاء فيه من صلاة وصيام وزكاة وحج لبیت الله اذا استطاع الى ذلك سبيلا، كما أنه كتاب لمن امن عن يقين بما أنزل الله تعالى على النبيين قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه، والمؤمن بذلك يكون قد عصم نفسه من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة ويكون من المفلحين لقوله تعالى:

﴿الْم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة 5

القران الكريم بسوره واياته دائما يذكرنا بأن رسالة الاسلام هي رسالة العدل والقسطاس، كما أنه رسالة الايمان بالله الواحد الأحد لا شريك له في الملك وفي الحكم وهو المتقرد في ذلك، أرسل أنبياءه ورسله لتبليغ هذه الرسالة العظيمة، والعمل بما جاء بها من عبادات وممارسات انسانية تليق بالانسان نفسه، باعتباره أعلى مراتب الخلق من حيث الأهلية والعقل والتمكن في الأرض، ليكون خليفة رب العباد في اعمارها وتسيير أمورها الدنيوية. القران الكريم هو الذي يهدي هذا الانسان الى ما أراده الله تعالى، وهو هدى ورحمة للعالمين ممن يريد الهداية والرشاد، لذلك نجد من أفضل سور القران الكريم واياته الشيء الكثير وتعم بركته الناس أجمعين.

سورة الفاتحة: هي سورة مكية وهي فاتحة الكتاب، كما أنها سورة الدعاء المستجاب بأمر من الله تعالى فالمسلم يطلب من قراءتها الهداية الى الطريق الصحيح والسليم، وفيها من الدعاء ما يطمئن قلب المسلم بدايه بالحمد لله رب العالمين، ثم الثناء عليه ثم تمجيده وافراد العبودية له، والاستعانة به دون سواه، يقول النبي الكريم:

إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليدع بعد ذلك بما شاء. رواه أحمد وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم

من أفضل سور الفاتحة أنها اذا قرأت على رأس الميت، فانها تخرجه من محبسه وتفرج عنه كربه في قبره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به الى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجله بخاتمة سورة البقرة في قبره. أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الايمان

وفي قراءة سورة الفاتحة شفاء من الأمراض والأسقام لقوله تعالى: اياك نستعين، أي بك نستعين من الأمراض بالشفاء، والاستعانة هنا في كل شيء يواجهه المسلم في حياته اليومية من زواج وتربية الأولاد والمعاملات مع الناس وغير ذلك، والفاتحة هي السبع المثاني التي قال الله تعالى فيها:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَنَّى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر 87

وهي سورة لم تأت في التوراة كما لم تأت في الانجيل ولا في الزبور، بل هي منفردة في القرآن الكريم، وهي أعظم السور، عن أبي سعيد المولى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.

سورة البقرة: هي أول سورة نزلت في المدينة المنورة، وهي أطول سورة في القرآن الكريم، وعدد آياتها مئتان وست وثمانون آية، وفيها من أعظم الآيات وهي آية الكرسي، وفيها أطول آية وهي آية الدين، وآخرها من أعظم الدعاء، ويروى أنها حوار بين الله تعالى ونبيه الكريم عند سدة المنتهى... والله أعلم.

سورة البقرة تشفع لقارئها يوم القيامة، وتظل عليه من حرارة ذلك اليوم العظيم، كما تحفظه وترعاه من كل سوء، يقول النبي الكريم:

اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. وقال أيضا: اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة (أي السحرة). رواه مسلم

سورة البقرة فيها آية الكرسي التي يذكر فيها اسم الله تعالى تمجيذا وتعظيما، والكرسي هو أساس الملك والحكم لله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين الجنة الا الموت. أخرجه النسائي وقال صلى الله عليه وسلم:

ان لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة اي القرآن هي آية الكرسي.

وفي رواية اخرى من قرأها في بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال. ضعفه الألباني
سورة ال عمران: مدنية، ذكر فيها اسم الله تعالى اذا دعي به أجاب، واذا سئل به أعطى،
لقوله صلى الله عليه وسلم: اسم الله الأعظم الذي اذا دعي به أجاب في سور ثلاث: البقرة وال
عمران وطه.

وهي من السور الطوال التي أعطاها الله تعالى لنبيه بدل التوراة لقوله صلى الله عليه وسلم:
أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الانجيل
المثاني وفضلت بالمفصل.
رواه الألباني
وكان النبي الكريم يقرأ العشر الأواخر من السورة، ما يدل على عظمة هذه الايات
المباركات.

السور السبع الطوال هي: البقرة، ال عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال
والتوبة (اعتبرهما العلماء سورة واحدة وامتدادا للموضوع نفسه وهو ضرورة محاربة أعداء الدين)
المئون هي السور التي تزيد اياتها عن مئة اية، أما المثاني فهي ما ولي المئين، أي أقل من مئة
اية، وقد تكون كل سور القران بعد المئين مثاني، المفصل كما جاء في الحديث الشريف أو المحكم،
هي السور بدءا من سورة ق الى اخر المصحف الشريف، وتنقسم الى:
طوال من سورة الحجرات الى سورة البروج، أوساط من سورة الطارق الى سورة البينة، وقصار
من سورة زلزلت الى سورة الناس (نهايتها)

وسورة ال عمران تمجد اسم الله تعالى وتنزهه عن الشرك به، كما تنزه السيد المسيح عن
الألوهية، وفيها من يعتقد بالوهيته فقد كفر، ومن جعله ابن الله فقد أشرك بالله، كذلك أوضح الله
تعالى في سورة ال عمران أن الدين عند الله الاسلام، والنبي ابراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا
نصرانيا بل كان مسلما حنيفا. فضل قراءة سورة ال عمران كفضل قراءة سور القران الكريم، وفضلها
أيضا كفضل قراءة سورة البقرة، لأنها احدى الزهراوين اللتين تحدث بهما الرسول الكريم في قوله:
اقرأوا القران فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة ال
عمران، فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من
صواف.

سورة النساء: مدنية، وهي السورة التي ذكر الله فيها عبادته بأنه غفور رحيم لمن يستغفره،
ويضاعف الحسنات لمن يشاء، وهي من أعظم السور لما اشتملت عليه من قيم أخلاقية سامية،
تناولت حقوق الانسان وحقوق المرأة كما سيأتي، وهي سورة كل مستضعف في الأرض، وفيها من

الآيات ما أبكت النبي الكريم، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اقرأ علي القرآن يا ابن مسعود، فقلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: اني أحب أن أسمعها من غيري. فقرأت من سورة النساء حتى اذا بلغت قوله تعالى:

﴿فَكَتِفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. النساء 41

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

حسبك، فرفعت بصري فاذا عيناه تذرفان، وهذا يدل على عظمة آيات القرآن الكريم، وما فيها من معان ودلالات عظيمة أيضا. وفي سورة النساء أحكام وقوانين لم تعدها البشرية من قبل، من قبيل الارث والميراث، حيث أعطى الله تعالى كل ذي حق حقه بعد وفاة المورث، ولم يذكر ذلك في الكتب السماوية ولا في القوانين الوضعية مثل هذه الأحكام الدقيقة المفصلة في آيات بينات قليلة، وهذه من اعجاز القرآن الكريم كما اشتملت آيات بينات على تحريم الزواج من الأقارب، حيث كان اليهود يزوجون البنت من خالها والولد من أخته، وهكذا جاءت آيات سورة النساء مفصلة فيمن يحق الزواج بهن، وحقوق الزوجة نحو زوجها والزوج نحو زوجته وحكم الزنى، وغير ذلك من الأحكام التي أفادت البشرية، وليس المسلمين وحدهم لأن كثيرا من الدول غير المسلمة توجهت الى القوانين والأحكام الاسلامية كي تسد العجز الذي يعترى قوانينهم ولقد سمعت أحد المشرعين الأمريكيين يقول: اننا ندرس نظام الميراث في جامعاتنا في سبعة مجلدات ضخمة، وبالرغم من ذلك لم نفهم الموضوع حقه، وقال: بينما يعالج القرآن الكريم الأمر في أقل من صفحة من صفحاته، ويعطي كل ذي حق حقه. كذلك أعلن بيشوب بريطانيا أي كبير القساوس في أكثر من مرة ومناسبة بأن بلاده بحاجة للنظم الاسلامية كي تغطي القصور والعجز في قوانيننا. انها شهادات حديثة لمسؤولين مدنيين ولاهوتيين كبار تشير الى الاعجاز العلمي والقانوني، الى جوانب عديدة من مظاهر الاعجاز في القرآن الكريم.

سورة المائدة: مدنية، وهي آخر السور التي نزلت من القرآن الكريم، وفيها حرم الله تعالى على المسلمين الخبائث، وأحل لهم الطيبات، وتتضمن ضرورة اتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، كما تضمنت جزءا من خطبة الوداع التي أنهى بها النبي الكريم دعوته وأتمها على أحسن وجه، وفيها ذكر الله تعالى المائدة التي أنزلها رب العباد على عيسى بن مريم والحواريين لتكون لهم عيدا، وفيها كثير من الأحكام الشرعية التي تسهل على المسلمين حياتهم، وتضمنت عديد قصص الأنبياء والسابقين لتكون عبرة لمن بعدهم مؤكدة في الوقت نفسه على نعم الله تعالى على المؤمنين.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها:

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة 118

فقلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها، قال:

اني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة انشاء الله لمن لا يشرك

بالله عز وجل شيئا. رواه الألباني

هذا جزء من فضائل هذه السورة العظيمة التي منحها الله تعالى الى عباده الصالحين

العابدين.

سورة الأنعام: مكية، نزلت جملة واحدة ومن السور التي لم تنزل منجمة، وكان نزولها حملا ثقيلا على النبي الكريم، ليس لما فيها من كلام الله تعالى بل لطولها، ولما فيها من أحكام شرعية، ولمصاحبة نزولها كان سبعون ألف ملك يسبحون الله تعالى ويجهرون بالتسبيح، كما أنهم سدوا الأفق طيلة نزولها، ولو تخيل المسلم أو أي انسان عادي هذا المشهد المهيّب لأدرك لماذا كانت ثقيلة على النبي الكريم؟ بدأ الله سبحانه وتعالى السورة بالتأكيد على خلقه السماوات والأرض والظلمات والنور، في اشارة الى تنظيم الكون والحياة على الأرض التي مهدت للانسان كي يعيش عليها ويتمتع بخيراتها التي لا تحصى، وبالرغم من ذلك، فان الانسان يكفر بهذه النعمة، كما يكفر بما أتى به رسله وأنباؤه من الحق، وذكر في هذه السورة قصة ابراهيم الخليل وكيف توصل الى عبادة الله تعالى، كما ذكر الأنبياء الآخرين والرسل وما أوتوا به من علم الله تعالى. وفي هذه السورة العظيمة يذكر رب العباد الناس بما خلق لهم من الأنعام حمولة وفرشا، ومن الأشجار والنخيل والأعنان والزرع مختلفا أنواعه وألوانه لعلمهم يرشدون الى الحق، قال القرطبي: انها نزلت مرة واحدة لمحاجة المشركين والكافرين وغيرهم من المبتدعين وتكذيبهم للبعث والنشور

سورة الأعراف: مكية، من ضمن السور السبع الطوال، ولها أفضال كثيرة على قارئها، لقوله

صلى الله عليه وسلم: اعطيت مكان التوراة السبع الطوال... الحديث. وروي عن النبي الكريم قوله:

من قرأ هذه السورة جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان لادم رفيقا، ومن

كتبها بماء ورد وزعفران وعلقها عليه لم يقربه سبع وعدو ما دام عليه باذن الله تعالى.

مجمع البيان

يعتقد كثير من العلماء بأن الأحاديث من هذا النوع فيما يتعلق بفضل السور ضعيفة، ولكننا

أخذنا ببعضها لاطهار وابرار محاسن قراءة القرآن الكريم....والله أعلم

سورة الأعراف: مكية، تبين منزلة الموحدين بالله الرفيعة ولهم الغرف العالية في الجنة، مقارنة بغيرهم من المشركين والملحدين الذين يكونون في حال يرثى لها، ويطلبون من أهل الأعراف ولو شربة ماء يروون بها ظمأهم أو ظل بسيط يستظلون به.

سورة الأنفال: مدنية، وهي من السور المثاني والسبع الطوال في القرآن الكريم وتسمى سورة الجهاد، لأنها تحث المسلمين على محاربة الكفر والعصيان، وكان النبي الكريم يبث الروح المعنوية لدى المجاهدين بقراءتها، واستن أصحابه الكرام هذه السنة المباركة بأن يقرأوا سورة الأنفال قبل المواجهة مع العدو، كما فعل سعد بن أبي وقاص أثناء مواجهته مع الفرس في القادسية عام 15 هجرية، ومن فضائل قراءة هذه السورة بانها تبرئ قارئها من النفاق والظلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة الأنفال وترا فأنا شفيع له وشاهد يوم القيامة أنه برئ من النفاق، وأعطي من الأجر بعدد كل منافق في الدار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في الدنيا.

وعن النبي الكريم قوله لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

يا علي من قرأ سورة الأنفال أعطاه الله مثل ثواب الصائم القائم.

سميت بالأنفال وهي الغنائم لأنها حددت من يستحقها بعد الحرب، كما سميت بسورة بدر حيث تساءل المسلمون المقاتلون في بدر بعدما اختلفوا فيما بينهم حول نصيب كل فئة منهم بعد انتهاء الحرب، حيث ادعت كل فئة أنها أحق من غيرها بالغنائم، فكان الجواب من السماوات العلاء، بأن الأنفال لله وللرسول في قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۖ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا

الأنفال 1

اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾

كان الجواب قاطعاً مانعاً للتساؤل بأن الغنائم لله الذي نصرهم على عدوهم ولرسوله الذي يقود المعركة حماية لدينهم وعقيدتهم ولهم أيضاً، ولكن الله تعالى لن يناله منها شيئاً بالطبع، ولكنها توزع باسم الله تعالى على المحاربين، كذلك درج النبي صلى الله عليه وسلم على أن يوزع الغنائم عليهم وعلى من يراه مستحقاً لها بالعدل والقسطاس، قال الامام أحمد عن أبي أمامة قال: سألت عبادة (يقصد عبادة بن الصامت رضي الله عنه) عن الأنفال فقال: نزلت فينا أي في أصحاب بدر، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانترعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله، فقسمه بين المسلمين عن بواء يعني عن سواء. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

هذه السورة ربطت بين الحرب والسلم، أمر الله تعالى نبيه الكريم بمواجهة الأعداء لأنهم تمادوا في غيهم وضلالهم، لذا يجب اعداد العدة للحرب، وإذا ما جنح الأعداء للسلم فيجرح النبي للسلم أيضا، وهذا دليل قاطع مانع عبي أن الاسلام دين سلام، ولكن الحرب فرضت فرضا على المسلمين، لأن الطرف الاخر كان يعد لها، وهو يعد لها دائما ما دامت الدعوة الاسلامية قائمة.

سورة التوبة: مدنية، نزلت بعد سورة المائدة، وذلك بعد غزوة تبوك، وتتضمن هذه السورة العظيمة أهمية الجهاد في سبيل الله تعالى، حيث أعلن الله تعالى براءة الله ورسوله من المشركين الذين عاهدوا كثيرا وأخلفوا العهود والمواثيق، لذلك سميت **سورة براءة** ولها أسماء عديدة، أما الذين التزموا بها، فيجب اتمام العهد معهم وعدم التعرض لهم الى أن تنتهي مدة العهد، وهذا دليل اخر (وما أكثر الأدلة) على أن الاسلام والمسلمون يلتزمون بما قطعوه على أنفسهم مع أعدائهم من الوعود والعهود، كما أنه دين يدعو الى السلام والأمن والاستقرار، كما حثت هذه السورة الكريمة على ضرورة الاستمرار في نشر الدين الاسلامي عن طريق الدعوة بين الأمم. ولما كانت **سورة الأنفال** نزلت في بدر، فان **سورة التوبة** نزلت في المشركين **وسورة الحشر** نزلت في بني النضير كما سيأتي.

هناك اراء في سبب عدم بدئها بالبسملة، رأى بعض العلماء أنهما سورة واحدة، بينما رأى آخرون وهو الرأى الأرجح بأنها تكملة **لسورة الأنفال** من حيث المضمون، فالأنفال فيها ذكر العهود **والتوبة** فيها نقض لهذه العهود، ولما سؤل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن سبب بدئها بالبسملة قال:

باسم الله الرحمن الرحيم أمان، **وسورة التوبة** نزلت بالسيف ونبذ العهود (من جانب المشركين) فلا أمان للكافرين.

وفضل قراءة سورة التوبة كفضل قراءة سور القرآن الكريم، ولكن في قراءتها يتوب الله على عبده، ويبدل سيئاته حسنات والحسنة بعشر أمثالها، روي عن النبي الكريم قوله لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

يا علي: من قرأ سورة التوبة يقبل الله توبته كما قبل توبة ادم وداوود واستجاب دعاءهما، كما استجاب لتركها وله (قارئ السورة) بكل اية قرأها مثل ثواب زكريا.

أما سورة الأنبياء بعد سور التوبة، يونس وهود ويوسف وإبراهيم، فانها سور مباركة فيها من العظات والأحكام مل تيسر على المسلم فهم دقائق الدين وسير الأنبياء الكرام **سورة يونس:** مكية، والسور ما بعدها مكية حتى سورة الأحقاف ومن ثم تكون السور مكية

ومدنية، سورة يونس من المثني أي أكثر من مئة آية، ومن يقرأ سورة يونس كتب الله له أجرا عظيما، حيث أوصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا أتاه بقراءة ثلاث من ذوات (الر) وسورة يونس تبدأ بالحروف الثلاثة

سورة هود: مكية، فيها من أخبار الأمم وأنباء الرسل ما يثبت قلوب المؤمنين على الايمان، واخافة الكافرين والمنافقين لقوله تعالى:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود 121

في هذه السورة وغيرها من السور مثل الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت، تذكر النبي الكريم والمؤمنين أجمعين بهول يوم القيامة وأحواله وأهواله، وكان لهذه السور أثر كبير في حياة النبي الكريم وتسببت في زيادة الشيب في رأسه المباركة من هول ما جاء فيها، قال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد لاحظ الشيب وقد غزا رأسه: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت. وفي رواية شيبتني هود وأخواتها. أخرجه الطبراني وابن مردويه

سورة يوسف: مكية، من أروع القصص في القرآن الكريم وكل القصص رائعة، تعبر عن الفرج بعد الصبر الذي ينتهي بالتمكن باذن الله تعالى، وكانت قصة يوسف عليه السلام كالاسراء والمعراج مواساة للنبي الكريم وتخفيفا عنه وثبينا لفؤاده، وذلك بعدما فقد عمه الذي رعاه واواه ولم يسلم حتى وفاته (هناك جدال بين بعض المذاهب الاسلامية حول اسلامه من عدمه) وفقد زوجته الأحب الى قلبه، والتي ساعدته على نوائب الزمن، ووقفت الى جانبه في السراء والضراء، وبشرته بالنبوة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ثم اشتدت الصعاب على النبي واشتد عدااء قريش له ولدعوته، وكان لهذه السورة (التي نزلت في عام الحزن) وغيرها أثر كبير في اعطائه القوة والعزيمة في مواجهة أعدائه، عن طريق الصبر على اذاهم قبل الاستعداد لمواجهتهم، فكان يوسف عليه السلام من أكثر الناس صبرا على اخوته أولا، ثم على أعدائه من أتباع الملك أنذاك وليس الفرعون (ذكر الملك في قصة يوسف عليه السلام من معجزات القرآن الكريم، اذ كيف للنبي الكريم أن يعرف تفاصيل التاريخ المصري قبل أن تنزل عليه الايات المباركات؟) وبعد كل ذلك انتصر على كل هؤلاء وتولى الاشراف على خرائن مصر (وزير الخزانة في عصرنا) ولتأثير قصة يوسف عليه السلام على نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قوله:

علموا أرقاءكم سورة يوسف، فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه، هون الله

عليه سكرات الموت، وأعطاه القوة الا يحسد مسلما، وكان له بكل رقيق في الدنيا مائة الف حسنة ومثلها درجة ويكون في جوار يوسف في الجنة. رواه الثعلبي واخرون

هذه السورة كما يقول العلماء بدأت بحلم وانتهت بتفسير هذا الحلم نتيجة ثقة يوسف بالله تعالى وصبره، ولم يترك لليأس طريقا الى نفسه والى عقله، لذلك نجح وتخطى الصعاب بأمر من الله تعالى مدير الأمور وجاءت الايات البيّنات في السورة الشريفة لتثبت ذلك عمليا، وامتنالا لسنة نبينا الكريم كان صحابته الكرام رضوان الله عليهم يكثر من قراءة سورة يوسف عليه السلام، فكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضوان الله تعالى عليهما يقرآن السورة في صلاة الفجر، ومن أفضال هذه السورة أن أسلم كثير من اليهود بعد سماعها من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم رأوا أن ما جاءت به السورة حق لا جدال فيه.

سورة ابراهيم: مكية، ابراهيم عليه السلام نبي الله وأبو الأنبياء و خليل الله وحبيبه، في هذه السورة العظيمة ذكر الله تعالى قصة ابراهيم الخليل، وكانت قصة يوسف شبيهة بقصة ابراهيم من حيث المعاناة والصبر والايمان بالله تعالى، ايمان ابراهيم ويوسف لا يتزعزع في القلب وفي العقل، ابراهيم صبر على النار التي ألقى فيها، وصبر على النفي الذي نفذه أبوه ضده، كما صبر على عبدة الأصنام التي كان يصنعها أبوه ليبيعه للجهلة والمتخلفين من القوم. يوسف صبر في البئر وبرودته ووحشته، وصبر على أذى امرأة العزيز، وصبر على أذى الوشاة عند الملك، كل هذه الأمور كانت هدى ورحمة للنبي محمد صلوات الله وسلامه عليه، الذي كان عليه أن يشق طريقه بالصبر والمعاناة للوصول الى هدفه دون أن يتسرب اليأس الى قلبه وعقله، وقد حصل ذلك باذن الله وتمت الرسالة على أحسن وجه.

ولكي تكتمل قصة ابراهيم الخليل عليه السلام واسماعيل لا بد أن يأتي نبي الاسلام من صلب ابراهيم، أمر الله تعالى ابراهيم بالرحيل مع زوجته هاجر وابنه البكر اسماعيل الى مكة، الى بلد غير ذي زرع، وذلك بعد أن غارت سارة زوجته الأولى وابنة عمه من هاجر بعدما ولدت اسماعيل.

هذه الهجرة العظيمة وعد من الله تعالى، وعهد منه بأن يكون من اسماعيل نسل يشكل أمة عظيمة وهي أمة الاسلام كما ورد في التوراة:

أما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثني عشر رئيسا بلد وأجعله أمة كبيرة (رواية تقول عظيمة) سفر التكوين 17-20

وفي تك 21-18 يأمر الله تعالى هاجر بأن تحمل ابنها الذي كان يبكي في البرية ويبشرها

بأنه سيكون له شأن عظيم نقرأ: قومي أحملني الغلام وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة،
وفتح الله عينها فابصرت بئر ماء فذهبت وملات القرية... الايات

هاتان الايتان في العهد القديم توضحان أمرا لا شك فيه أبدا، وهو أن الله تعالى أرسل ابراهيم
أبا للأنبياء الذين كلهم من بعده من نسله، وكان لا بد أن يكون خاتم الأنبياء من نسل ابراهيم ومن
نسل ابنه اسماعيل انه تدبير من رب العالمين، ليس لأي كان دخل فيه، اذ هل من المعقول أن
يرمي ابراهيم زوجته التي أنجبت له بكره ورضيعها في الصحراء الفقراء الفقراء دون أمر خفي؟ من
الضروري أن يكون خلف هذا السلوك الذي ظاهره القسوة وباطنه الرحمة والتدبير الالهي لأمر كان
يعلمه الله تعالى منذ الأزل؟ الجواب واضح في الايتين وفي غيرهما من الايات، حيث سألت هاجر
زوجها قبل مغادرته مكة: ماذا أنت فاعل؟ هل هذا أمر من الله؟ فقال لها ابراهيم: نعم، وقفل عائدا
الى فلسطين أرض كنعان العربي، ليعود مرات ومرات بعد ذلك، ليرفع القواعد من البيت لعبادة الله
وحده في هذه البقعة من العالم، توطئة لمجيء سيد البشرية ونبي العالمين محمد صلوات الله وسلامه
عليه. ولنا ملاحظة مهمة هنا وهي أن اسماعيل ليس عبدا واسحق حرا كما يفسر المغرضون ما
جاء في التوراة، بل كان اسماعيل نبيا وابن نبي، لأن الأنبياء لا يخلفون عبدا بل أحرارا، كما اسحق
ويعقوب ويوسف وغيرهم من انبياء الله تعالى، كما أن الله تعالى لا يعد هاجر بأن يجعل من ابنها
أمة عظيمة وهو عبد، اذ لا أمة عبيد عظيمة، هذا تخريف من مفسري التوراة كما أن اسماعيل لم
يكن في الخامسة عشر من عمره حينما أمر الله تعالى ابراهيم بابعاد زوجته هاجر وابنها اذ ليس من
المعقول أن تحمل هاجر ابنها وهو في هذا العمر مع قرينة ماء وتسير في الصحراء، وهناك تناقض
واضح، اذ كيف يسمع الرب صراخ وبكاء الطفل وهو في هذا العمر، هناك لبس وغموض في
قصص التوراة، والهدف من التقليل من شأن اسماعيل هو التقليل من شأن محمد سليل ابراهيم
واسماعيل وأبائه هم الأمة العظيمة اليوم، وهم من القوة الايمانية والمعنوية والاقتصادية وغيرها من
أقوى الأمم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فضل قراءة هذه السورة عظيم يكمن في قوله صلى
الله عليه وسلم:

من قرأ هذه السورة أعطي من الحسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من لم يعبدها.

في اشارة الى أن نبي الله ابراهيم كان أول من حطم الأصنام بعدما خاطب أباه أزر بالقول:
تحدث مع الأصنام التي تصنعها بيدك لتبيعه للناس فان هي أجابتك أعبدتها. فبهت الذي كفر،
وهده أبوه بالعقاب الشديد ان استمر على حال الايمان.

سورة الرعد: مكية، أتت بين سورة يوسف وسورة ابراهيم، فيها من الحكم والعظات ما تفيده

المسلم، وتشير السورة الى اسم الله تعالى وتوحيده وقدرته، كما يذكر فيها علم الله المتفرد في الكون، واستغنائه عن الناس المخلوقين، وفيها اشارة وتوضيح لبعض خلقه سبحانه وتعالى ومنه الرعد المخيف بداية، ولكن بعد ذلك فيه الرحمة بعد سقوط المطر الذي يحمل الخير العميم للناس والحيوان والنبات وكل من وما على الأرض، لأن كلا يسبح بحمده تعالى، ومن آياته تعالى ظهور البرق قبل الرعد، والبرق يحمل النقيضين الماء والنار فيتولد الماء من النار، وهذا اعجاز رباني لا يقدر عى صنعه الا الله تعالى، فاذا نزل المطر كان الخير، واذا نزلت صاعقة النار اشتعلت الحرائق وانتشر الخراب على الأرض، وقد يقول قائل ان الانسان توصل الى انزال المطر في مناطق القحط عن طريق الاستمطار، وعامل تطعيم السحب بسائل مكون من نترات الامونيوم واليوريا، واستطاع العلماء ان يخففوا من حدة الأمطار في مناطق معينة خوفا من تلف المحاصيل وهناك عمليات أخرى جربها العلماء تتعلق بالاستمطار وخلافه، نقول في ذلك: ان قدرة الانسان ليست كقدرة الله تعالى، فاجتهاد الانسان وقدرته قليلان وضئيلان أما قدرة الله وعظمته، والنتائج الحقيقية لهذه التجارب قليلة هذا ما أكده العلماء في هذا المجال وقالوا: لا يمكن استمطار السماء دون وجود السحب التي يبعثها الله تعالى الى المناطق، كما أنه لا يمكن للانسان مهما بلغ علمه أن يجعل من الصحراء الواسعة أرضا خضراء دون ماء غزير يحقق الهدف، وهذا لا يتم بالاستمطار وحده مهما كانت مساحته، كما أن الانسان عليه أن لا ينسى أو يتناسى أن الله تعالى علم الانسان ما لم يعلم، وأن علمه مهما بلغ سيكون ضئيلا أمام علم الله تعالى لقوله في كتابه العزيز: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الاسراء 85

في هذه السورة المباركة، كثير من المعجزات الالهية التي تدفع الانسان الى التفكير والتفكر فيها، وهي تنير الاهتمام وتقدر زناد الفكر لما فيها من اعجاز بياني وكوني. ومصدقا لقوله تعالى في سورة الرعد:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ۖ وَيُرْسِلُ الصَّوَءِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجِدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الرعد 13

كان النبي الكريم اذا ما سمع الرعد يقول:

سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول أيضا: ان هذا الوعيد لأهل الأرض شديد. رواه الألباني في صحيح الأدب المفرد عن عبد الله بن الزبير في السورة المباركة ولو أن اسمها الرعد، كما في انزال المطر بعد البرق والرعد يذكرنا ربنا

سبحانه وتعالى أنه يعلم ما في الأرحام، وهو الواهب الذكور والاناث وفق ارادته، وهو واسع المغفرة ولكنه شديد العقاب للعصاة والكفار والمشركين. يتساءل بعض الناس عن سبب قدرة الطب على تحديد نوع الذكر والانثى وتخصيب البويضة وزرعها في رحم المرأة لتتجب ما تريد وتشتهي أو ما يريده الأبوان، نقول ان زراعة الحيوان المنوي وتخصيب البويضة يتمان بتقنية عالية تحاكي عملية بداية التخصيب بين الحيوان المنوي والبويضة كما سبق أن ذكرنا، فالأطباء يعالجون اضطرابات التبويض عند المرأة أو وجود ضعف في الحيوانات المنوية عند الرجل، وفي كلتا الحالتين ولأسباب أخرى يقوم الطب بعلاج هذه الحالات، كما يعالج أي مرض اخر ليس الا، والحيوان المنوي الذي يؤخذ من صلب الرجل والبويضة من المرأة هما من خلق الله تعالى ولا يستطيع الانسان خلقهما، اذن يستخدم الأطباء هذين المكونين من أجل علاج حالات طارئة أو أمراض معينة، وتبقى العملية كلها بيد الله تعالى الذي خلق الحيوان المنوي والبويضة، اذ لا يمكن للعلم أن ينتجها لأنهما سر الهي ومن سنن الله تعالى في خلقه، لا يطلع عبده عليها كأسرار العلوم الأخرى الكونية، ونتائج الاجراءات الطبية في هذا المجال ليست مضمونة، اذ قد تخفق التجارب في الوصول الى النتائج المرجوة، وذا نجحت فان أمرها عند خالقها يعلم خلقه منذ الأزل فهو الذي يقرر ما اذا يكون المولود زكراً أم أنثى فرداً أم توأماً وهكذا، والموضوع شائك وطويل يسأل الأطباء المختصون عنه.

سورة الحجر: مكية، ذكر الله تعالى فيها هديته تعالى الى نبيه الكريم في قوله:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ **الحجر 87**

وفيهما أمرن الله الى نبيه بالجهر بالرسالة والاعراض عن المشركين في قوله تعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ **الحجر 95**

تحدث الله تعال في السورة الكريمة عن قوم ثمود الذين سكنوا الحجر، ظنا منهم أنهم في مأمن من غضب الله تعالى وسخطه اذا ما عصوه واعتصموا خلف البناء الضخم من الحجارة والمواد القوية، كما تحدث رب العزة والجلال عن خلقه الانسان، ولكن ابليس أبى واستكبر على أمر الله تعالى بالسجود لادم كما أمره الله تعالى وتوعد بني ادم بالشر والاغواء، ولكن الله تعالى توعدده بالعذاب الشديد ومن معه من الغاوين يوم القيامة ويقال: ان أصحاب الحجر هم قوم صالح عليه السلام، الذين عقروا الناقة التي استأمنهم عليها، فاستحقوا غضب الله تعالى، وبعد مكوثهم ثلاثة أيام في ديارهم، تتغير فيها وجوههم من صفراء الى حمراء الى سوداء من تغير أحوال الجو عليهم، جاءتهم الصيحة والرجفة التي أبقتهم في ديارهم جاثمين صرعى، ومن هذه السورة الكريمة تعلمنا طاعة الله وعدم عصيان أوامره، وقال النبي الكريم في ديارهم:

لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين الا أن تكونوا باكين، وان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم
أن يصيبكم مثل ما أصابهم. رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
سورة النحل: كغيرها من السور المثني المكية، تهتم بكل ما يتعلق بأمور العقيدة والشريعة
والأحكام كالعدل والاحسان والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله
تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ
يَعْظُمُ لَعَنُكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

النحل 90

كانت هذه الآية في موضع اخر في القرآن الكريم، ولكن الله تعالى أمر نبيه بوضعها في
مكانها رقم 90 في السورة، قال النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه:
أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة. رواه عثمان بن
أبي العاص

سلطت هذه السورة المباركة الضوء على الأدلة التي تبرهن على تفرد الله تعالى بالألوهية،
وفساد عقيدة أهل الكفر والشرك، ولكثرة ما نزل في هذه السورة من النعم التي أنعم الله تعالى بها
على عباده سميت سورة النعم، ومن هذه النعم التي ذكرت في الآية معجزات الخلق، وخصوصا
معجزة خلق العسل في بطون النحل وإخراجه منها، حيث أثبت العلم الحديث في هذا المجال أن
للنحلة أكثر من بطن، تخزن في احداها العسل مختلف ألوانه حسب الزهرة التي تتغذى عليها النحلة،
كذلك أمرها الله تعالى أن تتخذ من الجبال بيوتا في قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

النحل 68

ومن هنا للتبعيض أي ليست كل الجبال صالحة لبيوت النحل، وليس كل الشجر كذلك،
ولكن الله تعالى ألهم النحل باتخاذ كل مكان صالح لها وليرقاتها بأن تكون بيوتا كي يتم انتاج العسل
في أمان، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى.

سورة الاسراء: مكية، وهي السورة التي ذكرت فيها قصة اسراء النبي ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الأقصى الذي باركه الله تعالى وبارك من حوله، وهي (القصة) المعجز الذي أراد الله
منه (الاسراء) تثبيت فؤاد النبي الكريم والتسرية عنه وإخراجه من الحزن الشديد الذي اعتراه، هذا
علاوة على اظهار قدرة الله تعالى واعجازه للمؤمنين وغير المؤمنين كي يؤمنوا، سميت هذه السورة
أيضا بسورة بني اسرائيل لأنها تحتوي على الايات التي تبين افسادهم في الأرض، كما تسمى سورة

سبحان لأنها بدأت بالتسبيح. من أفضال هذه السورة الكريمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قراءتها، ولما فتح مكة وأخذ يهوي بعصاه على الأصنام لتحطيمها (كما فعل جده ابراهيم الخليل عليه السلام) كان يقرأ: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

الاسراء 81

كما جاء فيها آيات لشفاء الناس والمرضى خاصة في قوله تعالى:

﴿وُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

الاسراء 82

سورة الاسراء ربطت بين الاسلام العظيم وفلسطين، ولا سيما المسجد الأقصى وما حوله من المدن والقرى التي أصبحت بلاد مقدسة للمسلمين بذكرها في القران الكريم، كذلك صلى النبي الكريم بالأنبياء في المسجد الأقصى ما زاد من قدسيته وبهائه وعظمته، وربط النبي الكريم البراق الشريف على حائطه الغربي وطار الى السماوات العلا من على صخرته المشرفة، كل هذه الاجراءات والممارسات العملية في المسجد الأقصى من النبي والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعا أكسبت المسجد الأقصى أهمية بالغة في نفوس وعقول المسلمين، فأصبح بذلك من أهم ثلاثة مساجد في الاسلام يشد اليها الرحال، أي ينوي المسلم زيارتها والصلاة فيها لقوله صلى الله عليه وسلم:

لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا (المسجد النبوي في

المدينة المنورة) والمسجد الأقصى. رواه البخاري في الصحيح

هذا جزء مهم من التاريخ الاسلامي يجب عدم تغافله أو اللجوء الى تغيير ملامحه، فالأقصى وما حوله بلاد مسلمة لا ينازع المسلمون فيها منازع، لذلك يجب التأكيد مرارا وتكرارا على قدسية القدس كلها، بل وفلسطين كلها، وما يجري فيهما من انتهاكات من قبل أعداء الدين وأعداء الاسلام من اليهود وغير اليهود لن يبقى الى الأبد، ولا بد له من زوال كما حدث في التاريخ القديم والحديث

أفضال قراءة سورة سبحان كثيرة جدا، ورد فيها أحاديث ضعيفة، ولكن ما روي عن الامام علي كرم الله وجهه قوله:

من قرأ سبحان لم يخرج من الدنيا حتى يأكل من ثمار الجنة، ويشرب من أنهارها ويغرس له بكل اية نخلة في الجنة.

سورة الكهف: مكية، من السور التي كثرت فيها القصص (المتحديات) لليهود ولغيرهم، الذين أرادوا احراج النبي الكريم، بتوجيه أسئلة له عن أهل الكهف وعن الروح وعن رجل طواف بلغ

مشارك الأرض ومغاربها (ذي القرنين)، ظنا منهم أن ما ينطق به النبي انما هو من عنده (متقول) ولا علم له بما سيسأل عنه، وطلب منهم امهاله ليوم غد دون أن يقول باذن الله تعالى، فنزلت السورة في السنة الخامسة للبعثة الشريفة، أي بعد خمسة عشر يوما من وعده الشريف لهم، فعاتبه ربه من السماوات العلا في قوله:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَّرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ الكهف 24

فنزلت الايات البينات فيها تحذير من الفتن، وحث النبي الكريم على الصبر والتبشير بالدعوة والتحذير من الشرك بالله تعالى، وذكر بعض مشاهد يوم القيامة والعذاب الأليم للكفار والنعيم المقيم للمؤمنين، وتناولت السورة قصص الفتية الذين اووا الى الكهف دون ذكر عددهم ليكون مثار حوار ونقاش بين المؤمنين، وبرزت في الايات البينات اعجاز الله تعالى في ابقاء الفتية أحياء يقلبهم بعلمه ذات اليمين وذات الشمال، كما أبرزت قدرته تعالى على احياء الموتى بعد سنين، وذكرت فيها قصة الجنيتين وقصة موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام، وقصه ذي القرنين واستكبار ابليس عن السجود لادم كما أمره الله تعالى، فلما قرأ النبي السورة أمام اليهود ومن والاهم بهتوا، وامن بعضهم أن ما يأتي به النبي ليس تقولا من عنده بل هو من الله تعالى علام الغيوب، وفي سورة الكهف اعجاز علمي بخصوص ابقائهم أحياء طوال هذه المدة وهي ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا، فالسنة الشمسية تزدد عن القمرية باحد عشر يوما، فيكون الناتج 300 ضرب 11 يساوي 3300 تقسيم 365 عدد ايام السنة يساوي 9.04 وهي السنون التي زادت عن السنة الشمسية بمعنى ان الفتية ناموا 300 سنة شمسية أي ما يعادل 309 سنوات قمرية. هذا اعجاز قرآني يضاف الى معجزات القرآن الكريم. ومن أفضال قراءة هذه السورة المباركة وخصوصا في يوم الجمعة، قول النبي صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له النور ما بين الجمعتين. رواه الألباني

وقال في فضل قراءة السورة المباركة:

من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة، ومن قرأ

عشر ايات من اخرها ثم خرج الدجال لم يضره. رواه الألباني

وفي رواية عن الدجال قال النبي الكريم:

من حفظ عشر ايات من أول سورة الكهف عصم من الدجال. رواه مسلم

وهناك من الأحاديث الكثيرة التي تتحدث عن النور الذي يصاحب قارئ السورة المباركة،

ويضئ له الطريق والحياة السعيدة والمغفرة من الله تعالى.

سورة مريم: مكية، سميت بهذا الاسم لورود اسم مريم العذراء البتول فيها، وهي المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها صراحة في القرآن الكريم. من أول أفضال هذه السورة المباركة تأثيرها على النجاشي وقساوسته بعدما قرأها على مسامعه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث طالبت قريش بتسليمه وأصحابه الذين هاجروا معه إلى الحبشة إلى وفد قريش برئاسة عمرو بن العاص قبل إسلامه، وكان لقراءتها سببا في إبقاء النجاشي المهاجرين أحرارا في بلاده بعد قوله لهم: ان هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقوا راشدين، وكانت هذه السورة جواز سفر حقيقي لدخول الإسلام إلى إفريقيا. ذكر اسم مريم ابنة هارون بالرغم من الفارق الزمني بينهما، فقال النبي الكريم لوفد نصارى نجران في ذلك: بأنهم (أي بني إسرائيل الذي جاء المسيح منهم) كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين منهم قبلهم. رواه مسلم

وفي فضلها كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بذكرها ويحيى ومريم وموسى وعيسى وهارون وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعا الله ولدا وبعدد من لم يدع له ويعطي بعددهم حسنات ودرجات كل درجة منها كما بين السماء والأرض ألف مرة ويزوج بعدها من الفردوس وحشر يوم القيامة مع المتقين في أول زمرة السابقين.

الفيروزابادي بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز

سورة طه: مكية، ذكر فيها قصص الأنبياء وأخبارهم، كما ورد في سور الكهف ومريم والأنبياء، وتعتبر سورة طه من عتاق السور التي ذكرناها، أي من أوائل السور التي نزلت وحفظها النبي صلى الله عليه وسلم وهي محببة إلى قلبه لقوله:

هن من العتاق الأول وهن من تلادي.

عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث: البقرة وال عمران وطه. رواه ابن ماجه والحاكم

وهناك كثير من الأحاديث في فضل سورة طه ولكن اسنادها ضعيف لا داعي لذكرها

سورة الأنبياء: مكية، ذكر الأنبياء السابقون في هذه السورة، وما تعرضوا له من أذى ومشاق في سبيل الدعوة إلى الحق سبحانه وتعالى، في حين ذكر الله تعالى الأنبياء بأسمائهم ذكر الله تعالى صفات النبي الكريم ورفع من قدره في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَحْدٌ فَهَلْ أَنتُم

مُسْلِمُونَ (108) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٨﴾

الأنبياء 109

ومن فضائل هذه السورة روي عن سعد بن أبي وقاص قول النبي صلى الله عليه وسلم: دعوة ذي النون اذ دعا وهو في بطن الحوت: لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين، فانه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجاب الله له. رواه الترمذي ومن سار على نهج الأنبياء في سيرتهم، وعلى نهج النبي الكريم، ساعده الله تعالى على تحقيق أماله وأبعد عنه الهم والغم وقرب اليه الفرج.

سورة الحج: سورة مدنية، وهي الوحيدة التي سميت باسم ركن من أركان الاسلام لأهميتها البالغة بالنسبة للمسلم، وذكر فيها أركان الحج وأحكامه، وفيها كثير من الأحكام وأهمها دعوة الناس الى حج بيت الله الحرام والدخول في الاسلام في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج 27

يأتي الناس الى الحج مشاة وركوبا على الدواب مسلمين مؤمنين بالله الواحد الأحد، وبذلك يكون الاسلام أول دين يدعو الناس الى ممارسة شعيرة من شعائر منذ زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ويقال ما قبل ابراهيم كان الناس يحجون الى بيت الله بطريقتهم. هذا ولم تأت أحاديث كثيرة في قراءة هذه السورة، ولكن فضل قراءتها كفضل قراءة القرآن الكريم، اذ أن قراءة كل حرف فيه لقارؤه حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

سورة المؤمنون: مكية، وفيها يذكر الله تعالى صفات المؤمنين، وأهمها الصبر وثواب الصابرين عظيم عند الله تعالى وهو نعيم مقيم، وفضل قراءتها كفضل قراءة القرآن الكريم كما ورد في الحديث النبوي الشريف وفي نهاية السورة يؤكد رب العزة والجلال على كماله وجلاله، وهو الخالق، واليه يرجع خلقه لحسابهم على ما قدمت أيديهم، يقول تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون 117

سورة النور: مدنية، بينت هذه السورة كثيرا من الفرائض والحدود كحد الزاني والزانية، وبينان أن الطيبين للطيبات والخبيثين للخبيثات، وأهم ما فيها أن لعن الله أصحاب الافك الذي افترونه على السيدة عائشة رضي الله عنها، كما نهى الله تعالى المؤمنين عن الدخول الى البيوت دون استئذان أصحابها، وبين رب العالمين شروط الزواج وعدم اكراه الفتيات عليه، بينت السورة ضرورة ارتداء

الحجاب للمؤمنات المسلمات وتعتبر مع سور النساء والأحزاب من السور التي بينت الأحكام الخاصة بالنساء، ولأهمية قراءة هذه السورة للمسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ هذه السورة كان له من الحسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة عشر حسناً متفق عليه

سورة الفرقان: مكية، حملت اسماً من أسماء القرآن الكريم، وسميت بهذا الاسم للتدليل على تفريق القرآن بين الحق والباطل، أخبر الله تعالى في هذه السورة حال الكافرين والمشركين يوم القيامة، كما أوضح حال المؤمنين الذين سينعمون بالجنة، بينما الأولون سيكون مصيرهم النار وبئس المصير، وسيشعرون بالندم على ما أقدمت عليهم أيديهم وأنفسهم، من شدة الندم يعرض الظالم على يديه لأنه لم يتبع طريق النبي الكريم أنزلت هذه الآية في عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف الذين قتلوا في بدر شر قتلة لما فعلاه بالنبي صلى الله عليه وسلم من سوء

سورة الشعراء: مكية، فيها تهديد ووعد للمشركين بسبب موقفهم من النبي ودعوته المباركة، ولهذا السبب باءوا بغضب من الله، وتوعدهم بمصير مثل مصائر من سبقهم من الطغاة البغاة الكافرين. وأشارت هذه السورة إلى شعراء السوء، الذين لا هم لهم إلا النفاق وإباحة المحرمات، وليس المقصود شعراء الخير والدعوة إلى الله في قوله تعالى:

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۖ﴾ الشعراء 227

هناك أحاديث ضعيفة في فضل قراءة هذه السورة المباركة، ولكن فضل قراءتها كفضل قراءة القرآن الكريم فضلاً من الله ورضوانا، وتبقى قراءته نورا يضيء طريق قارئه إلى الحق، إضافة إلى الحسنات التي ينالها من رب العالمين

سورة النمل: مكية، بينت هذه السورة المباركة فضل القرآن الكريمة على عباد الله تعالى، نزلت دون انقطاع أي متتالية، واشتملت على موضوعات كثيرة، مثل البعث والتوحيد والنشور وقصص بعض الأنبياء كقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وإسلامها بعد دخولها بلاطه واستماعها إليه، كذلك قصته مع الطير والنمل، وكيف سخر الله له الريح والجن لخدمته، وما تضمنته هذه الظواهر من معجزات الله تعالى كذلك أشارت إلى قصص بعض الأنبياء كقصة موسى وصالح ولوط مع أقوامهم

فضل قراءة سورة النمل كقراءة غيرها من سور القرآن الكريم، وروي عن النبي الكريم قوله: من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود

وشعيب وإبراهيم ويخرج من قبله وهو ينادي لا اله الا الله.

سورة القصص: مكية، يسرد فيها رب العالمين كثيرا من قصص الأقوام السابقين مثل بني اسرائيل، وقصة سيدنا موسى عليه السلام منذ القائه في اليم، وتحريم المراضع عليه وعودته الى أمه لترضعه باذن الله، ثم دعوته الى الله تعالى، وزواجه من احدى بنات النبي شعيب عليه السلام، واشتراك أخيه معه في دعوة فرعون الى الايمان، ورد فعل الفرعون الاثم على الدعوة، ولجؤه الى السحر والسحرة، وتغلب موسى عليهم باذن الله على السحرة الذين خروا ساجدين ايماننا برب موسى وهارون، ثم غضب فرعون عليهم وتوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسارت الرواية الى نهاية فرعون غرقا في البحر وبقاء جثته لتكون لمن بعده اية الى يومنا هذا في قوله تعالى في سورة يونس.

﴿فَأَنبِئْهُمْ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾

يونس 92

كثير من العلماء ومنهم غربيون يعتبرون هذه الآية من معجزات القرآن الكريم، اذ لم يكشف النقاب جثة عن الفرعون رمسيس الثاني الذي عاش من 1303 ق م الى 1213 ق م الى عام 1881 ميلادية في مقبرة وادي الملوك في الأقصر، مهما تكن دقة هذه المعلومات الا أن الحقيقة الناصعة الباض تكمن في تنبؤ القرآن الكريم ببقاء جثة الفرعون ماثلة للعيان تصديقا لوعيد الله له بأن تبقى جثته ليراها الناس على مر العصور والدهور وليكون اية بينة لهم بأن وعد الله تعالى حق وسرد الله في السورة الكريمة قصة قارون الذي امتلك مفاتيح خزانته التي تنوء عن حملها الجمال، ولكن عاقبته كانت وبالا عليه لكفره بالنعمة التي أنعمها الله عليه، فضل قراءة هذه السورة يكمن في القصص التي هي عبرة لكل من يعتبر.

سورة العنكبوت: مكية، ويروى أنها اخر سورة نزلت في مكة المكرمة، افتتحت ببعض الحروف المتقطعة كغيرها من بعض السور الم، تحدث الله تعالى فيها عن تكاليف الايمان والعاقبة الحسنة للمنتقين، أما المشركون فدعواهم باطلة كاذبة، وسيكون مصيرهم أقسى وأشد مما كانوا يعذبون فيه المسلمين في بداية الدعوة.

كان النبي الكريم يقرأ سورة العنكبوت في الركعة الأولى من صلاتي الكسوف والخسوف. عن عائشة رضى الله عنها قالت: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجعات يقرأ في الركعة الأولى العنكبوت أو الروم وفي الثانية سورة يس (نحن نسمي كسوف الشمس وخسوف القمر).

سورة الروم: مكية، ركزت على غلبة الفرس على الروم، ثم تتبأ القرآن الكريم بغلبة الروم على الفرس في بضع سنين أي أقل من عشر سنوات وأكثر من ثلاث سنوات، وجاء في الايات البيئات القصار في بداية السورة ثلاثة اعجازات قرآنية من الله تعالى، تثبت ما لا يدع مجالاً للشك بأن هذا القرآن من عند الله تعالى تتبأ بداية بغلبة هرقل وانتصاره على عدوه الفارسي بعد أن سيطر الأخير على العراق وبلاد الشام واضطر هرقل الى اللجوء الى القسطنطينية هرباً من بطشه، والنبوءة الثانية بأنه سيهزمه ويستعيد ملكه، فان لم يكن كسرى يكون أبنؤه من بعده وكان شيرويه قباد الثاني الذي قتا أباه كسرى، النبوءة الثالثة بأنه سيهزمه في فترة لا تتجاوز العشر سنوات، والنبوءات الثلاث تحققت، وحينئذ فرح المسلمون بانتصار المؤمنين على عبدة النار وذلك في قوله تعالى:

﴿ **آلَمْ** (1) **غُلِبَتِ الرُّومُ** (2) **فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** (3) **فِي بَضْعِ سِنِينَ** **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾

الروم 4

ومعجزة القرآن الرابعة في هذه الايات المباركات، اخبار الله سبحانه وتعالى الناس كافة أن منطقة البحر الميت هي أدنى الأرض وهي المنطقة الأكثر انخفاضاً في العالم، وهذا ما لم يكن يعلمه أحد آنذاك. تضمنت السورة المباركة قيام الساعة والبعث ووصف حال المؤمنين، كما دعت اياتها البيئات الى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف بعد انتشار الفساد في البر والبحر، وفيها وصف دقيق وعبقري لتكوين السحاب ونزول المطر حيث يشاء الله تعالى، ووصف كيف تجري السفن في البحار بأذنه.

فضل قراءة هذه السورة عظيم، اذ يثاب قارئها كما يثاب على قراءة كل اية من اي الذكر الحكيم، كما أنها تذكرة للمسلم لمعجزات الله تعالى وقدرته على نصر المؤمنين وخذلان المشركين، فكانت الفرحة عارمة على وجوه النبي الكريم وأصحابه والمسلمين، حال سماعهم عن انتصار الروم على الفرس من جهة، وعلى تحقق نبوءات الكتاب العظيم من جهة ثانية.

سورة لقمان: مكية، سميت بهذا الاسم لأن اسم لقمان الرجل الصالح ذكر صراحة فيها، وقد عرفت عنه الحكمة حتى أصبح معروفاً ومشهوراً عند بني اسرائيل في مصر حيث موطنه، ووصلت سمعته الطيبة الى الجزيرة العربية، حيث تحدى اليهود نبي الاسلام والبشرية محمداً صلى الله عليه وسلم، بأن يذكر لهم صفاته وما يعرفه عنه، اضافة الى ما يعرفه عن فنية أهل الكهف والرجل الذي جاب العالم، كما طلبوا منه أن يعرف لهم الروح، فكان نزول السورتين العظيمتين **الكهف** و**لقمان** صفة كبيرة على وجوههم. في هذه السورة العظيمة كثير من الحكم والعظات التي تبين لنا كيفية تنشئة ابنائنا التنشئة الصالحة، وأهم مبادئها عدم الشرك بالله لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ**

وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ لقمان 13

فضل قراءة سورة لقمان كفضل قراءة كل سورة وكل آية من القرآن الكريم، ووردت بعض الأحاديث التي تدل على حب النبي الكريم لقراءة لقمان، روي عن أحد الصحابة قوله: كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان. محمد المغربي جمع الفوائد من جامع الأصول..

سورة السجدة: مكية، سميت بهذا الاسم لورود السجود عند ذكر الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ السجدة 15

وكان النبي الكريم دائم السجود والخشوع في الصلاة وخارج الصلاة إذا ما قرأ سورة السجدة، والسجود سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم، لا تشترط الطهارة في السجود والتلاوة خارج الصلاة، وليس فيه تكبير وتسليم، ولكن يجوز فيه الدعاء بل هو مستحب كما في سجود الصلاة. وفي قراءتها الفضل الكبير في الدعاء والاستغفار المستجابين باذن الله أثناء السجود شكرا لله تعالى. **سورة الأحزاب:** مدنية، نزلت بعد غزوة الخندق، وسميت غزوة الأحزاب أيضا التي خاضها المسلمون ضد كفار قريش ومن والاهم من القبائل اليهودية، مثل غطفان وسليم وأسد وبني قريظة وبني فزارة وبني وائل وغيرهم، وفي تلك الغزوة التي حدثت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، حاصر الكفار المدينة حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه والمسلمون فيها، وسموا بالأحزاب لأنهم من قريش وكنانة وتهامة من العرب وأحزاب وقبائل اليهود، فلما سمع النبي بحصارهم للمدينة أمر بحفر خندق حولها، وكان ذلك رأي سلمان الفارسي رضي الله عنه، وبالرغم من عدد المسلمين القليل الذي لم يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل، والكفار مع اليهود كان عددهم أكثر من عشرة آلاف، إلا أنهم لم يتمكنوا من اقتحام الخندق، فبعث الله عليهم ريحا اقتلعت خيامهم وباءوا بالفشل الذريع.

تنبأ النبي الكريم بفتح القسطنطينية وبلاد فارس أثناء حفره الخندق بيديه الشريفتين مع أصحابه، حيث انطلقت شرارات من فأسه أثناء ضربه الحجارة بفأسه، الشرارات الأولى رأى فيها مفاتيح الشام والقسطنطينية والشرارات الثانية رأى فيها مفاتيح قصور كسرى، تشكك ذوو النفوس الضعيفة بما قصه النبي عليهم وصدقه المتمسكون بدينهم وعقيدتهم، واتبعوا نبيهم عن إيمان لا يتزعزع وقر في قلوبهم، وكان أن تحققت النبوة والبشرى بفتح بلاد الروم والفرس باذن الله تعالى، وفي فضل قراءة سورة الأحزاب روي عن أبي بن كعب قول النبي صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر. رواه أبو حجر العسقلاني

سورة سبأ: مكية، سميت بهذا الاسم لورود كلمة سبأ في السورة الكريمة، وسبأ هو رجل له عشرة أبناء، ستة منهم ذهبوا الى اليمن، وأربعة ذهبوا الى بلاد الشام، واسمه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود جد السبئيين، وهو من كبار ملوك اليمن في الجاهلية الأولى، وسمي سبأ لأنه أول من سبى السبايا وأول من فتح الفتوحات وأول خطباء العرب، وسمي عرب اليمن بالقحطانيين، ومنهم ملكتهم بلقيس التي جاء ذكرها في القرآن الكريم مع سيدنا سليمان عليه السلام في السورة الكريمة. عن فروة بن مسبك رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يا رسول الله، أخبرنا عن سبأ ما هو؟ أرض أم امرأة؟ فقال: ليس أرضاً ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيا من (ذهب الى اليمن) ستة وتشاءم أربعة. رواه الألباني

ومن أفضال قراءة سورة سبأ قوله صلى الله عليه وسلم:
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا.
الفيروز ابادي

سورة فاطر: مكية، تسمى سورة الملائكة الى جانب فاطر لأنها ابتدأت بقوله تعالى:
﴿لَحْمُدُ اللَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر 1
تناولت هذه السورة المباركة الأمور العقائدية الكبرى، باثبات وجود الله تعالى بالبراهين والأدلة على ذلك اضافة الى الدعوة الى توحيد الله وتحريم كل مظاهر الشرك، كذلك تناولت البعث والجزاء والدار الآخرة وتصديق ما جاء به النبي والنبيون والرسول من قبله. ومن أفضال قراءة هذه السورة المباركة في قوله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت.
وقال أيضا:

من قرأ سورة الملائكة كتب له بكل آية قرأها وبكل ملك في السماوات والأرض عشر حسنات ورفع له عشر درجات.

يقول بعض علماء الحديث أنها ضعيفة ولا ترتقي الى الأحاديث الصحيحة ونذكرها هنا للتعريف بأهمية وفائدة قراءة القرآن الكريم، وكل آية يقرأها المسلم عن ايمان و يقين وفهم وعمل بها،

له أجره عند الله تعالى والحسنة بعشر أمثالها، ويضاعفها رب العالمين لمن يشاء من عباده
سورة يس: مكية، ذكر فيها اسم من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتشتمل على
التوحيد والمعاد، وفيها بشارة للمؤمن الذي يموت على التوحيد بالعاقبة الحسنة في الآخرة وهي الجنة
في قوله تعالى

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ

﴿ يس 27

واشتملت السورة المباركة على التأكيد على الرسالة المحمدية، وعلى عاقبة المكذبين بالرسالة
وجحود الوحي الإلهي، وفيها من معجزات الكون وخلق الله تعالى ما يبهر القارئ والسامع على حد
سواء، كالشمس والقمر الذي قدره منازل حتى عاد كالعرجون القديم، في قوله تعالى:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس 39

وفي هذه الآية الكريمة اعجاز علمي آخر يتمثل في التشبيه البليغ بين حالة القمر الهلال
وأغصان الشجر القديمة وخصوصا النخيل المنحنية كالهلال من القدم، فيبدأ الهلال منحنيا مقوسا
كالهلال ويعود الى سيرته الأولى بعد أن يكتمل منازل طيلة الشهر، ويذكر الله تعالى كذلك جنات
الأرض التي ينعم بها الناس لعلهم يشكرون. كان النبي الكريم ينصح المسلمين بقراءة سورة يس على
موتاهم، عن معقل بن يسار عن الرسول صلى الله عليه وسلم:

اقرأوا سورة يس على موتاكم وقال أيضا: من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر
له والله أعلم.

سورة الصافات: مكية، بدأت بذكر الملائكة الصافات صفا، أي هم متراصون جنباً إلى
جنب يجمعهم ذكر الله تعالى وطاعته والائتمار بأمره. ولسورة الصافات فوائد لقارئها عظيمة، لأنها
تبعده عن السحر والجن وحفظ اللسان من المكروه، وقال بعضهم إن قراءتها تحفظه من كل شيطان
مارد والله أعلم. قال النبي الكريم:

الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال:
يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف. ولفضل هذه الصورة على المسلمين قال النبي
الكريم:

فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها
مسجداً، وجعلت لنا تربتها طهوراً إذا لم نجد الماء. رواه مسلم

سورة ص: مكية، تشمل هذه السورة المباركة ثلاثة أمور: التوحيد والوحي والحساب، وفيها

أيضا توبيخ للمشركين الذين تكبروا على النبي وعلى رسالته وكذبوه وشككوا به، وذكر الله تعالى بأن عذابهم شديد وحسابهم لديه عسير، وعاقبتهم ستكون كعاقبة من سبقوهم ممن كذبوا الأنبياء والرسل، وفيها تأكيد على أن الله تعالى سيقف معه كما وقف مع من سبقه من أنبيائه، وكانت النصره في النهاية لهم، وخصوصا الثلاثة الذين ذكرهم الله تابوا اليه وأنابوا وهم داود وسليمان وأيوب عليهم السلام، وبالصبر والمثابرة تأتي النتائج طيبة باذن الله تعالى، وضرب الله تعالى بذلك صبر سيدنا أيوب عليه السلام، وبالمقابل ذكر الله تعالى ابليس الذي عرف الحق وحاد عنه وباء بغضب من الله الى يوم الدين، ومن ضمن ما ركزت عليه السورة المباركة ضرورة توخي العدل والقسطاس والبعد عن الهوى والظلم، وذكرت المسلمين كما تذكر آيات الله تعالى دائما بالنعيم المقيم للذين امنوا والمتقين، والنار التي سيصلاها المكذبون بالله ورسوله.

من أفضل قراءة هذه السورة المباركة القصص التي وردت فيها، وبينت مدى رحمة الله تعالى على عباده وخصوصا أنبياءه ورسوله. ومن أفضل سورة ص أن النبي الكريم كان يقرأها من على منبره الشريف، فاذا وصل الى آية السجود نزل من عليه وسجد، عن أبي سعيد الخدري قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة ص على المنبر، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يوما اخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود فقال: انما هي توبة نبي، ولكن رأيتمكم تهيأتم للسجود فنزل وسجد فسجدوا. رواه البيهقي

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعار من الليل قال: لا اله الا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار. رواه الوداعي وابن حبان

سورة الزمر: مكية، سميت بهذه السورة لقوله تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الزمر 71

والزمر جماعات جماعات، ولم تقتصر الكلمة على الكافرين يساقون زمرا بل المؤمنون أيضا يساقون زمرا ولكن الى الجنة باذن الله تعالى في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ الزمر 73

الأولى جهنم للكافرين والثانية الجنة للمتقين، يلاحظ هنا دقة القرآن الكريم وبعض معجزاته اللغوية، اذ ذكر حرف الواو في الآية الثانية في قوله تعالى وفتحت أبوابها ولكنه لم يذكر الواو في

الاية الأولى، فسر العلماء ذلك بالقول أن النار تفتح مرة واحدة وتغلق على روادها، لذلك لم يذكر حرف العطف، ولكن الجنة تفتح دائما لذلك ذكر حرف العطف الواو. فضل قراءة سورة الزمر كفضل قراءة القرآن الكريم بآياته وسورة وللحسنة عشر أمثالها وبضاعف الله الحسنات لمن يشاء.

سورة غافر: مكية، سميت بهذا الاسم لأن ذكر فيها اسم من أسماء الله الحسنى غافر الذنب، وهي من صفات الله الغفور الرحيم، ويسمى بعض العلماء سورة المؤمن لأنها أشارت الى الرجل المؤمن من آل فرعون، كما يسميها آخرون بسورة حم لأنها ابتدأت بالحرفين الكريمين. من فضائل قراءة هذه السورة أنها اشتملت على فوائد عظيمة لقارئها وفيها جوامع الكلم والدعاء، ومن قرأها كغيرها من السور اطمأنت بقراءتها نفسه وتحفظه من كل اثم وذنب وهم وغم.

سورة فصلت: مكية، بدأت السورة ب حم كسابقتها، وفضلها كفضل قراءة القرآن الكريم، فهي تهيج العقول والقلوب والانس لقارئها، وتكسبهم الأجر والثواب عند الله تعالى، وتعمق ايمان القاريء بالله وحكمته وابداعه في خلقه، ومن بداية السورة يؤكد رب العالمين على أنها أنزلت منه تعالى، وفصلت آيات القرآن الكريم تفصيلا دقيقا، لا لبس فيه ولا غموض وبلغة عربية لقوم يعلمون، كما يعجز الانس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أي يساعد بعضهم بعضا في ذلك. سورة فصلت بهتت الذي كفر، والذي بعثه قريش للنبي كي يساومه على دينه، وهو عتبة بن ربيعة الذي عرض على النبي باسم قريش المال والجاه والسلطان والنساء وكل شهوات الدنيا، فقال له النبي الكريم: هل فرغت من حديثك يا أبا الوليد؟ فقال نعم، فقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿حَمَّ (1) تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)﴾... الى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صُغَةً مِثْلَ صُغَةٍ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿ فصلت 13

هذا فضل قراءة هذه السورة العظيمة، التي أوضح فيها نبينا الكريم أن ما جاء في هذا الكتاب حق وصدق من الله تعالى ولكن لقوم يعلمون ويعقلون ما هو الحق

سورة الشورى: مكية، سميت بذلك لأنها ركزت على ضرورة اتباع مبدأ الشورى والمشاورة بين المسلمين في الحكم ولبحث قضاياهم، وأكدت السورة الكريمة على أهمية توحيد الكلمة واجماع الرأي، وكغيرها من سور وآيات القرآن الكريم، بينت الأدلة على وحدانية الله تعالى وقدرته، وأن القرآن الكريم وحى منه تعالى وأهم ما جاء في السورة المباركة، أهمية الرجوع الى الله تعالى ورسوله في حال الاختلاف في الرأي، اضافة الى ذكر حال المؤمنين الصادقين وصفاتهم. ومن فضائل قراءتها رضوان من الله تعالى ومغفرة وأجر عظيم

سورة الزخرف: مكية، من السور المثاني التي أعطاها الله لنبيه بدل الانجيل، والقصص فيها

تثني وتكرر غير المئين التي تزيد آياتها عن المئة، هذه السورة الكريمة تذكر بالله تعالى، وتستذكر مواقف أولئك الذين تسود وجوههم اذا ما بشروا بالانثى، وسميت هذه السورة بالزخرف لورود الكلمة في آياتها، وتعني هوان الدنيا عنده وهو قادر على منح الكفار كل ما في الدنيا من زخارف ونعيم يتمتعون به، واذا ما طلبوا شيئاً من هذا النعيم لباه لهم ربهم، لأن كل هذا قصير المدى في المنفعة، ولا يستمر معهم في الآخرة، بل ينتظرهم العذاب الأليم يقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سَفُفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِيُوبِتَهُمْ أَتُوبًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (34) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف 35

سورة الدخان: مكية، تناولت هذه السورة الكريمة الدعوة الى الله تعالى، والى الاسلام الذي هو دين الله وتثبيت العقيدة في نفوس المسلمين، وتحمل كثيرا من الرسائل، وتتحدث عن البعث ويوم القيامة، وسميت بهذا الاسم لأن الله تعالى سلط على الكافرين ولا سيما قبيلة مضر الدخان الكثيف بسبب تكذيبهم للنبي الكريم وعاشوا في فقر وفي قحط حتى كادوا أن يهلكوا بسبب دعاء النبي عليهم، فنزلت الآية الكريمة:

﴿فَازْتَقِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الدخان 11

ولكن قلبه حن عليهم ودعا اليهم فاستجاب الله لدعائه فخفف الله عنهم العذاب في قوله:
﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾

الدخان 16

من أفضل قراءة سورة الدخان جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك. كما أن قراءتها تجلب الرزق وتطرح البركة والخير في البيت

سورة الجاثية: مكية، بدأت كأخواتها بـ ﴿حَمْدٌ (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

الجاثية 2

بعد التأكيد على أن الكتاب من الله تعالى، بينت آيات هذه السورة المباركة قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض وتسيير الرياح وانزال الأمطار بإذنه، كما أشار الى اختلاف الليل والنهار تذكرة للمؤمنين، ولا يخفى على العلماء والبسطاء من الناس، كيف يتعاقب الليل على النهار بسبب

دوران الارض حول نفسها ليكون الليل والنهار، وحول الشمس لتكون الفصول الأربع، وما في ذلك من معجزات في الخلق والابداع الذي لا يتقنه الا الله تعالى. وفي السورة الكريمة استنكار لمن يستمع الى الايات كأنه لم يسمعها ولا يعمل بها، ثم يصر مستكبرا فله عذاب أليم، كما حذر الله نبيه من الكفار وأهوائهم في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية 18

من أفضال قراءتها جاء في رواية أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:
من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعه عند الحساب. كذلك من أفضال قراءتها الثواب من الله تعالى كثواب غيرها من السور والايات البينات

سورة الأحقاف: مكية، ما عدا الايات 10، 17، 35 فهي مدنية كما يرى كثير من المفسرين. **الأحقاف** لغة هو **الكثيب المعوج من الرمل** أو أن يكون الرمل على هيئة جبل، والأحقاف هي المنطقة التي سكنها قوم عاد الذين أهلكهم الله تعالى بريح صرصر بعد تكذيبهم نبي الله هود عليه السلام، واستعجلوا العذاب بأنفسهم ظنا منهم أنهم لن يلاقوه قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكًا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعْبُدْنَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ أَمْ لَوْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الأحقاف 24

تناولت السورة كذلك حقوق الوالدين على أبنائهم، وقارنت بين الولد الصالح البار بأبويه ويدعو الله تعالى لهما بعد بلوغه الأربعين من العمر في قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وُلْدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف 15

وقارن بينه وبين العاق الذي لم يستمع لقول والديه ولا لنصائحهما وقال لهما أف لما تدعونني اليه، قال تعالى:

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيَ أَبٌ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكُ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأحقاف 17

يروى أن من استهزأ بوالديه هو عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، هذا وقد من الله على عبد الرحمن بالاسلام وكان ممن حسن اسلامهم، ونفت السيدة عائشة رضي الله عنها صفة

الجحود عن أخيها عبد الرحمن والله أعلم، وفضل قراءة سورة الأحقاف كغيرها من قراءة القرآن الكريم لقوله صلى الله عليه وسلم

من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف. صدق رسول الله

سورة محمد: مدنية منجمة، يحسب قارئها أنها جزء من سورة الأحقاف، لبدايتها بالتحدث عن عاقبة الذين كفروا واتباعوا الباطل، لذلك سماها بعض المفسرين والعلماء **سورة الذين كفروا**، لما اشتملت عليه من ضرورة محاربة الكفار ومقارعتهم بسبب ايدائهم للنبي ونقضهم للعهود والوعود معه، وسماها بعض العلماء كسيد قطب **سورة القتال**، لأنها تحت على مقاتلة الكافرين وعنصر القتال هو البارز فيها، والقتال ابتلاء للمؤمنين على صبرهم وجهادهم في سبيل الله قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد 31
فضل قراءة هذه السورة عظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ هذه السورة لم يول وجهه وجهة الا رأى فيها وجه النبي اذا خرج من قبره، وكان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة. صدق رسول الله

سورة الفتح: مدنية، نزلت في السنة السادسة للهجرة بعد صلح الحديبية، وفيها طمأنة للمسلمين بالنصر بعدما خذلتهم قريش ومنعتهم من دخول مكة سلماً للحج، نزول **سورة الفتح** فيها بشرى عظيمة للفتح العظيم الذي تم في السنة الثامنة للهجرة. ومن فضل هذه السورة العظيمة أنها أدخلت السرور على نفس النبي الكريم وقلبه وعقله، ونفوس المسلمين وقلوبهم وعقولهم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لقد نزلت علي الليلة سورة لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس، انا فتحنا لك فتحا مبيناً... السورة** رواه الألباني

وكما قلنا نزلت لتطمين النبي وأصحابه والمسلمين كافة بالنصر المبين على أعدائهم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: **بلى**، فقال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: **بلى**، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال **يا ابن الخطاب، اني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً**، فانطلق عمر الى أبي بكر رضي الله عنه فقال له: مثل ما قاله للنبي، فقال له: انه نبي الله ولن يضيعه الله أبداً فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر الى اخرها، فقال عمر: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال **نعم**. رواه البخاري

سورة الحجرات: مدنية، نزلت منجمة كل اية لها سبب نزول، وكلها أحكام شرعية نذكر

منها:

- 1- عدم رفع أي صوت فوق صوت النبي، وعدم الجهر له بالقول تأديبا في حضرته صلى الله عليه وسلم.
- 2- عدم مناداة النبي من وراء الحجرات بصوت عال تأديبا أيضا، لأن ذلك يؤذيه فان أكثر من يفعل ذلك لا يعقلون.
- 3- عدم تصديق كل ما يقال و، خصوصا من الفاسقين الذين يريدون الايقاع بين المؤمنين، فيجب التثبت مما يقال قبل الحكم.
- 4- يجب الحجز بين المتقاتلين المسلمين، كما يجب عدم تركهم في صراع مستمر يذهب نتيجة الأبرياء وحققا للدماء، كما يجب الصلح بين الفئتين، فاذا بغت احدهما على الأخرى يجب مقاتلة الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله.
- 5- البعد عن السخرية والاستهزاء بالآخر، ولا التنازب بالألقاب فهذا محرم في الاسلام.
- 6- المساواة بين الناس وأفضلهم عند الله أتقاهم.
- 7- البعد عن النميمة والغيبة وشبهها رب العالمين كمن يأكل لحم أخيه ميتا، في اشارة الى كراهة هذا السلوك.

من فضائل هذه السورة العظيمة تعليم المسلمين أمور دينهم، وما يجب عليهم الالتزام به من اداب السلوك والأخلاق الحميدة، والبعد عن مساوئ الأخلاق والالتزام بكل مل جاء به الشرع الحنيف.

سورة ق: مكية، بدأت بحرف ق واشتملت على عديد من القضايا الانسانية، وعلى خلق الانسان وموته وبعثه، وأهمية التزامه بطاعة الله تعالى والبعد عن نواحيه في جميع جوانب الحياة المتعددة، وظهر الاعجاز القراني البياني في هذه السورة المباركة في كيفية طرح الاعجاز الالهي في الخلق، فمازج بين خلق السماوات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والكون مع خلق الانسان وحياته واختياره بين الخير والشر، ومن ثم البعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والشواب والعقاب والترغيب والترهيب في صورة بديعة وجميلة تعبر عن قدرة الله تعالى في الخلق الأبدي والدائم لأنه هو الخلاق العليم. من أفضال هذه السورة العظيمة أن النبي الكريم كان يقرأها في خطبة العيد وخطبة الجمعة دليل على شمولية السورة وعظيم مكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم.

سورة الذاريات: مكية، نلاحظ في سور القرآن الكريم أنها كالعقد النفيس حباته متألئة

متساوية في القدر والقيمة، فإذا فقدت حبة منه ظهر العقد وكأن شيئاً غالياً فقد منه، فهذا القرآن الكريم بسوره وإياته البينات كالعقد الثمين كل اية تكمل الأخرى وتسندها فلا غنى أبداً عن أي منها، لأنها تشتمل على كل شيء في الكون لقوله تعالى: **ما فرطنا في الكتاب من شيء**، لذلك أجمع العلماء والمفكرون العالميون حتى في عصرنا هذا على أن القرآن الكريم جوهره نفيسة، كيف لا؟ وهو كلام الله تعالى وتكمن عظمتة في طريقة عرضه للقضايا الانسانية والقضايا الملحة حتى أنها تصدق في كل زمان ومكان، وهي مستمرة باستمرار الزمن، معانيه وألفاظه لا تتضب، وخصوصاً في عرض الأحكام والقضايا التي تهم البشرية الى يوم الدين لذلك نلاحظ أن سورة الذاريات أنها امتداد للسورة ما قبلها في عرضها لكل ما يتعلق بالبعث والجزاء، وابطال مزاعم الكفار والمنافقين والمكذابين برسالة الاسلام، وبين أن مصيرهم جهنم وبئس المصير، على عكس المؤمنين الذين وعدهم ربهم بالنعيم المقيم.

سورة الطور: مكية، دعوية الى دين الحق، وبدأت السورة بذكر أهوال يوم القيامة، ومصير الكافرين في هذا اليوم العظيم شديد الأهوال عليهم، مرفقا بقسم عظيم أيضاً، بأن كل ما يذكر لهو الحق من الله سبحانه وتعالى، ويقارن بين مصير هؤلاء ومصير المؤمنين الموحدين بالله العظيم الذين سينعمون بالجنة خالدين فيها أبداً. في السورة الكريمة قيمة للصبر على الشدائد وعلى عظام الأمور، وتحتوي على ارشادات للنبي الكريم على الصبر على المكاره والصبر على الكفار، مرفقا بالتسبيح بحمده وحسن عبادته.

سورة النجم: مكية، نزلت منجمة لكل اية أو مجموعة آيات نزلت بمناسبة معينة، وكلها تدل على ضرورة الايمان بالله والعمل الصالح وفيها نزلت قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَرَ أُخْرَىٰ (38) وَأَنَّ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾ النجم 41

لذلك فان كل انسان مسؤول عن عمله كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ الاسراء 13

لأنه يدرك ما عليه من عبادات وطاعات وواجبات ضمن أخلاقيات الاسلام، يجب القيام بها في الدنيا قبل ملاقة وجه ربه الكريم. فضل قراءة هذه السورة الكريمة كفضل قراءة أي سورة واية، ان قراءتها شيء عظيم عند الله تعالى يجازى بها يوم القيامة، ومن فضل قراءتها أن النبي الكريم كان يقرأها حبا في السجود، فكان يسجد لما يصل الى السجدة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحد من القوم الا سجد، فأخذ

رجل من القوم كفا من حصى أو تراب فرفعه الى وجهه (كأنه سجد) وقال: يكفيني هذا، قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافرا. رواه البخاري

في اشارة الى عدم ايمان الفاعل ايمانا تاما بل استهزاء بالساجدين.

سورة القمر: مكية، يراد بها وبآياتها ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين من خلال الاستدلال على القدرة الالهية في الكون، اذ سميت بهذا الاسم لورود اسم القمر وانشقاقه في بدايتها في قوله تعالى:

﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُغْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾

القمر 2

قبل معركة بدر بيوم تحدث قريش وعلى رأسهم أبو لهب النبي صلى الله عليه وسلم بحدوث معجزة انقسام القمر حتى يؤمنوا، فدعا النبي الله تعالى بأن يحقق له هذه الأمنية، فانشق القمر الى نصفين كما تقول الروايات التي اختلفت في تفسير ماهية الانشقاق، بعض العلماء رأى أن الانشقاق حقيقي وقع زمن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أن أبا جهل نفسه قال لما رأى ذلك رؤيا العين: لقد سحرنا محمد، ولا أصدق مل حصل الا بعد أم أسأل أهل البادية الذين أكدوا له رؤيتهم لانشقاق القمر، وشهد على رؤيته منشقا الى نصفين عبد الله بن مسعود وجبير بن مطعم، وأخبر به عبدالله بن عمر وأنس بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم جميعا، من هنا نرى أن انشقاق القمر قد يكون الى درجة اليقين، حدث أيام النبي الكريم استجابة لدعوته ربه بنصره على أعدائه بحدوث معجزة، والنصر الثاني وبعد نزول السورة منجمة (حسب بعض الروايات) الانتصار الباهر والمبهر في بدر، حيث قيل ان السورة نزلت يوم بدر لاقتناع من يريد الاقتناع بالرسالة المحمدية من المشركين، بعض العلماء يرى أن تفسير ذلك أن القمر لم ينشق الى قسمين بل الانشقاق حدث على سطحه بدليل الانشقاقات والأخاديد التي توجد قبل اكتشافها بواسطة ادوات العلم الحديث وبعض العلماء يرى أن القمر انشق عن الأرض، حيث كانا كتلة واحدة ومعنى انشقاقه عن الأرض واستقلاله بالحركة والنظام اقتراب الساعة التي لا ريب فيها. والتفسير في انشقاق القمر كثيرة ومنها أن القمر سينشق مع اقتراب الساعة لقوله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾.

فضل قراءة هذه السورة يتمثل في قراءة النبي الكريم لها في المجامع الكبار، كالعيدين والجمع ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها وللاعتبار كما قال ابن تيمية.

ذكرت حادثة انشقاق القمر في صحيح البخاري وصحيح مسلم ،في البخاري روى عن أنس بن مالك قوله: أن أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم اية فأراهم القمر شقين حتى

رأوا حراء بينهما. الدرر السنية.

وفي صحيح مسلم روي عن عبد الله بن عمر قوله: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **اشهدوا**.

مهما تكن الروايات التي نصدقها بالطبع عن الرواة النقا، فانه يمكن القول ان الانشقاق حدث فعلا لفترة محددة ليراه الناس عن كثب حيث امن كثيرون، وأعرض عن الايمان كثيرون أيضا، كابي لهب وذلك للتعنت حيث أن الكفر عناد كما يقال.

سورة الرحمن: مدنية، اتخذت اسمها من بدايتها، التي ذكر الله فيه اسم من اسمائه الحسنی الرحمن ونزلت ردا على كفار قريش الذين ادعوا أن الذي يوحى الى النبي بشر ويكتب ما يمليه عليه، فكان رد الله تعالى عليهم مزلزلا لعقولهم الجوفاء وقلوبهم الخاوية بقوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

الرحمن 9

ودرجت الايات البيّنات على تكرار اية وبأي الاء ربكما تكذبان بعد كل دليل يقدمه رب العالمين لهؤلاء غلف القلوب والعقول، حيث وردت حوالي اثنين وثلاثين مرة في سورة واحدة وهي سورة الرحمن. وكانت تعقب كل اية وكل معجزة من معجزات الله تعالى في الكون والخلق، كي لا يقول أحد ان هذا كلام بشر، حيث أن الصحابة رضوان الله عليهم ظهرت الدهشة على وجوههم حال سماعها من النبي الكريم الذي قال عنها:

لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن رواه الألباني

روي عن النبي الكريم أنه لما قرأ سورة الرحمن أمام أصحابه سكتوا فقال: مالي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم؟ ما أوتيت على قول الله فبأي الاء ربكما تكذبان الا قالوا لا شيء من الاالك ربنا نكذب فلك الحمد.

يتبين لنا من الحديث الشريف أن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابته الدهشة من عظمة ما سمعوا وما سمعوه شيئا لم يألفوه، وليس معنى أن النبي الكريم عاتبهم بأنهم معرضون عن سماع قول الله تعالى بلسان نبيهم الكريم كلا وحاشا أن يكونوا كذلك، بل ان الجن كانوا أسرع منهم بالاستجابة لطبيعة كل منهما (أي الانس والجن) وروي عن النبي الكريم قوله:

من قرأ سورة الرحمن ثم قال عقب قوله تعالى: فبأي الاء ربكما تكذبان الرحمن ثم مات من يومه ذاك فقد مات شهيدا.

وقد روي عن النبي الكريم قوله:

لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها، فانها لا تقر في قلوب المنافقين، ويأتي ربها بها يوم القيامة في صورة ادمي في أحسن صورة وأطيب ريح، حتى تقف من الله موقفا لا يكون أحد أقرب الى الله منها فيقول لها: من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك؟ فتقول: يا رب فلان وفلان فتبيض وجوههم، فيقول لهم: اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية، ولا أحد يشفعون له فيقول لهم: ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم.

لم ترد روايات صحيحة لهذه الأحاديث ونفترض صحتها لما فيها نفع للمسلمين والله أعلم
سورة الواقعة: مكية، نزلت قبل الهجرة وبدأت بأسلوب الشرط اذا وقعت الواقعة 1، ووردت
الاية بتوضيح الواقعة ووقعها على الكون وعلى الناس بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (2)
خَافِضَةً رَافِعَةً (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (6) وَكُنْتُمْ
أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَبُ الِأَيْمَنِ مَآ أَصْحَبُ الِأَيْمَنِ (8) وَأَصْحَبُ الِأَيْمَنِ مَآ أَصْحَبُ الِأَيْمَنِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ الواقعة 11

الآيات البينات توضح مصير الحياة يوم القيامة التي هي الواقعة، كما مصير الناس، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، والمؤمنون ثلة قليلة من الأولين وثلة قليلة من الآخرين، والثلة لا يعرف عددها، ولكن المعنى أن قلة من الناس سيحظون بالجنة، لأنهم مؤمنون بالله الواحد القهار وأطاعوه وأطاعوا أنبياءه ورسله والكافرون هم أصحاب المشأمة وهي النار والعياذ بالله. لهذه السورة وقعها عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ قال ردا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي نبهه الى الشيب في رأسه :

شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت. رواه الترمذي عن

ابن عباس

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا علي السري يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله، روى عنك أنك قلت: شيبتي هود فقال: نعم، فقلت: ما الذي شيبك فيها؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ فقال: لا، ولكن قوله تعالى: فاستقم كما أمرت.

السور التي شيبت النبي الكريم فيها من الأهوال والقيامة، والعذاب للمشركين والكفار والمنافقين ما لا يطاق كما فيها من الأحزان والهموم ما تكون عبرة لمن يعتبر ولمن يقرأها، وكل ما مر ذكره يبين لنا عظمة الخالق سبحانه وتعالى ولكنه وبالرغم من تهديده للذين مر ذكرهم فانه رءوف رحيم بعباده إذ أن رحمته وسعت كل شيء. في قول النبي الكريم في الحلم شيبه قوله تعالى

فاستقم كما أمرت، دلالة واضحة على أن فعل الأمر ليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل خاصا بكل المسلمين، فعلى كل مسلم أن يستقيم قولاً وعملاً فيما أمر الله تعالى ونهى عنه، وهو أمر عظيم، إذ يشمل العبادات والعقائد والقيم والأخلاق ومظاهر السلوك والتعامل والعد عن المحرمات... الخ

سورة الحديد: مدنية، بدأت بتسبيح الله تعالى وحمده وتسمى **سورة التسبيح**، وفي قراءتها عبادة لله تعالى واقترب منه، كما تقرب قارئها من النبي الكريم يوم القيامة، وفي السورة اعجاز انزال الحديد الى الأرض عبر ملايين السنين، إذ أنه ليس الحديد من مكونات الأرض الطبيعية، ولكن الله تعالى أنزله كي يستفيد الانسان منه في الصناعة والدفاع عن النفس، وفيه فوائد أخرى كثيرة كما ذكرنا سابقاً وذلك في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
الحديد 25

من فضائل قراءتها أنها تدعو الى اصلاح الذات، والدعوة الى الله تعالى الذي والخشوع له تعالى أيضا بذكره دائما وبالعامل على طاعته وحسن عبادته.

سورة المجادلة: مدنية، تشتمل هذه السورة العظيمة على عظات كثيرة أولها: ضرورة معرفة أن الله تعالى حق قريب الى من يناديه ويناجيه، وأنه أقرب للانسان من حبل الوريد، ودلل على ذلك بقوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة 1

وفيها من الأحكام ما يبطل ما كان يعتقد به الناس قبل نزولها مثل المظاهرة فحرمها القرآن الكريم، ويجب ودفع الكفارة اذا ما عاد المسلم اليها بعد معرفة حرمتها. بينت آيات السورة المباركة أن الزوجات لسن الأمهات، انما الأمهات اللاتى أرضعن أبناءهن الحقيقيين وعاشوا في ظلهم وكنفهم. وفي السورة المباركة أيضا نهى الله تعالى عن السلوك الشائن تجاه النبي الكريم كالنجوى، أي الكلام همسا والسري الذي ينال سمعته صلى الله عليه وسلم، واستعاض الله تعالى النجوى بالصدقات التي تقدم بين يدي النبي أفضل من نجوى الحديث، وكما قلنا: ان كل طلب يخص النبي أو كل حكم يصب في هذا الاتجاه ينطبق على المسلمين الا ما كان يتعلق بحياة النبي الخاصة.

فضل قراءة سورة المجادلة كفضل قراءة سور القرآن الكريم، ومنها يتعلم المسلم أحكاما كثيرة ويناله الأجر والثواب من الله تعالى لقراءتها

سورة الحشر: مدنية، بدأت بالتسبيح لله تعالى، ويسبح له كل ما في السماوات والأرض، والحشر هو يوم القيامة حيث يحشر الناس لملاقاة ربهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. الفعل المضارع هنا للاستمرارية، أي كل من يعمل الى يوم الدين عملا صالحا يراه يوم القيامة، ومن يعمل عملا سيئا يراه يوم القيامة، وجاءت هذه السورة تنبيها للمسلمين وتذكيرا لهم كيف كانت قدرة الله تعالى معهم في نصرهم على بني النضير وحشرهم خارج المدينة، وجاءت أحاديث تبين فضل قراءة سورة الحشر نذكر منها: عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي والحجب والسماوات والأرضين السبع والهواء والرياح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له، فان مات يوم ليله كان شهيدا. المستغفري فضائل القران
وقال صلى الله عليه وسلم:

من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فقبضه الله في تلك الليلة أو ذاك اليوم أوجب الله له الجنة. رواه ابن عدي

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ اخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه أبو حجر العسقلاني
سورة الممتحنة: مدنية، نزلت بعد سورة الأحزاب وتناولت ضرورة امتحان المسلمين المهاجرات الى المدينة وعدم رفضهن اذا ثبت ايمانهن، والسورة أوضحت عدم اتخاذ أعداء الله والرسول أولياء للمسلمين وعدم اظهار المودة لهم، لأنهم مهما حاولتم استمالتهم أيها المسلمون ستبقى عقولهم وقلوبهم مع أعدائكم ولكن المسالمين منهم لا بأس في معاملتهم بالمعروف والقسط لهم، وخصوصا اولئك الذين لم يحاربوكم في دينكم ولم يخرجوكم من دياركم، هذا درس بليغ للمسلمين بأن يكونوا مسلمين ودودين مع كل الناس الا الذين يخاعوهم ويقاتلونهم ويخرجوهم من ديارهم فحق حينئذ محاربتهم ومعاملتهم بالمثل تماما اسوة بما أمر الله نبي البشرية بأن يعامل الكفار بمثل ما عاملوا المسلمين يو أحد، ولا يلجأوا للانتقام والمبالغة فيه

ومن فضائل قراءة هذه السورة المباركة، ما روي عن أبي بن كعب قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة.**

سورة الصف: مدنية، ابتدأت آياتها البيّنات بتسبيح الله تعالى، بعد ذلك حذر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات من اخلاف الوعد والتخلف عن محاربة أعداء الله تعالى ونبيه صلى الله عليه

وسلم. سميت بهذا الاسم لورود كلمة الصف صراحة في آياتها البينات في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف 4

الهدف من محاربة الكفار وأعداء الله ورسوله دائماً وأبداً هو نصرته دين الله، وإعلاء كلمته والدعوة الى الايمان به وبوحدانيته، وبما جاء به الأنبياء والرسل واخرهم نبي البشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه من أفضل قراءة سورة الصف الاقتداء بالنبي الكريم، الذي كان يحب قراءة سور التسبيح ومنها هذه السورة العظيمة.

سورة الجمعة: مدنية، ركزت آياتها على اداب يوم الجمعة وأحكامه، كذلك الدعوة الى صلاة الجمعة وأحكامها، وهي من سور المسبحات التي كان النبي الكريم يحب قراءتها في كل يوم جمعة، لأهمية هذا اليوم في حياة المسلمين كما كان يقرأ في هذا اليوم سورة المنافقون. رواه مسلم هناك أحاديث عن فضل قراءة سورة الجمعة ولكن العلماء أقرروا بأنها موضوعة ولا تصح عن النبي والله أعلم

المنافقون: مدنية، سميت بهذا الاسم لورود كلمة المنافقون فيها صراحة وصفاتهم، وخصوصاً عبد الله بن أبي رئيس المنافقين، حيث دعا على النبي وأصحابه ودعا الى مقاطعته تحت سمع وبصر زيد بن الأرقم الذي نقل ذلك الى النبي. النبي الكريم لم يصدق زيدا الا بعدما نزلت السورة الكريمة في قوله تعالى:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ۚ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾

المنافقون 7

ويعرف المنافقون بصفاتهم في قوله صلى الله عليه وسلم:

اية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب واذا حدث كذب واذا أُوْتِمَن خان. رواه البخاري

سورة التغابن: مدنية كما ورد في القرآن الكريم، يرى بعض العلماء أنها مدنية وبعضهم يرى أنها مكية وهي من السور المسبحات التي يحب النبي الكريم قراءتها، وتؤكد على أن كل مخلوقات الله تعالى تسبح بحمده في الغدو والاصال وفي كل زمان ومكان، وكغيرها من سور القرآن الكريم يحذر فيها رب العالمين الكفار والمنافقين من نفاقهم وطغيانهم، ويحذرهم بأنهم سيكون مصيرهم كمصير من سبقوهم من الأقوام الذين كذبوا أنبياءهم ورسولهم في قوله تعالى:

﴿لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَالُوا أَبْشَرُ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۖ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

التغابن 6

ثم جاء تحذير المؤمنين من الوقوع في فتنة الأزواج والأولاد تارة والأموال والأولاد تارة أخرى. سميت **بالتغابن** لتغابن الناس فيما بينهم يوم القيامة، بمعنى أن التفاوت يظهر بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة وهو يوم التغابن، يث السعادة والشقاء في الآخرة لا يقاسان بمثليهما في الدنيا، فالغيب يكون لصالح المؤمنين، وفي فضل قراءة هذه السورة المباركة كونها من **المسبحات** المحبب قراءتها على سنة نبينا الكريم

سورة الطلاق: مدنية، مليئة بالأحكام الشرعية، والتوجيهات الربانية لنبى الأمة وللعالمين، وهي تعلم المسلم كيفية التعامل داخل أسرته وعلى الأخص مع زوجته، وتتعرض لأحكام الزواج والطلاق والطلاق في الحيض والطلاق البائن والرجعي، كذلك ما يتعلق بالعدة وحسابها بالأيام، واختلاف أيام العدة بين الصغيرة والكبيرة والحامل وغير ذلك من أحكام. وفي فضل قراءة هذه السورة المباركة قوله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورتي الطلاق والتحريم أمنه الله تعالى يوم القيامة وأدخله الجنة، وكان من الذين لا يخافون ولا يحزنون يوم البعث العظيم.

سورة التحريم: مدنية، سميت بذلك لأنها بدأت بقوله تعالى:

﴿إِنَّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

التحريم 1

تضمنت هذه السورة الكريمة أحكاما كثيرة وتوجيهات عظيمة للنبى وللمؤمنين كي يحموا أنفسهم من عذاب يوم عظيم، وفي السورة عتاب من الله تعالى لنبىه الكريم، ولكنه عتاب رقيق وعتاب توجيه موجه الى نبينا الكريم ولكنه في الوقت نفسه يقصد به عموم المسلمين كي يأخذوا به، وكغيرها من السور العظام فيها تحذير للكفار من كفرهم، كما الدعوة الى الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمته. وفضل قراءتها كفضل قراءة سور القرآن الكريم.

سورة الملك: مكية، ولها أسماء كثيرة منها، **المنجية** و**المانعة**، وهي الأولى من جزء تبارك، روي عن ابن مسعود قوله: **كنا نقرأ المانعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما تمنع عن صاحبها من شر وتنجيه من العذاب والألم يوم القيامة.**

سورة القلم: مكية، يرى بعض العلماء أن بعض آياتها مدني وهي من أوائل السور التي نزلت بعد سورة العلق وقبل سورة المزمل، وسميت **بالقلم** لأن الله تعالى أقسم في بدايتها **بالقلم**، وتسمى أيضا **ن والقلم** نسبة الى اللفظين الواقعين في بدايتها، ونزلت لحفظ النبي الكريم من شرور الكفار وحقدهم على النبي الى درجة أنهم كانوا يريدون به الحسد والشر فأنزل الله تعالى قوله:

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾
القلم 52

فيها كثير من الأحكام والعظات التي يجب العمل بها كما عمل بها النبي الكريم اذ كان خلقه القرآن، كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

سورة الحاقة: مكية، فيها تأكيد على صدق الدعوة النبوية الشريفة التي أرسلت للناس كافة، فاذا كانت البعثات النبوية السابقة لأقوام بعينهم، فان رسالة الاسلام للناس كافة، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، عربهم وعجمهم ابيضهم وأسودهم، اذ أن الناس في الاسلام سواسية كأسنان المشط، وهذا ما يميز رسالة الاسلام عن غيرها من الرسائل السابقة التي كانت تمثل شرائع لأقوام بعينهم، وما تميزها عن غيرها من الشرائع البشرية التي تحاول جاهدة تطبيقها على أرض الواقع ولكن دعوات المساواة تلاق العنت وعدم القبول من بعض الناس، اذ يرى الأبيض أنه مميز عن الأسود، اليهودي مميز عبقية الناس، وهناك دعوات للعنصرية في كل مكان من العالم اليوم، ولكن الاسلام ومبادئه وأخلاقياته تطبق اسلاميا على المسلم وغير المسلم، لذلك فان كثيرا من مفكري العالم وحكمائه يرون في الاسلام الخلاص من هذه المشاكل التي تسبب الكراهية والبغضاء بين الأمم. سورة الحاقة من السور التي أثرت على النبي الكريم مع هود وأخواتها وفضل قراءة هذه السورة التدبر في ألفاظها ومعانيها والأخذ بأحكامها.

سورة المعارج: مكية، وسميت بذلك لوصف حال الملائكة أثناء عروجهم الى السماء في طرق ومسالك خلقها الله تعالى للعروج الى السماء، وتسمى أيضا سائل بسبب دعوة النضر بن الحارث على نفسه حين قال: اللهم ان كان هذا هو من عندك فدعا على نفسه بالعذاب فنزل به من العذاب كما سأل، وفيها تهديد للكفار والمشركين بيوم القيامة والتأكيد على وقوعه لا محالة، فضل قراءتها كفضل قراءة سور القرآن الكريم.

سورة نوح: مكية، فضل قراءتها بالاستغفار من الذنوب بعد صلاة الظهر وفق بعض

الروايات

سورة الجن: مكية، سميت بذلك لورود كلمة الجن فيها، ولحرص الجن على الاستماع الى النبي صلى الله عليه وسلم، والتاكيد على أنهم من خلق الله مكلفون بعبادته، وسبب نزول سورة الجن كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قوله: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب،

قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فانظروا ما هذا الذي حاتل بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا الى تهامة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فحين رجعوا الى قومهم قالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾

الجن 2

فأنزل الله تعالى على نبيه قوله:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾

الجن 1

فضائل قراءة سورة الجن كفضل قراءة كل حرف من حروف القرآن الكريم، ويقول بعض العلماء ان قراءتها تبعد القارئ عن كل أنواع الظلم الذي قد يتعرض له والله أعلم.

سورة المزمّل: مكية، وهي ثالث سورة نزلت من القرآن الكريم، وجاءت تسميتها لما ورد فيها من مؤانسة للنبي الكريم بمخاطبته **بالمزمّل** أي المرتدي ثيابه، والزمل والمدثر معناهما واحد وهو لبس الثياب الخفيفة أو الثقيلة، ولكن في حالة النبي الكريم طلب من زوجته خديجة رضي الله عنها أن تزمّله وهو يرتجف من هول ما رآه من الوحي، وزملته زوجته حتى هدأ من روعه، فخطبه الله تعالى بالمزمّل لتخفيف الوطأة عنه أيضاً، ولتثبيت قلبه على الايمان وهو مؤمن بالطبع، وفيها أمر الى النبي الكريم بأن يستعد لتلقي الرسالة وقيام الليل وهجر الكافرين والصبر عليهم وجسابهم العسير عند ربهم، كذلك حثه على قراءة ما يتيسر من القرآن اناء الليل، وبين سبحانه وتعالى للمؤمنين بأن كل ما يقدمونه من خير سيجزون عنه يوم القيامة. من أفضال قراءة هذه السورة ذكر فيها في قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المزمّل

20

سورة المدثر: مكية، سميت بذلك لندائها النبي الكريم في بدايتها **بالمدثر** أي المتلحف بالرداء الثقيل أو الخفيف لا فرق كما ذكرنا سابقاً، أمره الله تعالى بالنهوض من أجل الجهر بالدعوة وترك كل ما يعيق هذه المهمة النبيلة الشاقة، وبين الله تعالى عاقبة المكذبين وكيف سيكون عقابهم في سقر شديداً. فضل قراءة هذه السورة فيها تذكرة لكل من يؤمن بالله وكل من لا يؤمن كل له حسابه وموعده لقوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرُهُ (54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (55) وَمَا يُذَكِّرُونَ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى

وَأَهْلَ الْمَغْفِرَةِ ﴿ المدثر 56

سورة القيامة: مكية، سميت بهذا الاسم لأنها بدأت بالقسم بيوم القيامة، الله سبحانه وتعالى يقسم بكل شيء عظيم خلقه، لتنبية الناس الى عظمة الخالق والتدبر فيما خلق. تحدثنا هذه السورة العظيمة عن البعث والايان بيوم القيامة والذي هو جزء من العقيدة الاسلامية، وقد بين الله تعالى بعض علامات يوم القيامة في هذه السورة بقوله جل من قائل:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿ القيامة 12

علامات يوم القيامة من اعجاز القران الكريم، حيث أثبتت الدراسات الفلكية أن الشمس سوف تتبلع القمر وربما الأرض والكواكب الأخرى قبل اضمحلالها وفقدان حرارتها، وهذا ما يحدث للمجرات البعيدة التي تختفي من الكون وابتلاع النجم الثاقب لمخلفاتها. اعجاز قراني مستدام ما دامت السماوات والأرض

كما يصور لنا رب العزة والجلال حال الناس (المؤمنون منهم والكافرون) في هذا اليوم العظي _____ يم بقول _____ه:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿ القيامة 25

وهناك دروس وعبر كثيرة في هذه السورة المباركة، وفضل قراءتها مفضل قراءة سور القران الكريم، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

من قرأ هذه السورة شهدت أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان موقنا بيوم القيامة وخرج من قبره ووجهه مسفر عن وجوه الخلائق يسعى نوره بين يديه. كتاب تفسير البرهان جزء 8
سورة الانسان: مدنية، ابتدأت بقوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿ الانسان 1

وهذا دليل واضح على أن الله تعالى خلق الكون والأرض قبل خلق الانسان بدهر لم يذكره الله تعالى، وربما مليارات السنين والله أعلم، وهناك رأي يفسر ذلك بأن الانسان في صلب أبيه لم يكن معروفا ولم يك شيئا أبدا، فخلقه الله من نطفة ثم علقه ثم مضغه، ومن المضغة خلق عظاما، وكسى الله تعالى العظام لحما ثم يكتمل الجنين في بطن أمه، وبعد خروجه يخلقه خلقا اخر كما فسرنا ذلك سابقا فتبارك الله أحسن الخالقين. ومهما يكن التفسير، فانه يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى في خلق الكون والانسان وبطبيعة الحال الحيوان والنبات وغير ذلك من المخلوقات.

فضل قراءة هذه السورة اقتداء بقراءة الرسول الكريم لها في صلاة الفجر، الى جانب الم السجدة، لقول ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي الكريم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة، وهل أتى على الانسان حين من الدهر. وقال ابن القيم: انه كان يقرأهما لأن الله تعالى يتحدث فيهما عن الميعاد وخلق آدم والله أعلم.

سورة المرسلات: مكية، بدأت بالحديث عن المرسلات وهي رياح العذاب، اذ يؤكد الله تعالى على أن انه شديد العقاب بتكرار القول ويل يومئذ للمكذبين، فكما يذكر الله تهديدا يكرر خلفه هذه الاية، كما كرر قوله تعالى: **فبأي الاء ربكما تكذبان** بعد كل نعمة أنعمها على الانسان في سورة الرحمان، والسورة كلها تنذر بالعذاب للمكذبين يوم الدين، حيث أكمل رب العزة والجلال بواخر يوم القيامة وأهوالها في قوله:

﴿ فَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (9) وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (11) ﴾ المرسلات 11

سورة المرسلات من السور التي شيبب النبي صلى الله عليه وسلم، ونصحنا بقراءتها كي نتعظ بها في كثير من أمور حياتنا، وكي نتفكر فيما سيحدث للعالم قبل فناءه، وهذا ليس من قبيل الفرضيات التي يفترضها العلماء بل حقائق ثابتة لا مجال لانكارها وهي من علم الغيب، ولكن يستطيع العلماء أن يتنبؤوا بما سيحدث ولكن ليس بمثل هذه التفاصيل التي لا يعلمها الا الله تعالى

سورة النبأ: مكية، سميت بذلك لأنها ابتدأت بقوله تعالى:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ النبأ 3

يبين الله تعالى لعباده أن يوم القيامة قادم وتام لا محالة بالرغم من اختلاف الناس حوله، كما يؤكد على قدرته على خلق الجبال التي أرساها في الأرض أوتادا وكيف خلق الانسان أزواجا، ثم يستمر في ذكر بعض علامات يوم القيامة فيقول:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ النبأ 21

في هذه السورة العظيمة يؤكد رب العزة والجلال على عذاب المكذبين، وبالمقابل يثني على المؤمنين، وأن لهم مفازا يوم القيامة ينعمون بالحدائق الغناء، والفتيات الجميلات اللائي وصفهن تعالى بالكواعب، أي العذراوات، وأترابا أي لهن مفاتن لسن كغيرهن من العذارى، وكل ذلك وغيره جزاء من الله تعالى، وإذا جمعنا حال يوم القيامة من السور الأربع اضافة الى سور التكويد والانفطار والانشقاق والزلزلة والقارعة لحصلنا على تصور شامل على ما هم عليه الناس في هذا

اليوم العظيم، وكيف سيقسم الناس بين مؤمن وكافر وجزاء كل من القسمين، القسم الأول له جنات النعيم المقيم، والقسم الثاني والعايا بالله له نار جهنم منهم المقيم ومنهم من يغفر الله تعالى عنه بعد أن ينال جزاءه بقدر ذنبه وبعد أن يشفع له من النبي والأنبياء والصالحين كل له مكانته عند الله تعالى. يرى بعض العلماء أن لقراءة سورة النبأ بعد صلاة العصر فوائد كثيرة، على صعيد الدعاء لله تعالى الذي يستجيب لدعوة الداعي إذا دعاه، وهي من السور التي شيبب النبي الكريم لما سيلاقيه الكفار يوم القيامة من أهوال هذا اليوم العظيم.

سورة النازعات: مكية ، أقسم رب العوة والجلال في بدايتها بالنازعات غرقا 1والناشطات

نشطا النازعات 2

يبدأ ربنا سبحانه وتعالى بتخويف العصاة بالملائكة المكلفين بقبض أرواحهم انتزاعا، حيث لا توجد لديهم الرحمة، فينزعون الروح بصعوبة بالغة، في حين أنهم يأخذونها من جسد المؤمن بكل سهولة، فهذا الفرق بين غرقا ونشطا، ثم يستمر رب العزة والجلال في الحديث عن عاقبة المكذبين، كعاقبة فرعون الذي طغى ثم يقارن بين عاقبة هؤلاء وهي النار، وجزاء المتقين وهو الجنة باذن الله. فضل قراءة سورة النازعات كبير في تذكير المسلمين بعاقبة المكذبين بايات الله وكتبه ورسله، كذلك تذكركم بما سيلقونه من نعيم مقيم يوم القيامة.

سورة عبس: مكية، سميت بهذا الاسم لأنها بدأت بكلمة عبس وأردفتها وتولى، أي أن المخاطب هو النبي الكريم، وفي عتاب رقيق ولكنه حاسم له، بأنه لما رأى الأعمى والصحابي الجليل فيما بعد عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، لما جاءه ابن مكتوم كي يسأله عن بعض أمور الدين، أدار النبي له ظهره واستمر في الحديث مع كبار قريش عن الاسلام ومناقبه ومحاسنه، ظنا منه أنهم سيقبلون على الاسلام سريعا، في حين أن الأعمى الذي لم يلتفت اليه النبي أسلم وحسن اسلامه، وبقي بعض كبار قريش على غيهم وضلالهم، وكان عبد الله بن أم مكتوم من مؤذني النبي الكريم لحسن صوته وادائه ودقته في مواقيت الصلاة، حتى أنه كان أدق من بلال رضي الله عنه في التوقيت كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل هذ السورة على القارئ بأنها تعرفه بأن القدرة الالهية التي لا يقف أمامها عائق، اذ يعتقد الكفار ذووا المال أنهم أفضل من الفقراء المؤمنين، ولكن الله تعالى فضل هؤلاء الفقراء المؤمنين بالتقوى ووعدهم بالمغفرة وحسن الماب، كذلك يجب على المسلم أن يهتم بكل الناس عسى أن يأتي الخير من أضعفهم وأفقرهم وأكثرهم ايمانا.

سورة التكوير: مكية، ابتدأت السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا

النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا
الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا الْأَنْفُسُ زُوجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا
الْصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿

التكوير 13

يستمر القرآن الكريم في سرد علامات يوم القيامة تذكرة لكل من يريد التذكر، وذلك توطئة
لحساب والعقاب والثواب، وفي هذه السورة المباركة يسرد رب العزة والجلال هذه العلامات سردا فيه
الخشوع والخشية والرهبة من ذلك اليوم العظيم، حيث سينال كل امرء حسب عمله، فالجحيم تسعر
للكافرين والجنة تزلف للمؤمنين وفي السورة الكريمة اعجاز قرآني في اعطاء النجوم مسميات علمية
كونية بينة للفلكيين، والليل مسمى علمي والصبح كذلك. فضل قراءتها يكمن بالخشوع لقدرة الله
وعظمته في خلقه، وتذكرة باليوم العظيم، وهي من السور التي شيبب النبي الكريم لما فيها من أهوال
يوم القيامة. روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي العين، فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت
واذا السماء انشقت. رواه الترمذي

فتكوير الشمس يعني انتكاستها وخفت ضوئها، ويأتي ذلك بعدد أن تلتف حول نفسها بسرعة
فائقة تبطل ما حولها من النجوم والكواكب فتكون نهاية كوكبنا وانشاء عوالم أخرى لقوله تعالى:

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿

العنكبوت 20

فخلق الله تعالى للأكوان لن ينتهي فهو الخلاق العليم. وفضل قراءة هذه السورة علاوة على
الأجر العظيم الذي سيناله قارئها، فان المؤمن يتعظ لما فيها من معجزات الله في خلقه، وما فيها
من ذكر للنعيم الذي سيلقاه المؤمنون والجحيم الذي سيكون مصير المكذابين.

سورة الانفطار: مكية، بدأت هذه السورة العظيمة بقوله تعالى:

اذا السماء انفطرت 1 وقد استمر الله تعالى بذكر علامات يوم القيامة في هذه السورة
المباركة، ولقد نصح النبي الكريم معاذ بن جبل بأن يقرأ الى الناس في الصلاة سورة سبح اسم ربك
الأعلى والضحى واذا السماء انفطرت

سورة المطففين: مكية، بدأت بقوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ

يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ

المطففين 5

من بداية السورة الكريمة يدرك القارئ عمن يتحدث رب العزة والجلال، وكغيرها من السور العظيمة يتحدث الله تعالى فيها عن عاقبة المكذبين بيوم الدين، ووصفهم بالمعتدين على الله تعالى، ومن أظلم ممن يعتدي عليه وعلى نبيه ورسالته العظيمة؟ وبالمقابل فإن الأبرار لقي نعيم. فضل قراءة هذه السورة العظيمة اعادة التأكيد على أن يوم القيامة يوم محتوم والثواب والعقاب فيه أمر مكتوب. كما أن فيها من العظات لعدم الغش والخداع، لأن ذلك أمر يضر بالناس واعتداء على حرمة الله تعالى، كما أن فيها روح التنافس بين الناس من يرد أن يدخل الجنة ويتسابق إليها ومن يرد غير ذلك

سورة الانشقاق: مكية، بدأت بقوله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾

الانشقاق 2

في هذه السورة الكريمة يستمر القرآن الكريم بوصف علامات يوم القيامة، وقد يقول قائل: لماذا تذكر العلامات على دفعات وليس مرة واحدة؟ فالجواب بسيط للغاية، إذ أن الله تعالى يريد من ذكرها في كل سورة للتذكير وللاجتهاد في التصور والتخيل، إذ أن في كل سورة من سور القرآن الكريم الأخيرة علامات تختلف عن الأخرى كي يقرأها المسلم في صدر كل سورة، وتتضمن بعض السور المباركة على اعجاز تلو الاعجاز ان كان علميا أو فلكيا أو خلقيا، ففي هذه السورة المباركة يقسم الله تعالى بالشفق كي يستحضره المسلم في صلواته، وخصوصا عند مغيب الشمس حيث يختلط بياض النهار بسواد الليل، كما أقسم بالليل وكل ما يجتمع تحت جناحه من دواب وطيور وخلائق، كما أقسم تعالى بالقمر اذا اكتمل نموه وأصبح منارة للناس بالليل. فضل قراءة هذه السورة كفضل قراءة غيرها من سور القرآن الكريم وكان النبي الكريم يحب قراءتها لما فيها من خشوع وخضوع لله تعالى وفيها السجدة.

سورة البروج: مكية، ابتدأها رب العالمين بذكر معجزة خلقية من معجزاته، ويقسم غليظ بهذه

المعجزة وبيوم القيامة بقوله:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾

البروج 2

فالبروج هي الأجرام السماوية، ويقول بعض العلماء: هي منازل الشمس والقمر، كما يقول بعضهم: هي البروج التي تتشكل منها النجوم كبرج الحمل والسرطان والجدي وما شابه ذلك، ولكن أغلب الظن أن الله تعالى يقسم بالمجرات التي في السماء، وتعد بالآلاف كمجرتنا التي تسمى درب التبانة، لأنها كالبروج في السماء اللامتناهي. في السورة المباركة تأكيد من الله تعالى على مصير

أصحاب الأخدود المؤمنين الذين ألغاهم الملك أبو نواس في النار بسبب إيمانهم ويقال: هم نصارى نجران، وبعض العلماء من يري أنهم نصارى عاشوا في اليمن قبل البعثة النبوية بأربعين عاما، كما جاء التأكيد في السورة المباركة على أن القرآن الكريم كتاب مرسل وهو مجيد وفي اللوح المحفوظ. فضل قراءة هذه السورة كفضل قراءة القرآن الكريم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها أثناء صلاة العشاء ونصح معاذاً أن يقرأها

سورة الطارق: مكية، سميت بذلك لأن الله تعالى ذكر فيها إحدى معجزاته الكبرى وهي الطارق أو الثقب الأسود كما يعرفه علماء الفلك اليوم، ذلك النجم أو الثقب الذي يحير العلماء ولكن الله تعالى وصفه بالطارق بمعنى أنه يطرق النجوم والأجسام في نواته وتختفي هذه الأجسام داخله، حيث تزداد كتلته ولا تزداد مساحته وحجمه، وسرعته الفائقة مع دورانه حول نفسه يجعل منه دوامة هائلة يضيع فيها الزمن ويختفي كلما اقتربنا منه والاقتراب منه مستحيل أو معدوم. أقسم رب العباد بهذه المعجزة الإلهية لتنبئهم إلى أن ما يعرفونه عن الكون والخلق ضئيل للغاية لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ البقرة 255

وفي السورة معجزات خلق الإنسان، ووظيفة السماء التي تعيد النيازك والمخترقات إلى مدارات أخرى لحفظ الأرض وغيرها من المعجزات الكونية كي يتعظ الناس، ولكن الكافرين سيبقون على كيدهم ومكرهم وضلالهم وكفرهم ولكن الله يمهلهم إلى حين. وفضل قراءة هذه السورة عظيم حيث نصح النبي معاذاً بقراءتها إذا أم الناس في صلاة العشاء، وكانت من السور المحببة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

سورة الأعلى: مدنية، ذكر الله تعالى اسماً من أسمائه الحسنى بقوله:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ الأعلى 2

ذكر الله تعالى في السورة بخلقه وهو يعلم الجهر وما يخفى، كذلك أوضح للنبي الكريم أنه سيقرؤه القرآن فلا ينسى منه شيئاً إلا إذا أراد الله تعالى ذلك. فضل قراءة هذه السورة يكمن في التعبد فيها وتذكر الخالق سبحانه وتعالى في كل ما ومن خلق.

سورة الغاشية: مدنية، والغاشية هي يوم القيامة الذي ذكر في القرآن الكريم بأسماء كثيرة، وكل اسم تبعه ما يلاقيه المكذبون من عنت وعذاب، وما يلاقيه المؤمنون من راحة وثواب مقيم. فضل قراءة السورة التعرف على مصير أهل النار ومصير أهل الجنة، وما يواجهه كل فريق وشتان بين الأمرين.

سورة الفجر: مكية، ابتدأت بالفجر والليالي العشر من ذي الحجة إلى يوم النحر وهو

الأضحى ويصح الصيام في هذه الأيام، أما الشفع والوتر فإنها يوم النحر ويوم عرفة. في هذه السورة المباركة تحدث الله تعالى عن الأقوام الغابرة وما الت اليه، وكان عتاب الله تعالى كبيرا لهؤلاء الأقوام الذين أكرمهم ولكنهم أساءوا الى هذا الكرم فأكلوا مال اليتيم، وجمعوا المال الحرام، وعملوا كل المنكرات فكان عقاب الله شديدا فضل قراءة هذه السورة المباركة الاتعاظ بما الت اليه قبائل عاد وثمود وفرعون ومن جاء بعدهم ومن جاء قبلهم، فالعظة والموعظة يجب أن تكونا حسنتين كي ننال رضي الله تعالى وعفوه.

سورة البلد: مدنية، أقسم الله تعالى بمكة المكرمة لمنزلتها العظيمة عند رب العالمين، وهي التي هيأها لتكون مركز العبادة في العالم القديم والحديث، وتكون مركز الرسالة المحمدية رسالة الاسلام العظيم، ووعد الله تعالى نبيه الكريم بأنه سيحارب من أجلها ومن أجل مكانتها العظيمة ويبقى فيها مرفوع الرأس يلتف الناس من كل حذب وصوب حوله، وذكروا الله في هذه السورة المباركة أنه خلق للانسان العيين واللسان والشفيتين وهاده الى طريق الخير وأوضح له أن السير في المعاصي هو طريق الشر، كي يفكر ويبدع وفي النهاية يسلك طريق الخير الذي أراده الله تعالى له، وقارن بين حال المؤمن يوم القيامة وحال الكافر والعياذ بالله وفضل قراءة هذه السورة العظيمة يكمن في استرجاع تاريخ السلام المجيد، وسيرة نبي الله صلى الله عليه وسلم محمد الأمين، كما التفكر في خلق الانسان نفسه، وأن الله تعالى خلق له الأعضاء كي يستثمرها بالتفكر والتدبر وتطبيق شرائع الله.

سورة الشمس: مدنية، رب العزة والجلال يقسم بكل شئ من خلقه وفي خلقه، وفي هذه السورة يقسم بالشمس والضحى الذي هو بداية النهار والذي يرافقها منذ مشرقها، ثم ينتقل في صورة بديعة الى القمر الذي يتلو الشمس اذا غابت، فالشمس منارة للنهار والقمر ضياء الليل، انظر عزيزي القارئ وتمعن في هذا البديع والبيان البلاغي الذي يصاحب هذه الايات، وكأنها نغم متواتر يحمل معاني أعظم وأروع من الألفاظ، وهذه هي عظمة القرآن الكريم في بيانه وبلاغته وألفاظه ومعانيه وتسلسله، ما أروع قوله تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا (2) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّلَهَا (3) وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَشَّهَا (4) وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَلَهَا (5) وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَلَهَا (6) وَنَفَسَ وَمَا سَوَّلَهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ﴾ الشمس 8

تناول الله تعالى مفاتيح العلم كله في هذه السورة المباركة، فاذا اعتبرنا العلم بأنه محاولة الانسان للاجابة عن الأسئلة التي تشغل باله من مظاهر الكون والطبيعة وكنه خلقه من جميع

جوانب الشخصية الانسانية، كذلك البحث عن عناصر الميتافيزيقا، فان الله تعالى أجاب عنها جميعا في هذه السورة، واستكمل بقية مفاهيم العلم ومكوناته والميتافيزيقا في سور أخرى، لذلك لا عجب أن يقول رب العزة والجلال:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
الأنعام 38

فضل قراءة هذه السورة عظيم، حيث تدفع القارئ الى التدبر في خلق الله العظيم والتفكير مليا، كما تدفعه الى زيادة في العلم والمعرفة، وبالتالي زيادة في العبادة والبحث عن كل ما يرضي الله تعالى من أجل عفوه ورضوانه.

سورة الليل: مكية، ما زال رب العباد يذكرنا بخلقه المرئي والمشاهد للعيان ولكل ذي بصيرة وبصر ويقول

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ (1) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾
الليل 4

صورة بديعة بالتقابل بين الليل الذي يغشى النهار ويغطيه، والنهار الذي يتجلى على الكون من أجل استئناف الحياة والتبشير بالخير والعطاء للناس، هذا هو القرآن الكريم وخالفه العظيم الذي يقسم بكل هذه الأمور حتى نتدبرها ونفكر في خلقها وماهيته، ففي فضل قراءة هذه السورة العظيمة تفكر وتدبر فيما وهبنا الله تعالى من خير ونعم، علاوة على الأجر والثواب الذي يلقيه قارئها عند ربه سبحانه وتعالى

سورة الضحى: مكية، في السورة السابقة أقسم رب العباد بالليل والنهار، وهنا يقسم بالضحى وهو قبل بزوغ الشمس، ثم يعاود قسمه بالليل الذي يغطي الأرض في ظلمة، وهذا القسم موجه للنبي الكريم الذي اعتقد أن الوحي انقطع عنه فترة، فحزن حزنا شديدا لأن كفار قريش اتهموه بأن شيطانه تولى عنه والعياذ بالله عما يقولون، ولكن الله تعالى لم يتخل عنه، بل انه معه حتى يستكمل رسالته العظيمة، فقال له: ما ودعك ربك وما قلى، أي لم يبتعد عنك ولم يتخل عنك ربك، فكل الروايات في هذا الصدد التي تتحدث عن محاولات النبي للانتحار لهذا السبب فهي باطلة لا أساس لها من الصحة، فالنبي الكريم نهى عن الانتحار وهو يعلم حق اليقين بأنه كلما اشتد ايمانه بربه كلما ثقلت المهمة عليه، وما ينطبق عليه صلى الله عليه وسلم ينطبق على كل مسلم غيور على دينة متمسك به كالبابض على الجمر. يقول النبي الكريم في ذلك:

أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل قالأمتل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه

اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة من ضعف بلاؤه.

في السورة الكريمة مقابلة بديعة جميلة وهي من معجزات القرآن اللغوية. قارئ هذه السورة يلاحظ المقابلة التي لا يمكن أن تخطر على بال النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، أي لا يمكن أن يكون قد ألفها من عنده وهو المخاطب بها، يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6)﴾ يقابلها ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9)﴾ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7)﴾ يقابلها ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)﴾ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)﴾ يقابلها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾ الضحى 11

هذه المقابلة البديعة من اعجاز القرآن البلاغي والبديعي الذي يجذب المسلم الى اتباع رسالة نبيه، والايمان بالله تعالى ربا، وبمحمد نبيا ورسولا ليس للمسلمين فحسب بل لكل من يريد الاسلام دينا له من العالمين. فضل قراءة هذه السورة الكريمة كبير وعظيم، اذ تنبئنا الى معجزات الله الخلقية، والى أن النبي الكريم انما كان حزنه على من الف اليه وهو جبريل عليه السلام، وقبل ذلك كلام الله الذي كان يقع على نبينا وحبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم موقع البلمس الشافي الذي يشفي الصدور، ويلبها لتصبح صافية الا من ذكر الله تعالى.

سورة الشرح: مدنية مكية، ابتدأت بقوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ الشرح 2

نزلت بعد سورة الضحى وكأنها تكملة لها، يذكر الله تعالى نبيه بأنه يرحاه ويحفظه دائما، ويرفع العناء عنه وعن صدره، وبشره باليسر من الايام بعد العسر، وشرح صدره أي أمره بالايمان، وأنزل عليه الهدى ودين الحق، وهناك روايات عن شق صدر النبي وهو صبي وغسل قلبه وتفرغته من السواد أي الشر، توطئة لبعثته الشريفة والله أعلم. كما أن الله تعالى بشره بان اسمه سيبقى مرفوعا أبد الدهر ومقرونا باسم الله في الذكر وليس بالقدر والقدرة، في الاذان يقرن اسم النبي بعد ذكر الله تعالى والصلاة على النبي دائما بعد شكر الله وحمده. هذه السورة الكريمة بشرى لكل مسلم، بأن الله لا ينسى عباده وييسر لهم السبل للرزق والحياة الكريمة.

سورة التين: مكية، سميت بهذا الاسم لبدايتها بالتين في قوله تعالى:

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ التين 3

ما زال الله تعالى يقسم بكل شئ جميل ورائع من خلقه وفي خلقه وكل خلقه كذلك، ولكنه ينتقي ما ينشر انتباه الناس واهتماماتهم، فأقسم بالتين والزيتون الذين مكانهما بلاد الشام وطور سينين

الذي مكانه مصر حيث لاقى موسى ربه في سيناء ولم يره، وهذا البلد الأمين أي مكة المكرمة، فهذه الأماكن باركها الله تعالى وأقسم بها، وبأنه خلق الانسان في أحسن هيئة وأروع صورة، فهو يختلف عن بقية خلقه بالعقل والتفكر والابداع والاكتشاف، فليس صعبا عليه أن يكتشف أن الله تعالى هو الخالق والمبدع والمصور. وفي فضل قراءة هذه السورة المباركة أن المسلم يتعرف على أنواع النباتات والمفيدة منها، ويتفكر في كيفية خلقها وابداعها، ثم يتفكر في نفسه وكيف خلقه الله في أحسن تقويم، عله يكون من الذين امنوا وعملوا الصالحات ليكون أجره غير ممنون من ربه الذي خلقه وأبدعه وهو خير الخالقين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة التين أعطاه الله خصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة.

سورة العلق: مكية، سميت بهذا الاسم لورود كلمة العلق في السورة المباركة، والعلق هو الحيوان المنوي أو النطفة، وهي قطعة من الدم الغليظ التي تتكون بعد التقاء الحيوان المنوي بالبويضة، ولقد تكرر ذكر العلق في القرآن الكريم للدلالة على خلق الانسان بقدرته تعالى في قوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾
المؤمنون 14

في السورة المباركة تذكرة للانسان بأن الله تعالى هو الذي يعلمه ما لم يكن يعلم، ويفتح أمامه سبل العلم والمعرفة، لأن له عقل يجب أن يكون راجحا يستخدمه من أجل الوصول الى الحقائق، ومنها وعلى رأسها حقيقة وجود الله تعالى وهو خالق كل شيء والمتفرد فيه، وفي السورة المباركة تهديد ووعد للذين يكذبون بالرسالة ويتولون عنها، ولكن في الوقت نفسه بشرى للذين كانوا على الهدى، وفيها سجدة كان النبي الكريم يحب السور التي فيها سجدة ليسجد لله رب العالمين.

سورة القدر: مكية، بدأت بقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

﴿ القدر 3

في رواية لابن عباس، أن القرآن الكريم نزل الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ دفعة واحدة ليلة القدر وحفظ في بيت العزة، ونزل على سيد الخلق منجما في ثلاث وعشرين عاما، وهذا ما يفسر الآية الكريمة ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة 185

وفي فضل قراءة هذه السورة المباركة قول النبي صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر، وأن من قرأها في ليلة نادى مناد أن استأنف العمل فقد غفر الله لك
الفيروزبادي

سورة البينة: مدنية، ذكرت كلمة البينة مرتين في السورة المباركة، الأولى: جاءت بمعنى الحجة الواضحة أي ما جاء في القرآن الكريم من آيات منزلة عن الباطل والشبهات، والثانية: الهدى ودين الحق، والذين كفروا من أهل الكتاب لا يريدون ترك عباداتهم وعقائدهم الباطلة إلا بعد أن رأوا الحق، ولكن بعضهم آمن وبعضهم لم يؤمن فنفروا جماعات. فضل قراءة هذه السورة العظيمة كفضل قراءة القرآن الكريم، وفيها أحاديث عن النبي الكريم في قوله لأبي بن كعب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله أمرني أن أقرأ عليكم لم يكن الذين كفروا قال: وسماني لك؟ قال: نعم. قال: فبكى.
وفي رواية أخرى عن أبي بن كعب نفسه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ان الله أمرني أن أقرأ عليك، فقرأ: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب، فقرأ فيها: ان ذات الدين عند الله: الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية، من يعمل خيرا فلن يكفره. رواه الترمذي في سننه

سورة الزلزلة: مدنية، فيها من العظات والمواقف الجليلة والمهيبة ما يستدعي الايمان العميق بالله تعالى في هذه السورة المباركة صورة ناطقة حية لما سيكون عليه يوم البعث العظيم، ويضيف رب العزة والجلال الى جلال هذا اليوم أوصافا جديدة غير تلك التي ذكرها في السور السابقة، هنا يذكر الله تعالى أن الأرض سيصيبها زلزال عظيم يهز أرجاءها، وبعد ذلك يخرج الناس من مراقدهم يتساءلون عما يحدث، فتجيب الأرض بأنه أمر الله تعالى لبداية الحساب، فمن عمل صالحا فسيراه بأم العين، ومن عمل شرا سيراه أيضا بأم العين. فضل قراءة هذه السورة عظيم، عن أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

من قرأ سورة الزلزلة عدلت نصف القرآن. أخرجه الترمذي

سورة العاديات: مكية، سميت بذلك لبدايتها في قوله تعالى:

﴿وَالْعُدَيِّتِ صَبْحًا (1) فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾

العاديات 2

نزلت هذه السورة الكريمة تطمئن النبي الكريم على الخيل التي أرسلها مع المنذر بن عمرو الأنصاري الى بني كنانة، وانقطعت أخبار البعثة مدة شهر فقلق النبي، ولكن الله تعالى أنزل عليه هذه السورة المباركة ليطمئنه وقال له: ان الخيل التي أرسلتها تجري في السهول والأودية تسهل وترتفع أصواتها وتقدح بحوافرها وكل ما جاء في السورة الكريمة وصف لخيل رسول الله صلى الله

عليه وسلم التي أرسلها في سبيل الله. في السورة المباركة وصف جميل لحال الخيل والمجاهدين وفضل الجهاد على المسلمين.

سورة القارعة: مكية، يذكر الله تعالى في هذه السورة الكريمة وصفا اخر ليوم القيامة وهو القارعة، حيث يخرج الناس من أجداثهم ومن كثرتهم كأنهم فراشات منتشرة، ومن علامات هذا اليوم العظيم، اختفاء الجبال الشاهقة ويراها الانسان في ذلك الوقت كأنها صوف مندوف لا حول لها ولا قوة، وهذا مظهر واحد من مظاهر يوم القيامة التي تخيف الكافر وتسعد المؤمن، لمعرفة أنه سيكون في عيشة هنية راضية. فضل قراءة هذه السورة المباركة كفضل قراءة القرآن الكريم في قوله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ القرآن كان له شفيعا يوم القيامة.

سورة التكاثر: مكية، يبين الله تعالى للناس أنهم يتكاثرون، ومن كثرتهم تكثر مقابرهم، وحينئذ يعلم كل امرئ ماذا فعل في دنياه هل قضاه بالتقوى أم باللهو عن ذكر الله، وسيسأل عن النعيم الذي كان ينعم به من أين حصل عليه؟ وكيف تصرف به؟ فضل قراءة هذه السورة المباركة ادراك العبد بأنه سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة عملها في دنياه، وهي عظة لكل من يتعظ.

سورة العصر: مكية، يقسم الله تعالى بالعصر أي الدهر كله، ويقول بعض العلماء، يقسم الله تعالى بعصر النبوة ان الانسان لفي خسر بعد أن عرفوا الحق ولم يتبعوه، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. انه دستور الاسلام في كلمات قليلة وقصيرة، وهذا من اعجاز القرآن.

سورة الهمزة: مكية، جاء اسمها من بدايتها في قوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾

الهمزة 2

توعد رب العالمين الذين يغتابون الناس، ومنهم من كان يغتاب النبي الكريم كالوليد بن المغيرة وغيره من كفار قريش، حذرهم الله تعالى من بطشه وعقابه بالرغم من أموالهم التي جمعوها في الدنيا، حيث لن تغني عنهم من عذاب الله شيئا، وهم في الآخرة في الحطمة وهي النار التي تنتظرهم. تعلمنا هذه السورة العظيمة عدم الاستهزاء من الآخرين والحط من شأنهم، ربما يكونوا من أفضل الناس عند الله تعالى كما سيأتي في السور المقبلة، كذلك تعلمنا أن جمع المال لا يعني الرفعة والعظمة في الدنيا، فهي وبال على صاحبها اذا لم ينفقها في مكانها الصحيح مشفوعة بالايمان بالله والعمل الصالح.

سورة الفيل: مكية، نزلت في غار حراء، تذكر النبي الكريم وقريش عامة ماذا فعل الله بجيش

أبرهة الحبشي حين أراد هدم الكعبة المشرفة، حيث أرسل عليه وعلى جيشه طيراً ألقى عليهم الحجارة القاتلة فأفناهم جراء محاولة تناولهم على بيت الله تعالى. فضل قراءة هذه السورة كفضل قراءة القرآن الكريم والعظة المستفادة احترام بيت الله وإقامة شعائره فيه بحرية ودون تعطيل.

سورة قريش: مكية، فيها من الإعجاز اللغوي والبلاغي ما يدهش القارئ المؤمن وذلك في قوله تعالى: لايلاف، وإيلافهم، ويعني بذلك تذكير قريش كيف أَلَفَ الله بين قلوبهم وجمعهم مع بعضهم البعض متعاونين في التجارة الى بلاد الشام اليمن، وهؤلاء المقصودون هم: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف وكانوا يتبعون بعضهم بعضاً، وهذه نعمة لم يدركوها فيذكرهم الله بها، وبأنه آمنهم من جوع ومن خوف، وهي نعم أخرى تضاف الى النعم يمن الله بها عليهم. في قراءة هذه السورة عظات كثيرة على المسلم أن يستذكرها وبأن الايمان بالله تعالى يبعث الأمان والطمأنينة في قلوب المؤمنين.

سورة الماعون: مكية، سميت بذلك لذكر الماعون فيها، وهو ما يعين المرء على قضاء حاجته، وفيها تذكرة لكل من لا يطعم الطعام ويؤوي اليتيم ويجور عليه ويصلي رءاء الناس، كل أولئك مصيرهم النار وبئس المصير. في قراءة هذه السورة المباركة عظات كثيرة ذكرناها وحسنة من الله تعالى والحسنة بعشر أمثالها.

سورة الكوثر: مكية، من السور قليلة الكلمات كبيرة المعاني، ومن أعظم السور في القرآن الكريم، يقال انها نزلت في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها الكوثر الذي رزق الله نبيه بها، ويقال ان الكوثر هو نهر في الجنة منحه الله تعالى لنبيه الكريم، جاء ذلك في حديث أنس بن مالك قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين ظهرائنا اذ أغفى اغفاء ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت على أنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شأنك هو الأبتـر. ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم: قال: فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة أنيته عدد النجوم فيخلج العبد منهم فأقول: رب انه من امتي، فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك.

وفي حديث اخر روي عن أنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم:
بينما أنا أسير في الجنة اذا انا بنهر حافته قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل
قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه أو طيبه مسك أذفر. ذكر في الصحاح
هذه السورة المباركة توضح منزلة النبي العظيمة عند ربه، ومنزلة المغرضين والمعرضين

من قريش الذين كانوا يعيبون على النبي بفقد أعز أبنائه، ولكن الله تعالى عوضه بفاطمة والنهر العظيم، وقال عنهم رب العزة والجلال: خسء أولئك الذين يتلامزون عليك وكارهوك، فهم الأذل بين الناس وأنت الأرفع مكانة عند أتباعك وعند الله تعالى

سورة الكافرون: مكية، بدأت بقوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الكافرون 2

يأمر الله تعالى نبيه الكريم أمر ملاطفة ولطف بأن يقول للذين كفروا: انكم لا تعبدون الله تعالى، وأنا لا يمكن أن أعبد الهتك الضالة التي لا نفع منها، ولكم دينكم ولنا نحن المسلمون ديننا الذي نتعبد فيه لرب العالمين الواحد الأحد. فضل قراءة هذه السورة المباركة يكمن في تعميق الايمان في نفوس المؤمنين وتمسكهم بدينهم الحنيف، الذي هو دين ابراهيم الخليل ومن جاء من قبله ومن بعده، الى مجئ سيد الأنام محمد صلوات الله وسلامه عليه والى يوم الدين.

سورة النصر: مكية، بدأت بقوله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر 1

يطلب رب العباد من نبيه الكريم أن يتوجه الى الله بالدعاء والثناء والشكر حال فتح مكة. جاءت هذه السورة العظيمة بعد غزوة حنين، لتبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائه وفتح مكة والطواف في أرجاء البيت المعمور وهو البيت العتيق، وفوق كل ذلك اتيان وفود القبائل العربية من كل أرجاء الجزيرة ومن خارجها لتهنئة النبي بالفتح العظيم، ودخول الاسلام أفواجا أفواجا كما وعد رب العزة والجلال نبيه الكريم، ولما نزلت هذه السورة العظيمة بكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأنه صدق الرسول في صلح الحديبية حينما قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأرضاهما: ان الله لن يخذل نبيه، كما صدقه حينما سمع بنزول الوحي عليه، وحينما صدقه أيضا في اسرائه ومعرجه صلوات الله وسلامه عليه. هذه السور القصيرة لها دلالات عظيمة وتمثل القرآن كله، وسورة النصر وحدها تعدل ربع القرآن، في حديث رواه الترمذي وحسنه الألباني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: هل تزوجت يا فلان؟ قال لا يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج، قال: أليس معك قل هو الله أحد؟ قال: بلى قال: ثلث القرآن قال أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك قل يا أيها الكافرون؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك اذا زلزلت الأرض؟ قال: بلى، قال ربع القرآن قال: تزوج تزوج رواه الترمذي وصححه الألباني

سورة المسد: مكية، نزلت بحق أبي لهب وزوجته، وتسمى سورة أبي لهب وسورة تبت، أي

ذلت وهلك يدا أبي لهب وليست يد النبي كما دعا عليه أبو لهب، حيث جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا في البطحاء وقال لهم:

يا صباحاه أرايتم ان حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا نعم، قال: **فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبا لك، فنزلت هذه السورة المباركة توبخ أبا لهب وزجته التي كانت تعذب النبي وتسبه، وتجمع الحطب والشوك فترميه أمام بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه، وبشرهما رب العالمين بالعذاب الأليم، حيث تجر من رقبتها بسلاسل من النار وبئس المصير، ويقول بعض المفسرين: ان المسد هو النار، وبعضهم يقول: انه نوع من العذاب ستلاقيه امرأة أبي لهب وتجر بسلاسل ممتدة طويلة، وكانت هذه المرأة التي أهانها الله تعالى بتسميتها **حمالة الحطب** قد تبرعت بعقد من ذهب لايذاء النبي، فاستبدله الله تعالى بعقد من نار يلتف حول عنقها، وكانت هذه المرأة شديدة العداوة الى النبي، وخصوصا بعد نزول السورة فيها وفي زوجها، وهي التي ذهبت الى النبي متشفية في تأخر نزول الوحي فقالت له: يا محمد: ما أرى شيطانك الا قد قلاك (أي هجرك) فنزلت سورة **الضحى** لتزيد من غيظها وعداوتها للنبي الكريم، هذا وقد حرصت ولديها عتبة وعتيبة على تطليق بنتي النبي صلى الله عليه وسلم، أم كلثوم زوجة عتبة، ورقية زوجة عتيبة، اللتان تزوجهما عثمان بن عفان تباعا فيما بعد وسمي بذي النورين. عتبة وعتيبة أعلننا اسلامهما عام الفتح وشهدا غزوة حنين وحسن اسلامهما، وقال عنهما النبي الكريم:

اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي، وذلك رغما عن أبيهما وأمهما اللذين ماتا كافرين

سورة الاخلاص: مكية، وهي من أعظم السور التي تلخص الرسالة المحمدية التي تدعو الى توحيد الله عز وجل الذي ليس له شريك في الحكم والملك، وليس له ولد يخلفه كما يقول بعض أهل الكتاب. هذه السورة المباركة جامعة مانعة للكفر والالحاد، وهي تعدل ثلث القرآن كما قال نبينا وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

سورة الفلق: مكية، وهي من سور المعوذات التي يتعوذ المؤمن بالله، أي يستعين به ويلجأ اليه ليحفظه من شرور ما خلق من الأشرار والمجرمين، ومن ظلمة الليل ووحشته التي يتخذها هؤلاء ستارا لهم والسحرة والحاسدين. في هذه السورة العظيمة يعلمنا رب العالمين ضرورة اللجوء اليه بالدعاء والاستعانة به ليدراً عنا هذه الشرور الموجودة في الدنيا ولا أحد يستطيع انكارها.

سورة الناس: مكية، من السور الثلاث المعوذات التي يطلب منا رب العباد التعوذ من وسواس الشيطان في الصدور كذلك وسوسة بعض الناس الذين يعملون عمل الشيطان، فيحاولون

ابعاد المسلم المؤمن عن دينه وعقيدته.

الأحكام الشرعية التي تستفاد من فضائل قراءة القرآن الكريم

- 1- قراءة القرآن الكريم تأتي يوم القيامة لتشفع لصاحبها من أجل ادخاله الجنة باذن الله.
 - 2- لكل سورة محاسنها وجمالها وفضائل قراءتها، وقراءة كل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها.
 - 3- لكل آية سبب للنزول، ولها أفضال كثيرة في قراتها، وتعرف المسلم على أصول دينه وما لاقاه النبي الكريم من عنت ومشقة كي يوصله ويوصل معناه الى الناس في ذلك العصر.
 - 4- حسب ما ورد من أحاديث النبي الكريم صحيحها وضعيفها، فانها تؤكد على أن قراءة سور القرآن الكريم وآياته تحفظ قارءه من كل الشرور المصائب التي قد تصيب الانسان في حياته.
 - 5- كل الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة والضعيفة تؤكد على أن قراءة القرآن الكريم بسوره وآياته تقرب الانسان من الله تعالى كما تقربه من الجنة.
 - 6- قراءة القرآن الكريم وخصوصا في الفجر تحضره الملائكة وتدعو لقارئه طوال قراءته.
 - 7- قراءة القرآن الكريم تديم الايمان في القلوب، وتثبت في العقول وتدل على تمسك القارئ المسلم بدينه وعقيدته.
 - 8- قراءة القرآن الكريم تبعد القارئ عن الشرك بالله كما تحببه بنعيم الدنيا والاخرة.
 - 9- كل ما ورد في القرآن الكريم هو خير للمسلم ويعلمه الشئ الكثير من أمور الدنيا والاخرة.
- أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله

الفهرس

7	المقدمة
18	الفصل الأول
18	التوحيد والإيمان بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً
18	في السنة النبوية
37	الفصل الثاني
37	اقام الصلاة في السنة النبوية
46	الفصل الثالث
46	الزكاة في السنة النبوية
54	الفصل الرابع
54	الصيام في السنة النبوية
66	الفصل الخامس
66	حج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلاً
66	في السنة النبوية
73	الفصل السادس
73	الجهاد في سبيل الله في السنة النبوية
84	الفصل السابع
84	الدين عند الله الاسلام في السنة النبوية
96	الفصل الثامن
96	الطهارة والنظافة في السنة النبوية
107	الفصل التاسع
107	الزواج في السنة النبوية
127	الفصل العاشر
127	الطلاق في السنة النبوية
139	الفصل الحادي عشر
139	الصدق خصلة حسنة والكذب صفة سيئة في السنة النبوية
152	الفصل الثاني عشر
152	قتل النفس البريئة في السنة النبوية
170	الفصل الرابع عشر
170	تحريم الخمر في السنة النبوية
176	الفصل الخامس عشر
176	الزنى في السنة النبوية وهو محرم في الاسلام
185	الفصل السادس عشر
185	الأخلاق في السنة النبوية
193	الفصل السابع عشر
193	الربا وأكل مال اليتيم في السنة النبوية
202	الفصل الثامن عشر
202	القرض في السنة النبوية
208	الفصل التاسع عشر

208	الرهن في السنة النبوية.....
211	الفصل العشرون.....
211	احياء الأرض والمزارعة والاجارة في السنة النبوية.....
219	الفصل الحدي والعشرون.....
219	التجارة البيع والشراء في السنة النبوية.....
226	الفصل الثاني والعشرين.....
226	رحمة الله الواسعة في السنة النبوية.....
241	الفصل الثالث والعشرون.....
241	الصبر في السنة النبوية.....
251	الفصل الرابع والعشرون.....
251	الأمانة في السنة النبوية.....
258	الفصل الخامس والعشرون.....
258	العدل والنهي عن الظلم في السنة النبوية.....
265	الفصل السادس والعشرون.....
265	الارث والميراث في السنة النبوية.....
271	الفصل السابع والعشرون.....
271	الاسلام دين السلام في السنة النبوية.....
287	الفصل الثامن والعشرون.....
287	الجيرة واحترامها في السنة النبوية.....
294	الفصل التاسع والعشرون.....
294	اقامة الحدود في السنة النبوية.....
314	الفصل الثلاثون.....
314	صلة الرحم في السنة النبوية.....
320	الفصل الحادي والثلاثون.....
320	النظافة والملبس النظيف والطاهر في السنة النبوية.....
331	الفصل الثاني والثلاثون.....
331	الحفاظ على البيئة وحقوق الانسان في السنة النبوية.....
342	الفصل الثالث والثلاثون.....
342	الوقف والهبة في السنة النبوية.....
349	الفصل الرابع والثلاثون.....
349	معاملة غير المسلم في السنة النبوية الشريفة.....
358	الفصل الخامس والثلاثون.....
358	الاعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة.....
367	الفصل السادس والثلاثون.....
367	الحسد في السنة النبوية.....
373	الفصل السابع والثلاثون.....
373	القران الكريم: سوره واياته في السنة النبوية.....

المؤلف

الدكتور زكريا اسماعيل أبو الضبعات

- ولد في مدينة الخليل - فلسطين عام 1949 ميلادية.
- تحصل على الثانوية العامة المصرية عام 1966 ميلادية، مدرسة الحسين بن علي الثانوية - الخليل.
- تخرج في جامعة القاهرة - لغة عربية ودراسات اسلامية - كلية دار العلوم القاهرة عام 1970 ميلادية.
- تحصل على دبلوم عامة في التربية - جامعة عين شمس - القاهرة عام 1971 ميلادية.
- تحصل على الدبلوم الخاصة في التربية، مناهج وطرق تدريس - جامعة الفاتح - طرابلس - ليبيا عام 1975 ميلادية.
- تحصل على درجة الماجستير في التربية مناهج وطرق تدريس - جامعة الفاتح - طرابلس ليبيا 1979 ميلادية وذلك أثناء عمله مدرسا في معهد ابن منظور للمعلمين في طرابلس.
- عمل مدرساً لمادة التربية وعلم النفس في معهد بن منظور للمعلمين في طرابلس - ليبيا من 1971 - 1980 ميلادية.
- تحصل على درجة الدكتوراة في المناهج وطرق تدريس من قسم التربية المقارنة عام 1984 ميلادية U.C.L جامعة لندن.
- عمل في مجال الإعلام والتعليم في لندن من عام 1980 - 1984 ميلادية وذلك أثناء دراسته للحصول على درجة الدكتوراة.
- عمل استاذاً مساعداً لمادة المناهج وطرق تدريس اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز من 1984 - 1987.
- عمل في مجال الاعلام في لندن من عام 1987 - 2006.
- عمل استاذاً مساعداً لمادة المناهج وطرق التدريس في جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة من عام 2006 - 2009 ميلادية.
- عمل استاذاً مشاركاً في جامعة الزيتونة الأردنية من عام 2009 - 2017 ميلادية.
- يعمل كاتباً ومؤلفاً بعد سن التقاعد من عام 2017 - الآن.

المؤلفات العلمية

- اسس المناهج - دار الشرق الأوسط - القاهرة 1983م.
- المناهج - اسسها ومكوناتها - دار الفكر - عمان - الأردن 2009 م.
- طرق تدريس اللغة العربية - دار الفكر - عمان - الأردن 2007م.
- اعداد وتأهيل المعلمين - الأسس التربوية والنفسية - دار الفكر - عمان - الأردن 2008م.
- الديمقراطية وفلسفة التربية - دار الفكر - عمان - الأردن - 2008 م.
- الأحكام الشرعية من كتاب رب البرية - دار الجندي للنشر والتوزيع القدس الشريف 2003.
- الأحكام الشرعية من سنة نبي البشرية - دار الجندي للنشر والتوزيع القدس الشريف 2023.
- عشرات الأبحاث التربوية والنفسية في المجالات العلمية والتربوية العالمية المحكمة باللغتين العربية والانجليزية